

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسة العليا
فرع العقيدة

لقد تمَّ إكمال الطالب يحيى المرحوم
التدوينات التي
أضار إليها
ر.د. أحمد الزهراني

د. محمود خفاجي

أ.م.ع. عبد الله
أ.م.ع. عبد الله

١٤٠٦/٧/٢٨



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٠٨١

الإمام الشوكاني وأثره الأخفائي

في آله الأئمة بين السلف والزيدية

رسالة مقدمة لنيل درجة التخصّص الأولى
المأجستير

٢٠٢٥ م

إعداد الطالب :

سعيد إبراهيم سيد أحمد

١٠٨١



أشرف
لكنور، محمد (أحمد خفاجي)

عام ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

سورة الفاتحة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وبه نستعين ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله بعثه الله تعالى بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسلك طريقته الى يوم الدين .

أما بعد :

ان الله تعالى قد بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وأهل الأرض أحوج الى رسالته من غيث السماء ، ومن نور الشمس الذى يذهب عنهم جناس الظلماء ، فكانت ضرورتهم الى رسالته أعظم الضرورات ، وحاجتهم اليها مقدمة على جميع الحاجات ، فانه لا حياة للقلوب ، ولا سرور ولا نعيم ولا أمان الا بأن تعرف ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته وأفعاله .

ومن المحال أن تستقل العقول البشرية بادراك ذلك على التفصيل ، فاقترضت حكمة العزيز العليم ، بأن بعث الرسل به معرفين واليه داعين ، وجعل مفتاح دعوتهم وزيدة رسالتهم معرفة المعبود سبحانه وعلى هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة جميعها .

وقد شهد الله سبحانه بالعلم لمن يرى أن ما جاء به الرسول من عند الله هو الحق ، لا آراء الرجال فقال تعالى : " ويرى الذين أتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد " . (١)

فمن المحال أن يكون صلى الله عليه وسلم قد أحال أمته فى فهم ما أخبر به

عن الله تعالى ، وأسمائه وصفاته وأفعاله على مستكرهات التأويلات وما تحكم به عقولهم ، وهو القائل : " تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك " (١)

وقال أبو ذر : " لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقرب جناحيه في السماء الا ذكر لنا فيه علما " (٢) ، فكيف يتوهم من الله ورسوله في قلبه وقار أن يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمسك عن بيان هذا الامر العظيم ولم يتكلم فيه بالصواب ؟

ثم من المحال أن يكون خیرامة وأفضلها وأسبقها الى الخير قصرها في هذا الباب ، وانما ابتلى من خرج عن منهجهم الذين فضلوا طريقة الخلف على طريقة السلف - بظنهم أن طريقة السلف هي مجرد الايمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه ولا فهم لمراد الله ورسوله منها ، وأن طريقة المتأخرين هي استخراج معاني النصوص وصرفها عن حقائقها بغرائب اللغات ، ومستكرهات التأويلات .

فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقابلة التي مضمونها اهمال ونبذ الكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة والتابعين وراء ظهورهم ، فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل والجهل بالسمع .

وقد أسهم ذلك بنصيب وافر في توسيع دائرة الخلاف بين الفرق الاسلامية ، وسارت به الى أبعد نتائجه خطورة ، ولم يكن وراء ذلك دافع سوى الانتصار للمذهب ، والتعصب للرأى ودفع الخصم عن الاحتجاج بالآية ، بدعوى أنها مصروفة عن ظاهرها ومؤولة . ولم يكن هذا المنهج الكلامي قاصرا على الفلاسفة ، بل كان هناك فرق الشيعة

(١) الحديث جاء في موضوعين من سنن ابن ماجه الاول : ١٤/١ (المقدمة باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، والموضع الثاني : ١٦/١ عن العرياص بن سارية رضي الله عنه ، وجاء الحديث في التهذيب والترغيب ١/٢٥ عن العرياص ، وقال المنذرى : " رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة باسناد حسن " .

(٢) ابن القيم الجوزية مختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ٧ .

على تعددها وكثرتها ، مثل الرافضة ، والقرامطة وغيرهم ، والمعتزلة الذين أصلوا
لذلك أصولا ووضعوا لذلك قواعد تابعهم فيها فرق الزيدية ، بعد الامام زيد ، وآل
البيت الأول رضى الله عنهم — فقد كانوا بعيدين كل البعد عن ساحة التشيع
التي يعمها الجهل والهوى والعصبية — ولقد صوب هوءاء أولئك الفرق الزائفة
سهامهم الى كتاب الله بدعوى التأويل فأبطلوا الشرائع وصرفوا القرآن عن ظاهره .
وأنا واحد من طلاب العلم شغلتنى هذه القضايا مدة طويلة ، وشغلنى ذلك
الخلاف الناشب بين الفرق الاسلامية على كثرتها وما ترتب على ذلك الخلاف من أحكام
بلغت حد الرمي بالاحاد والزندقة حينما ، والكفر والخروج عن الملة حينما آخر مما
جعلنى استخير الله سبحانه وتعالى فى اختيار بحثى عن موقف " الشوكانى وآراؤه الاعتقادية
فى الالهيات بين السلفية والزيدية ، لأنه أبرز مفكر بعد الذين جاءوا قبله ، وخصوصا
أنه من القطر اليمنى .

عالج هذه القضايا بفكر واضح ، ومنهج مفصل ، بعيدا عن اللبس والغموض ، وأيضا
لأنه خرج من البيئة الزيدية فى اليمن معتصما بالكتاب والسنة ، حرا ، وما أصابه عى
التقليد ، ولا التعصب للمذهبية ، داعيا فى كل مؤلفاته للاخذ بما كان عليه السلف
الصالح ، والقرون الاولى ، مخاصما فى الله كل من نبذ هذا المنهج القويم والصراط
المستقيم ، ولو كان من أغز الناس وأقربهم اليه .

وقصدت كذلك بهذه الدراسة العقيدية لشخصية مرموقة وداعية من دعاة الحق
يمثل المدرسة السلفية فى مواجهة الرافضة والزيدية والمبتدعة والمقلدة ، لأساهم فى
الكشف عن مبطلاتهم وأقيم دعائم الحق فى افساد مسالكهم وأضع بذلك لبنة أخرى فى
صرح والبحوث والمكتبات الاسلامية الشامخ بتقديم هذا البحث المتواضع لينتفع به
الاجيال المتعاقبة .

ولم أشأ أن أجعل أقوال " الشوكانى " هى القول الفصل بينه وبين خصومه ،
وانما توخيت فى ذلك موضوعية البحث ، وأمانة الناقد ، فما من قضية أو فكرة أثيـرت
للتقاش فى هذا البحث بين " الشوكانى " وبين خصومه الا ورجعت فيها الى مصادرها

فى كتب أصحابها مستوثقا مما ينقله " الشوكانى " عن هؤلاء ، والحق أقول لقد وجدت الشوكانى أمينا فيما ينقل ويأخذ ، منصفا فيما ينقد ويمحص ، وهذا يدل على دقة الرجل وأمانته لهذا كله كانت شخصية " الشوكانى " إحدى شخصيات المجتمع الإسلامى الجديدة بالدراسة والعناية ، لزيادة التوضيح والتعريف بمنهجه ومسالكه السلفية ، حتى يحتذى بأقواله ويقتدى بفعاله ، وخصوصا فى الاقطار والجهات التى زادت فيها غربة الدين وسمت فيها طريقة المقلدين .

حيال هذا كله رأيت أن أقوم بهذه الدراسة " الشوكانى وآراءه الاعتقادية " ، راجيا أن أكمل بها ما سبقنى به الكتاب من دراسات مستقلة عن جوانب أدبية أو تفسيرية أو فقهية لهذا الامام مع تصحيح بعض ما وقع فيه من سبقنى من أخطاء وهفوات لا يسوغ أن تبقى دون تصحيح وتوضيح وتقويم .

ولعل ما قدمته يدل على أننى لأقصد بكتابتى هذه عن " الشوكانى " والزيدية تنسيق وتجميع لمادة علمية كتبت عنه ، وإنما قصدت بهذه الدراسة المقارنة لعلنى أصل الى الصورة الصحيحة لآراء الشوكانى عن أصول الدين من بين ما يقوله الزيدية والمعتزلة وأقارنه بأقوال السلفية وأئمتها بعد عرضها على الكتاب والسنة الصحيحة .

وهذه الغاية ولا شك تلقى على الباحث الاعباء الثقيلة ، لأنها تقتضى منه تحقيق الحوادث والمواقف ، وتحقيق صحة الاقوال المنسوبة الى كل جهة تكلم عنها الشوكانى ، وكذلك الاقوال المنسوبة اليه ، وتحليل المواقف وتدقيقها للوصول الى المدلول الصحيح . ولم تكن هذه المهمة سهلة المنال ، لذا بذلت فيها قصارى جهدى وفكرى ، ومنتهى وسعى ، وقد ضاعفت من صعوبة دراستى للشوكانى بين السلفية والزيدية على هذا النحو ، قلة المراجع التى تحوى الفكر الزيدى ، وذلك لان معظمها مطمور لم يحقق منه الا النزر القليل ، فكلفتنى ذلك السفر للحصول على المخطوطات أو تصويرها . أو زيارة من قاموا بتحقيق كتب ورسائل فى تراث الزيدية ، واستحضرت صوراً لمخطوطاتها من بعض المكتبات فى الدول العربية والاجنبية .

لهذه الأسباب وغيرها كانت صعوبة البحث لآراء الشوكانى مقترنة بآراء الزيدية

ومناقشة السلفية لها .

وقد كان منهجى فى البحث والتحليل والنقد على أساس الالتزام بالرجوع الى المصادر الأصلية والفرعية فى الموضوع وتحقيق القول تحقيقا علميا ، وتمحيص الآراء المنسوبة الى كل قائل ، مع اجراء الدراسة المقارنة لجميع الأقوال والآراء لبيان الصحيح منها واختياره ، وتوضيح الزائف منها ورده على أساس من الأدلة والبراهين القرآنية والسنة النبوية ، والدلائل العقلية والعلمية الصحيحة ، وقد التزمت الحياد التام فى مناقشة الآراء والأحكام وعرضها بأمانة ، وناقشت أصحابها من غير تحيز أو تجن على أحد ، ولو كان يختلف معى رأيا أو مذهبا .

وكانت خطتى فى هذه الرسالة أن قسمتها الى مقدمة وبابين وخاتمة .

أما المقدمة : فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، ودوافع الكتابة فيه ، وأهدافها ، وأشارت فيها الى بعض الصعوبات التى واجهتنى ، وتكلمت فيها عن منهج البحث وخطة الرسالة .

أما الباب الأول : فقد خصصته لدراسة حياة " الشوكانى " وعصره وقسمت هذا الباب الى أربعة فصول :

الفصل الاول : الحالة السياسية فى عصر الشوكانى . تحدثت فى هذا الفصل :

عن العلاقات السياسية التى ترتبط بها حكومة الائمة الزيدية ، والتى كان الشوكانى رئيس قضاتها ، ووزير امامها ، والمستشار الاول لمهامها ، وأنه كثيرا ماكان يمارس الرد على خطابات الملوك والعلماء نيابة عن الامام ، فتكون سببا لرد عاديات الزمن عن اليمن ، واحلال الوفاق بدلا من الافتراق ، وبينت مقالة الشوكانى عن دعوة آل سعود : من اقامة الدين الخفيف فى جميع البلاد التى فتحوها ، وأن من دخل فى حوزتهم أقام الصلاة والزكاة ، والصيام وسائر شعائر الاسلام بعد أن كانوا لايعرفون من الاسلا شيئا ، كما وضحت اعجاب الشوكانى بدعوة التوحيد التى قام بها الامام محمد بن عبد الوهاب وقادة

الدعوة من آل سعود ، مما يدل على أن دعوتهم لقيت قبولا لدى كبار العلماء ،
والمحققين ، فلم يجدوا خروجا في الأصول العقيدية ، ولا في الفروع الفقهية ،
غير أنها جددت التوحيد بعد الشرك ، وأعادت الهدى بعد الضلال .

الفصل الثاني : الحالة الدينية في عصر الشوكاني :

تحدث في هذا الفصل عن الفرق والطوائف التي كانت في هذا العصر ،
ومدى الصراع بينها وبين أهل السنة من جانب ، وبينها وبين بعضها من جانب آخر ،
تمثلت في فرق الشيعة ، والزيدية بعد الإمام زيد ، وزيدية اليمن المعتزلة ، والرافضة ،
والباطنية ، والاشاعرة ، والصوفية .
ثم بينت أثر الحياة السياسية والدينية من الناحية الإيجابية والسلبية ، وكيف كان
الشوكاني يعالج بحكمة وخنكة ، وبما أوتي من جاه ومركز رفيع فكان يخدم أوار الثورات ،
ويثد الفتن في مهدها .

الفصل الثالث : حياة الشوكاني :

تحدثت في هذا الفصل : عن اسمه ، ونسبه ، ومولده ونشأته ، وحياته
العلمية ، وأبرزت دوره ودعوته إلى العقيدة السلفية على ما كانت عليه أيام الرسول
صلى الله عليه وسلم والصحابة رضی الله عنهم ، ثم دعوته إلى تطهير العقيدة
وتفقيتها من مظاهر الشرك والوثنية . ثم وضحت دعوته إلى الاجتهاد ونبد التقليد ،
وأشرت إلى مؤلفاته في هذا المجال ، وتولييه للقضاء الأعلى باليمن .

الفصل الرابع : أساتذته وتلاميذه :

تحدثت عن ذلك ، وأبرزت مسوعات الشوكاني ومقروءاته العديدة في
مجالات العلوم المختلفة . وذكرت طائفة من تلاميذه ، الذين أخذوا العلم ودرسوا
عليه وترجم لهم الشوكاني في البدر الطالع ، ثم ذكرت مؤلفاته وكتبه المطبوع منها
والمخطوط والذي لا يزال معظمه مطمورا بمكتبة صنعاء بالمسجد الكبير .

وأما الباب الثانى : وموضوعه آراءه فى الالهيات :

قسمت هذا الباب الى سبعة قصول ، خصصت كل فصل للحديث عن جانب من هذه الآراء :

الفصل الأول : فى التأويل ومنهجه فيه :

تحدثت فى هذا الفصل عن موقف الشوكانى فى التأويل وبينت منهجه فى تحليل الالفاظ لبيان المعنى فى لغة العرب ، ووضحت دلائل التأويل فى القرآن واستعماله لها ، وحققت القول فى آية " ال عمران " التى يجرى تحت ظلالها الاختلاف فى الآراء ، وموقف كل من المحكم والمتشابه ، ثم بينت موقف الزيدية من التأويل ، وذكرت نبذة عن مدى اتصال الزيدية بالمعتزلة واعتناقهم لمبادئهم وأصولهم الخمسة ، والتزامهم بالعقل ومبادئه ، وموقفهم من الآيات القرآنية والنصوص الحديثية المتعلقة بذات الله وصفاته تعالى ، ثم ناقشت هؤلاء الزيدية ومنهجهم الكلامى بين يدي آراء السلفية وأقوال الشوكانى وأبطلت فساد هذا المنهج فى تقديم العقل على النقل وتأويل النصوص .

الفصل الثانى : فى الاستدلال على وجود الله ومنهجه فيه :

بينت فى هذا الفصل : الفرق بين المنهج القرآنى والمنهج الفلسفى الكلامى فى الاستدلال ، ووضحت المنهج الذى اختاره الشوكانى وأغواه عن أدلة المتكلمين ومنهجهم فى الاستدلال على وجود الله ، واعتماده فى ذلك واهتمامه وعنايته بدلائل الفطرة السليمة والنفوس المستقيمة ، ودليل الانفس والآفاق ، ودليل المعجزات ، مصحوباً بالشواهد القرآنية والاحاديث النبوية ، ثم بينت منهج الزيدية فى الاستدلال الذى لا يختلف عن منهج المعتزلة والمتكلمين فى الاستدلال بالجواهر والاعراض ، وناقشتهم فى هذا المنهج وبينت فساد ولوازمه الباطلة بأقوال السلفية وكلام الشوكانى .

الفصل الثالث : فى وحدانية الله :

تحدثت فى هذا الفصل عن : أنواع التوحيد ودلائل اثباتها لدى الشوكانى ، وبينت خطأ المتكلمين فى اثبات توحيد الربوبية ، وأثبت توحيد الالهية الذى هو مناط الايمان والذى تدور حوله آيات القرآن فى تقديره وتقديره ، ووضحت توحيد الاسماء والصفات وبينت الركائز والقواعد التى بنى عليها هذا التوحيد ، ووضحت سبيل السلفية والشوكانى فى التعبير عن هذا الحق بالالفاظ الشرعية النبوية ، خلافا للمعطلة والنفاة الذين جعلوا ما ابتدعوه من الالفاظ والمعانى هو المحكم الذى يجب اعتقاده ، واعتماده ، ثم وضحت علاقة التلازم والتضمن والشمول بين أنواع التوحيد الثلاثة ، ثم ناقشت الزيدية فيما ذهبت اليه من التوحيد الذى جعلته فى مقدمة أصولها الخمسة ، فرفضوا أو استبعدوا كل ما يمس المفهوم المطلق للذات الالهية ، فنفوا الصفات الزائدة على الذات ، فأبطلت هذا المذهب المشوب بالجهل والمباين للعلم بأقوال السلفية وآراء الشوكانى .

الفصل الرابع : فى الصفات الالهية العقلية ومنهج الشوكانى فى اثباتها .

تحدثت فى هذا الفصل عن تعريف هذه الصفات ، وبينت منهج الشوكانى فى اثباتها ، فذكرت أنه لايعول على غير الكتاب والسنة وحدهما فى الاسماء والصفات ، مع توضيح أن هذا المنهج يتسم بالتتزيه والتقديس فما ثبت لله تعالى من اسماء وصفات لا يماثل شيئا من خلقه كما هى القاعدة المتفق عليها عند السلفية ، وذلك لبطلان طريقة قياس الغائب على الشاهد ، وبينت ان الشوكانى حفظ حرمة النصوص ، دون تكيف أو تكلف ، وأثبت بالدلائل هذه الصفات كما تقرر بالدلة النقلية والعقلية ، فأثبت على هذا النحو صفات الله تعالى من العلم ، والقدرة والارادة ، والحياة ، والسمع والبصر ، وصفة الكلام لله تعالى . ثم بينت موقف الزيدية من هذه الصفات ، وناقشتهم فيما ذهبوا اليه من أنها والذات الالهية سواء بسواء ، ولأنه ليس لله من صفات مفارقة للذات ، فأبطلت هذا المنهج الذى يؤدى الى تعطيل صفات الكمال

الثابت له تعالى بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

الفصل الخامس : فى الصفات الخيرية ومنهج الشوكانى فى اثباتها .

تحدث فى هذا الفصل عن : تعريف الصفات الخيرية ، وبينت ما بذله الشوكانى من جهد فى توضيح مذهب السلف فى اثباتها والذى يتلخص فى ايراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل ، وبينت أن الشوكانى يرى أنها الطريقة الواضحة والمنهج المصحوب بالسلامة ، فلو ضوحه عن الطرق الكلامية والمذاهب الفلسفية ، رجع اليه بعد طول الحيرة امام المتكلمين أبى الحسن الاشعري فى " الابانة " كما رجع الجوينى امام الحرمين ، والرازى ، والغزالي فى " الجام العوام " وذكره الذهبى فى ترجمتهم فى " النبلاء " والشوكانى فى " ارشاد الفحول " ، وقسمت هذه الصفات الخيرية من وجهة نظر المتوهمين فى اثباتها الى ثلاثة اقسام : أولا : ما يوهى المكان والجهة من صفات كالعلو ، والاستواء ، والنزول ، والمجى ، وغيرها . وثانيا : ما يوهى نسبة الاعضاء لله تعالى من صفات : كالوجه ، واليدين ، والعينين ، والساق وغيرها . ثالثا : ما يوهى أن لله تعالى عواطف وانفعالات : كصفة المحبة لله ورضاه ، وكراهية الله وفضبه ، وأثبت كل نوع منها بالادلة النقلية ، والبراهين القرآنية العقلية ، على الوجه الذى يليق بجلاله ، ويناسب كماله ، وبينت أن الشوكانى والسلفية التزموا بالمنهج الذى رسمه القرآن والسنة فى الحديث عن الصفات الخيرية ، ثم بينت موقف الزيدية والطرق الكلامية من هذه الصفات فوضحت أنكارهم لها ، وتأويلهم للآيات والاحاديث الواردة فى اثباتها ، وركوبهم متن اللجاج فى صرفها عن ظاهرها وحملهم هذه النصوص مالا يمكن أن تحتمله لكى يتم لها مقالة النفى ، وناقشت هذا المذهب الفاسد فأبطلت أدلة النفاة ، بما انعقد عليه الاتفاق فى عصر الصحابة والتابعين والائمة على التسليم المطلق بما جاء فى الكتاب والسنة عن الذات الالهية وصفاتها .

الفصل السادس : فى أفعال العباد .

بينت فى هذا الفصل : تيار الجبرية الذين يقولون بالغاء الحرية الانسانية ، وأنه لا اختيار للعبد فى أفعاله ولا قدرة له ، وتيار المعتزلة والزيدية الذين يقولون بالحرية الانسانية المطلقة تحقيقا لمبدأ العدل الالهى عندهم ، وبينت أن الشوكانى لا يرى أن واحدا منها قد أصاب ما عليه سلف الامة وأئمتها ، ووضحت ما قرره الشوكانى فى أفعال العباد ، من أن الله تعالى فاعل مختار ، وأن جميع الممكنات مقدورة ومملوكة له يخرجها من العدم الى الوجود بمقدار ، كيف يشاء ، وبينت مقالة الحق فيما ذهب اليه الشوكانى فى الآجال والمحو والاثبات وأنهما عامان ، يدخل تحت عمومها العمر والرزق والسعادة والشقاء وغير ذلك ، ثم وضحت تفريق الشوكانى بين الكونيات والدينيات بما لا يدع حجة لاهل المعاصى فى الاحتجاج بالقدر ، وبينت ما ذكره فى الارادة الانسانية ، واسناد العمل الصالح والعمل السىء له مع اثبات أن مشيئة البشر ليست مستقلة عن مشيئة الله تعالى وبينت رأيه فى الهداية والاضلال ، وأنها نتائج لمقدمات ومسببات ، لاسباب ، وقارنت ما ذكره الشوكانى فى هذا الفصل بمنهج السلفية فى كل موقف سبق ، ثم بينت منهج الزيدية فى أفعال العباد الذى يبنى على مبدأ العدل الالهى وأن الله لا يفعل القبيح ولا يخل بالواجب ، وأن الله ليس فاعلا لأفعال العباد . وناقشتهم فيما ذهبوا اليه وبينت ما يلزم عن هذا المنهج الفاسد من لوازم باطلة ، كمخالفتهم لما أخبر به الرسل عن الله تعالى ، وكذا مخالفة صريح العقل وصحيح النقل ، ونقدت ذلك بأدلة السلفية وأقوال الشوكانى .

الفصل السابع : روءية الله تعالى فى الآخرة .

بينت فى هذا الفصل : كيف أثبت الشوكانى الروءية بالآيات الثابتة ، والمأثور من تفاسير الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين بما لا يدع مجالا للمكرين والجاحدين للروءية أو تأويلها بالانتظار وغير ذلك ، وأبطلت أدلة نفاة الروءية ،

وأن ما احتجت به من الآيات على استبعادها وعدم حصولها وامكانها كقوله تعالى :
" لاتدرکه الأبصار " الآية ، وجواب موسى عليه السلام لما سأل الله تعالى الروئية
بـ (لن ترانى) الآية لا يدل ذلك على استبعادها وانما يدل على جوازها وأن هذه
الآيات حجة عليهم لاحجة لهم ، وبينت باختصار أن مراوغة النفاة وجدالهم أمام منهج
الحق لاقيمة له ولا يأتى بفائدة ، ثم بينت موقف الزيدية وأدلتها فى انكار الروئية ،
وقابلت أدلتهم فى الانكار بمقالة أهل الحق مناقشتهم فى ذلك وبينت شبه المنكرين
ورددت عليها شبهة شبهة ، عقلية كانت أو نقلية .

وأخيرا الخاتمة : وكانت فى نهاية هذه الرسالة وقد تضمنت أهم النتائج التى

توصلت اليها .

وأخيرا فأننى أحمد الله حمدا يليق بجلاله ، ومزيد فضله ، وعظيم شأنه ، على
ما أفاضه على من نعمة ، وما أمدنى به من عون وتوفيق فى اعداد هذا البحث ، وأسأله
تباركت أسماؤه ، وتعالى صفاته أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم .

ثم أتوجه بخالص شكرى وتقديرى لاستاذى الفاضل الكريم فضيلة الدكتور :

محمود أحمد خفاجى المشرف على هذه الرسالة ، الذى بذل لى من وقته وجهده الشئ
الكثير رغم مشاغله وضيق وقته ، وفتح لى قلبه وبيته وجهنى الى الصواب ، فجزاه الله
غنى وعن العلم خير الجزاء ، وأسأله تعالى أن يبارك فى حياته ويمنحه الصحة والعافية
والإيمان .

كما أشكر معالى مدير جامعة أم القرى الدكتور راشد الراجح على تشجيعى
وشائه فى اختيارى موضوع الرسالة واسداء النصيحة وبذل العون والمعروف لطلاب العلم .
كما أشكر عميد كلية الشريعة الدكتور صالح بن حميد — على حسن رعايته لنا وتوجيهنا .
كما أسدى شكرى لكافة المسئولين فى الكلية وفى قسم الدراسات العليا خاصة ،
وفى الجامعة عامة على ما يبذلونه لطلاب العلم من رعاية وعناية .

كما ولا أنسى أن أقدم شكرى الى كافة الاخوة والزملاء على ما أبدوا لى من نصائح
طيبة أفادتى فى طريقة البحث •

فلكل هؤلاء أهدي شكرى وعظيم امتنانى •

وأخيرا :

فاننى أقدم هذا البحث المتواضع راجيا من الله تعالى ان أكون قد وفقت الى
الصواب ، ولا أدعى لنفسى العصمة عن الخطأ والنسيان — حاشا لله — ، ولكننى
بذلت جهدى • وغاية ما أستطيع • فما كان فيه من صواب فهو من الله تعالى •

وما كان فيه من الخطأ فمنى ومن الشيطان والله ورسوله منه بريثان •

وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى

آله وصحبه أجمعين •



الباب الأول

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

الامام الشوكاني : حياته وعصره

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

ويحتوى على أربعة فصول :

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

الفصل الاول : الحالة السياسية في عصر الشوكاني .

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

الثاني : الحالة الدينية في عصر الشوكاني .

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

الثالث : حياة الشوكاني .

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

الرابع : أساتذته وتلاميذه ومؤلفاته .

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

الفصل الأول

الحالة السياسية في عصر الشوكاني

+++++

✻ تمهيد .

✻ الحالة السياسية .

✻ علاقة اليمن بالدولة العثمانية وأشرف مكة وتهامة وآل سعود .

ـ علاقة اليمن بالدولة العثمانية ————— .

ـ علاقة اليمن بأشرف مكة ————— .

ـ علاقة اليمن بأشرف تهامة والمخلاف السليماني .

ـ علاقة الأئمة الزيدية بآل سعود ————— .

✻ ✻ ✻ ✻

الحالة السياسية في عصر الشوكاشي

ان البثات تؤثر في نفس الانسان مالا يفعله المربون ، وكذلك كان
أثر العصر الذي عاش فيه الشوكاني ، دفعه وحمله ما وقع من الفساد والشرور والبدع
في ذلك العصر على التفكير الجدي في الإصلاح ، واستجماع عزائم الخير ، ففكر
في أسباب الشر ليقطعها وفي نواة الخير الكامنة ليخذيها ، وكذلك كانت المجاوبة
بين الشوكاني وعصره .

تغذت روح الشوكاني ... قذاة صالحة مما درس في صدر حياته وما عكف عليه
في أطوار كهولته وشيخوخته من رجوع الى ينابيع الشرع الاولى ، والكز المختفى من
الهدى النبوى ، وما كان عليه سلف المؤمنين ، فاحتلجت في نفسه معركة شديدة ،
يرى فيما يدرس من الاسلام نورا ساطعا لامعا ، ويرى في عصره ظلمة شديدة ،
وفسادا في معظم نواحيه ، يرى في ماضى الاسلام عزة واتحادا ووثاما ، ويرى في
عصره ذلة وانقسام .

تقدم الشوكاني يصلح ويداوى ، ووجد الدواء بأيسر كلفة فى كتاب الله وسنة رسوله ، وأقوال الصحابة وكبار التابعين ، فتقدم بالدواء ضاى به ، وما كانت آراؤه العلمية الا دواء الادواء عصره . ولو بحثنا عن البواعث التى بعثته للمجاهرة بكل قول قاله ، لوجدنا الذى بعثه على المجاهرة ، فســـــــــــــــــاد فى أهل العصر ، فى العمل والفكر ، وحق علينا أن نوجز حال عصره ، فى السياسة ، والحرب ، وفى الدين والعلم والفكر ، والطوائف والفرق الاسلامية فى هذا العصر .

الحالة السياسية :

وهى مجموع الحوادث السياسية التى عاشتها الأمة الاسلامية وتعرضت لها فى أقطارها المختلفة مما كان له الاثر على انفعالات الشوكانى ، فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجرى قد انطبق على المسلمين فى هذين القرنين كما انطبق على قرون من قبل ومن بعد ، ما رواه أبو داود والبيهقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل أو من قلة نحن يومئذ ، قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكن غناء كغناء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، قال قائل يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت " (١) .

فالمسلمون قد انقسموا الى دويلات ، وحوزات ملوك ينظر بعضهم الى بعض نظر العدو والمفترس ، ونظر الملوك الى رعاياهم نظرة المتسلطين المسيطرين ليسومونهم الخسف والهوان .

لذلك بلى الاسلام والمسلمون فى هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم ، وقد عاصر الشوكانى الكثير من الوقائع ، هوجم الاسلام فى عصره من دول الرومان ، من فرنسا تارة ، ومن الانجليز تارة أخرى ، وكان لذلك أثره على انفعالات الشوكانى فهو يسجل أحداث الحملة الفرنسية على مصر فى ذلك الوقت يقول : " ان الرزية العظمى والمصيبة الكبرى ، والبلية التى تبكى لها عيون الاسلام والمسلمين هى استيلاء طائفة من الفرنجة يقال لهم الفرنسيين على الديار المصرية جميعها ، ووصولهم الى القاهرة ، وحكمهم على من بتلك الديار

(١) الحديث أخرجه أبو داود رقم ٤٢٩٢ فى الملاحم ، باب فى تداعى الامم

على الاسلام ، ورواه أحمد ٢٧٨/٥ من طريق آخر وسنده قوى .

من المسلمين ، وهذا خطب لم يصب الاسلام بمثله " (١) .

ويتحدث الشوكانى فى البدر الطالع عن هذه الحملات الاوربية وهذا الاستعمار الفرنسى لمصر لم يسبق له مثيل فى تاريخ الاسلام : " فان مصر مازالت بأيدي المسلمين منذ فتحت فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى الآن ، ولم نجد فى شىء من الكتب التاريخية ما يدل على أنه قد دخل مدينة مصر دولة كفرة " (٢) .

ويبين الشوكانى أن غاية ما حصل أيام العاضد ووزيره شاور ، وفى دولة بنى أيوب من حملات على مصر وصولهم الى دمياط ونحوها على السواحل ، ولم يدخلوا مدينة القاهرة . يقول الشوكانى : الا فرج الذين وصلوا الى مصر أيام العاضد ووزيره شاور ، وكذلك الذين وصلوا اليها فى دولة بنى أيوب ، لم يدخلوا مدينة مصر بل غاية ما بلغوا اليه " دمياط " ونحوها ، وما زالت مدينة القاهرة وسائر بلادها محروسة عن الدول الكفرة ، فان التتار دوخوا جميع البلاد ولم يسلطهم الله على مصر ، بل عادوا عنها خائبين ومقهورين مهزومين ، وكذلك تيمورلنك مع تدويخه لسائر الممالك لم يسلط عليهم ، والله ينصر الاسلام وأهله . (٣)

ويؤرخ الشوكانى للحوادث السياسية ويتابع المراسلات السلطانية الى ولايت وروءساء الولايات الاسلامية ، للمحافظة على الثغور والموانى والمقدسات الاسلامية من صولة أعداء الدين . فيقول : " ولما كانت سنة ١٢١٣ هـ دخل الفرنج (٤) اقامهم الله الاسكندرية ، واستولوا عليها وعلى مصر والقاهرة ، وجميع (٥)

(١) دكتور صالح رمضان محمود : ذكريات الشوكانى ص ٢٣ ، ٢٤ . وانظر

قاسم غالب أحمد : من اعلام اليمن ص ٧٥ - ٧٦ .

(٢) الشوكانى : البدر الطالع ج ٢ ص ٨ ، ٩ .

(٣) قاسم غالب أحمد : من اعلام اليمن ص ٧٥ - ٧٦ .

(٤) وانظر د . صالح رمضان محمود : ذكريات الشوكانى ص ٢٣ ، ٢٤ .

الموافق سنة ١٢٩٨ م

(٥) أى أدلهم وصغرهم .

بلادها ، فكتب السلطان - يقصد السلطان العثماني - كتباً الى الاقطار فمنها
شريف مكة " غالب بن مساعد " ^(١) يحثه على نصرة الدين ، ولم تشعث الموحدين ،
يقول : (٠٠٠ فالآن يا شريف مكة ٠٠٠ البدار البدار الى طاعة الملك الغفار
لمحافظة قبلتكم ومحتد نبيكم ، منشأ الاسلام ، ومسجد نبيكم عليه السلام ومواطن
مضاغة عبادتكم من ساحة بيت الله الحرام ، فالغيرة الغيرة ، والحمية الحمية
من صولة أعداء الدين ٠٠٠ فشدوا عزائمكم ، واحفظوا جهاتكم ، وسواحلكم ،
ومنافذ بلدانكم ، وسارعوا الى الرباط الى حدود الكفرة اللثام بيندرجدة وينبع
وما والاها مما فيه صيانة المسلمين ، وحفظ أعراض الموحدين ، وكونوا كلمتكم واحدة ،
وأيديكم متاصرة ، ولتكن سيوفكم بارقة ، وسهامكم راشقة ، وأسنتكم في الطهن
متلاحقة ، ومدافعكم صاعقة ، ونبالكم الى أفئدتهم متسابقة ، ولتقصدا بذلك
اعلاء كلمة الله ، والذب عن بيت الله ومسجد رسول الله ٠٠٠ فالبدار
البدار الى ما أمرناكم من الرباط والحذار الحذار من خلاف ذلك ٠٠٠ " ^(٢) .

ويحرر الشوكاني جواباً لشريف مكة يطمئن بوصول الرسائل وتمام الاستعداد
على حراسة السواحل والبلدان وصد هجوم متوقع من أعداء الاسلام . فحرر هذا
الجواب نيابة عن امامه " الامام المنصور بالله " ^(٣) " بيدوا في هذا الكتاب مدى
الفادحة والالام وشدة الكرب الذي ألم بالمسلمين في عصر الشوكاني ومدى تأثيره ،
بما حل بالعالم الاسلامي في ذلك الوقت يقول : " وصل من جنابكم العظيم
كتاب كريم يحكى ما صنعت أيدي الكفر بعصر صانها الله عن كل نكر ، فياله من

(١) توفي عام ١٢٢١ هـ - ١٨١٦ م .

(٢) الشوكاني الدر الطالع ج ٢ ص ١٠ - ١٥ ، وانظر صالح رمضان محمد

ذكريات الشوكاني ص ٣٧ .

(٣) هو الامام المنصور على بن المهدي (١٧٩٥ - ١٨٠٩) م

حادث يبلبل الالباب ، ويجلب من الاحزان مالم يكن فى حساب ، فلقد أبكى وأنكى ،
وردع وأوجع ، وأقام وأقعد ، وشتت شمل انس ودد ، وأهاله من خطب يصك
سماع الاسلام . . . لاسيما وتلك ديار مطهرة عن أدناس الكفران ، مقدسة
عن ارجاس الطفيلان ، معمورة بالايمان وعبادة الملك الديان ، على مرور الزمان ،
منذ فتحها سيوف حزب الله ، ومحت أدوان كفرها صوارم أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

فلقد أظلم الخطب وأدلهم الكرب ، وضائق الصدور وغلت من الاحزان قدور ،
ورغب الى التغير الصغير والكبير ، وتشوق الى جهاد أعداء الله كل خليل وخطير
وكيف لا ؟ وهذه نازلة قد نزلت بالاسلام والمسلمين ، وفادحة عمت المؤمنين
أجمعين ، لانها فى الدين ومن بعدت عن ديارها فقد أحزنت قلبه وقالبه
نارها . (١)

علاقة اليمن بالدولة العثمانية ، وأشراف مكة وتهامة وآل سعود :

عرفنا مما سبق ماكانت تتعرض له البلاد الاسلامية من هجوم
وغزو استعماري ، وتأثير الشوكاني بذلك .

أما بالنسبة للقطر اليمنى وما كان يجرى فيه من مصادمات وفتن بين الدولة وروءساء
العشائر من جهة وبين أصحاب المذاهب والفرق المتخالفة الاتجاه من جهة
أخرى ، حتى ان شمس القرن الثالث عشر الهجرى لم تغب عن العالم الاسلامى
الا وقد جردت أوروبا حملات صليبية مكثفة لاحتلال جنوب الجزيرة العربية الذى
هو جزء من اليمن السعيد ، وأشاعت الفرقة وأسباب الخلاف بين أبناء الوطن
الواحد والدين الواحد . (٢)

(١) الشوكاني البدر الطالع ج ٢ ص ١٨ - ٢٢ .

(٢) د . محمد حسن الغمارى : الامام الشوكاني مفسرا ص ٣١ .

علاقة اليمن بالدولة العثمانية :

بعد انتهاء دولة الجراكسة من اليمن عام ٩١٥ هـ أرسل السلطان سليمان ابن سليم العثمان حملة كبيرة من السفن وقفت في جزيرة قمران بالقرب من الحديدة واستطاعت هذه الحملة وما بعدها من حملات القضاء على جميع السلطنات باليمن ثم استمرت الحرب بين الدولة العثمانية والائمة الزيدية في جزر ومد حتى انتهت من اليمن كلياً في عهد الامام يحيى بن محمد حميد الدين سنة ١٣٣٥ هـ .

وكانت الدولة العثمانية ^(١) تبسط نفوذها في بعض الاحيان على معظم الديار اليمنية ، وتارة يتقلص نفوذها الى اجزاء يسيرة ، والحرب قائمة لم تنته ، وقد أفنت هذه الحروب معظم الجيوش التركية التي وصلت الى اليمن حتى عرفت اليمن بمقبرة الغـزاه .

ومن مساوىء الاتراك العثمانيين في اليمن في آخر عهدهم ، تسليم عدن الى الاستعمار البريطاني الذي بث بذور التفرقة بين أبناء الشعب ومهد لتقسيم اليمن الى شطرين وهو ما يسمى اليوم باليمن الجنوبية واليمن الشمالية . ^(٢)

(١) الدولة العثمانية نسبة الى السلطان عثمان ، وأصله من التركمان أحد طوائف الترك من أولاد الياقث بن نوح عليه السلام ، وكان جد عثمان بن أرطغول سليمان شاه ايران على ماهان من بلاد التركمان المجاورة لبلخ ، فخرج هارباً من التتار في خمسين ألف ، ولما وصل الرديم تولى أولاً نيابة عن الامراء السلجوقيين ، ثم لازال يوسع دائرة ملكه فيما بعد حتى بسط نفوذه على الشام ومصر والعراق واليمن ، وسقطت القسطنطينية في يد أجناده محمد الفاتح واستولى على شبه جزيرة القرم وشبه جزيرة البلقان وغير ذلك .
(مختصر من غاية الاماني ج ١ ص ٤٨) .

(٢) د . محمد الغماري الشوكاني مفسراً ص ٣١ - ٣٢ .

وفى أيام الشوكانى أعادت الدولة العثمانية تهامة جميعها الى امام اليمن
" الامام المهدي عبد الله بن المتوكل " (١) وقد كان خليل باشا قائد قوات محمد
على فى اليمن ، فبعد أن استقرت الامور فى يده بعث رسولا من قبله الى الامام
المهدي ومعه رسالة من محمد على تشير الى أن قواته جاءت الى اليمن لانتزاع
البلاد من ورثة الشريف حمود واعادتها الى امام اليمن ، وبذلك أعادت قوات محمد
على تبعية الامام للسيادة العثمانية ، وذلك بتعهد الامام لقائد قوات محمد على فى
اليمن بأن يدفع للباب العالي سنويا جزءا من الخراج اعترافا من الامام بعودتهم
الى حظيرة الدولة العثمانية . (٢)

علاقة اليمن بأشراف مكة :

عاصر الشوكانى الشريف مساعد وولده سرور ابن مساعد وعبد المعين ابن
مساعد ، وغالب بن مساعد (٣) وتولى نيابة عن امامه فى اليمن الجواب عن مداربين
الشريف غالب والامام من مكاتبات طويلة كما ذكر ذلك فى البدر الطالع .

ومن الرسائل المتبادلة بين شريف مكة غالب بن مساعد وبين الامام المنصور
بالله على ، والتى كاتب فيها شريف مكة يحذر الامام المنصور من السماح

(١) الامام عبد الله المتوفى ١٢٣١ - ١٢٦٣ هـ .

(٢) د . طلح رمضان محمد ذكريات الشوكانى ص ١٧٥ .

(٣) هو غالب بن مساعد شريف مكة ، ولى الامارة بعد أبيه مساعد . أخوه سرور
ابن مساعد (الذى طارصيته فى الآفاق ، ثم مات فى شهر رجب سنة ١٢٠٢ هـ)
وقام مقامه أخوه عبد المعين ثم رغب عن الامر بعد ايام يسيرة من ولايته لآخيه
السيد غالب بن مساعد المذكور وكان وقتئذ فى سن الشباب .
(أنظر البدر الطالع ج ٢ ص ٥٢٤ .)

للالنجليز ببناء قلعة بباب المندب ^(١) فيقول : هذا أمر يتفاقم خطبه ويعز بعد وقوعه معاناته وطلبه ويشمل كافة المسلمين كره ، وتتولد منها مفسد جمّة وتضرر سائر المسلمين من الأمة وخصوصا الاقطار اليمنية ... ^(٢) ويرد الامام المنصور على شريف مكة ينفي السماح للالنجليز ببناء قلعة بباب المندب فيقول : قد أرشدتم الى منهج الرشاد ونظرتم الى ثوابت العواقب بعين الانتقاد بيد أن ذلك الخبر غير مطابق للواقع ... وهيئات هيئات وبينهم وبين ادراك هذه الطلبات قلاقل وزلازل .

وفي هذه الرسائل دليل على حسن العلاقة التعاون الكامل بين اشراف الحجاز ودولة اليمن في مجال السياسة والاقتصاد ومحاربة العدو المشترك .

وقد انتهت دولة الاشراف بالحجاز بارسال محمد علي باشا مصر جيشا كبيرا استولى على مكة والحجاز وغالب الجزيرة وقبض على الشريف غالب أمير مكة وصاد ر ممتلكاته وذخائره وأرسله في سفينة هو وخواص أهله الى الروم سنة ١٢٢٩ هـ . ^(٣)

علاقة اليمن بأشراف تهامة والمخلاف السليماني :

عاصر الشوكاني " الشريف حمود بن محمد بن أحمد مؤسس دولة الاشراف في تهامة والمخلاف السليماني ، كما عاصر أولاده ، وأولاد أخيه من بعده ، وذكر عنه في البدر الطالع أنه : ولد سنة ١١٦٠ هـ ثم استقل بأبى عريش والولايات الراجعة اليها " تصيبا " ، و " ضد " ، و " المخلاف السليماني " ^(٤) ثم تتابع من بعده

(١) أرسلت الحكومة البريطانية في عام ١٢٩٩م التعليمات الى بمباي بتأمين

وتدعيم جزيرة (بریم) بقصد السيطرة على مضيق باب المندب ولمنع أى اتصال

من جانب الفرنسيين بالمحيط الهندي عن طريق البحر الاحمر .

(٢) د . صالح رضام محمود ذكريات الشوكاني ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٣) الشوكاني البدر الطالع ج ٢ ص ٤ - ٢٤ .

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٠ .

أولاده ، وكان متوليا لذلك من طرف الامام المنصور بالله (على بن المهدي بن العباس) .

أما العلاقة بينهم وبين أئمة الزيدية فكانت لاتدوم على حال ، فتارة يكونوا تابعين وتارة يحاربونها ويتبعون غيرها . (١)

فهذا الشريف دخل في طاعة سلطان نجد الملك سعود بن عبد العزيز سنة ١٢١٧ هـ ثم اختلفت عليه فغزاه ودارت معركة غيفة قتل فيها من جيش الشريف نحو ألفين انهزم بعدها الشريف الى أبي عريش سنة ١٢٢٤ هـ . ولما مات أمير العرب السلطان سعود بن عبد العزيز سلطان نجد والحجاز سنة ١٢٢٩ هـ صار الامر بعده الى ابنه الأمير عبد الله بن سعود وقعت أحداث بين دولة آل سعود وجيش محمد علي باشا مصر ، وسقطت الدرعية ، وفي إثر ذلك تصالح الشريف المذكور مع الامام المتوكل على الله أحمد بن المنصور على بن المهدي العباس ، على أن يثبت الشريف على ماتحت يده من البلاد . (٢)

وفي سنة ١٢٣٣ هـ قامت حرب بين الشريف وبين الامام مرة أخرى ، وتوفى الشريف والحرب قائمة ، فخلفه في الملك ابنه أحمد حمود المولود سنة ١٢٠٦ هـ ، واختلفت عليه بعض الاقارب ، فحرصوا بعض القبائل في الخروج عليه فاستعان عليهم بالبasha محمد علي فأرسل خليل باشا مع جيش كثيف الى تهامة فاستولى على أبي عريش وبذلك انتهت دولة الاشراف سنة ١٢٣٥ هـ وأعاد البasha خليل الى الامام " اللحية " و " الحديد " و " زبيد " وما يتبعها من البلاد التهامية . (٣)

وكان الشوكاني كثيرا ما يهيم بدعوة الشريف حمود الى الصلح مع الامام المتوكل فيقول : قد علمنا جميعا أن الله جل جلاله أمرنا في كتابه العزيز أن نأتمر بيننا

(١) نفس المصدر ج ١ ص ٢٤١ .

(٢) د . صالح رمضان محمد ذكريات الشوكاني ص ١٥٩ .

(٣) الشوكاني البدر الطالع ج ١ ص ٢٤١ ، ج ٢ ص ٣٦٩ - ٣٧١ .



بالمعروف وتنتاهى عن المنكر ، وأن نتواصى بالحق ، وأن نتعاون على البر والتقوى ،
ولا نتعاون على الاثم والعدوان وانى لا أزال كما علم الله أهم فى كثير من
الاقوات بالناصحة عن هذه الفتن التى طالت ذيلها وسالت سيولها فكم من دماء
معصومة أراقت ، وكم من أرواح محرمة أزهدت ؟ ، وكم من أموال نهبت ؟ وكم من حرم
انتهكت ؟ ، فعمت وطمت وضرت وفترقت وما جمعت ، ولم تزل قلة الاتصال قاطعة
بين الرجال وان كانوا ذوى رحم الى أن قال الشوكانى : قد علم الله
أنه لم يبعثنى على هذه النصيحة الا باعث الدين وما ورد من أجر الناصحين . . .
. . . ومثلك لا يحيد عن الحق ولا يتخطى الصواب ولا أغن بمثلك أن يوءثر الدنيا
على الدين ويدع المشى فى طريق الصالحين .
(١)

وهنا يبرز لنا حرص الشوكانى على استمرار العلاقات الطيبة بين الشريف
حمود والامام ، وهو لم يقم بذلك النصح والارشاد والصلح الا بدافع الدين ،
والصلح بين المتخاصمين ، وحقن دماء المسلمين ، وحفظ أعراضهم وأموالهم ،
وهذا شأن العلماء العاملين ، والائمة المصلحين .
رحم الله الشوكانى وأجزل له المشوة والجزاء .

علاقة الأئمة الزيدية بآل سعود :

صوّر الشوكانى العلاقة بين الائمة وآل سعود وتحدث عنها ، وعاب على شريف
مكة " غالب بن مساعد " دخوله فى حروب مع آل سعود فقال : " لو ترك ذلك واشتغل
بغيره لكان أولى له " (٢) ، ويصف الشوكانى دعوة آل سعود بالاستقامة على منهج
الاسلام والدعوة لاعلاء كلمة الدين يقول : " انهم أقاموا الدين الحنيف فى جميع
البلاد التى فتحوها ، ومن دخل تحت حوزتهم أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر

(١) د . صالح رمضان محمد ذكريات الشوكانى ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) الشوكانى البدر الطالع ج ٢ ص ٥ .

شعائر الاسلام ، ودخل في طاعتهم من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز وصعدة
غالبهم اما رغبة واما رهبة ، وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد ان كانوا لا يعرفون
من الاسلام شيئاً ، ولا يقومون بشيء من واجباته الا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين
على ما في لفظهم من عوج ، وبالجملة فكانوا في جاهلية جهلاء كما تواترت بذلك
الاخبار اليينا ثم صاروا الآن يصلون الصلوات الخمس لأوقاتها ويأتون بسائر الاركان
الاسلامية على ابلغ صفاتها . (١)

ومن هنا نعرف أن الشوكاني أمين يوء رخ للاحداث بصدق ، دقيق يخشى
الله ويكتب التاريخ بكل أمانة وانصاف .

وكان الشوكاني معجباً بدعوة التوحيد التي قام بها الامام محمد بن عبد الوهاب ،
وقادة الدعوة من آل سعود وقد سجل نصوصاً خاصة بالمراسلات بين أئمة اليمن
والثلاثة الذين كان الشوكاني قاضياً ووزيراً ومستشاراً لهم (٢)
وكان الشوكاني يحرم الاجوة على السنة الاثمة ، كما كان يقوم احياناً بالرد على لسانه
وتوضيح آرائه . (٣)

وكان مما حرره الشوكاني عن قادة الدعوة من آل سعود ما ذكره في البدر
الطالع قال : وتبلغنا عن صاحب نجد (٤) أخبار الله أعلم بصحتها من ذلك أنه

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٥ .

(٢) هم الامام المنصور على ابن المهدي (١٧٩٥ - ١٨٠٩) م ، والامام المتوكل
أحمد بن المنصور (١٨٠٩ - ١٨١٦) م ، والامام المهدي عبد الله بن
المتوكل (١٨١٦ - ١٨٣٥) م .

(٣) د . صالح رمضان محمد ذكريات المتوكل ص ١١٢ .

(٤) هو سعود بن عبد العزيز خلف أباه (محمد بن سعود) صرف غايته الى
انتشار الدعوة ، فتغلب على القبائل الحجازية واستولى على القطيف والبحرين ،
ووصل جيشه الى عمان ، ثم استولى على البصرة وفي سنة ١٨٠١ م عمد الى
غزو المشهد الحسيني واستشهد في أثر ضربة رجل شيعي فارسي من جيشه
اسمه عبد القادر . (أنظر السيد أبي الطيب صديق التاج المكلل ص ٣٠٢ - ٣٠٤)

يستحل دم من استغاث بغير الله من نبي وولي أو غير ذلك - قال : ولا ريب أن ذلك إذا كان عن اعتقاد تأثير المستغاث كتأثير الله كفر يصير به صاحبه مرتدا كما يقع في كثير من هؤلاء المعتقدين للاموات الذين يسألونهم قضاء الحاجات ويعولون عليهم زيادة على تعويلهم على الله سبحانه ولا ينادون الله جل وعلا الا مقترضا بأسمائهم ، ويخصون بالتنداء مفردين عن الرب ، فهذا أمر الكفر الذي لا شك فيه ولا شبهة صاحبه إذا لم يتب كان حلال الدم والمال كسائر المرتدين . (١)

وبعرض الشوكاني ما وصل اليه من أخبار عن قادة الدعوة من آل سعود ، ثم يناقش هذه الأخبار على ضوء الكتاب والسنة موضحا أحكام الله في القضايا التي بلغته . يقول : ومن جملة ما بلغنا عن صاحب نجد أنه يستحل سفك دم من لم يحضر الصلاة في جماعة .

وهذا إن صح غير مناسب لقانون الشرع ، نعم من ترك الصلاة فلم يفعلها منفردا ولا في جماعة فقد دلت أدلة صحيحة على كفره ، وعورضت بأخرى فلا حرج على من ذهب إلى القول بالكفر ، إنما الشأن في استحلال دم من ترك الجماعة ولم يتركها منفردا . (٢)

ويتشكك الشوكاني في الأمور التي تبلغه عن أمراء الدعوة من آل سعود ، فيثبت من صحة الأخبار التي تبلغه ويوثق صلتهم بدعاة الحق من رجال وأئمة السلفية . أمثال : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وابن القيم الجوزية ، وابن تيمية ، والامام أحمد بن حنبل ، وسائر الأئمة المجتهدين . فيقول : وتبلغ أمور غير هذه الله أعلم بصحتها ، وبعض الناس يزعم أنهم يمتدنون اعتقاد الخوارج وما أظن ذلك صحيحا ، فإن صاحب نجد ، وجميع أتباعه يعملون بما

(١) الشوكاني البدر الطالع ج ٢ ص ٦

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٦

تعلموه من محمد بن عبد الوهاب ، وكان حنبلياً ثم طلب الحديث بالمدينة المشرفة فعاد الى نجد وصار يعمل باجتهادات جماعة من متأخري الحنابلة كابن تيمية وابن القيم وأضرابهما، وهما من أشد الناس على معتقدي الاموات .

وقد رأيت كتاباً من صاحب نجد الذي هو الآن صاحب تلك الجهات أجاب به بعض أهل العلم وقد كاتبه وسأله بيان ما اعتقده ، فرأيت جوابه مشتملاً على اعتقاد حسن موافق للكتاب والسنة .

ويستطرد الشوكاني بوء كد جدارة أمراء الدعوة من آل سعود وثبات قدمهم في الدين . فيقول : بلغنا أنه وصل الى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة ، فناظر علماء مكة بحضرة الشريف في مسائل تدل على ثبات قدمه وقدم صاحبه في الدين .

ويذكر الشوكاني رأيه في المصنفات والكتب التي ألفها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وعلماء الدعوة ، والجوابات المحررة المقررة في الرد على فقهاء صنعاء ، وصعدة في مسائل متعلقة بأصول الدين تدل على أنهم من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة فيقول :

وفي سنة ١٢١٥ هـ وصل من صاحب نجد المذكور مجلدان لطيفان ارسل بها ، أحدهما : يشتمل على رسائل لمحمد بن عبد الوهاب كلها في الارشاد الى اخلاص التوحيد والتفجير من الشرك الذي يفعله المعتقدون في القبور ، وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنة ، والمجلد الآخر : يتضمن الرد على جماعة من المقصرين من الفقهاء صنعاء وصعدة ذكره في مسائل متعلقة بأصول الدين ، وجماعة من الصحابة ، فأجابهم جوابات محررة محققة تدل على أن المجيب من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة .

(١)

(١) ولعل من الكتب التي تتعلق بمسائل الدين في الرد على هؤلاء ، كتاب " جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية " ، لمؤلفه عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . نقض فيه كلام الزيدية وأجاب عن المسائل المتعلقة بأصول الدين اجابة محققة ومدققة

وقد هدم عليهم جميع ما بنوه ، وأبطل جميع ما بنوه لانهم مقصرون ، متعصبون
(١)
فصار ما فعلوه خزيا عليهم وعلى أهل صنعاء وصعدة .

وقد ترجم الشوكاني لكبار نصراء الدعوة التي قام بها محمد بن عبد الوهاب ،
ومن هؤلاء : " سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود بما يكشف عن سيرتهم
ويبرز نواياهم في الفتح والجهاد ، ونشرهم التوحيد ودحضهم للشرك والبدع
والخرافات .

يقول الشوكاني في البدر الطالع : عن سعود بن عبد العزيز والذي كان قائد جيوش
أبيه عبد العزيز ، وكان جده محمد شيخا لقريته التي هو منها ، فوصل اليه العلامة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب الداعي الى التوحيد المنكر على المعتقدين في
الاموات ، فأجابه وقام بنصره ، وما يزال يجاهد من يخالفه ، وكانت تلك البلاد
قد غلبت عليها أمور الجاهلية وصار الاسلام فيها غريبا ، ثم مات محمد بن سعود
وقد دخل في الدين بعض البلاد النجدية ، وقام ولده عبد العزيز مقامه ، فافتتح
جميع الديار النجدية ، والبلاد العارضية ، والحسا والقطيف ، وجاوزها الى فتح
كثير من البلاد الحجازية ، ثم استولى على الطائف ومكة والمدينة ، وغالب جزيرة
العرب ، وغالب هذه الفتوح على يد ولده سعود ، ثم قام بعده ولده سعود ،
فتكاثر جنوده ، واتسعت فتوحه ووصلت جنوده الى اليمن ، فافتتحو بلاد
أبي عريش ، وما يتصل بها ، ثم تابعهم الشريف حمود بن محمد شريف أبي عريش
وأمدوه بالجنود ، ففتح البلاد التهامية كاللحيه ، والحديدة ، وبيت الفقيه ،
وزيد ، وما يتصل بهذه البلاد ، وما زال الوافدون من سعود يفدون اليها الى
صنعاء بمكاتب الدعوة الى التوحيد ، وهدم القبور المشيدة ، والقباب المرتفعة ،
فوقع الهدم للقباب والقبور في صنعاء وفي كثير من الامكة المجاورة لها وفي جهة
(٢)
ذمار وما يتصل بها .

(١) الشوكاني البدر الطالع ج ٢ ص ٦ - ٨ .

(٢) الشوكاني البدر الطالع ج ١ ص ٢٦٢ .

وقد دار بين الامام المنصور والشيخ الشوكاني وبين امراء آل سعود مكاتبات وكان من هذه المكاتبات قصيدة كتبها اليهم أيام انتشار دعوتهم في البلاد يقول فيها :

الى الدرعية الغراء تسرى ه ه فتخبرها بما فعل الجنود
وتصرخ في ربا نجد جهارا ه ه ليسمعها اذا صرخت سعود
وابنا مقرب وهم ليسوا ه ه اذا الحرب العوان لها وقود
وتسأل كل ذي فهم وعلم ه ه سوء الا غد معضلة توءود
ففى أبناء شيخ الفضل فضل ه ه الى الانصاف فضلهم يقود
كذلك بقية القوم طمرا ه ه وكل مسود منهم يسود
الما تعلموا أنا وانتم ه ه على صوب الصواب لنا قعود
نهب الحق ثلاثين سواء ه ه اليه جل مقصدنا يععود
وانا نجعل القرآن جسرا ه ه فمصد رنا عليه والورود
نرد الى الكتاب اذا اختلفنا ه ه مقاتلتا وليس لنا جحود
الى ان قال :

وان الحق مقبول لدينا ه ه وفيما ماله عنا صدود
كتاب الله قدوتنا وما فى ه ه كتاب المصطفى وهما العمود
وهدى الصحب افضل كل هدى ه ه واشرفه وان جحد الجحود
ومن هذا يتبين أن الدعوة الى توحيد الله التى قام بها الامام محمد بن
عبد الوهاب ، وامراء آل سعود قد لقيت قبولا لدى كبار رجال العلم والمحققين
من علماء التفسير والحديث ، وذلك لانها دعوة جددت التوحيد بعد الشرك
وأعادت الهدى بعد الضلال ، وعاد الناس بها الى دين الله وصراطه المستقيم ،
والعمل بهدى رسوله الامين صلى الله عليه وسلم . فجزى الله تعالى من قاموا
بها وجاهدوا فى سبيلها جزاء المجاهدين الصادقين .

(١) محمد بن محمد بن يحيى زيارة الحسنى نيل الوظر ج ٢ ص ٣٠٠ - ٣٠٢

ولما توفي الامام محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ هـ رثاه الشوكاني بقصيدة
رائعة قال فيها :

مصاب دهي قلبي فأذكي غلائي ٥٥ ٥٥ واحم بسهم الافتجاع مقاتلي
مصاب به الدنيا قد اغبر وجهها ٥٥ ٥٥ وقد سمخت اعلام قوم أمانلي
لقد مات طود العلم قطب رحي العلا ٥٥ ٥٥ ومركز أدار الفحول الأفاضل
امام الهدى ماحي الردى قادم العدى ٥٥ ٥٥ ومروى الصدى من فيض علم ونائل
محمد ذو المجد عز دركه ٥٥ ٥٥ وجل مقاما عن لحوق المطاول
لقد شرفت نجد بنور ضيائه ٥٥ ٥٥ وقام مقامات الهدى بالدلائل (١)

(١) د . محمد حسن الغماري الشوكاني مفسرا ص ٣٨ ، ٣٩ نقلا عن عبد العزيز
بكر - الادب العربي ص ٥٧ الرئاسة العامة للكتبات والمعاهد .

الفصل الثانى



الحالة الدينية فى عصر الشوكانى



- تمهيد .
- (١) أهل السنة .
- (٢) الشيعة .
- (٣) الزيدية بعد الامام زيد .
- (٤) الزيدية فى اليمن .
- (٥) الرافضة .
- (٦) الباطنية .
- (٧) المعتزلة باليمن .
- (٨) الأشاعرة .
- (٩) الصوفية .
- (١٠) تعقيب .



تمهيد :

كانت معظم حياة الشوكاني مناضلة بينه وبين الخارجين على منهج الكتاب والسنة ، كالباطنية التي تدعى أنها من الشيعة ، ظاهرها التحلل ، وباطنها الكفر الصراح ، والتي أولت النصوص طبق هواها ، وتشكر الحديث المروى من جهة أهل السنة والجماعة ، والزيدية يقوم الشوكاني انحرافها عن المنهج الصحيح ، فالروافض كثيرا ما تحدث الفتن بينهم وبين أهل السنة ، ويذهب ضحيتها عشرات الأشخاص كما حدث في عهد الشوكاني ونذكره فيما بعد ، وكذلك فرقة المعتزلة التي كثيرا ما يرد عليها الشوكاني كما سيتبين ذلك في الفصول القادمة ، والكثير من أهل البيت يخالفونهم ، وتقع بينهم مصادمات كما حصل مع السيد محمد بن الوزير الذي رد عليهم في كتاب " العواصم من القواصم " وغير ذلك من الفرق كالأشاعرة ، والصوفية ، الذين يوجدون في الجزء الذي يقطنه الشافعية ، وأغلبهم قهريون ، وقد ندد بهم الشوكاني ، ومن قبله الإمام محمد ابن اسماعيل الأمير ، وهكذا سجد الشوكاني كثيرا من آرائه كانت للرد على هذه الفرق ، وكانت الخصومة بينه وبينهم قائمة .

ومن الواجب علينا أن نذكر موجزا عن الفرق التي كانت موجودة في القطر اليمني وغيره ، وظلت معاصرة أو بالأحرى التي امتدت في فروعها إلى عصره ، وإن كانت جذورها تمتد في أعماق التاريخ الإسلامي إلى أزمان موعلة في القدم ، إذ كانت الفرق في العصر الأموي أو في آخر عصر الخلفاء الراشدين .

١ - أهل السنة :

كانت اليمن إحدى مراكز التدريس للحديث النبوي الشريف ، فكانت لذلك قلعة من قلاع السنة المطهرة تضم كبار الحديث كطاوس ، ومعمّر بن راشد ، وهمام وهشام بن يوسف وغيرهم ، وكان يغد عليهم أعلام الإسلام ،

وأئمة الدين كالامام الشافعى ، والامام أحمد بن حنبل ، وابن المبارك ، وابن معين ، ومحمد بن يحيى النيسابورى ، واسحاق بن راهوية وغيرهم ، (١) وقد أخذ الشافعى عند قدومه عن هشام بن يوسف قاضى صنعاء ، وعن مطرف بن بإذان ، وهما من كبار أصحاب ابن جريج الذى أخذ عن عطاء بن أبى رباح ، وقصد الشافعى فى رحلته الى اليمن القاضى حسين الطبرى صاحب هجر بوادى الفروات من بلاد سحان .

ففى المائة الثالثة للهجرة ظهر مذهب الشافعى فى بلاد اليمن ، وكان الداعى اليه فى الجند ومخلاف جعفر عمر بن محمد الحواشى السكسكى . (٢) وعلى يد هؤلاء انتشر علم الحديث باليمن ، وبقي سائدا بها لا ينازعه غيره . حتى دخلت المذاهب المخالفة ، كالباطنية ، والقرامطة ، والخوارج ، والصوفية ، والمعتزلة ، وظلت طائفة على الحق من أهل الحديث ، وكان الشوكانى أحد هؤلاء الطائفة التى نبذت التقليد ودعوا الى اتباع السنة ودحى البدعة ، والسير على طريق السلف الصالح .

٢ - الشيعة :

وهى أقدم الفرق الاسلامية ظهورا بمذهبهم فى عهد عثمان رضى الله عنه ، بل يقول المؤرخون أنها أقدم فى التاريخ من ذلك العهد ، وأساس مذهبهم : أن الامامة قاعدة الاسلام ، ولا يجوز لنبي اغتالها ، وتفويضها الى الأمة ، بل يجب عليه اختيار الامام لهم ، وأن على بن أبى طالب كان هو الخليفة المختار من النبى صلى الله عليه وسلم وأنه أفضل الصحابة رضى الله عنهم ، (٣)

(١) د . محمد حسن الخمارى الشوكانى مفسرا ص ٤٠ .

(٢) يحيى بن الحسين القاسم : غاية الامانى ج ١ ص ٢٠٣ .

(٣) محمد أبوزهرة ابن تيمية ص ١٦٧ .

وقد اتفقت فرق الشيعة على ذلك القدر ، واختلفوا من بعد ذلك اختلافا
بيننا ، فمنهم من غالى فى تقدير على رضى الله عنه ، ومنهم أمة مقتصدة ،
فالمقتصدون يرون أنه أفضل الصحابة ، ولكن يقررون بصحة بيعته أبى بكر وعمر
ولا يسبونهما ، لان عليا رضى الله عنه بايعهما ، ولأنه رضى الله عنه لم
يطعن فيهما .

ولقد قال زيد رضى الله عنه وأتباعه : أن امامة المفضل جائزة ، والاصاف
التي تذكر فى الخليفة من بعد على ، وهى : كونه فاطميا ، ورعا ، عالما ، سخيا ،
يخرج داعيا الناس لنفسه ، وهذه الاصاف للامام الأمثل الكامل ، وهو بها
أولى من غيره ، فان اختار أولوا الحل والعقد فى الامة اماما لم يستوف بعض هذه
الاصاف ، وبايعوه ، صحت امامته . وعلى ذلك ، بنوا صحة امامة الشيخين :
أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وعدم تكفير الصحابة ببيعتهما .^(١)

فقد كان زيد يرى أن عليا بن أبى طالب أفضل الصحابة الا أن الخلافة
فوضت الى أبى بكر لمصلحة رآوها ، وقاعدة دينية راعوها ، من تسكين ثائرة
الفتنة ، وتطبيب قلوب العامة ، لأن المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن لمن
عرفوه باللين والتودد والتقدم فى السن والسبق فى الاسلام والقرب من رسول الله
صلى الله عليه وسلم .^(٢)

٣ - الزيدية بعد الامام زيد :

عرفنا أن الامام زيدا يرى جواز امامة المفضل ، وعلى ذلك أقر
امامة الشيخين أبى بكر وعمر ، ولم يكفر أحدا من الصحابة ، وقد كان هذا المبدأ
من أسباب خروج كثير من الشيعة عليه عندما استحر القتال بين زيد وبين يوسف
ابن عمرو الثقفى قالوا : انا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك فى أبى بكر

(١) أبوزهرة : ابن تيمية ص ١٦٨ .

(٢) الشهرستاني الملل والنحل ص ١٥٨ .

وعمر اللذين ظلما جدك على بن أبي طالب ، فقال : انى لأقول فيهما الا خيرا ،
وانما خرجت على بنى أمية الذين قتلوا جدى الحسين ، وأغاروا على المدينة
يوم الحرة ، ثم رموا بيت الله بحجر الخنزيق والنار ففارقوه غد ذلك ، ورفضوا
كلامه فسموا رافضة . (١)

ومن بعد ذلك ضعف المذهب الزيدى ، وغالبته المذاهب الشيعية
الآخري ، ولقخته ببعض مبادئها ، ولذلك كان الذين حملوا اسم هذا المذهب
من بعده لا يجوزون إمامة المفضل فأصبحوا يعدون من الرافضة (٢) وهم
الذين ظهرت لهم أحداث فى عصر الشوكانى ، أظهرها ماكان فى ليلة أربع عشرة
من رمضان سنة ١٢١٦ هـ تلك الفتنة العارمة التى عمت صنعاء بين الروافض وأهل
السنة ، وسيأتى ذلك ريان بيان .

وعلى ذلك لاتعتبر الزيدية قسمان : المقصد منهم ، وهم لا يعدون رافضة ،
ويعترفون بإمامة الشيخين أبى بكر وعمر ، والمتأخرون : وهم الذين يرفضونها
ويعدون رافضة . يقول الشهرستانى : مالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول
بإمامة المفضل ، وطعن فى الصحابة طعن الإمامية ، وهم اصناف ثلاثة :
جارودية (٣) ، وسليمانية (٤) ، والتبرية (٥) ، والصالحية (٦)
على مذهب واحد .

-
- (١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٢٢ .
(٢) أبوزهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ص ١٥ .
(٣) وهم : أصحاب " أبى الجارود " أنظر مقالات الاسلاميين للأشعرى ص ٦٦ .
(٤) وهم : أصحاب " سليمان بن جرير الزيدى " المصدر السابق ص ٦٨ .
(٥) وهم : أصحاب " الحسين بن صالح بن حى " أنظر المصدر السابق ص ٦٨ .
(٦) العلل والنحل للشهرستانى ص ١٦٠ ، ١٦١ .

الزيدية فى اليمن :

كان للزيدية دولتان ، احدهما : فى اليمن ، والاخرى : فى

جنوب بحر الخزر من جهات الديلم .

قامت دولتهم فى الديلم نحو سنة ٢٥٠ هـ واستمرت الى سنة ٥٢٠ هـ وظهر فيها عشرون اماما^(١) ، والذي يبدو أن زيدية الديلم فى القرن الخامس كانوا من الناحية السياسية فى حالة ضعف ، مما مهد لانتهاك دولتهم بعد ذلك فى وقت قريب .^(٢)

اما دولتهم فى اليمن ترجع الى الامام القاسم بن ابراهيم الرسى (١٦٩ — ٢٤٦ هـ) من اولاد الحسن بن على بن أبى طالب^(٣) الذى وضع أصول المذهب الزيدى كما عرف فى هذه الدولة ، أما الذى استولى على اليمن فهو الامام الهادى الى الحق يحيى بن الحسين أحد أحفاد الامام القاسم^(٤) . خرج الى اليمن

-
- (١) د . يوسف الحسن تاريخ الفرق ص ٢٢ ، وتاريخ دول الاسلام للصد فى ص ٢٥٩ .
(٢) د . عدنان زرزور الحاكم الحشمى ومنهجه فى تفسير القرآن ص ٣١ .
(٣) هو القاسم ابن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن على بن أبى طالب ، ولد بالمدينة عام ١٦٩ هـ ، وأخذ العلم عن آبائه ، وعن محمد بن منصور المرادى الذى جمع علوم آل البيت فى كتابه " الوافى " خالط علماء المذهب الحنفى فى الفقه ، وشيوخ المعتزلة فى الاصول ، فكان من أكبر علماء المذهب الزيدى ، دعا القاسم الى نفسه فأجابه خلق كثير من مكة والمدينة والكوفة والرى وقزوين وطبرستان والديلم ، وحشوه على الظهور وكان ممن بايعه فقيه الزيدية أحمد بن عيسى بن زيد .
(أنظر د . أحمد محمود صبحى الزيدية ص ١٢١ ، ١٢٢) .
(٤) ولد بالمدينة سنة ٢٤٥ هـ ، وخرج الى اليمن سنة ٢٨٠ هـ يطلب من أهله نصره الدعوة ولكنهم خذلوه فعاد الى الحجاز سنة ٢٨٠ هـ ثم راجعوه فعاد اليهم ووصل صعده سنة ٢٨٤ هـ ، وتوفى بصعده فى ذى الحجة سنة ٢٩٨ هـ .

سنة ٢٨٠ هـ يطلب من أهله نصره الدعوة ولكنهم خذلوه ، فعاد الى الحجاز ، ثم راجعوه فعاد اليهم ، وتمكن بعد حروب طويلة مع القرامطة وغيرهم أن يؤسس دولة الزيدية في اليمن ، وتذكره الزيدية بالبأس والشجاعة ، والورع ، ويعدونه من معجزات جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قالوا : ما من زيدى في اليمن الا وله عليه حق .

أسس الهادى دولة الزيدية في اليمن ، وكان أولاده من بعده يبايعون فيها بالامامة بخروجهم أو بالقتال ، وكثيرا ما يخرج الأمر من أيديهم ، الى أحفاد القاسم الرسى أو الى غيرهم ممن ينتسب الى الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وأظهر الاحداث التى مرت ببلدهم في القرن الخامس ، هو استيلاء الصليحي ^(١) على صنعاء ، وعلى أكثر مناطق اليمن ، وبالرغم من أنهم لم ينفذوا وجود دولتهم في بعض بلاد اليمن ، الا أن الصليحي قتل امامهم الكبير فيها ^(٢) الذى دعا لنفسه سنة ٤٣٠ هـ ، وملك صعده والظاهر ، ولم تعد اليهم صنعاء الا في عهد الامام أحمد بن سليمان سنة ٥٠٠ هـ . ^(٣)

ويتبين من مراجعة تراجم أئمة الزيدية وعلمائها أن الصلاة بين دولتهم في الديلم واليمن كانت دائمة واليها يعود الفضل في حفظ بقية صالحة من تراث المعتزلة في اليمن .

٥ - الراضية :

قدما أنه لما غالبت المذاهب الشيعية المذهب الزيدى ولقحته

- (١) الصليحي هو : المسمى على بن محمد ، أرسل الى القرامطة من أوطان بعيدة ، فلما وصلوا اليه طلع بهم مسار حصن علل فيه قرى ومزارع وفيه أعلن الصليحي ثورته ٤٣٩ هـ ومعه ستمائة رجل وخمسون أنظر تاريخ عمارة مع تعليقات الاكوع : ١٠١ - ١١٦ ، توفي ٤٥٩ هـ أخبار القرامطة لابن زكار ص ٢٥٠ .
- (٢) هو أبو الفتح بن ناصر الديلمي دعا لنفسه ٤٣٠ هـ وملك صعده والظاهر .
- (٣) عدنان زرزور الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن ص ٣٣ نقلا عن خايس لبصعدى بلوغ العرام ص ٣٦ - ٣٧ " والمقصد الحسن " .

ببعض مبادئها ، أصبح الذين حملوا اسم هذا المذهب لا يجوزون امامة
المفضول ، وطعنوا في الصحابة ولم يعترفوا بامامة أبي بكر وعمر رضي الله
عنهما ، وهو لا هم الذين كانت لهم أحداث في عصر الشوكاني ، لذلك نراه
يخذ رخصهم ويوضح خطرهم فيقول :

" من ألقى مقاليد أمره الى رافضي وان كان حقيرا فانه لا أمانة لرافضي
قط على من يخالفه في مذهبه ، ويدين بغير الرضى ، بل يستحل ماله ودمه عند
أدنى فرصة تلوح له ، لانه غده مباح الدم والمال ، وكل ما يظهره من المودة فهو
تقية يذهب أثره بمجرد امكان الفرصة " .

ولا يتحدث الشوكاني عن ذلك دون دليل ، وانما عن سابق تجربة وخبرة
عرف بها احوال الروافضي ومقدار عداوتهم لمن خالفهم فيقول :

" قد جربنا هذا تجريبا كثيرا ، فلم نجد رافضيا أخلص المودة لغير
رافضي ، وان أثره بجميع ما يملكه ، وكان له بمنزلة الخول ، وتودد اليه بكل ممكن ،
ولم نجد في مذهب من المذاهب المبتدعة ولا غيرها مانجده عند هو لا من
العداوة لمن خالفهم ، ثم لم نجد عند أحد مانجده غدهم من التجري على
شتم الاعراض المحترمة ، فانه يلعن أقبح اللعن ، ويسب أفظع السب كل من تجرى
بينه وبينه أدنى خصومة ، وأحقر جدال وأقل اختلاف (١) .

وسعلل الشوكاني سبب هذا التجري فيبين أسبابه بانها ترجع الى تجربتهم على
سب السلف الصالح ، فكان نتيجة أن هان عليهم سب من عداهم حتى وقع من
شياطينهم في على كرم الله وجهه حرذا عليه وغضباً له فيقول :

" لما تجروا على سب السلف الصالح هان عليهم سب من عداهم ،
وقد يقع من بعض شياطينهم في على كرم الله وجهه حرذا عليه وغضباً له ،

(١) الشوكاني أدب الطلب تحقيق ونشر مركز الدراسات والابحاث اليمنية

حيث ترك حقه ، بل قد يبلغ بعض ملاعنهم الى ثلب العرض الشريف النبوى صانه
الله قائلا : انه كان عليه الايضاح للناس وكشف أمر الخلافة ، ومن الاقـوم
فيها ، والاحق بها وقد بلغ من سلفهم وخلقهم الى حد الكذب على
الله وعلى رسوله وعلى كتابه ، وعلى صالحى أمته ، ووقع منهم فى ذلك ما يقشعر
له الجلد .

ويسجل الشوكانى وقائع هو " لا الرافضة ، ومقدار خذلان غلاتهم الى حد
انكار بعض كتاب الله ، وتحريف البعض الآخر ، وجحد سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيقول :

" ناهيك بقول بلغ الخذلان بغلاتهم الى انكار بعض كتاب الله ،
وتحريف البعض الآخر ، وانكار سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاوز
ذلك جماعة من زنادقتهم الى اعتقاد الالهية فى ملوكهم بل فى شيوخ بلدانهم ،
ولا غروا فأصل هذا المظهر الرافضى ، يظهر الحاد وزندقة ، جعله من أراد كيد
الاسلام ستروا له ، فأظهر التشيع والمحبة لآل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، استجذبا لقلوب الناس ، ثم أظهر للناس أنه لا يتم القيام بحق القرابة
الا بترك حق الصحابة ، ومعظم ما يقصده بهذا هو الطعن على الشريعة
وابطالها ، كما وقع من القرامطة والباطنية والاسماعيلية ، ومن هنا نحوهم ،
فانهم لما تمكنوا أظهروا صريح الكفر والزندقة " (١) .

أما أظهر أحداث الروافض فى عصر الشوكانى : فهى فى ليلة أربع عشرة
من رمضان سنة ١٢١٦ هـ تلك الفتنة العارمة التى عمت صنعاء بين الروافض
وأهل السنة التى ذهب ضحيتها عشرات الاشخاص ، ونفى بعضهم الى جزيرة
قمران بالبحر الاحمر ، وبعضهم الى حبس زيلع بالساحل ، وكان الشوكانى أعظم
هدف لتلك الفتنة ، ولكن نجاه الله ، لان الامام المنصور على بن المهدي كان

فى صف أهل السنة •

وتلك الحادثة سنة ١٢٢٣ هـ التى أدت الى قطع الطرق بين العاصمة صنعاء وسائر البلاد من قبل قبائل بكيل ، ثم اختلاف الامام المنصور على ، مع ولده الامير أحمد ، بسبب الوزير " حسن بن حسين بن عثمان العلفى " وقد قضى عليها الشوكانى بتدخله ، وأدى ذلك الخلاف الى سقوط تهامة بأجمعها فى يد الشريف حمود بن حمد صاحب أبى عريشن ، فقد استغل الخلاف المذكور وانتهاز الفرصة ، فى الانقضاض على هذه البلاد ، وضمها الى حوزته • (١)

٦ - الباطنية :

بين الشوكانى خطورة هذه الطائفة ، وشدة كفرها واستهتارها بمحارم الله وما عظمه تعالى من المقدسات ، كما كان لهم دور كبير فى الافساد فى العالم العربى وباليمن بالذات لذلك ينبغى أن نتبين أمرهم وطرق فسادهم ، ومناحى زيغهم وزندقتهم • يقول الشوكانى فى كتابه أدب الطلب :

" ان مذهبهم الذى يتظاهرون به ويبدونه للناس هو التشيع ، ولا يزال شياطينهم ينقلون من دخل معهم فيه من مرتبة الى مرتبة ، حتى يوقفوه على باب الكفر وصراح الزندقة ، واذ تمكن بعض طوائفهم من اعمال الكفر فعل ، كما فعل على بن الفضل الخارج باليمن ، من دعاة الناس الى صريح الكفر ودعوى النبوة فى الترقى الى دعوى الالهية • (٢)

وهذه الفرقة قد دخلت اليمن سنة ٢٩١ هـ حيث بعث ميمون القداح الى اليمن اثنين من دعائه ، وهما : " على بن الفضل الحميرى ، ومنصور بن حسن الكوفى " ، وهما على مذهب الاثنى عشرية ^(٣) تفرس فيهما القداح حسن مخايل

(١) د • محمد حسن الغمارى الامام الشوكانى مفسرا ص ٤٥ •

(٢) الشوكانى أدب الطلب تحقيق ونشر مركز الدراسات والابحاث اليمنية ص ٢٢ •

(٣) يحيى بن الحسين بن القاسم غاية الامانى تحقيق د • سعيد عبد الفتاح

الشهادة ، فأطلعهما على سره ، وعرفهما حقيقة أمره ، وأوهما أن المهدي ولده ، وأن نسبه يتصل بأمير المؤمنين على عليه السلام ، ورغبهما في القيام بأمر الدعوة ، فوجدهما قابلين لقوله فأخذ عليهما العهد الوثيقة ، ثم أمرهما بالسير إلى اليمن ، ولما وصلا بندر البقعة ^(١) افترقا ، فقصد ابن الفضل بلاد يافع ^(٢) ، وقصد منصور بن حسن عدن لاعة ^(٣) ، وأقام كل منهما في جهة يظهر الزهد والورع والتقشف حتى صار كل منهما مسموع القول في جهته ، وقصدهم الناس وجمعوا لهم الصدقات وعظم شأنهما . ^(٤)

ثم أظهرهما الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وحصنا الحصون ، وبنينا القلاع ، وبدءا بتنفيذ الخطة ، واستوليا على اليمن بأسره إلا القليل ، ولما تم لهما ما أرادا ، أظهرهما مذهبهما الخبيث حتى قال على بن الفضل مصرحا بذلك الكفر في أبيات منها :

خذى الدف يا هذه والعبى	ه ه ه	وغى هزاربك ثم اطرى
تولى نبي بني هاشم	ه ه ه	وهذا نبي بنى يعرب
لكل نبي مضى شرعه	ه ه ه	وهذا شرايع هذا النبي
فقد خط غا فروض الصلاة	ه ه ه	وحط الصيام ولم يتعب

.....

ولا تطلبى السعى عند الصفا	ه ه ه	ولا زورة القبر فى يثرب
ولا تمنع نفسك المعرسين	ه ه ه	من اقربى ومن اجنبى
وما الخمر الا كماء السماء	ه ه ه	حلالا فقدست من مذهب ^(٥)

(١) موضع في مخلاف بنى عامر باليمن . (٢) حى من حمير ، وسمى الموضع باسمهم .

(٣) مدينة في جبل جبر من أعمال صنعاء غير عدن الواقع على البحر

(٤) يحيى بن الحسن بن القاسم غاية تالامانى تحقيق د . سعيد عبد الفتاح

عاشور ج ١ ص ١٩١ — ١٩٢ .

(٥) د . سهيل زكار أخبار القرامطة ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

وهذا الشعر كله تحليل لمحرمات الشريعة والاستهانة بها ، وادعاء النبوة ، وادعاء رفع التكاليف والفرائض من الصلاة والصيام والحج ، واحلال البنات والاخوات .

وقد بقيت الطغمة في كثير من البلاد الاسلامية بالشام والعراق ، وخراسان ، واليمن ، وانقطعت من مصر على يد السلطان صلاح الدين بن أيوب ، بعد أن دامت مدة تزيد عن ثلاثمائة سنة ، وانقطعت من اليمن على أيدي الأئمة القائمين من أهل البيت . (١)

وهذه الطائفة الملعونة كان لها دور كبير في العالم واليمن بالذات ، ومنهم زعماء مثل علي بن محمد الصليحي وحلفاؤه ، ونسي زيلع ، وآل حاتم البامي ، ومنهم أبو طاهر صاحب هجر ، الذي اقتلع الحجر الاسود من الكعبة المشرفة سنة ٣١٢ هـ ، وحمله الى هجر ، ومكث عنده نحو عشرين سنة ولم يرجعه الا سنة ٣٣٩ هـ ، واستباح المسجد الحرام ، وقلع باب الكعبة ، وأخذه مع كسوتها ، ومنهم أبو سعيد الجنابي صاحب البحرين الذي فعل جميع المنكرات وسفك الدماء ، ولم يدع لله حرمة الا انتهكها ، وما يذكره : أنه كان فيكسوفاً ملعوناً ، ملك البحرين واليمامة والاحساء ، وادعى أنه المهدي القائم بدين الله ودخل مكة وقتل الناس في المسجد الحرام ، وضع الناس من الحج واقتلع الركن . (٣)

ومن شعره في ذلك :

لو كان هذا البيت لله ربنا ٥٥٥ لصب علينا النار من فوقنا صباً
لأنا حجبنا حجة جاهلية ٥٥٥ محللة لم يبق شرقاً ولا غرباً
وأنا تركنا بين زمزم والصفاء ٥٥٥ خائراً لا تبغى سوى ربها رباً (٤)

(١) يحيى بن الحسين غاية الاماني ج ١ ص ١٨٤ .

(٢) د . سهيل زكار اخبار القرامطة ص ٣٥٩ وأنظر ٣٦٢ .

(٣) الشوكاني أدب الطلب ص ٧٢ ، وأنظر د . سهيل زكار اخبار القرامطة ص ٢١٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٧٢ .

وكان لهذه الطائفة وقت الشوكاني صولة وجولة وعاشت في الارض فسادا ،
واستحلت ما حرم الله ، ولما اطلع الشوكاني على مؤلفاتهم أيام المتوكل على
الله ، وقد استولى على معقلهم في شيام من بلاد حراز قال فيهم :
" ما على الارض كفر أشد من كفرهم " وقال في كتابه " أدب الطلب " :
" انهم لما تمكنوا أظهروا صريح الكفر والزندقة ، وفعلوا تلك الافاعيل من
الاستهتار بمحارم الله ، وما عظمه كقلهم للحجر الاسود من الحرم الى
(١)
هجر .

٧ - المعتزلة باليمن :

تدل المصادر التاريخية على أن دخول مذهب الشيعة المعتزلة
في أرض اليمن ، بعناية القاضي جعفر ابن أحمد بن عبد السلام سنة ٥٦٦ هـ
(٢) وكان القاضي المذكور على مذهب التطريف ، فتركه على يد زيد بن الحسين
البیهقي الروقي من بلد الحاكم الجشمي ، وهو الذي نقل كثيرا من كتب
الزيدية بخراسان الى اليمن .

كما تبين المصادر العلمية أن القاسم الرسي (٣) عندما جاء الى اليمن
كان يحمل في رأسه الفكر المعتزلي ، لذلك يعد من أهم الشخصيات الزيدية

(١) المصدر السابق ص ٧٢ .

(٢) يحيى بن الحسين غاية الاماني ج ١ ص ٣١٨ .

(٣) ولد القاسم الرسي في السنة التي تولى فيها موسى الهادي بن محمد
المهدي سنة ١٦٩ هـ وعاصر سبعة من خلفاء بني العباس ، ومات في
خلافة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧) هـ ، وتبدأ أخبار انغماسه في الحركة
السياسية للشيعة منذ خلافة المأمون (١٩٥ - ٢١٨) هـ ، وقد نشأ في
بيئة شيعية تعمل الى الوصول الى الخلافة ، فكان أول امام شيعي يقود
ثورة ضد الخلافة العباسية منذ قتل النفس الزكية في المدينة وأخيه
ابراهيم في البصرة .

التي بدأت احكام العلاقة بين الزيدية والمعتزلة ، كما يعد الاساس للزيدية المعتزلة ، لأنه أسس لنفسه قاعدة في اليمن استمرت تأثيرها الى ما يزيد عن ألف سنة . (١)

وقد انتشر المذهب الزيدى المعتزلى فى المناطق الجبلية قاطبة بعد تولى الامام الهادى " يحيى بن الحسين " الامة فى اليمن وهو أول من دعى باليمن على هذا المذهب الزيدى (٢) ، وقد توالى على الامة بعده أولاده ، وأحفاده ، ولم تقطع سلالتهم فى اليمن حيث انقطعت فى طبرستان من بعد أولاد الاطروش . (٣)

أما مناطق السهول فى اليمن فقد بقوا على المذهب الشافعى السنى ، ولما قدم الهادى الى صنعاء انتزعها من يد أسعد بن يعفر الذى كان يحكم باسم العباسيين فملكها الهادى ولكن أهل اليمن خذلوه ، فترك صنعاء ورجع صعدته ثم منها الى الحجاز ثم عاد الى الرس موطنه الأصلى . (٤)

وفى سنة ٢٨٣ هـ استنهض أهل اليمن برسائلهم الامام الهادى ليعود اليهم ، وقد أعلنوا توبتهم الى الله تعالى وبعد الحاج كثير أجابهم ، وعاد الى صعدة سنة ٢٨٤ هـ . (٥)

وتعتبر كتابات الهادى من أوفى مصادر الفكر المعتزلى (٦) فى عصرها ، ولكن أسلوبه وثيق الصلة بالقرآن الكريم ، وبأسلوب العرب الاولين فى الاستدلال والجدل ، وتعد مؤلفات الهادى وجده القاسم بن ابراهيم الرسى من أقدم

(١) على محمد زيد معتزلة اليمن ص ٣١ .

(٢) الحميرى الحور العين ص ١٩٦ .

(٣) ابن الساعى مختصر اخبار الخلفاء ص ١٠١ .

(٤) ابن خلدون العبر ص ١٣٠ .

(٥) المجلسى الحقائق الوردية ج ٢ ورقة ٢٣١ .

(٦) من هذه الكتب

(١)

ماباليمن من مصادر علم الكلام المعتزلى .

وقد أقام الهادى مذهبه على أصول المعتزلة الخمسة ^(٢) ودان بها ،
وعمل بمقتضاها ، واعتبرها أساسا لدخول المرء فى الزيدية فيقول : " فمن أقام
على هذه الأصول كما أقضا ، ودان بها كما أدنا ، وعمل بما استحق الله عليه
فيها ، فهو منا ، وأخونا ، وولينا ، ندعوه الى ما أجابنا ونجيبه الى ما دعانا ،
ومن خالفنا ، وفارقنا عليها حاجتنا بالحكم من كتاب الله ، وردناه الى
المجمع عليه من سنة رسول الله ^(٣) ، وسيأتى زيادة بيان لهذه الأصول عند
الكلام على منهج الزيدية .

وهذا تصبح الأصول الخمسة كما قررها المعتزلة أصولا للزيدية ، والعمل
بها فى اليمن ظاهرومتميز منذ الهادى والقاسم والى الآن .

والجدير بالذكر أن الكثير من أهل البيت الكرام وغيرهم من علماء أهل
السنة يخالفون المعتزلة ، وتقع بينهم مصادمات كثيرة ، ومن ذلك على سبيل المثال
لا على سبيل الحصر ، العلامة : السيد محمد بن ابراهيم الوزير المتوفى سنة
٨٤٠ هـ ، وكذلك " الحسن الجلال (١٠١٤ - ١٠٨٤) هـ وكذا الحسين بن
القاسم محمد (١٠٣٥ - ١١٠٠) هـ .

ومن هؤلاء الشيخ صالح المقبلى (١٠٤٧ - ١١٠٨) هـ .

ومنهم الامام محمد بن اسماعيل الأمير (١٠٩٩ - ١١٨٤) هـ .

ومنهم الشيخ الشوكانى ، وأبوه ، وولده ، وكثير من أشياخه وتلاميذه ، فهوؤلاء

(١) على محمد زيد معتزلة اليمن ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) وهى أولاة التوحيد ، ثانيا : العدل ، ثالثا : الوعد والوعيد ، رابعا :

المنزلة بين المنزلتين ، خامسا : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

أنظر الهادى كتاب المنزلة بين المنزلتين مخطوط (ضمن مجموعة) .

ق ٩٣ - ٩٤ ، وأنظر على محمد زيد معتزلة اليمن ص ١٥٧ .

(٣) المصدر السابق ص ١٥٣ .

وغيرهم كثيرا ما خالفوا المعتزلة فى الروئية وأفعال العباد ، وجميع صفات الله تعالى وأثبتوا الله ما أثبتته لنفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، من غير تأويل ولا تمثيل ، ومن غير تشبيه ولا تعطيل ، عملا بقوله تعالى : " ليس كمثله شئ " وهو السميع البصير " (١) . وقوله تعالى : " وهل تعلم له سميا " (٢) و " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " (٣) .

كما صنف وألف هؤلاء المذكورون فى الرد على المعتزلة ومن ذلك مصنفات ابن الوزير السابق فى كتابه " المواسم من القواصم " واختصره فى " الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم " (٤) ، فأثبت فيه رؤية الله تعالى فى الآخرة ، وغيرها من الصفات التى تنكرها المعتزلة أو يؤولونها ، وله كتاب " البرهان القاطع " وقد أودع فيه من الحجج الدامغة ما يكفى ويشفى ، وكتاب " ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان " ، وهو كتاب لم تر العيون مثله كما قال الدكتور خليل هراس ، وإيثار الحق على الخلق " ، وهو وحيد فى بابه لأنه من أعظم الكتب التى ترد على المعتزلة . وقد طورد هذا الامام وفرالى بطون الاودية ، وشعب الجبال خوفا من المعتزلة ، وكان يتأسف لما حدث ويصف حالته التى صار اليها فى أبيات :

قال فيها :

فحيننا بطور تمطر السحب دونه ٥٥٥ أشم ضيف بالغمام مؤزر

(١) الشورى : آية : ١١ .

(٢) سورة مريم : آية : ٦٥ . (٣) سورة الاخلاص .

(٤) كتب ابن الوزير " الروض الباسم " وكتاب البرهان القاطع فى اثبات الصانع والشرائع " ، " ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان " ، " وإيثار الحق على الخلق " . مطبوعة ومندولة .

وحيننا بشعب بطن واد كأنه ٥٥ حشا قلم تسمى به الطير تصفر

.....

هنالك يصفولى من العيش ورد ٥٥ والا فورد العيش رفق مكد ر
فان يبست ثم المراعى وأجدبت ٥٥ فروض العلا والعلم والدين أخضر
ولا عار أن ينجو كرم بنفسه ٥٥ ولكن عار أعجزه حين ينصر
فقد هاجر المختار قبلى وصحبه ٥٥ وفر الى النجاشى جعفر (١)

٨ - الأشاعرة :

ولد الاشعرى بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ وتوفى سنة ٣٣٠ هـ ، وتخرج
على المعتزلة فى علم الكلام ، وتلمذ لشيخهم فى عصره أبى على الجبائى ،
وكان لفصاحته يتولى الجدل نائبا عن شيخه ، ولكن الاشعرى وجد من نفسه
ما يبعد عن المعتزلة فى تفكيرهم ، ثم وجد ميلا الى آراء الفقهاء والمحدثين (٢)
ولذا عكف فى بيته مدة وازن فيها بين أدلة الفرقتين ، وانقدح له رأى بعب
الموازنة ، فخرج الى الناس ، وناداهم للاجتماع اليه ، فرقى الضبر يوم الجمعة
بالمسجد الجامع بالبصرة وقال :

" أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه
بنفسى ، أنا فلان ابن فلان : كت أقول بخلق القرآن ، وأن الله لا يرى بالابصار
وأن أفعال البشر أنا ، أفعالها ، وأنا تائب ، مقلع متصد للرد على المعتزلة ، فخرج
لفضائحهم (٣)

وقد بين الاشعرى مذهبه ومآخذه على المعتزلة اجمالا فى مقدمة كتابه

" الابانة " وقد جاء فيها بعد حمد الله والثناء عليه :

(١) د . محمد حسن النمارى الامام الشوكانى مفسرا ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) محمد أبوزهرة تاريخ المذاهب الاسلامية ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٣) محمد أبوزهرة ابن تيمية ص ١٨٥ .

” أما بعد فان كثير من المعتزلة ، وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم الى التقليد لروء سائهم ومن مضى من أسلافهم ، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل الله به من سلطان ، ولا أوضح به برهانا ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ، ولا عن السلف المتقدمين ، فخالفوا رواية الصحابة عن نبي الله صلى الله عليه وسلم في رؤية الله بالابصار وأنكروا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وردوا الرواية في ذلك عن السلف المتقدمين . (١) الى أن قال : ” وديانتنا التي ندين بها هي التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وما ورى عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتمدون ، وما كان عليه أحمد بن حنبل ، نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته ، ولمن خالف قوله مجانبون ، لانه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال ، وأوضح به المضاهج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيع الزائفين ، وشك الشاكين ، فرحمة الله عليه من امام مقدم . (٢)

(٣) ومذهب الاشاعرة لم يأخذ في الانتشار بالعراق الا من نحو سنة ٣٨٠ هـ ، وكذلك لم يأخذ في الانتشار باليمن الا من القرن الخامس الهجرى ، ويظهر أن المذهب الاشعرى يجرى في اليمن مع المذهب الشافعى في الفروع جنبا الى جنب ، فالاشاعرة غالبا يكونون شافعية المذهب . ويسود المذهب الاشعرى في المناطق الساحلية باليمن ، وفي منطقة الجنوب ، وقد ظهر هذا المذهب على القاسم بن محمد الجمحي امام الشافعية في صنعاء وعدن ، وامتد في أواخر القرن الرابع الهجرى الى المعافر ولحج وأبين وأهل الجند والسحول

(١) أبو الحسن الاشعرى الابانه ص ١٢

(٢) أبو الحسن الاشعرى الابانه ص ١٥

(٣) المقرئى الخطط ج ٢ ص ٣٥٨

وبغيرها ^(١) ، وعم انتشاره بعد ذلك فى القرن السادس الهجرى ^(٢) .
وقد سبب اختلاف المذهب الاشعرى مع الزيدية الذين يسكنون شرقى
اليمن وشماله كثيرا من المصادمات الدموية ، وتحكم السيف فى غالب الاوقات
وأدى الى الفرقة والانفصال ، ولا يزال ذلك مصدر قلق بين الشمال والجنوب ^(٣) .
ومع أن الوجه البحرى هو الجزء الاستراتيجى لشعب اليمن والمنفذ
التجارى الذى هو همزة الوصل بين اليمن والعالم الخارجى ، فلن تتخلى الزيدية
عنه مهما كان الثمن ، ومن المستحيل أن تفرط فيه ، لأن ذلك نهايتها وعزلها
عن العالم الخارجى ، وفقدانها لشرىان الحياة فى اليمن بأسره ^(٤) .

٩ - الصوفية :

نشأ التصوف فى الاسلام من ينبوعين مختلفين تلاقيا ، فكان
النزاع الروحى ، الذى اثار الافكار ، وكان الشكل الذى دخل فيه بعض الذين
حاولوا استغلال السذج والتحكم فى أهوائهم .
(الينبوع الأول) : الذى نشأ فيه التصوف ، هو انصراف بعض العباد المسلمين
الى الزهد فى الدنيا ، والانقطاع للعبادة . ولقد نهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الرهينة ، وقال : " رهبانية الاسلام الجهاد " ^(٥) ،
ولما دخل فى الاسلام ناس كثيرون من أهل الديانات السابقة كالبراهمة ،
والبوذية التى تعتقد أن تعذيب الجسم تطهير للروح فكان من الطبيعى أن
كثر الزهاد الذين غالوا فى الزهادة فى الدنيا ونعيمها ، فوجد التصوف
مكانه ، اذ وجد أرضا خصبة .

(١) د . حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسى والدينى ج ٤ ص ٤٥٤ .

(٢) الجعدى طبقات فقهاء اليمن ص ١٢ - ١٣ .

(٣) يحيى بن الحسين غاية الامانى تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور

ج ١٠ ص ٢٣٢ - ٢٣٧ .

(٤) د . محمد حسن الغمارى الامام الشوكانى مفسرا ص ٤٩ .

(٥) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل ٢٦٦٠٨٢٠٢ ولفظه " عليك بالجهاد
فانه رهبانية الاسلام " .

(المنزع الثانى) : الذى وجه النفوس الى التصوف ماسرى الى المسلمين من الفلسفة والديانات القديمة ، ففكرة الاشراقيين من الفلاسفة يروى أن المعرفة تقذف فى النفس بالرياضة الروحية ، والتهذيب النفسى ، وفكرة الحلول الالهى فى النفوس الانسانية أو حلول الناسوت فى اللاهوت التى جاءت عندما اختلط المسلمون والنصارى كما ظهرت تلك الفكرة فى السنيّة ، وبعض الكيسانية ، ثم القرامطة ، وبعض الباطنية ثم ظهرت فى لونها الاخير فى بعض الصوفية . (١)

وقد كان بجوار ذلك المنزع آخر هو ما يسمى وحدة الوجود ، وهى فكرة هندية قوامها أن كل شىء فى الوجود مستقل بوحدة ثابتة جامعة ، كما أخذت النزعات الصوفية عن الباطنية كون النصوص والاحكام لها ظاهر وباطن ، وادعاء الباطنية أنه لم يوت علم التأويل وباطن الشريعة الا الائمة .

وقد نظم الصوفية طبقات أوليائهم ، فى القرن الرابع الهجرى كان من طبقاتهم ، طبقة الابدال (٢) .

وفى القرن الخامس يذكر الحجويزى (٣) طبقات أخرى من الاولياء ، فهناك ثلاثمائة يسمون الاخيار ، وأربعون يسمون الابدال ، وسبعون يسمون الابرار ، وأربعون يسمون الاوتاد وهم يطوفون العالم بجملته فى كل ليلة ، وثلاثة نقباء ، وأخيرا يوجد القطب أو الغوث ، والاولياء هم ولاة العالم ، والحل والعقد منوط بهم ، وتدبير العالم موصول بهم . (٤)

(١) أبوزهرة ابن تيمية ص ١٩٧ .

(٢) التهانوى كشف اصطلاحات الفنون ج ١ ص ٢١٠ — ٢١٣ .

والابدال : جمع بديل ، ويقال أن عدد هم سبعون ، أربعون منهم فى الشام ، وثلاثون فى سائر البلاد .

(٣) الحجويزى من علماء الصوفية وأعلامهم فى القرن الخامس ورسالته كشف المحجوب ، وصيغها فى اصطلاحهم ، وهى باللغة الفارسية ، والنقول عنها من كتاب الحضارة الاسلامية نقلا عن كشف المحجوب ج ١ ص ٢١ .

(٤) آدم متر : الحضارة الاسلامية نقلا عن كشف المحجوب ج ١ ص ٢١ .

أما الصوفية في اليمن ، فهي توجد في الجزء الذي يقطنه الشافعية وأغلبهم قبوريون ، وقد ندد بهم الامام محمد بن اسماعيل الامير ، وجاء من بعده الامام الشوكاني ، وكثير من معاصريه ، وتلامذته ، وأنشأوا فيها المقالات الطوال ، ومن ذلك ما قاله تلميذ الشوكاني ، وهو القاسم بن عبد الله بن القاسم المولود سنة (١١٦٦) هـ والمتوفى سنة (١٢٢٢) هـ وقد وجه هذه الابيات الى شيخه الشوكاني :

فدع التصوف واثقا بحقيقة ٥٥ ٥ واحرص ولا يخررك لمع سرابه
للقوم تعبيره يسبى النهى ٥٥ ٥ طربا ويشقى الصب عن احبابه
فيرون حق الغير غير محرم ٥٥ ٥ بل يزعمون بأنهم أولى به
لبسوا المدارع واستراحوا جرأة ٥٥ ٥ عن أمر ربهم وعن ايجابه
خرجوا عن الاسلام ثم تسكوا ٥٥ ٥ بتصوف فتستروا بحجابيه
واذا أراك ما أقول فسل به ٥٥ ٥ من غده في الحكم فصل خطابيه
محمد بن علي بن محمد ٥٥ ٥ فمضى وضك محقق أدرى به (١)

وقد أجابه الشوكاني برسالة سماها " الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد " مختار من قصيدته هذه الابيات ، وقد قسم فيها الصوفية الى قسمين : أحدهما : أهل الزهد والورع ، وثانيهما : أهل الكبائر والفسق والبدع فقال :

خذ الجواب فمابه خطل ولا ٥٥ ٥ عصبية قدحت بعين صوابه
أي العقيق سكانه صنفان صنف قد غدا ٥٥ ٥ متجردا للحب بين صحابه (٢)
يمشى على سنن الرسول مفوضا ٥٥ ٥ للامر لا يلوى للمع سرابه
يرى بميسور من الدنيا ولا ٥٥ ٥ بغنم غد نفاها عن بابيه

.....

(١) د . محمد حسن الغماري الامام الشوكاني مفسرا ص ٥١ ، ٥٢ .

(٢) العقيق موضع باليمن جهة تهامة سكانه أو غالبهم صوفية .

.....

ولكم مشى هذى الطريقة صاحب ه ه لمحمد فمشوا على أعقابيه
ففيها الغفارى قد أناخ مطيعة ه ه ومشى بها القرنى يسبق ركابه
(١) (٢)
وسها الفضيل والجنيد تجاذبا ه ه كاس الهوى وتعللا برضايه
(٣)
وكذ لك بشر وابن ادهم اسرعا ه ه فبشيا به ، والكعبي مشى به

* * *

أما الذين غدو على أوتارهم ه ه يتجاذبون الخمر فى أكوابه
ولوحده جعلوا المثنى مؤنسا ه ه واللحن غد الذكر من أعرابه
ويرون حق الغير غير محرم ه ه بل يزعمون بأنهم أولى به
لهم الذين تلاعبوا بين الورى ه ه بالدين وانتسبوا لقصد خرابه
قد نهج الحلاج طرق ضلالهم ه ه وكذا ك محى الدين (٥) لاحتيايه
(٤)
وكذ لك فارضهم بتأنياته ه ه فرض الضلال عليهم ودعابيه
(٦)
وكذا ك بن سبعين المهين فقد غدا متطورا فى جهله ولعبابه
(٧)

(١) الفضل بن عياض : هو ابن مسعود التميمى اليربوعى ، أبو على ، شيخ الحرم
المكى من أكابر العباد الصلحاء ، كان ثقة فى الحديث ، أخذت عنه خلق كثير
منهم الامام الشافعى (١٠٥-١٨٧) انظر تذكرة الحفاظ ١ : ٢٢٥ ، الجواهر
الضيئة ١ : ٤٠٩ ، وصفة الصفوة ٢ : ١٣٤ ، وابن خلكان ١ : ٤١٥ .

(٢) الجنيد بن محمد بن جنيد البغدادى الحرازى أبو القاسم .

(٣) بشر بن الحارث بن على بن عبد الرحمن المروزى أبو نصر .

(٤) الحلاج : هو الحسن بن منصور أبو مغيث : ابن تيمية تعارض النقل

بتحقيق د . محمد رشاد سالم ج ١ ص ١٦ .

(٥) هو أبو بكر محى الدين محمد بن على الطائى الاندلسى المعروف بابن عربى

والملقب عند الصوفية بالشيخ الاكبر والكبريت الاحمر . انظر ترجمته فى نفخ

الطيب ج ٢ ص ٣٦١ - ٣٨٤ ، شذرات الذهب ج ٥ ص ١٩٠ - ٢٠٢ ،

طبقات الشعرائى ج ١ ص ٦٣ : ومات سنة (٦٣٨) هـ .

(٦) شرف الدين بن الفارض الحميرى الاصل ، المصرى المولد ، ملقب عند

الصوفية بسلطان العاشقين توفى سنة (٦٣٢) هـ ، انظر ترجمته بوفيات

الاعيان ص ١٢٧ .

(٧) أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر ، المعروف (بابن سبعين)

==

رام النبوة لامعا بعثوره ٥٥ روم الذباب مصيره لعقابيه
وكذاك الجيلى (١) اجمال جواده ٥٥ فى ذلك الميدان ثم سعى به
انسانه انسان عين الكفر لا ٥٥ يرتاب فيه سابح بعبيابه
والتلمسانى (٢) قال قد حُلت له ٥٥ كل الفروج فخذ ابذا وكفر به
نهقوا بوحدهم على رؤس الملا ٥٥ ومن المقال اتوا بعين كذابه
ان صح مانقل الائمة عنهم ٥٥ فالكفر ضرره لازب لصحابه
وهذه القصيدة طويلة لا يتسع المقام لسردها ، وقد اوضح الشوكانى كما ذكر
فى " البدر الطالع " حال كل واحد من هؤلاء ، واورد نصوص كتبهم ، وبين اقوال
العلماء فى شأنهم واخيراً قال هذه الكلمة : " وأنا الآن أتبرأ من كل ما كان من
اقوالهم وافعالهم ، مخالف لهذه الشريعة البيضاء الواضحة التى ليلهم
كسارها . (٣) .

ومن هذا يتبين أن الشوكانى قد درس آراء أهل عصره فى علم الكلام
والتصوف وغيره ، وأنه كتب ونقد وله فيها المختصرات والمبسوطات .

وفى نهاية هذا الفصل الذى قبله من الحياة السياسية والفرق الدينية
يجدر بنا التعقيب لتوضيح أهم النتائج الايجابية والسلبية ، وأثر هذه الحياة
السياسية والدينية فى أهل هذا العصر ومنهم الشوكانى .

=== توفي سنة ٦٦٩ هـ . أنظر ترجمته فى شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ،

والطبقات الكبرى للشعرانى ج ١ ص ١٧٧ .

(١) الجيلى له كتابه المسمى " انسان " أتى فيه بعين الكفر كما ذكر الشوكانى .

(٢) التلمسانى : هو غيف الدين سليمان بن عبد الله بن على الكوفى

التلمسانى . أنظر ترجمته فى وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٦٣ - ٣٦٦ هـ كان

كوفى الاصل وكان يدعى العرفان .

(٣) الشوكانى البدر الطالع ج ٢ ص ٣٦ ، ٣٧ .

١٠ - تعقيب :

كان لهذه الحياة السياسية والدينية - المضطربة والمتأثرة -
آثارها السيئة على الحياة العامة ، بما حملته من الفرقة والانقسام بين الطوائف
والقبائل ، وما صاحبها من الفتن والمنازعات بين أصحاب الفرق والمذاهب ،
وما حدث بين العشائر والجماعات .

فقد كان للأحداث التي شهدتها الأمة الإسلامية وذكرها الشوكاني مبيناً
ما حدث في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري آثارها السيئة من انقسام
المسلمين إلى دويلات وحوزات لملوك ينظر بعضهم إلى بعض نظر العدو والمفترس .
وكان نتيجة هذا التفكك والتفرق والانحطاط في شعوب المسلمين ، أن
أضعفهم وأذهب بكيانهم ووحدتهم أمام الأفرنج ودول الرومان ، فقد هوجم
الإسلام في هذا العصر من فرنسا تارة ، ومن الانجليز تارة أخرى كما وضحت ذلك
من قبل . يقول الشوكاني : " أن الرزية العظمى والمصيبة الكبرى التي تبكى لها
عيون الإسلام والمسلمين هي استيلاء طائفة من الفرنجة يقال لهم الفرنسيين
على الديار المصرية (١) وهذا خطب لم يصب الإسلام بمثله . (٢)

كما كان في داخل الأقطار والولايات الإسلامية من اختلاف المذاهب فسي
الأصول والفروع مدعاة للقلق والاضطراب أدى إلى الفرقة والانقسام وتدخل
الدول الأجنبية لغزو البلاد واندلاع الحروب بين أهلها ، وكان الشعب ضحية
هذه الحروب ووقودها . ففي اليمن كان الجزء الساحلي يعتنق المذهب الأشعري
في الأصول والمذهب الشافعي في الفروع ، في الوقت الذي كان فيه القسم الجبلي
والتجدي من اليمن يعتنق المذهب الزيدي المعتزلي في الأصول ،

(١) د . صالح رمضان محمود ذكريات الشوكاني ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) الشوكاني البدر الطالع ج ٢ ص ٨ ، ٩ .

والمذهب الهادى فى الفروع ، فكان لاختلاف المذاهب مدعاة للاضطراب ، وكثيرا ما يحدث انفصال الجزء الساحلى عن الجزء الجبلى كلما سنحت الفرصة لقيام دولة استقلال أو دخول دولة أجنبية لغزو اليمن فتدلع الحروب ويشتد وطيسها ، ويذهب الشعب ضحيتها كما تقدم ذكره •

أما الفتن بين أرباب العقائد ومخاصة أهل السنة والرافضة — فقد كانت لكثرتها جزءا من الحياة العامة ، وربما اليومية ، وكما وقعت فى عهد الشوكانى من فتن عظيمة بين الرافضة وأهل السنة •

فالرافضة يشتد بلاهم ويتفاقم محتهم فى بعض الوقعات ، اذ كانوا يقعون فى إصحاب رسول الله ص منهم الله بالشم والسب والذم لجماعة منهم ، مما جعل الشوكانى يحرر رسالة ^(١) يذكر فيها ما كان عليه الاثمة الزيدية من أهل البيت فى صحب النبى ويذكر ما قاله كبار الاثمة تجاه الصحابة رضى الله عنهم ، وما أراد الشوكانى بذلك الا أن يرفع العماية ، ويرد الروافض عن طرق الغواية ، فصالوا عليه صولة شيطانية ، وحرروا ضده جوابات زادت على عشرين رسالة ^(٢) ، مشتملة على شتم الشوكانى ومعارضته ، حتى أبلغوا ذلك الى مقام خليفة العصر ، وعظم القضية عليه جماعة ممن يتصل به ، فأشار بعضهم بحبسه ، ونصح بعضهم باخراجه من موطنه ، ولكن الله تعالى حماه ، ووقاه كما هدى سنته وخايت به أهل العلم • ^(٣)

كما ذكر الشوكانى فى حوادث سنة ١٢١٦ هـ وقوع الفتن الكبيرة بين الروافض بصنعاء وغيرهم أدت الى قتل وسجن الكثير منهم ، ونفى بعض المشاغبيين الى جزيرة قمران فى البحر الاحمر حتى ماتوا • ^(٤)

(١) الرسالة المسماة " ارشاد الخبي الى مذهب أهل البيت فى صحب النبى "

وهى مخطوطة •

(٢) جمعت فى كتاب بعنوان " اظهار الخبي " •

(٣) الشوكانى أدب الطلب تحقيق ونشر مركز الدراسات والابحاث اليمنية ص ٣٠ ، ٣١

(٤) الشوكانى البدر الطالع ج ٢ ص ٢٤٤ •

ولم تكن الخلافات بين أصحاب المذاهب الفقهية بأقل أثرا من خلافات أرباب السياسة والكلام ، فقد كان أكثر الزيدية تضيق صدورهم من الشافعية ، اذ يرون أنهم على مذهب أهل البيت ، فالتأيين ورفع اليدين والضم وغير ذلك من مبطلات الصلاة عند الزيدية ، كما أن الاذان " بحى على خير العمل " واجب عند الهاديوية ^(١) ، أما الشافعية فيقولون : حى على خير العمل بدعة يجب ازالتها ، ولم تصح عن زيد ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أن الضم والتأيين مذهب الاثمة من أهل البيت ، وهو الذى صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) .

حركة التأليف باليمن فى عصر الشوكانى :

المعروف عن الزيدية أنها لا ترشح اماما للخلافة الا اذا كان مجتهدا ، فلا تتعقد له بيعة ، ولا تجب له طاعة ، الا بعد أن يعرض انتاجه من الاجتهادات والتأليف على هيئة من كبار علماء عصره ، فكان ذلك بمثابة حافزا ودافعا قويا للتحصيل والانتاج العلمى ، لذلك لم ينقطع العلماء فى هذه الفترة عن الكتابة والتأليف ، فنشطت حركة التأليف تبعا لذلك خلال القرن الثانى عشر واشالت عشر نشاطا ملحوظا .

كما كان من عوامل دفع هذا النشاط ، وأسبابه المباشرة مادعا اليه الشوكانى من نشر راية الاجتهاد فى الاقليم اليمنى وما وجهه من حملات ضد التقليد فى بقية الاقطار الاخرى وذلك مما أذاعه فى مختلف كتبه ورسائله من

(١) يقول الشوكانى ، فى السيل الجرار " حى على خير العمل " لم يثبت

رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء من كتب الحديث على

اختلاف أنواعها . أنظر السيل الجرار للشوكانى ج ١ ص ٢٠٥ .

(٢) د . محمد حسن الغمارى الشوكانى مفسرا ص ٥٣ .

الدعوة الى الاجتهاد ونبذ التقليد كما سيتضح ذلك فيما بعد .
ومن أراد أن يعرف حركة التأليف ومقدار الانتاج فى ذلك العصر ، فليذهب
الى مكتبة الجامع المقدس بصنعاء العاصمة ، فانه سيجد المؤلفات القيمة والمطورة
التي لاتزال مخطوطة لم تطبع للشوكانى وغيره من العلماء فى ذلك العصر فى
مختلف العلوم والفنون .

ومن الذين ساهموا فى دائرة المكتبة الاسلامية ، ولهم نشاطات فى التصنيف
والتأليف فى ذلك العصر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر فى اليمن وهم :

ترجم الشوكانى فى "البدر الطالع " لكثير من هو "لا" فذكر :

١ - السيد أحمد بن الحسن الجرهموزى ، مؤلف : صوارم اليقين لقطع شكوك أحمد
ابن نسعد الدين ، ومؤلف : الايضاح لما خفى عن الاتفاق على تعظيم
صحابه المصطفى ، شرح مجموع زيد بن على الزهرى اعيان العصر .

٢ - أحمد بن صالح بن أبى الرجال ^(٢) ، له كتاب مطلع البدور ومجمع البحور،
وحواشى على شرح الغاية ، وحاشية على الكشف .

٣ - أحمد بن صلاح بن يحيى الخطيب ^(٣) ، وله : الرياض الندية وأجاب عليها
الشوكانى برسالة سماها الصوارم الهندية .

٤ - أحمد بن محمد قاطن ^(٤) ، وله : مختصر الاصابة ، وله : مؤلف فى
اسناد الكتب العلمية ، وترجم لاهل عصره فى كتابين ، تحفة الاخوان
وتحفة الاحباب .

٥ - الحسن بن أحمد عاكش ^(٥) من تلاميذ الشوكانى ، له : اختصار السيل الجرار

(١) المتوفى سنة ١٢٢٣هـ انظر البدر الطالع ج ٢ ص ٢٥ ملحق البدر الطالع .

(٢) مولده ووفاته (١٠٢٩ - ١٠٩٢) هـ المصدر السابق ج ١ ص ٥٩ .

(٣) المتوفى سنة ١١٩٦ هـ المصدر السابق ج ١ ص ٦٢ .

(٤) المولد والوفاة : (١١١٨ - ١١٩٩) هـ ، انظر البدر الطالع ج ١ ص ١١٥ .

(٥) المولد والوفاة : (١٢٢٢ - ١٢٨٩) هـ ، المصدر السابق ج ١ ص ٢١١ .

اسماء نزهة الابصار ، ، وله : روض الأذهان فى علم المعانى والبيان وكتاب
الدينياج الحشروانى فى ذكر أعيان المخلاف السليمانى ، وكتاب الذهب
المسبوك فى سيرة سيد الملوك ، وعقود الدرر فى تراجم القرن الثالث عشر ،
وحدائق الزهر فى أعيان العصر والدهر ، ونزهة الظريف فى دولة الشريف .
(١)

٦ - الحسين بن أحمد الجلال ، العلامة الموءلف والمجتهد ، له : ضوء النهار
على الأزهار ، وشرح الفصول فى أصول الدين ، وشرح مختصر المنتهى ،
وشرح التهذيب فى المنطق ، وشرح القلائد للإمام المهدى ، وله : قبض
الشعاع وشرحها ، وله : العصمة من الضلال ، والمذاهب شرح كافيه بن
الجاجب ، وتيسير الاعراب فى علم الاعراب .

٧ - الشيخ صالح بن مهدى المقبلى (٢) المكى الصنعانى ، له : المنار على
البحر الزخار ، والعلم الشامخ ، والالتحاف على الكشاف ، وغيرها .

٨ - حسين بن أحمد حسين السباغى (٣) زميل الشوكانى ، له : الروض النضير
أربعة مجلدات ، والروض الناضر فى آداب المناظر .

٩ - حسين بن محمد بن سعيد المغربى (٤) ، له : البدر التمام شرح بلوف المرام ،
واختصره ابن الأمير فى سبل السلام ، وله : رسالة فى حديث " اخرجوا
اليهود من جزيرة العرب " وغير ذلك .

-
- (١) المولد والوفاة : (١٠١٤ - ١٠٨٤) هـ المصدر السابق ج ١ ص ٦٩١ .
(٢) المولد والوفاة : (١٠٤٧ - ١٢٠٨) هـ انظر البدر الطالع ج ١ ص ٢٩٠ .
(٣) المولد والوفاة : (١١٨٠ - ١٢٢١) هـ المصدر السابق ج ١ ص ٢١٤ .
(٤) المولد والوفاة : (١٠٤٨ - ١١١٩) هـ البدر الطالع ج ١ ص ٢٣٠ .

الفصل الثالث

=====

" الشوكاني : نشأته وحياته " .

=====

- (١) نسبه وموطنه .
- (٢) مولده ونشأته .
- (٣) حياته العلمية .
- (أ) دعوته الى العقيدة السلفية .
- (ب) دعوته الى تطهير العقيدة من مظاهر الشرك .
- (ج) دعوته الى الاجتهاد ونيل التقليد .
- (٤) توليه للقضاء العام .

=====

=====

=====

١ - نسبه وموطنه :

(١)

الشوكاني : نسبة الى عدنى شوكان أو الى هجرة شوكان

وقد كان الشوكاني يعتز بهذه النسبة ، وهما اسمان لقرية واحدة بينهما وبين صنعاء دون مسافة يوم ، وهى قطاع صغير اشتهر بالعلم فيه ، قضاء ، زعماء ، أمراء ، علماء ، أما نسبة الصنعاني : نسبة الى صنعاء ، وقد انتقل والده الى صنعاء قبل تولي القضاء بها ، ومع هذا فلم يشغله منصب القضاء عن التدريس والعناية بولده ، فقد أعانه والده الرحيم البار على طلب العلم ، وكان هذا الوالد عفيفا راضيا باليسير ، متزهيا عن الشبهات حتى توفي عام ١٢١١ هـ بعد أن بلغ ابنه ثمان وثلاثين سنة ، وبعد أن رآه متوليا للقضاء الأكبر .

(٢)

٢ - مولده ونشأته :

ولد محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني في وسط نهار يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١١٧٣ هـ (٣) ولا مجال للاختلاف في تاريخ ميلاده بعد هذا النص منه ومن والده .

(٤)

(١) يلاحظ هنا أنه نسب الى شوكان ، على غير قياس . قال الشوكاني : أنها

(نسبة غير حقيقية) أنظر البدر الطالع ج ١ ص ٤٨١ .

(٢) الشوكاني البدر الطالع ج ٢ ص ٢١٥ وأنظر محمد حسن الغماري الشوكاني

مفسرا ص ٥٩ .

(٣) الشوكاني البدر الطالع ج ٢ ص ٢١٥ .

(٤) قد ذهب الذين ترجموا له الى تحديد تاريخ غير هذا التاريخ ، مثل السيد

محمد صديق خان ، والدكتور أحمد أمين . أنظر الاعلام للزركلى ج ٢ ص ١٩٠ ،

وزعماء الإصلاح في العصر الحديث للدكتور أحمد أمين ص ١٩٠ ، طبعة سنة

١٩٤٨ م ، وأنظر الدكتور ابراهيم هلال " ولاية الله " ص ٣ الامام الشوكاني

والاجتهاد " ص ٧ .

وفى أثناء رحلة والديه الى بلدهما لزيارة أقاربهما ولد بهجرة شوكان ،
وقد أحاطه أبوه بعناية منذ الصغر ، وأعدّه اعداداً صالحاً لما كان له بعد .
نشأ بمدينة صنعاء ، فقرأ القرآن الكريم ، وجوّده على طائفة من مشايخ
القراء ، وحفظ العديد من المتون فى الفقه والنحو ، وعلوم اللغة ، وآداب الحديث ،
والتاريخ والأدب ، والعروض ، وطالع كثيراً من كتب العلوم والفنون ، وحصل ذلك قبل
العاشرة من عمره ، وقبل أن يبدأ عهد الطلب .

ثم اتصل بمشايخه الكبار ، وشرع فى طلب العلم فدرس على البارزين من العلماء
فى عصره مختلف العلوم اللسانية ، والدينية ، والعقلية ، والرياضية ، والفلكية ،
وظل يأخذ من شيوخه وينهل منهم ، حتى استوى فى كل ما عندهم من كتب ،
واستمر يستزيد فى قراءاته الخاصة على ما ليس عندهم ، ولم يرحل الشوكانى عن
صنعاء الى غيرها فى طلب العلم لعدم اذن والديه له .

وكان الشوكانى فى أثناء دراسته ، يلقى ما يأخذه عن مشايخه الى تلاميذه
الذين اجتمعوا عليه ، ولذلك كانت دروسه تبلغ فى اليوم والليلة ثلاثة عشر درسا ،
منها ما يأخذه عن أساتذته ، ومنها ما يلقيه على تلاميذه ، واستمر على ذلك مدة .
ثم تفرغ لافادة طلاب العلم ، فكانوا يأخذون عنه فى كل ليلة زيادة على عشرة
دروس فى فنون متعددة واجتمع منها فى بعض الأوقات : التفسير ، والحديث ،
والأصول ، والمعانى ، والبيان ، والمنطق ، والفقه ، والجدل ، والعروض ، وكان
فى أيام قراءاته على الشيوخ ، وأقراءه لتلاميذه ، يفتى مدينة صنعاء ، ومن وفد اليها
بل ترد عليه الفتاوى من الديار التهامية ، وهو فى نحو العشرين من عمره ، حتى
كاد الافتاء يدور عليه وحده ، وهو فى هذه السن .

وقد أحاط — الى جانب العلوم العربية والدينية — بفنون دقيقة ، كعلم
الهيئة ، والمناظرة ، والوضع ، والطبيعة ، والرياضية ، برز فيها دون معلم
مباشر ، ودّرسها لتلاميذه .

وفى الجملة فقد دُرِسَ الشوكانى دراسة واسعة واطلع اطلاعا يندر أن يحيط به غيره فى مثل هذه السن ، ومن يرجع الى كتبه ككتاب (اتحاف الأكابر باسناد الدفاتر) وغيره ، يدرك مدى مكان عليه هذا الرجل ، من تنوع فى الثقافة واتساع فى الأفق ، وعمق فى المعرفة ، ولا غرو اذا سمعنا من يترجم له ويعرف به يقول : مفسر ، محدث ، فقيه ، أصولى ، مؤرخ ، أديب ، نحوى ، منطقى ، متكلم ، حكيم . (١)

ومذ لك قد بلغ الشوكانى مكانا ، اعترف له بها كبار العلماء فى اليمن وغيره ، حتى كان يسأله كبار السن من مشايخه عن المعضلات ، فيجيب عليها برسائل مستوفاه ، منها مكاتبة العلامة ابراهيم بن محمد بن اسحاق ، ولما جاءه الرد على الصواب قال فيه :

أيا بدر دين الله هنتأ أولا ه ه بفهمك ان الفهم أقوى الدلائل
بلغت به شأوا رفيعا ومحتدا ه ه ونلت به مالم ينل كل قائل
وحققت بالتحقيق كل مطلب ه ه وحزت مع التدقيق كل الفضائل
فكم مشكل فى العلم أوضحت جلّه ه ه فكان هو الشافى لصدور المسائل
وكم طالب منك الدليل أقمتّه ه ه فأغنى عن التوضيح عن كل ناقل
وأرويت ظمأنا بما قد رويتّه ه ه وأوضحت فى الابحاث وجه المسائل (١)

٣ - حياته العلمية :

وقد أعانتة هذه الثقافة الواسعة العميقة ، وذكاءه الخارق الى جانب اتقانه للحديث الشريف وعلومه ، على الاتجاه وجهه اجتهادية وخلع ريقة التقليد ، وهودون الثلاثين ، وكان قبل ذلك على المذهب الزيدى ، فصار علما من اعلام الاجتهاد ، وأكبره اهمة الى ترك التقليد ، وأخذ الأحكام اجتهادا من الكتاب والسنة ، فهو بذلك يعد من طليعة المجددين فى العصر الحديث ، ومن الذين

شاركوا فى ايقاظ الأمة الاسلامية والعربية فى هذا العصر .

ولما رأى الشوكانى تحلل الناس من تعاليم دينهم الحنيف ، وعكوفهم على الموبقات والمنكرات ، وأحسن منهم وطأة الجمود ، وخطر التقليد ، وشاهد الانحسار المرتبة على ذلك من زعزعة العقائد ، واعتناق الخرافات ، وشيوع البدع ، جرّد همته ، وأوقف حياته على تغيير هذه الأوضاع الفاسدة ، وتطهير العقائد الباطلة ، فقام يجاهد بالكتابة للعلماء والحكام ، ويبين ويوضح للعوام من المسلمين ويرفع النصيحة الى السلاطين والى اولى الأمر من ولاية المسلمين فى اليمن وغير اليمن .

وفى هذا الصدد يؤلف رسالة بعنوان " الدواء القاتل فى دفع العدو الصائل " بين فيها : أن الفتنة لاتزال بالبلاد ، ولا يتغلب عدوها عليها ، الا بسبب ما عليه اهلها من ذنوب ومعاصي ، عقوبة لهم ، حيث لم ينتهوا عن المنكرات ، وتفريطهم فى العمل بالشرعية المطهرة ، كما وقع من تسليط القرامطة والباطنية ثم الترك والفرنج ونحوهم . (١)

وفى هذه الرسالة ، وصف الشوكانى أحوال المجتمع وقسمه الى أصناف ثلاثة :

أولا : الرعايا الذين يأترون ، بأمر الدولة ، وينتهون بنهيها ، وأكثر هؤلاء لا يحسنون الصلوات ، ومنهم من تركها كلية ، وأهمل الصيام ، وأتى بعضهم بالفاظ كفرية ، واستغاث بغير رب البرية . (٢)

ثانيا : وهم بقية البلاد الاسلامية ، التى ليس للدولة عليها سلطان ممن لم يسكنوا المدن ، والأمراضهم أشد واقطع ، كلمة الشهادة عندهم قد ضاعت ، والفرائض قد هجرت ، لا يحسنون الصلاة .

(١) الشوكانى رسالة الدواء العاجل فى دفع العدو ص ٦٥ ضمن

مجموعة أخرى طبع السنة المحمدية .

(٢) المصدر السابق ص ٥٦ .

ثالثا : سكان المدن والأصوار ، وإن كانوا أقرب الى الخير من غيرهم إلا أن غالبهم

جهال ، يهملون ما أوجبه الله عليهم ، ولا يحسنون أركان الصلاة ،

ويتعاملون فى بيعهم وشرائهم بطرق ومسالك بعيدة عن الشرع ، وبالربا

يتعاملون ، وبألفاظ كفرية ينطقون ، وفى الصفائر والكبائر من المعاصى

(١)

ينهمكون ، ومع ذلك هم أقرب الناس وأسرعهم قبولا للتعليم .

ويوجه الشوكانى النصيحة لأئمة المسلمين ، وأعوانهم لتحمل مسئولية وتبعات

المجتمع ، فى البحث عن مباشرتهم الناس وكيفية معاملتهم ، وتفقد أحوالهم ،

واقامة دين الله وشرعه ، بالعدل فيهم .

ولاشك أن تحول الامة الاسلامية الى ما وصف الشوكانى لا يكون الا نتيجة

حتمية عن نبد كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وجمودهم على آراء

(٢)

العلماء ، واتخاذهم التشيع مذهباً ، والتصوف عقيدة ، والبدع والخرافات مسلكاً .

وهذا قد وقف الشوكانى على مواطن الداء ، وتشخيص الدواء ، وكشف

بروجه الاجتهادية عن طرق اصلاح أمر الدنيا والدين ، وهكذا دارت بحوث الشوكانى

ومؤلفاته على اساس الكتاب والسنة ، واحياء علومهما ، وهذه هى الروح الاجتهادية

التي دعا اليها القرآن الكريم وسار عليها السلف الصالح ، ويمكن أن نتبين أبعاد

حياته العلمية والعملية فى ثلاثة خطوط بارزة :

١ - دعوته الى العقيدة السلفية فى بساطتها أيام الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢ - دعوته الى تطهير العقائد وتنقيتها من مظاهر الشرك .

٣ - دعوته الى الاجتهاد ونبد التقليد .

أولا : دعوته الى العقيدة السلفية فى الأصول :

رأى الشوكانى : " أن طرق المتكلمين لا توصل الى يقين ، ولا يمكن أن تصيب

(١) المصدر السابق ص ٧٠ .

(٢) الشوكانى الدر التضييد فى اخلاص كلمة التوحيد .

الحق فيما هددت اليه ، لأن معظمها قام على أصول ظنية ، لا مستند لها
الا مجرد الدعوى على العقل والفرة على الفطرة ، فكل فريق منهم قد جعل له
أصولا تخالف ما عليه الآخرون ، وقد أقام هذه الأصول على ما رآه عنده هو صحيحا من
حكم عقله الخاص المبني على نظره القاصر ، فبطل عنده ما صح عند غيره •
وقاسوا بهذه الأصول المتعارضة كلام الله ورسوله في الالهيات ، وما يتصل
بها من العقائد (١) •

وهذه الطرق الكلامية التي بينها الشوكاني والتي تقوم على الثن من غير
مستند لها ، أدت الى التناقض في الاعتقاد ، واجتماع النقيضين الذي هو محال ،
وما هذا الا الغلط البحث الناشئ عن العصبية يقول الشوكاني :
" أصبح كل منهم يعتقد نقيض ما يعتقد الآخرون ، وكل منهم يزعم أن
العقل يقتضي ما يعتقد ، وحاشا للعقل الصحيح السالم عن تغير ما فطره الله
عليه ، أن يتعقل الشئ ، ينقيضه ، فان اجتماع النقيضين محال عند جميع العقلاء ،
فكيف يقتضي عقول بعض العقلاء أحد النقيضين ، وطول البعض الآخر النقيض ،
بعد ذلك الاجتماع ، وما هذا الا الغلط البحث الناشئ عن العصبية • (٢)

ثم جعلوا هذه الأصول معيارا لصفات الرب تعالى ، فأثبتوا لله تعالى
الشئ ، ونقيضه ، ولم ينظروا الى ما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله
فوقعوا في التناقض أمام فهم كتاب الله العزيز ، الى جانب ما ذهبوا اليه من
الباطل ، كما فعلت المعتزلة في مبدأ نفى الصفات •

ومن أعظم الأدلة على خطر النظر في كثير من مسائل الكلام ، انك لا ترى رجلا
أفرغ فيه وسعه وطول في تحقيقه بآه الا قرع سن الندامة عند بلوغ الغاية ، كما

(١) الشوكاني كشف الشبهات عن المشتبهات ص ٢٢ ، ٢٣ ، وأنظر التحف

في مذهب السلف للشوكاني ضمن الرسائل السلفية ص ٦ •

(٢) المصدر السابق ص ٢٢ ، ٢٣ ، وأنظر الشوكاني التحف في مذهب السلف

ضمن الرسائل السلفية ص ٦ ، ٧ •

(٣) الشوكاني التحف في مذهب السلف ص ٧ •

وقع من الجوينى ، والرازى ، وابن أبى الحديد ، والشهرستانى ، والغزالى ،
(١) وأمثالهم ممن لا يأتى عليهم الحصر فإن كلماتهم نظما ونثرا فى الندامة .

وما تصوره الشوكانى عن علم الكلام فى أنه لا يكسب الناس الايمان عن طريق
الأدلة الجدلية ، هو ما قرره الغزالى وانتهى اليه ابن رشد ، أن هذه الطرق
لا تصلح للجمهور ولا للعلماء ، وذلك لبعدها فى أن تكون طرقا نظرية يقينية ،
ولا طرقا شرعية يقينية ، وهى الطرق التى جاء بها القرآن الكريم ليفهم طريقها
الخاصة والعامة (٢) ومن هنا صرح الغزالى " بأن الخوض فى علم الكلام آفة ،
(٣) وأن الواجب الرجوع الى طريقة السلف لأن مذهبهم هو الحق .

ويقدم الشوكانى ما يعتبر من أهم الركائز والأسس التى يقوم عليها مذهب
السلف فى العقيدة ، وهو ما قاله الله تعالى فى كتابه الكريم : " ليس كمثله
شئ " وهو السميع البصير " (٤) ، وقوله تعالى : " ولا يحيطون بشئ من علمه الا
بما شاء " ، " ولا يحيطون به علما " (٥) فقد اشتملت هذه الكلمات على فصل
الخطاب ، وتضمنت ، اثبات صفات البارى ، ونفى مماثلة هذه الصفات للحوادث ،
وكل كلمة منها دلت دلالة بينة على أن كل ما تكلم به البشر فى ذات الله وصفاته
على وجه التدقيق ، ودعاوى التحقيق مشوب بشعبه من الجهل ، وذلك لان الله
تعالى أخبرنا أنهم لا يحيطون به علما ، فمن زعم أن ذاته كذا أو صفته كذا ، فلا شك
أن صحة ذلك متوقفة على الاحاطة به ، وقد نفيت عن كل فرد من الافراد . (٦)

(١) الشوكانى كشف الشبهات ضمن الرسائل السلفية ص ١٩ طبعة سنة ١٣٤٨ هـ .

(٢) ابن رشد مناهج الادلة فى عقائد الملة ص ١٤٨ ، ١٤٣ .

(٣) الغزالى الحام العوام عن علم الكلام ص ١٣ ، ٣٣ .

(٤) سورة الشورى : آية ١١ .

(٥) سورة طه : آية ١١٩ .

(٦) الشوكانى التحف فى مذهب السلف ضمن الرسائل السلفية ص ٩ .

وقد ندم الشوكاني على تضييع جزءاً من عمره في قراءة المختصرات والمطولات من علم الكلام ، وكانت حصيلته بعد هذه الدراسة الحيرة والخيبة لذلك يقول : " قلت هذا بعد تضييع برهة من العمر من الاشتغال به ، والاكباب على مطالعة كثير من مختصراته ومطولاته ، حتى قلت عدد الوقوف على حقيقته من أبيات منها :

وغاية ماحصلته من مباحثي ٥٥٥ ومن نظري من بعد طول التدبر
هو الوقف ما بين الطريقين حيرة ٥٥٥ فما علم من لم يلق غير التحير
على أنني قد خضت منه غماره ٥٥٥ وماقنعت نفسي بغير التبخر (١)

ثانياً : دعوته الى تطهير العقائد من مظاهر الشرك :

لقد قام الشوكاني يقوم الانحرافات التي ادخلها غلاة الشيعة والصوفية على العقيدة الاسلامية ، من مظاهر الشرك والوثنية ، فقد آلمه وأحزنه ما رآه من رفع القبور ، وبناء القباب وتجميلها على الاموات من الأئمة والاولياء ، واجتذاب العامة الى زيارتها والتمسح بها والطواف حولها ، والتوسل بأصحابها ، واعتقادهم في الاموات أن لديهم القدرة على الضر والنفع ، وشيوع هذا في الناس ، وتأصله فيهم ، وميلهم بهذا عن دعوة الله الى دعوة هو " لا الأموات والعكوف على قبورهم ، وتعظيمهم ، والذبح والنذر لهم .

فقام الشوكاني ينافح ويجاهد معلناً أن هذا هو الكفر والشرك الصراح ، وأن هذا لا يتفق مع شهادة " أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله " لأن مقتضى هذه الشهادة ، اخلاص التوحيد لله تعالى ، ولا يتم هذا الاخلاص الا بالتوجه الى الله بالدعاء والاستعانة والنداء والرجاء والخوف والنذر والذبح لله وحده لا شريك له في ذلك كما قال تعالى : " وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً " (٢) وقوله تعالى : " وعلى الله فليتوكل المؤمنون " (٣)

(١) الشوكاني المصدر السابق ص ١٠ .

(٢) سورة الجن : آية : ١٨ .

(٣) سورة ابراهيم : آية : ١١ .

والدعاء من العبادة قال تعالى : " ادعوني أستجب لكم " (١)

" ولا شك أن من اعتقد في ميت أو حي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه إما استقلالاً أو مع الله تعالى أو ناداه أو توجه إليه أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق فلم يخلص التوحيد لله ، ولا أفرد به بالعبادة " .

" ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه حجراً أو شجرة أو ملكاً أو شيطاناً كما كان يفعل ذلك الجاهلية ، وبين أن يكون انساناً من الأحياء أو الاموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين " (٢)

ويندد الشوكاني بمظاهر الشرك الذي وقع في بلاد اليمن كما وقع في غيرها من النداء والاستغاثة بغير الله يقول : " ومن أنكر حصول النداء للاموات والاستغاثة بهم فليخبرنا ما معنى ما نسمعه في الاقطار اليمنية من قولهم يا ابن العجيل ، يا زيلعي ! يا فلان يا فلان . وهل ينكر هذا منكر أو يشك فيه شك ؟ ، وما عدا ديار اليمن فالأمر فيها أطم وأعم ، ففي كل قرية ميت يعتقد أنه ينادونه " (٣)

ثم بين الشوكاني أدلة النهي عن رفع القبور والقباب وبناء المساجد عليها ، واتخاذ السرج لها " فالرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن رفع القبور ، وبناء المساجد عليها واتخاذ السرج ، فقد أخرج مسلم ، عن أبي الهيثم الأسدي قال : " ألا بعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته " (٤)

ولا شك أن تشييد القبور ورفع القباب عليها وتجميلها من شأنه أن يوحى بالعظمة في نفس الزائر من العوام ، فيقع في الكفر من حيث لا يشعر . فلهذا

(١) الشوكاني الدر المنصيد في اخلاص كلمة التوحيد ص ١٥ .

(٢) المصدر السابق ضمن الرسائل السلفية ص ١٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠ ج .

(٤) الشوكاني شرح الصدور ص ٨ وأنظر الدر المنصيد ص ١٤ .

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اضاءة القبور أو بنائها بالجص وما يشبهه .
وقد جهر الشوكاني بهذه الدعوة للعوام والخواص ومما كتبه يشنع فيه على
بعض الخواص ، ممن نسوا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لذلك
نراه يرد بشدة على "يحيى بن حمزة" ^(١) فى قوله : لا بأس بالقباب والمشاهد على
قبور الفضلاء والملوك لاستعمال المسلمين .

فأعلن الشوكاني : أن هذا كان أول نداء بهذه البدعة صدر فى الديار
اليمنية ، وقد تابعه المؤلفون فى الفقه بهذا التصريح والجواز تقليدا لله ،
واقترابا به ، فأبطل هذه الفتوى بأدلتها من الكتاب والسنة بمثل قوله صلى الله
عليه وسلم " كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد " ^(٢)

وبرد الشوكاني على "يحيى بن حمزة" وأمثاله دليل واضح على أن التقليد
وترك الاجتهاد كان له أثره السيئ ونتيجته الوخيمة فى تشويه العقيدة ، وأن
الرجوع الى الكتاب والسنة فى كل قول أو عمل أو اعتقاد هو الصحيح .

وقد أخذت هذه الدعوة الى تطهير العقائد من مظاهر الشرك حيذا كبيرا من
حياة الشوكاني وجهاده واجتهاده ، حتى صار فيها فى اليمن ، كابن تيمية فى مصر
والشام ، وكابن عبد الوهاب فى الحجاز وضواحيها ولاقى من جرائها الكثير من
المتعصبين ، والمقلدين ، وامتدحه كثير من العلماء على تمسكه بالكتاب والسنة
والدعوة اليها ، وعانده من أبناء عصره فى دعوته الجهرية والمتعصبين ، حتى إشار
بعضهم الى خليفة العصر أن يحبسها ويخرجه من موطنه ، كما أشاروا بأحراق
جميع كتبه ، ولكن غياة الله لاهل العلم ، ودفاعه عن ورثة الانبياء ، وقاه الله
تعالى شره ولا .

(١) من كبار أئمة الزيدية فى اليمن (ولد سنة ٦٦٩ هـ وتوفى سنة ٧٤٧ هـ) .

(٢) الشوكاني شرح الصدور بتحريم رفع القبور ص ٩ وما بعدها .

ومن قوله ينمى على قومه لمعاداتهم السنة ، وعدائهم الدعوة الى الحق يقول :
يافرقة ضيقت اعلامها سفها ٥٥٥ وصيرت رأس أهل العلم كالذنب
ماقام رب علوم فى دياركم ٥٥٥ الا وجرعتموه أكفوس الكرب
خلائق قد سقاكم سوء مشربها ٥٥٥ أسلاف سوء لكم فى سالف الحقب
من قال قال رسول الله بينكم ٥٥٥ غدا بذ اعدكم من جمله النصب
فان يقل قال اشياخ الفروع كذا ٥٥٥ قلت أصبت وفى التحقيق لم يصب
جعلتم المذهب الزيدى بينكم ٥٥٥ على جلالته أعجوبة العجب
عاديتهم السنة الغراء فكان بذ ا ٥٥٥ دعوى خصومكم موصولة النسب (١)
..... الخ وهى طويلة .

ثالثا : دعوته الى الاجتهاد ونبذ التقليد :

وقد خص الشوكانى هذا البحث بموءلفات عظيمة مثل كتاب
أدب الطلب ومنتهى الأرب ، والقول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد ، كما تعرض
الشوكانى لهذا الموضوع فى كثير من كتبه ، فى التفسير كلما سنحت له الفرصة ،
منددا بتقليد السادة والآباء والأجداد كما هو واضح فى كتابه ارشاد الفحول ،
وفى بعض الرسائل كالدر النضيد فى اخلاص كلمة التوحيد ، وبغية المستفيد فى
الرد على من أنكروا الاجتهاد والتقليد .

فالمعروف أن المقلد ، لا يسأل عن كتاب الله ولا عن سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وإنما يسأل عن مذهب إمامه فقط ، وإذا جاوز ذلك الى السؤا
عن الكتاب والسنة فليس بمقلد ، لقوله تعالى : " فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون " (٢) فالآية حجة على المقلدين ، وليست بحجة لهم ، لان المراد :
أنهم يسألون أهل الذكر ليخبروهم به ، والجواب من المسئولين أن يقولوا قال
الله تعالى : كذا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذا ، فيعمل

(١) د . محمد وحسن الغمارى الشوكانى مفسرا ص ٦٨ .

(٢) سورة الانبياء : آية : ٧ .

السائلون بذلك وهذا غير ما يريد . المقلد المستدل بالآية الكريمة فانه انما استدل بها على جواز ما هو فيه من الأخذ بأقوال الرجال من دون سوء ال عن الدليل ، فان هذا هو التقليد ، ولهذا عرفوه : بأنه قبول قول الغير من دون مطالبة بحجة " (١)

وعلى هذا السبيل دعا الشوكاني ليحرر الناس من الجهل المطبق ، ففى عصر كانت مدارسه الاسلامية فى كل قطر تعتبر الخروج عن نص المذاهب تردى فى هوة الضلال ، ومن شأن هذا الجمود ، وعدم التفكير أن يفكك روابط الدين ، ويقطع أو اصرع عروته .

وهذه الدعوة التى قام بها الشوكاني مع من دعا بها من قبل ومن بعد ، كان خلاص المجتمعات من الفساد فى العقيدة ، والتقليد بدون النظر ، واهمال دعوة الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم .

ومن هنا ذهب الشوكاني : " الى أن ترك الاجتهاد من القادر عليه كفر وشرك ، لأنه تعطيل لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واحلال لقول صاحب المذهب محلها " (٢)

فالشوكاني فى هذا وان كان قد تشدد فى الحكم على المقلد اقلاد على الاجتهاد بالشرك الا أنه يعبر عن الروح الاجتهادية لدى الأئمة السابقين ، فالغزالي (٣) يوجب الاجتهاد على القادر عليه ، لانه غير عاجز ، فينبغى أن يطلب الحق بنفسه ، فالعالم المقلد : قادر على معرفة ما يعرفه امامه الذى يقلده ، ومن الممكن أن يتوصل بنفسه الى ما يريد ، وكيف يبنى الامر على عمية كالعميان ؟

(١) الشوكاني القول المفيد فى ادلة الاجتهاد والتقليد تحقيق د . ابراهيم

هلال ص ١١١ .

(٢) الشوكاني القول المفيد فى ادلة الاجتهاد تحقيق د . ابراهيم هلال ص ١١١

(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ وصاحب

كتاب احياء علوم الدين المشهور .

وهو بصير بنفسه ؟ (١)

وقد بالغ المقلدة فى تعصبهم لأئمتهم ، حتى اعتقدوا فيهم العصمة عن الخطأ فى الاحكام ، فحمل عليهم الشوكانى وندد بهم مبينا أن المجتهد نفسه لا يدعى العصمة ولا يعدون الحق وفقا عليهم •

وقد ذلل الشوكانى الصعاب أمام المجتهد فبين أن الاجتهاد ليس بالأمر الذى يتطلب تفوقا فى الاحاطة بعلوم الاجتهاد ، وعلم السنة ، وانما يكفى فيه أن يكون على علم من لغة العرب ، بحيث يستطيع أن يفهم كتاب الله العزيز ، وبعض مهمات كليات أصول الفقه ، والاطلاع على كتب السنة المطهرة التى جمعها الأئمة المعتبرون كالصحيحين وما يلتحق بهما • (٢)

وقد رد الشوكانى على مقلدى العالم الاسلامى بعبارات الائمة كمالك وأبى حنيفة ، والشافعى ، وابن حنبل وغيرهم من علماء الاجتهاد الذين قالوا : اذا صح الحديث فهو مذهبهم أو بعبارة أخرى بهذا المفهوم ، ومن ثم نهوا عن تقليدهم " (٣) •

ومعكوف المقلدين واصرارهم رأى الشوكانى أنهم قد خرجوا على منطق الحياة ، وسنن الكون لادعائهم أن الله تعالى قد رفع ما تفضل به على من قبلهم من الائمة من كمال الفهم ، وقوة الادراك وبلوغ الاستعداد للمعارف ، وهذه دعوى من أبطل الباطلات ، بل هى جهالة من الجهالات ، فان نهاية العالم ليست كبدائته ، بل هو سائر فى طريق التطور ، والكمال ، والنضج العقلى ، عن طريق ازدياد المعارف وتطورها • (٤)

(١) الغزالى المستصفى فى علم الأصول ص ١٢٢ •

(٢) ارشاد الفحول للشوكانى ص ٢٢١ •

(٣) الشوكانى القول المفيد ص ٣٣ •

(٤) الشوكانى ارشاد الفحول ص ٢٢٣ ، والبدر الطالع ج ٢ ص ٨٤ ، ٨٥ •

وجه التفسير الذى ذكره الشوكانى أمام المجتهد فى هذا العصر والذى
يأتى بعده واضح من أن تفاسير الكتاب العزيز قد دنت ، وكذلك كتب السنة المطهرة ،
وتكلم الائمة فى التفسير ، والتجريح والتصحيح والترجيح ، بما هو زيادة على
(١) ما يحتاج اليه المجتهد .

وهذه العبارات التى وضحت لنا آراء الشوكانى فى التقليد ، وأبرزت أهمية
الاجتهاد ، وأظهرت أنه عالم عامل متمكن ومقتنع بما يقول ، نستطيع أن نحكم على
الشوكانى أنه بقاء بقوة اليقين ، وشدة التدين ، والمحافظة على كتاب الله تعالى
وسنة رسوله قولاً وعملاً وتطبيقاً ، ولذلك نراه أوقف بعض كتبه على بيان وجوب
الاجتهاد وعدم جواز التقليد كما بينت ذلك فى بداية الموضوع .

ومن أقوال الشوكانى وأشعاره فى التشديد بالمقلدين وتصوير لآحوالهم
تسمع فى كتابه " أدب الطلب " هذه الأبيات فيقول :

يا غارقين بشوئم الجهل فى بدع ٥٥٥ ضافرين عن الهدى القويم هـدوا
ما باجتهاد منى فى العلم منقصة ٥٥٥ النقص فى الجهل لا حياكم الصمد
لا تتكروا مورداً عذبا ٥٥٥ لشاربه ٥٥٥ ان كان لا بد من انكاره مردوا
(٢)

٤ - توليه للقضاء العام :

ظل الشوكانى مجتمعاً عن بنى الدنيا ، فما صحب أحداً من أهلها ،
ولا خضع لمطلب من مطالبها ، راغباً فى مجالسة أهل العلم والأدب ، والاستفادة
منهم وافادتهم (٣) ، وأعطى نفسه تفرغاً للاطلاع ، والتأليف ، وكثرة الانتاج
والتدريس ، وكفاء والده وسائل العيش وأسباب الحياة فترة طويلة ، وظل منعكفاً
عن السياسة والحكم ، منعزلاً عن طلاب الدنيا كما تكلم عن نفسه .

(١) الشوكانى الاجتهاد والتقليد تحقيق د . ابراهيم هلال ص ٥٧ .

(٢) الشوكانى الاجتهاد والتقليد تحقيق د . ابراهيم هلال ص ٥٩ .

(٣) الشوكانى البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٤ .

وظل هكذا الى أن أختير للقضاء وهو فى السادسة والثلاثين من عمره سنة

١٢٠٩ هـ ، فتولى القضاء العام فى مدينة صنعاء ، خلفا لكبير القضاة باليمن القاضى

" يحيى بن صالح الشجرى السحولى الذى كان مرجع العامة والخاصة ، وعليه المعمول فى الرأى والاحكام ، ومستشار الامام والوزارة .

وبعد موت القاضى المذكور بنحواً سبوع لم يشعر الشوكانى الا بطلاب الخليفة يطلبونه لتولى القضاء ، فتردد لفترة طويلة ، ثم وجد الخاخا من كبار العلماء والاعيان مجتمعين على أن الاجابة واجبة ، خشية أن يدخل فى هذا المنصب من لا يوثق بدينه وعلمه ، فقبل الشوكانى ذلك مستعينا بالله ومتوكلا عليه . (١)

وظل الشوكانى متوليا القضاء الأكبر لأئمة ثلاثة هم :

أولهم : المنصور على بن المهدي عباس ، ولد سنة ١١٥١ هـ وتوفى سنة ١٢٢٤ هـ ومدة خلافته ٢٥ سنة .

ثانيهم : ابنه المتوكل على بن أحمد المنصور على ولد سنة ١٢٢٠ هـ وتوفى سنة ١٢٣١ هـ وكان حازما نبيلاً ، ومدة خلافته نحو سبع سنوات .

ثالثهم : المهدي عبد الله ، ولد سنة ١٢٠٨ هـ وتوفى سنة ١٢٥١ هـ ومدة خلافته عشرين سنة .

وقد كان تولى الشوكانى للقضاء كسبا كبيرا للحق والعدل ، فقد أقام سوق العدالة ، وأنصف المظلوم من الظالم ، وأبعد الرشوة ، وخفف من غلواء التعصب ، ودعا الناس الى الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يشغله أو يغيره ، منصب القضاء والسياسة أن يسير فى الناس احسن سيرة ، كما كان متمتعاً بين رجال الحكم بشخصية قوية ، مستعينا بهم على تنفيذ أوامر الشرع حتى على أقرب الاقربين اليهم . (٢)

(١) الشوكانى البدور الطالع ج ١ ص ٤٦٥ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٦٥ .

١ — أساتذته :

نذكر منهم :

- (١) ١ — والده على بن محمد الشوكاني .
- (٢) ٢ — السيد عبد الرحمن بن قاسم الميداني .
- (٣) ٣ — العلامة أحمد بن عامر الحداني .
- (٤) ٤ — السيد العلامة اسماعيل بن الحسن بن أحمد بن الامام القاسم بن محمد .
- (٥) ٥ — العلامة القاسم بن يحيى الخولاني .
- (٦) ٦ — العلامة عبد الله بن اسماعيل النهمي .
- (٧) ٧ — العلامة الحسن بن اسماعيل المغربي .
- (٨) ٨ — السيد الامام عبد القادر بن أحمد الكوكباني .
- (٩) ٩ — السيد العلامة على بن ابراهيم بن على بن ابراهيم بن أحمد بن عامر .

- (١) توفي سنة ١٢١١ هـ .
- (٢) توفي سنة ١٢١١ هـ ، وكان شيخ الشوكاني في الفروع .
- (٣) توفي سنة ١١٩٧ هـ ، وكان قد قرأ عليه الشوكاني في الفقه والفرائض ، ووصفه الشوكاني بالزهد ، والمكانة في الدين .
- (٤) توفي سنة ١٢٠٩ هـ ، وكان شيخ الشوكاني في العربية .
- (٥) توفي سنة ١٢٠٦ هـ ، قال عنه الشوكاني : كان شيخا الأكبر لازمتـه وانتفعت به في أوائل الطلب في النحو والصرف والمنطق والاصول والمصطلح .
- (٦) توفي سنة ١٢٢١ هـ ، قرأ الشوكاني عليه النحو والصرف والمنطق والحديث والاصول ، وصفه الشوكاني بالكرم وحسن الخلق .
- (٧) توفي سنة ١٢٠٨ هـ ، درس عليه شرح الشمسية للعطف وحاشيته للشريف .
- (٨) ينتهي نسبه الى الامام المهدي أحمد بن يحيى ، قال الشوكاني : لم ترعيني مثله في كمالاته توفي سنة ١٢٠٧ هـ .
- (٩) توفي سنة ١٢٠٧ هـ ، ذكره الشوكاني بأنه كان اماما في جميع العلوم ، محققا لكل فن .

- (١) ١٠ - السيد العارف يحيى بن محمد الخولى .
- (٢) ١١ - القاضي عبد الرحمن بن حسن الأكوخ .
- (٣) ١٢ - صديق على المزجاجى العلامة الحنفى .

-
- (١) ولد سنة ١١٦٠ هـ وهو شيخ الشوكانى فى علم الفرائض زوالوصايا ، والضرب
والمساحة ، وتوفى سنة ١٢٤٧ هـ .
 - (٢) توفى سنة ١٢٠٦ هـ .
 - (٣) ولد سنة ١١٥٠ هـ ، وتوفى سنة ١٢٠٩ هـ شيخ الشوكانى بالاجازة فى
الحديث وغيره .

ثانيا : تلاميذه :

وهم جم عثير ولكن نكتفى بطائفة منهم :

١ - السيد محمد بن محمد زيارة الحسنى اليمنى الصنعانى الذى ترجم للشوكانى فى كتابه (نيل الأوطار) والذى ساهم فى نشر بعض مؤلفات الشوكانى فى مصر ، وهو من الجيل الثانى من تلاميذ الشوكانى ، توفى سنة ١٣٨١ هـ .

٢ - أحمد بن عبد الله الضمدى ، ولد سنة ١١٧٤ هـ وتوفى سنة ١٢٢٢ هـ أخذ عن الشوكانى وغيره ولكن صلته به كانت أكثر ، صار المرجع اليه فى التدريس ، والافتاء فى " ضمد " وما حولها ، وله أسئلة عديدة الى لستاذة الشوكانى ، أجاب له عنها فى رسالة سماها " العقد المنضد " فى جيد مسائل علامة " ضمد " (١) وله مؤلفات . (٢)

٣ - القاضى محمد بن حسن الشجنى الدنارى ، ولد سنة ١٢٠٠ هـ وسمع على الشوكانى ، وأجازه اجازة علمية عامة ، ويعتبر أول من ترجم للشوكانى بإفاضة ومن جميع النواحي فى كتابه " التقصار " وكان شاعرا أدبيا ، وتوفى سنة ١٢١٦ هـ (٣)

٤ - (ابنه) القاضى أحمد بن محمد الشوكانى ولد فى سنة ١٢٢٩ هـ وكان له الاشتغال التام بمؤلفات والده ، حتى حاز من العلم السهم الوافر ، وانتفع به الكثير من الأكابر ، وتولى القضاء العام بمدينة صنعاء ، وله مؤلفات مفيدة . (٤)

٥ - القاضى عبد الله بن محمد العنسى الصنعانى ولد سنة ١١٩٠ هـ وتوفى سنة ١٢٤١ هـ ، قرأ على الشوكانى فى غالب الفنون وف بعض مؤلفاته ، ومدحه الشوكانى فأطنب . (٥)

(١) البدر الطالع ج ١ ص ٧٧ ، وسماها الشوكانى فى رواية أخرى (عقود الزبرجد)

وأنظر البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٠ .

(٢) نيل الوطر ج ١ ص ١٣٥ ، والنقصار ص ١٠٩ .

(٣) نيل الوطر ج ٢ ص ٢٥٧ .

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٢١٥ المطبعة السلفية .

(٥) الشوكانى البدر الطالع ج ١ ص ٣٩٩ ، ونيل الوطر ج ١ ص ١٣٥ ، والنقصار ص ١٠٦ .

٦ - السيد عبد الله بن عيسى الكرلبانى ولد سنة ١١٧٠ هـ وتوفى سنة ١٢٢٤ هـ ، قال مؤلف " نفحات العنبر " أنه ولد سنة ١١٧٠ هـ وشارك الشوكانى فى الأخذ على بعض مشايخه ، وقرأ عليه فى النحو والمعانى ، والبيان والصرف والحد يث ، وحدث بينه وبين الشوكانى مناظرة ، وألف رسالة سماها " ارسال المقال الى حل الاشكال " وقد أجابه الشوكانى برسالة سماها " تفويق النبال الى ارسال المقال " وله كتاب سماه " الحدائق " وآخر سماه " اللواحق بالحدائق " (١) .

٧ - على بن أحمد بن الحسن الظفرى الحسنى الصنعانى ولد سنة ١٢٠٠ هـ وتوفى سنة ١٢٧٠ هـ ، قرأ على أعيان صنعاء ، وعلى الشوكانى فى غالب الفنون من نحو وصرف وعلوم البلاغة والمنطق وكثيرا من كتب الحديث ، وتولى القضاء بالحديدة وأتى عليه الشوكانى وغيره بالفهم والعلم . (٢)

٨ - على بن اسماعيل المتوكل الشهارى ، ولد سنة ١١٥١ هـ وتوفى سنة ١٢٣٠ هـ ، قرأ على أعيان صنعاء ومنهم الشوكانى فى نيل الاوطار ، والسييل الجرار ، وفتح القدير ، وله كتاب سماه " السفينة " كله ديوان شعر قال الشوكانى : فى الذروة من البلاغة . (٣)

٩ - على بن يحيى ابوطالب الحسنى ، ولد سنة ١١٥٩ هـ وتوفى سنة ١٢٢٦ هـ ، قرأ على أعيان صنعاء كما قرأ على الشوكانى فى كتب الحديث ، والنحو والتفسير والمنطق وغير ذلك ، وكان متصدرا للتدريس فى الصحيحين والسنن والتفسير والفتنه . (٤)

-
- (١) الشوكانى البدر الطالع ج ١ ص ٣٩١ ، ونيل الوطر ج ٢ ص ٩٢ .
(٢) نيل الوطر ج ٢ ص ١١٧ ، والنقصار ص ١١٤ .
(٣) الشوكانى البدر الطالع - ج ١ ص ٤٣٣ ، ونيل الوطر ج ٢ ص ١٢٥ ، والنقصار ص ١١٥ .
(٤) الشوكانى البدر الطالع ج ١ ص ٥٠٢ ، ونيل الوطر ج ٢ ص ١٦٥ .

١٠ — السيد القاسم بن أحمد بن عبد الله نعمان ، ولد سنة ١١٦٦ هـ وتوفي سنة ١٢٣٩ هـ ، قرأ على الكثير في فنون عديدة ثم اتصل بالشوكاني فقرأ عليه العربية والحديث ، وله نظم رائق وانتقاد على الصوفية ، وجهه إلى شيخه الشوكاني رحمه الله تعالى .
(١)

ونكتفى بذكره ولا ، والا فهم مئات بل آلاف .

(١) الشوكاني البدر الطالع ج ٢ ص ٣١ ، ونيل الوطر ج ٢ ص ١٢٣ ،
والنقصار ص ١١٨ .

ثالثا : كتبه وموفاته التى لاتزال مخطوطة :

- ١ - الابحاث البديهة فى نوجوب الاجابة الى أحكام الشريعة .
- ٢ - الابحاث الرضية فى الكلام على حديث الدنيا رأس كل خطية .
- ٣ - ابطال دعوى الاجماع على تحريم مطلق السماع .
- ٤ - ابطال دعوى الاختلال فى حل الاشكال .
- ٥ - اتحاف المهرة فى الكلام على حديث لاعدوى ولا طيره . (٢)
- ٦ - الاثبات فى التقاء ارواح الأحياء والأموات . (٣)
- ٧ - ارشاد الاعيان الى تصحيح ما فى عقود الجمال .
- ٨ - أدب الطلب ومنتهى الأرب . (٤)
- ٩ - ارشاد الغيبى الى مذهب أهل البيت فى صحب النبى . (٥)
- ١٠ - ارشاد المستفيد الى دفع كلام ابن دقيق العيد . (٦)
- ١١ - اشراق الطلبة فى عدم الاعتداء بالركعة عن الجمعة . (٧)
- ١٢ - اشراق التبرين فى بيان الحكم اذا اختلف أحد الخصمين . (٨)
- ١٣ - اطلاع أرباب ذوى الكمال على ما فى رسالة الجلال من الاختلال .

-
- (١) النقصار ص ٢٤ .
 - (٢) مكتبة الجامع بصنعاء رقم ٤ مجاميع المتوكلية .
 - (٣) مكتبة الجامع بصنعاء رقم ٢٢ من الفتح الربانى مجاميع المتوكلية .
 - (٤) حققه ونشره مركز الدراسات والأبحاث اليمنية .
 - (٥) يوجد بالفتح الربانى بمكتبة جامع صنعاء تحت رقم ٥٤ مجاميع .
 - (٦) الشوكانى مقدمة فتح القدير ص ٢٢ ، والبدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٠ .
 - (٧) الشوكانى الفتح الربانى ٢٨ من مجموع ٨٣ مكتبة جامع صنعاء .
 - (٨) المصدر السابق وأنظر البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٠ .

- ١٤- افادة السائل في العشر المسائل (١)
- ١٥- اقناع الباحث بدفع ما ظنه دليلا على جواز الوصية للوارث (٢)
- ١٦- الايضاح لمعنى التوبة (٣)
- ١٧- ايضاح الدلالات لأحكام الخيارات (٤)
- ١٨- ايضاح الدلائل على ما يجوز بين الامام والمأموم من الحائل (٥)
- ١٩- ايضاح القول في اثبات العدل (٦)
- ٢٠- بحث في الاستدلال على كرامات الأولياء (٧)
- ٢١- بحث في الاستبراء ضمن الفتح الرباني رقم ١
- ٢٢- بحث في الاضرار بالخيار رقم ٥٦ مجاميع متوكلية
- ٢٣- بحث في التصوير بعدم جوازه (٨)
- ٢٤- بحث في أن اجابة الدعاء لا ينافي القضاء (٩)
- ٢٥- بحث في بيع المشاع من تعيين الفتح الرباني لرقم ٣٨
- ٢٦- بحث في بيع وقف الذرية ضمن مجموع ٥٠ متوكلية رقم ٢٣
- ٢٧- بحث في تبادر اللفظ عند الاطلاق الفتح الرباني رقم ٨٣ مجاميع الجامع
- المقدس بصنعاء
- ٢٨- بحث في سوء ال يتعلق بالصلاة رقم ٤٥ من مجموع ٥٩ متوكلية

-
- (١) من مجموع ٥٩ متوكلية
- (٢) رقم ٢٤ الفتح الرباني من مجاميع المتوكلية
- (٣) ضمن مجاميع المتوكلية رقم ٥٩
- (٤) ضمن الفتح الرباني رقم ٨٣ بمكتبة جامع صنعاء
- (٥) المصدر السابق رقم ٣
- (٦) المصدر السابق رقم ٩
- (٧) رقم ٤٠ من مجموع ٥٩ متوكلية
- (٨) ضمن مجموع ٨٣
- (٩) رقم ٤١ من مجاميع ٥٩ ، وذكره في ولاية الله تعالى

٢٩- بحث فيما اشتهر على لسان الناس أنه لا عهد لظالم • الفتح الرباني ٣٨ •

٣٠- بحث في السجود المنفرد ضمن (٥٠) متوكلية •

٣١- بحث في الكلام على الذكر والجهربه • مجموع ٨٣ مجاميع الجامع المقدس •

٣٢- بحث فيما تفعل الفاء من الانشاءات ضمن مجموع (٥٠) متوكلية • ضمن

الفتح الرباني •

٣٣- بحث في الرد على الزمخشري في استحسان بيت المعية في سورة سبحان

رقم ٨٣ مجموع ٥٠ متوكلية •

٣٤- بحث في التصوف تحت اسم الصوامر الحدالاقاطعة لعلائق مقالات في ذوى

الاحاد •

٣٥- بحث في تحريم الزكاة على الهاشمي الفتح الرباني رقم ٩ من مجاميع رقم (١)

الجامع المقدس •

٣٦- بحث في حال الاموات في البرزخ الفتح الرباني رقم (١) مجاميع فهرس قديم •

٣٧- بحث في امتناع الزوجة حتى يسمى المهر رقم (١) من الفتح الرباني ٨٣ متوكلية •

٣٨- بحث في نجاسة الدم من الخيل ومن بنى آدم الفتح الرباني ٢٦ مجاميع

(١) متوكلية •

٣٩- بحث في الربا رقم ٣٠ مجاميع رقم (١) •

٤٠- بحث في حديث انما الاعمال بالنيات الفتح رقم ٩ - ٥٩ من مجاميع متوكلية •

٤١- بحث في اختلاف النقد المتعامل به الفتح الرباني رقم ٣٨ - مجاميع متوكلية •

(١)

٤٢- بحث في شرح حديث فدين الله أحق أن يقضى • الفتح الرباني ٣٨ •

٤٣- بحث في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هل يكفى الرمز اليها خطأ

أولابد من كتبها كاملة •

(٢)

٤٤- بحث في الصوم لى وأنا أجزى به •

٤٥- الأبحاث الحسان المتعلقة بالعارية والشركة والتأجير والرهن الفتح الرباني ٤٥ •

- ٤٦ - بحث هل الأمثال خير من الأدب أو العكس ضمن الفتح الريانى رقم ٨٣ .
- ٤٧ - بحث فى الطلاق المشروط ضمن الفتح الريانى رقم ١٧ .
- ٤٨ - بحث فى وقف على أولاده دون زوجته ضمن الفتح الريانى رقم ٦٣ .
- ٤٩ - الأبحاث الوفية فى الشركة العربية . (١)
- ٥٠ - بحث فى العمل بالخط ضمن الفتح الريانى رقم ٢٧ .
- ٥١ - بحث فى وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وغيرها
- الفتح الريانى رقم ٨٣ الجامع المقدس .
- ٥٢ - بحث فى رضاع الكبير هل يقتضى التحريم أولا ؟ الفتح الريانى رقم ٣٢ .
- ٥٣ - بحث فى العين المسروقة اذا وجدها المالك الفتح الريانى رقم ٤٨ .
- ٥٤ - بحث فى اخراج أجرة الحاج من رأس المال ولم يجزه الا التبرع الورشة الفتح الريانى رقم ٨٣ .
- ٥٥ - بحث فى قاذف الرجل وما عليه من الحد المصدر السابق .
- ٥٦ - بحث فى مسائل الوصايا التى يثرب عليها الضرر الفتح الريانى رقم ٥٠ رقم ٨٣
- متوكلية .
- ٥٧ - بحث فى نقض الحكم اذا لم يوافق الحق وقد بين المؤلف أنه ينقض كما فى كتاب عمر لأبى موسى فى القضاء الفتح الريانى رقم ٨٣ متوكلية .
- ٥٨ - بحث فى صلاة السفر ، وهو جواب عن سوء الورد من بعض علماء زبيد الفتح الريانى رقم ٨٣ مجاميع متوكلية .
- ٥٩ - بحث فى حفلة المولد النبوى ، قال : لم أجد فى جوازه دليلا وأول من اخترعه السلطان المظفر أبو سعيد فى القرن السابع ، وأجمع المسلمون أنه بدعة وقى آخره حرره محمد بن على الشوكانى سنة ١٢٠٤ هـ . (٢)

(١) موجودة طرف الدكتور محمد حسن الغمارى بخط القاضى على بن أحمد الجندابوى

فى ١٨ ص مقاس ٢٠ / ١٦ سم .

(٢) الفتح الريانى رقم (٦) من مجموع ٨٣ مجاميع المقدس .

- ٦٠ — بحث في وجوب الامساك اذا دخل رمضان ولم يعلموا ذلك الا نهارا هل يجب الامساك أولا .
- ٦١ — بحث فيمن أجبر على الطلاق فقال : فيه مذهبان الأول : يقع ، والثاني : لا يقع وهو مذهب أهل البيت وهو الراجح . الفتح الرباني ١/٩ رقم ٨٣ مجاميع الجامع المقدس .
- ٦٢ — بحث في التعليق على الفوائد لابن القيم .
- ٦٣ — بحث في تكثير الجماعات في مسجد واحد الفتح الرباني رقم (١) الجامع المقدس .
- ٦٤ — بحث في الحد التام والحد الناقص ، المصدر السابق .
- ٦٥ — بحث في الرد على من قال : ان علوم الناس تسلب عنهم في الجنة ، المصدر السابق .
- ٦٦ — بحث فيما يقتضى التحريم من الرضاع ، واختار أنه لا يحرم الا خمس رضعات المصدر السابق .
- ٦٧ — بحث في المحاريب هل هي بدعة أولا ؟ المصدر السابق .
- ٦٨ — بحث في العمل بالمرقومات الفتح الرباني رقم ٨٣ مجاميع الجامع المقدس .
- ٦٩ — بحث في الجواب على من قال : أنه يتعرض لمن حفظه ضعف من الصحابة ، ضمن الفتح الرباني رقم (١) مجاميع المقدس .
- ٧٠ — بحث في الكلام على حديث اذا اجتهد فأصاب الخ ، ضمن الفتح الرباني رقم (١) الجامع المقدس .
- ٧١ — بحث في دفع من قال : أنه يستحب الرفع في السجود . المصدر السابق .
- ٧٢ — بحث في يمين التعنت التي يطلبها المتخاصمان وقرر أنها تلزم اذا كان منكرا ، ضمن مجموع (١) الجامع المقدس من مجاميع ٥٩ المتوكلية ، ١٣ الفتح الرباني .
- ٧٣ — بحث في شرح حديث بنى الاسلام على خمس الخ الفتح الرباني رقم ٨٣ مجاميع الجامع المقدس .
- ٧٤ — بحث في شفعة الجار ضمن مجاميع المتوكلية رقم ٥٠ .
- ٧٥ — بحث في النهي عن مودة أهل السوء ، ضمن مجموع ٥٩ متوكلية .

- ٧٦ — بحث في هل يجوز قضاء المقلد ضمن مجموع المتوكلية رقم ٥٠ •
- ٧٧ — بحث فيمن أوصى بالثلث قاصدا احرام الوارث المصدر السابق •
- ٧٨ — بحث فيمن قرأ ولم يشق القاف هل تجزى صلاته أولا ؟ المصدر السابق •
- ٧٩ — بحث في كون الولد يلحق بأمه كابن الملاعة والأمه ، ومجهول النسب ضمن مجموع ٥٩ المتوكلية •
- ٨٠ — بحث في كون سبب التفرق هو علم الرأي مجاميع متوكلية ٥٩ •
- (١) ٨١ — بحث في شرح قوله صلى الله عليه وسلم : الدنيا ملعون ما فيها ٥٠ متوكلية •
- ٨٢ — بحث في مؤاخاة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الصحابة رقم ٣١ من مجاميع ٥٩ •
- ٨٣ — البحث المسفر عن تحريم كل مسكر ومفتر ، البدر الطالع (٢) والنقصار ، وفتح القدير (٣) •
- ٨٤ — بحث في الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة رقم ٨ من مجاميع ٥٩ متوكلية •
- ٨٥ — بحث في مستقر الأرواح بعد الموت رقم ٣٧ من مجموع ٥٩ متوكلية •
- ٨٦ — البحث العلم المتعلق بقوله تعالى " الا من ظلم " (٥) الفتح الرباني رقم ٣ •
- ٨٧ — بحث فيما يتعلق بعورات النساء رقم ٥٧ من مجموع ٥٠ متوكلية ، والفتح الرباني رقم ٨٣ •
- (٦) ٨٨ — بحث في وجوب محبة الله رقم ٣٢ مجاميع متوكلية ، ط دار النهضة •
- ٨٩ — بحث في العمل بقول المفتي رقم ٣٦ من مجموع ٥٩ متوكلية •

(١) وقد قوى الحديث وبين معنى لعلتها انما يكون بالتكالب عليها ، دون مراعاة لحق الآخرة •

(٢) ج ٢ ص ٢٢٠ •

(٣) ص ٦١ مخطوط بمكتبة محمد الاكوع •

(٤) مقدمة الفتح القدير ص ٨ •

(٥) سورة النساء آية : ١٤٨ •

(٦) ط دار النهضة سنة ١٣٩٦ هـ •

٩٠ — بحث فى شرح قوله تعالى : " قل تعالوا آتلف ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً " الآية . (١)

٩١ — بدر شعبان الطالع فى سماء الفرقان الفتح الربانى ، ومقدمة فتح القدير ٣ والتقصار (٢) .

٩٢ — البغية فى : مسألة البروقية : أى روية الله سبحانه فى الآخرة . (٣)

٩٣ — بغية المستفيد فى الرد على من أنكر الاجتهاد والتقليد الفتح الربانى ٨٣ .

٩٤ — تحرير الدلائل على مقدار ما يجوز بين الامام والمأموم فى الصلاة من الارتفاع

والحائل وهى شرح لرسالته ايضاح الدلائل من مجاميع ٨٣ متوكلية .

(٤)

٩٥ — التشكيك على التفكير .

٩٦ — تصنيف السمع لجواب المسائل السبع المصدر السابق .

٩٧ — تفويض النبال الى ارسال المقال ، المصدر السابق .

٩٨ — تنبيه الأفاضل على ماورد فى زيادة العمر ونقصه من الدلائل ضمن مجموعة

٩٩ متوكليا .

٩٩ — تنبيه الامثال على عدم وجوب الاستعانة من خالص المال من مجموع رقم ٥٩ متوكليا .

(٥)

١٠٠ — تنبيه ذوى الحجا على حكم بيع الرجاء .

(٦)

١٠١ — التوضيح فى تواتر ما جاء فى المهدى المنتظر والذجال والمسيح .

١٠٢ — جواب السائل فى تفسير قوله تعالى : " والقمر قد رنا منازل " .

١٠٣ — جواب عن اسئلة وردت من كوكبان ضمن مجموع ٥٩ متوكلية .

(١) سورة الأنعام آية : ١٥١ .

(٢) الشوكانى البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٠ ، التقصار ص ٦١ .

(٣) الشوكانى فتح القدير ج ٥ ص ٣٣٨ سورة القيامة آية : ٢٣ .

(٤) الفتح الربانى ، وفتح القدير ص ٨ ، مقدمة البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٣ .

(٥) الشوكانى فتح القدير ص ٧ ، التقصار ص ٢٤ ، البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٣ .

(٦) المصدر السابق .

- ١٠٤ — جواب سوءال يتعلق بما ورد عن الخضر عليه السلام رقم ٢٨ من مجموع ٥٩
متوكليسة •
- ١٠٥ — جواب سوءال عن الصبر والحلم رقم ٢٥ ضمن مجموع ٥٩ متوكلية ومجموع ٣٢
الجامع بصنعاء •
- ١٠٦ — جواب إسئلة وردت من بعض علماء اليمن ضمن مجموع ٥٩ متوكلية •
- ١٠٧ — جواب إسئلة وردت من الفقيه قاسم بن لطف الله رقم ٧ ضمن مجموع ٥٩ •
والفتح الرباني رقم ٨٣ •
- ١٠٨ — جواب سوءال : كيف ان الفاء في قوله تعالى ^(١) : " فأنظر الى طعامك وشرابك
لم يتسنه " واقعه موقع الدليل ؟ الفتح الرباني رقم ١٣ من مجموع رقم ٨٣
الجامع المقدس •
- ١٠٩ — جواب عن نكته التكرار في قوله تعالى : " قل اني امرت أن أعبد الله مخلصا
له الدين * وأمرت لان أكون أول المسلمين " ^(٢) ، وكتب الجواب
سنة ١٢١٠ هـ وجوابه يستغرق ٦ صفحات ، الفتح الرباني ٨٣ •
- ١١٠ — جواب سوءالات وردت من تهامة رقم ٢٧ ضمن مجموع ٥٩ متوكلية الفتح
الرباني رقم ٦٢ •
- ١١١ — جواب سوءال عن نجاسة الميتة رقم ١٨ من مجموع ٥٩ المتوكلية ^(٣) •
- ١١٢ — جواب على
ضمن مجموع ٥٩ — متوكلية •
- ١١٣ — جيد النقد في عبارة الكشف والسعد ، المصدر السابق •
^(٤)
- ١١٤ — حل الاشكال في اخبار اليهود على التقاط الأزال •
- ١١٥ — در السحابة في مناقب القرابة والصحابة في خمسة أبواب ^(٥) • مجموع ١٧
متوكليسة •

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٩ ، ج ١ ص ٢٨٠ فتح القدير •
(٢) سورة الزمر آية : ١١ ، ج ٢ ص ٤٥٤ فتح القدير •
(٣) الشوكاني ولاية الله ص ٤٣ •
(٤) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٢٢٤ ، وفتح القدير المقدمة ص ٩ •
(٥) الشوكاني البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٤ •

- ١١٦— دفع الاعتراضات على ايضاح الدلالات المصدر السابق .
- ١١٧— الدفعة في وجه ضرر القرعة المصدر السابق .
- ١١٨— رسالة القول المحرر في حكم لبس المعصفر وسائر أنواع الأحمر (١)
- ١١٩— رسالة في لبس الحرير (٢)
- ١٢٠— رسائل على مسائل وردت من السيد على بن اسماعيل (٣)
- ١٢١— رسالة في جواز استناد الحاكم في حكمه الى تقويم العدول (٤)
- ١٢٢— رسالة في حكم الاتصال بالسلطين واسمها الاساطين (٥)
- ١٢٣— رسالة في حكم الطلاق البدعي هل يقع أولا .
- ١٢٤— رسالة جواب على مسائل لبعض علماء الحجاز .
- ١٢٥— رسالة في اختلاف العلماء في تقدير النفاس ، وقد رجح المؤلف أن أكثره أربعين لحديث عائشة رضي الله عنها .
- ١٢٦— رسالة في حكم صبيان الذميين ان مات أبوه .
- ١٢٧— رسالة في التحلى بالذهب للرجال . هذه الرسائل كلها في الفتح الرياني ،
- واسم الرسالة " الوشى المرقوم في تحريم التحلى بالذهب على العموم " ،
- الفتح ج ١ ص ٨ .
- ١٢٨— رسالة في التسعير هل يجوز أولا ؟
- ١٢٩— رسالة في الرد على القائل بوجوب التحية .
- ١٣٠— رسالة في نفقة المطلقة ثلاثا (٦)

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الشوكاني البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢١ .

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٥) المصدر السابق ، والفتح الرياني ٣٦ من مجموع رقم ٨٣ .

(٦) الشوكاني البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢١ .

- (١) ١٣١- رسالة في الكسوف هل يكون في وقت معين على القطع ثم ذلك يختلف .
 (٢) ١٣٢- رسالة في القراءة التي يهدى ثوابها الى الميت من الأحياء .
 (٣) ١٣٣- رسالة في أسباب سجود السهو .
 (٤) ١٣٤- رسالة في توحيد الله عز وجل .
 ١٣٥- رفع اليأس عن حديث النفس والهوى والوسواس رقم ٣٠ من مجموع ٥٩ متوكلية .
 (٥) ١٣٦- رفع الجناح عن نافي المباح هل هو مأمور به أم لا ؟
 (٦) ١٣٧- رفع الخصام في الحكم بالعلم من الحكام .
 (٧) ١٣٨- الروض الوسيط في الدليل المنيع على عدم انحصار علم البديع .
 ١٣٩- رسالة فيمن حلف ليقضين دينه غدا ان شاء الله .
 ١٤٠- رسالة في بيع الشيء قبل قبضه .
 ١٤١- رسالة هل الخلع طلاقا أو فسخا ؟
 ١٤٢- رسالة في زيادة ثواب من باشر العباداة بمشقة .
 ١٤٣- رسالة في حكم القيام للقادم لمجرد التعظيم .
 ١٤٤- رسالة في حكم المخابرة .
 ١٤٥- رسالة في حكم بيع الماء .

-
- (١) المصدر السابق .
 (٢) التقصار ص ٢٥ .
 (٣) الشوكاني البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٠٠ .
 (٤) الشوكاني الرسائل في الفتح الرباني رقم (١) من مجاميع ١٨٣ الجامع المقدس
 بصنعاء .
 (٥) الشوكاني فتح القدير ج ١ ص ٨ .
 (٦) الشوكاني الفتح الرباني رقم ٨٣ ، ولاية الله ص ٤٦ .
 (٧) الشوكاني مقدمة فتح القدير ص ٨ ، ولاية الله ص ٤٦ .
 (٨) المصدر السابق .

- (١)
- ١٤٦— رسالة فى حكم أن الطلاق لا يتبع الطلاق على الراجع .
 - ١٤٧— رسالة فى حكم أجاب بها على الشريف ابراهيم بن اسحاق .
 - ١٤٨— زهر الشرين الفاتح لفضائل العمرين (٢)
 - ١٤٩— سوء ال عن الوصية للوارث ضمن مجموع ٥٠ متوكلية .
 - ١٥٠— سوء ال فى التحيل لاسقاط الشفعة .
 - ١٥١— سوء ال فى اجبار الجار على البيع لأجل الضرر .
 - ١٥٢— سمط الجمان فيما أشكل من مسائل عقد الجمان .
 - ١٥٣— شفاء العلل فى زيادة الثمن لأجل الأجل وفى رواية (الغلل بالمعجمة) .
 - ١٥٤— الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد .
 - ١٥٥— الصوارم الهندية المسلوقة على الرياض الندية فى الرد على من زعم أن غسل
(٣)
الفرجين من أعضاء الوضوء من الزيدية .
 - ١٥٦— ضرب القرعة فى شرطية خطبة الجمعة .
 - (٤)
 - ١٥٧— الطود المنيف فى الانتصار للسعد من الشريف .
 - ١٥٨— طيب النشر فى المسائل العشر ، الفتح الربانى ٧٢ من مجموع ٨٣ .
 - ١٥٩— طيب الكلام فى تحقيق لفظ الصلاة على خير الأنام ، المصدر السابق .
 - ١٦٠— العذب النмир فى جواب عالم عسير فى التوحيد وفاتحة الكتاب .
 - ١٦١— عقود فى شأن حدود البلدان وما يتعلق بها من الضمان .
 - ١٦٢— عقود الزبرجد فى مسائل علامة ضد وهى عشرة أجوبة .

-
- (١) الشوكانى البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢١ .
 - (٢) التقصار ص ٢٤ مصورها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما .
 - (٣) الشوكانى البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٣ وكذا الرسائل موجودة فى مقدمة البدر الطالع والفتح الربانى .
 - (٤) الشوكانى البدر الطالع ج ٢ ص ١٢٢٠ ، والتقصار ص ٢٥ .

- (١)
- ١٦٣- فتح الخلاف فى جواب مسائل عبد الرزاق الدهلوى الهندى فى علم المنطق .
- ١٦٤- فتح القدير بين المعذرة والتعذير من مجموع ٥٩ متوكلية .
- ١٦٥- القول الجلى فى لبس النساء للحلى من مجموع ٥٩ متوكلية .
- ١٦٦- القول الحسن فى فضائل أهل اليمن مجموع ٥٩ متوكلية .
- ١٦٧- القول الصادق فى حكم امامة الفاسق . (٢)
- ١٦٨- القول المقبول فى رد خبر المجهول من غير صحابة الرسول ص ٥٩ متوكلية .
- ١٦٩- القول المقبول فى فيضان القبول والسيول ٣ ٥٩/٥ متوكلية .
- ١٧٠- القول والواضح فى صلاة المستحاضة ونحوها من أهل العلل والجراح رقم ٥٩/٥ متوكلية .
- ١٧١- كشف الدين عن حديث ذى اليمين رقم ٣٢ من مجموع ٥٩ متوكلية .
- ١٧٢- كشف الاستار عن الحكم فى الشفعة بالجوار رقم ٥٩/٣٣ متوكليا .
- ١٧٣- كشف الاستار فى ابطال كلام من قال : " بفناء النار رقم ٢٢ ضمن مجموعة ٥٩ متوكلية .
- (٣)
- ١٧٤- كفاية المحتظ وهى منظومة .
- ١٧٥- " اللمعة فى الاعتداد بادراك ركعة من الجمعة " .
- ١٧٦- المباحث الدرية فى المسألة الحمارية رقم ١٩ من مجموع ٥٩ متوكلية .
- ١٧٧- المختصر البديع فى الخلق الوسيح ذكر خلق السموات والارض وما فوقهم — (٤)
- وماد بينهما والجن والانس والملائكة والعوالم أجمع . (٥)
- ١٧٨- المختصر الكافى فى الجواب الشافى .

-
- (١) الشوكانى الفتح الربانى ٣ من مجموع ٨٣ الجامع المقدس .
- (٢) الشوكانى البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢٢ .
- (٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٠ .
- (٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٠ .
- (٥) المصدر السابق .

(١)

١٧٩ — المسك الفاتح فى حط الجوانح •

١٨٠ — مطلع البدرين ومجمع البحرين فى التفسير وهو أصل فتح القدير فى ستة

(٢)

مجلدات كبار بالجامع المقدس بصنعاء رقم ٧٩ تفسير •

١٨١ — المقالة الفاخرة فى بيان اتفاق الشرايع على الدار الآخرة ط •

١٨٢ — منحة المنان فى اجرة القاضى والسجان الفتح الربانى ٨٣ الجامع المقدس •

١٨٣ — نشر الجواهر فى شرح حديث أبى ذر ، نسخة بخط المؤلف بصنعاء •

رقم ٨٦٦ حديث •

١٨٤ — نزل من اتقى بكشف احوال المنتقى على شرحه نيل الأوطار •

١٨٥ — نزهة الأحداق فى علم الاشتقاق ضمن مجموع ٥٠ متوكلية ، الفتح الربانى

رقم (١) الجامع المقدس •

(٣)

١٨٦ — النشر فى فوائد سورة العنبر •

١٨٧ — ويل الغمام فى شفاء الاوام تحت رقم ٣٣٦ حديث متوكلية بصنعاء الجامع

الكبير عدد صفحاتها ٣٠٠ صفحة •

١٨٨ — هداية القاضى الى تخوم الأراضى تحت رقم ٥٨٣ الجامع المقدس •

١٨٩ — هفوات الأئمة الأربعة رقم ٥٧٣ متوكلية وهو على غرار رفع الملاء لشيلا الاسلام

ابن تيمية •

هذه بعض الكتب والرسائل والبحوث التى صنفها الشوكانى وأمكن الحصول

عليها من بين المخطوطات التى بقيت خلف الجدران ، والمرجو من رواد العلم والبحوث

والمعرفة من الحصول عليها وتسهيل السبل الى طبعها حتى يتحقق النفع بها

للأجيال المتعاقبة (٤) . والله الموفق والمستعان •

(١) المصدر السابق •

(٢) الشوكانى ولاية الله ص ٥١ •

(٣) الشوكانى البدر الطالع ج ٢ ص ٢٢١ •

(٣) د • محمد حسن الغمارى الامام الشوكانى مفسرا ص ٨٢ — ٩٥ •

رابعاً : كتبه ومؤلّفاته المطبوعة :

- ١ - (اتحاف الأكابر أستاذ الدفاتر) طبع في حيدرآباد سنة ١٣٢٨ هـ .
- ٢ - (ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول) المطبعة الأميرية بمصر
سنة ١٣٤٧ هـ ، ومطبعة السعادة سنة ١٣٢٧ هـ .
- ٣ - (البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع) مطبعة السعادة سنة ١٣٤٨ هـ .
- ٤ - تحفة الأكرين في شرح (عدة الحصن الحصين للإمام الحرزى)
طبعة مصطفى الحلبي سنة ١٣٥٠ هـ .
- ٥ - (تنبيه الأعلام على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام) طبع في مصر تحت
اسم (كشف الشبهات عن المشتبهات) مطبعة المعاهد سنة ١٣٤٠ هـ .
- ٦ - (التحف في مذاهب السلف) المطبعة النورية سنة ١٣٤٣ هـ النار سنة ١٣٥١ هـ ،
ومطبعة محمد مصطفى سنة ١٣١٠ هـ .
- ٧ - (الدرر البهية) : متن الدراى المضيئة ، طبعت مع الشرح مطبعة مصر الحرة
سنة ١٩٢١ م .
- ٨ - (الدراى المضيئة) في شرح الدرر البهية ، مطبعة مصر الحرة سنة ١٩٢٨ م .
- ٩ - (الدرر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد) ، ادارة الطباعة النورية سنة ١٣٥١ هـ ،
طبعة المنار سنة ١٣٤٠ هـ .
- ١٠ - (الدواء العاجل في دفع العدو والصائل) المطبعة النورية سنة ١٣٤٢ هـ .
- ١١ - (رفع الريب فيما يجوز ، ولا يجوز من الغيب) المطبعة النورية سنة ١٣٤٢ هـ .
- ١٢ - شرح الصدور في تحريم رفع القبور ، المطبعة النورية سنة ١٣٤٣ هـ ، ثم طبع
مع الرسالتين السابقتين له في مجلد واحد ، في مطبعة السنة الحمديّة
سنة ١٣٤٧ هـ .
- ١٣ - العقد الثمين في اثبات وصاية أمير المؤمنين (المطبعة النورية سنة ١٣٤٨ هـ .
- ١٤ - (فتح القدير) الجامع بين فنى الرواية والدراية من التفسير . مطبعة مصطفى
الحلبى سنة ١٣٤٩ هـ وهو تفسير الامام الشوكانى .

- ١٥ — (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة) طبع في الهند سنة ١٢٠٣ هـ ثم
في مصر بتحقيق واف ، في مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م .
- ١٦ — (القول المفيد في حكم التقليد) ، وفي أدلة الاجتهاد والتقليد . طبعة
مطبعة المعاهد سنة ١٣٤٠ هـ ، ومصطفى الحلبي سنة ١٣٤٧ هـ .
- ١٧ — (نيل الأوطار " شرح منتهى الاخبار ") الحلبي سنة ١٣٤٧ هـ ، والعثمانية
سنة ١٣٥٧ هـ .
- ١٨ — نزل من اتقى بكشف أحوال المنتقى ، وهو شرح مختصر للموءلف ، اختصره من
شرحه الكبير (نيل الأوطار) طبع حجر بالهند سنة ١١٩٧ هـ .
- ١٩ — السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الشؤون الإسلامية بمصر سنة ١٣٩٠ هـ .
- ٢٠ — ابطال دعوى الاجماع على مطلق السماع ، طبع حيدرآباد سنة ١٣٢٨ هـ .
- ٢١ — ارشاد الثقات الى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات ، طبع
سنة ١٣٩٥ هـ دار النهضة العربية بمصر بتحقيق د . ابراهيم هلال .
- ٢٢ — ارشاد السائل الى دليل المسائل ، طبع دار النهضة ١٣٩٥ هـ .
- ٢٣ — اشكال المسائل الى تفسير (والقر قد رناه منازل) طبع دار النهضة ١٣٩٥ هـ .
- ٢٤ — الاعلام بالمشايخ الأعلام والتلامذة الكرام ، معجم لشيخه طبع سنة ١٣٢٨ هـ
(بحيدرآباد) .
- ٢٥ — الايضاح لمعنى التوبة والاصلاح ، ط دار النهضة سنة ١٣٩٥ هـ .
- ٢٦ — بحث في وجوب محبة الله ، ط دار النهضة سنة ١٣٩٥ هـ .
- ٢٧ — بحث في الاستدلال على كرامات الاولياء ، ط دار النهضة سنة ١٣٩٥ هـ .
- ٢٨ — بحث في أن اجابة الدعاء لا ينافي سبق القضاء ، طبع دار النهضة ١٣٩٥ هـ .
- ٢٩ — بحث في الكلام على أمناء الشريعة ، ط دار النهضة ١٣٩٥ هـ .
- ٣٠ — تنبيه الأفاضل على ماورد من زيادة العمر ونقصه من الدلائل ط النهضة
سنة ١٣٩٥ هـ .

- ٣١ - جواب سوء ال يتعلق بما ورد في الخضر عليه السلام ، ط النهضة ١٣٩٥ هـ .
- ٣٢ - جواب السائل عن تفسير تقدير القمر منازل ، ط النهضة ١٣٩٥ هـ .
- ٣٣ - جواب سوء ال عن الصبر والحلم ، ط النهضة ١٣٩٥ هـ .
- ٣٤ - جواب عن سوء ال كيف أن الفاء في قوله تعالى ^(١) : " فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه " ، واقعة في موقع الدليل ، ط النهضة ١٣٩٥ هـ .
- ٣٥ - جواب سوء ال عن نكتة التكرار في قوله تعالى ^(٢) : " قل اني امرت أن أعبد الله مخلصا له الدين " وأمرت لان أكون أول المسلمين " ، ط النهضة سنة ١٣٩٥ هـ .
- ٣٦ - فطر الولي على حديث الولي ، تحقيق د . ابراهيم هلال - دار الكتب الحديثة سنة ١٣٩٥ هـ .

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٩ .

(٢) سورة الزمر آية : ١١ و ١٢ .

الباب الثاني

~~~~~

### أراءه الاعتقادية

~~~~~

ويحتوى على تمهيد وستة فصول :

~~~~~

- الفصل الأول : موقف الشوكاني من التأويل .  
~~~~~
- الفصل الثاني : منهجه فى الاستدلال على وجود الله تعالى .
~~~~~
- الفصل الثالث : فى وحدانية الله تعالى .  
~~~~~
- الفصل الرابع : الصفات الالهية العقلية ومنهجه فى اثباتها .
~~~~~
- الفصل الخامس : الصفات الالهية الخبرية ومنهجه فى اثباتها .  
~~~~~
- الفصل السادس : أفعال العباد .
~~~~~
- الفصل السابع : روية الله عز وجل .  
~~~~~

~~~~~

~~~~~

~~~~~

## الفصل الأول

موقف الشوكاني من التأويل

- التأويل فى لغة العرب •
- دلالة التأويل فى القرآن •
- المحكم والمتشابه •
- تحقيق القول فى آية آل عمران
- نتائج هذا التحقيق •
- فيما ما يدخله التأويل •
- موقف الزيدية من التأويل •
- المحكم والمتشابه عند الزيدية •
- مناقشة الشوكانى للزيدية فى التأويل •
- فى العقل عند الزيدية •
- فى موقفهم حيال النصوص •
- فى موقفهم حيال المحكم والمتشابه •



## الفصل الأول

### موقف الشوكاني من التأويل

#### التأويل في لغة العرب :

درج الشوكاني على نفس المنهج الذي يؤخذ به في تحليل الالفاظ ، وبيان معناها عند مناقشة الخصوم ، وذلك حسبما للخلاف الذي ينشأ بين الباحثين ، وهذا ليحدد معنى كلمة التأويل في لغة العرب ، ولذلك نراه يرجع الى اصل استعمال الكلمة بين المتخاطبين بها أولا ، وكما هي مدونة في كتبهم ، وفي معاجم اللغة ، ثم يتبع الشوكاني الكلمة في مراحل تطورها ، مبينا ما تعرضت له من عوامل تطويرية في استعمالها ، وذكر أسباب هذا التحول والهدف منه .

يقول الشوكاني : والتأويل مشتق من آل يثول اذا رجع ، تقول : آل الأمر الى كذا أى رجع اليه ، ومآل الأمر مرجعه ، وقال النضر بن شميل <sup>(١)</sup> : أنه مأخوذ من الابلالة وهي السياسة ، يقال لفلان علينا ابلالة ، وفلان آبل علينا أى سائس ، فكان المؤول بالتأويل كالمتحكم على الكلام المتصرف فيه ، وقال ابن فارس <sup>(٢)</sup> في فقه اللغة العربية : التأويل آخر الأمر وعاقبته ، يقال مآل هذا الأمر مصيره ، واشتقاق الكلمة من الأول وهو العاقبة والمصير <sup>(٣)</sup> .

واذا تأملنا ما قدمه الشوكاني من استشهادات حول كلمة التأويل ، نجد أن مادة " أول " في كل استعمالاتها تفيد معنى الرجوع والعود ، فقد ذكر الأزهري <sup>(٤)</sup> في تهذيب اللغة ، وهو من المعاجم اللغوية القديمة أن " الأول "

- 
- (١) هو: الحافظ أبو الحسن نضر بن شميل بن ضرسة بن يزيد بن كلثوم التميمي المازني البصري الاديب النحوي من تابعي التابعين القاضي بمود توفي سنة ٢٠٤ هـ . ( أنظر كشف الظنون ج ٦ ص ٤٩٤ . )  
(٢) المتوفى سنة ٣٩٥ هـ .  
(٣) الشوكاني : ارشاد الفحول ص ١٧٦ .  
(٤) هو ( أبو منصور محمد بن محمد المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ) .

هو الرجوع ، وقد آل يوءول أولا ، وعن الأصمعي <sup>(١)</sup> : آل القطران يوءول أولا  
إذا خسر ، قال : وآل ماله يوءوله أيا له إذا أصلح وساسه . <sup>(٢)</sup>

فالأثلة التي ذكرها الأزهرى تبين أن المادة فى أصلها الاشتقاقى تدور  
حول معنى الرجوع والعود كما ذكر الشوكانى فيما سبق .

وقد وضع الشوكانى مما نقله عن ابن فارس : أن كلمة تأويل استعملت عنده فى  
نفس المعنى ، والمفهوم الذى كانت تستعمل فيه مادة " أول " بمعنى العود  
والمرجع والمصير ، فقد ذكر فى مقاييس اللغة مادة " أول " <sup>(٣)</sup> : آل جسم الرجل  
إذا انحرف أى رجع الى تلك الحالة ، ثم قال : ومن هذا الباب تأويل الكلام ،  
وهو عاقبته وما يوءول اليه ، ومن ذلك قوله تعالى : " هل ينظرون الا تأويله  
يوم يأتى تأويله بقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق " <sup>(٤)</sup> .

فالشوكانى رجع الى المصادر الوحيدة لكل المعاجم التى وضعت بعد ذلك ،  
وخرج بنتيجة أن اللغويين ، من رواة ومحدثين ، حتى بداية القرن الخامس  
الهجرى ، كانوا يستعملون كلمة التأويل فى معنى المرجع والمصير والعود ، وقد  
فسر الشوكانى التأويل فى الآية السابقة التى استشهد بها ابن فارس بهـذا  
المعنى فقال : ( هل ينظرون الا تأويله ) قال : عاقبته ، أى هل ينظرون الا ما  
وعدا به فى الكتاب من العقاب الذى يثول الأمر اليه . <sup>(٥)</sup>

(١) عبد الملك بن قريش بن عبد الملك بن على ابن أصمعي (١٢٣-٢١٦) هـ

أديب ، لغوى ، نحوى ، محدث ، أصولى ، من أهل البصرة . معجم المؤلفين ج ٦ ص ١٨٧

(٢) الأزهرى تهذيب اللغة مادة أول ج ١٥ ص ٤٣٧ تحقيق الاستاذ ابراهيم

الابيارى ط الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ م .

(٣) ابن فارس مقاييس اللغة ج ١ ص ١٥٩ مادة أول تحقيق الاستاذ عبد السلام

هارون ط القاهرة سنة ١٩٦٦ م .

(٤) الاعراف : ٥٣ .

(٥) الشوكانى فتح القدير ج ٢ ص ٢١٠ .

كما ذكر الشوكاني : أن التأويل يكون بمعنى التفسير في قوله تعالى :  
 " وما يعلم تأويله إلا الله " <sup>(١)</sup> يقول : التأويل يكون بمعنى التفسير ، كقولهم  
 تأويل الكلمة على كذا : أى تفسيرها ، ويكون بمعنى ما يؤول الأمر إليه ، واشتقاقه  
 من آل الأمر إلى كذا يؤول إليه : أى صار ، وأولته تأويلا أى صيرته . <sup>(٢)</sup>  
 وقد ذهب إلى هذا المعنى ابن منظور <sup>(٣)</sup> فى لسان العرب فجمع فيه كل  
 ما يتصل بمادة " أول " ومشتقاتها ، وما استعملت فيه من معانى ، ونقل أمثلة  
 توكّد ذلك المعنى الذى ذهب إليه الشوكاني وتوضّحه ، فمن ذلك قوله : <sup>(٤)</sup>  
 " آلت عن الشئ ارتدت عنه " وفى الحديث : ومن صام الدهر فلا صام ولا آل  
 أى لا رجع إلى خير ، وفى حديث ابن عباس : " اللهم فقهه فى الدين وعلمه  
 التأويل " . <sup>(٥)</sup>  
 وعن الليث <sup>(٦)</sup> قال : " التأويل تفسير ما يؤول إليه الشئ " وأول الكلام  
 وتأوله : دبره وقدره ، وأوله وتأوله : أى فسره وقوله تعالى : " ولما يأتهم  
 تأويله " أى ولم يكن معهم علم تأويله .  
 فهنا بين ابن منظور عن الليث وغيره أن من معانى التأويل التفسير والتدبر  
 وحسن تقدير الأمور .  
 وبذلك يتضح لنا كما ذكر الشوكاني أن التأويل عند علماء اللغة كان يستعمل  
 فى معنيين :

( ١ ) آل عمران : آية : ٧ .

( ٢ ) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٣١٥ .

( ٣ ) المتوفى سنة ٧١١ هـ .

( ٤ ) الحديث رواه الترمذى رقم ٧٦٧ فى الصوم ، باب ما جاء فى صوم الدهر ،  
 والنسائى ٢٠٧/٤ باب النهى عن صيام الدهر وفى جميعها " فلا صام  
 ولا أفطر " .

( ٥ ) الحديث أخرجه البخارى فى الوضوء ١٠ ، ٤٠ ، وأخرجه مسلم فى فضائل  
 الصحابة ١٣٨ . وأحمد بن حنبل ١ ، ٢٦٦ ، ٣١٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ .

( ٦ ) ابن منظور لسان العرب مادة أول ج ١ ص ٣٣ ، طبع المطبعة الأميرية  
 سنة ١٣٠٢ هـ .

الأول : المرجع والمصير والعاقبة ، كما بينت ذلك المعاجم القديمة حتى القرن

الرابع الهجرى .

الثانى : التفسير والتدبر والبيان كما ذكر الشوكانى وبين ابن منظور ونقله عن

الليث وغيره .

وقد ذكر الشوكانى المعنى المحدث الذى لم يجده فى المعاجم القديمة ، وهو المعنى الاصطلاحي ، عند الأصوليين وعلق عليه ، وذكر أنه من التأويلات الفاسدة التى زل بها المتكلمون فيقول : والتأويل اصطلاحاً ، صرف الكلام عن ظاهرة الى معنى يحتمله ، وفى الاصطلاح حمل الظاهر على المحتمل المرجوح ، وهذا يتناول التأويل الصحيح والفاسد . . . قال ابن برهان <sup>(١)</sup> : لم يزل الزال الا بالتأويل الفاسد ، وأما ابن السمعان <sup>(٢)</sup> فأنكر على امام الحرمين <sup>(٣)</sup> ادخاله لهذا الباب فى أصول الفقه . <sup>(٤)</sup>

وبلاحظ على هذا المعنى المحدث للتأويل الملاحظات الآتية :

- ١ - أنه لم يكن هذا المعنى معروفاً بين رجال اللغة والمعنيين بها .
- ولم يكن مشتهراً بينهم حتى معاجم القرن الرابع الهجرى كما بينته من قبل .
- ٢ - ان هذا المعنى جاء مجرداً عند كل من ذكره عن الأمثلة والشواهد التى تبين استعمال التأويل فى هذا المعنى الذى أرادوه ، وذلك عكس ما عهدناه ازاء الاستعمالين الآخرين للفظ التأويل ، حيث ورد من الأمثلة والشواهد ما وضع به المعنى المراد من الكلمة .

- 
- (١) ابن برهان : أحمد بن على بن محمد الوكيل أبو الفتح المعروف بابن برهان البغدادى الأصولي الشافعى توفى ببغداد سنة ٥٢٠ هـ له الأوسط فى أصول الفقه . ( أنظر كشف الظنون ج ٥ ص ٨٣ ) .
  - (٢) ابن السمعان : أحمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار أبو القاسم السمعانى الشافعى توفى سنة ٥٣٤ هـ . المصدر السابق ص ٨٣ .
  - (٣) امام الحرمين : عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله ضياء الدين أبو المعالى الجوينى الشهير بامام الحرمين ولد سنة ٤١٩ هـ وتوفى سنة ٤٧٨ هـ . أنظر كشف الظنون ج ٥ ص ٦٢٦ .
  - (٤) الشوكانى : ارشاد الفحول ص ١٧٦ .

٣ - ان هذا المعنى شاع وانتشر بهذا المعنى المحدث في مجال غير مجال الدراسة اللغوية ، فصار من الشهرة بعد ذلك حتى وجد مكانا في المعاجم المتأخرة .

هذا وبعد أن اتضح أمامنا هذه الاستعمالات الثلاثة للتأويل نريد أن نعرف أى الاستعمالات بعد قد جاء به القرآن ومدى التزام الشوكاني باستعمال كلمة التأويل في المعنى الذي وضعه السلف والأئمة من خلال فهم القرآن وسماعه من الصحابة رضي الله عنهم .

ان القرآن الكريم هو أساس اللغة العربية فصاحة وبيانها ، وقد استعمل كلمة " التأويل " في سورة أكثر من مرة ، وباستقراء الآيات التي استعملت فيها كلمة التأويل ، ومقارنة أقوال الشوكاني لأقوال السلف والأئمة ، يتضح أمامنا منهجه في التفسير وأصول العقيدة التي دان بها .

### دلالة التأويل في القرآن :

وبعد أن حقق الشوكاني كلمة التأويل لغويا ، وعرفنا مقدار علمه بالعربية ، واشتقاقها ، يجدر بنا أن نسوق لاستعمال القرآن الكريم لكلمة " التأويل " في مواضع متعددة ، وأقوال مفسري السلف والشوكاني فيها ، ثم نختم بسورة آل عمران ، التي يجري تحت ظلالها الاختلاف في الآراء .

أول هذه المواضع : قوله تعالى في سورة النساء : " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا

الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا " ( ١ )

يقول الشوكاني في تفسير " وأحسن تأويلا " أى مرجعا من الأول آل يوءول

إلى كذا : أى صار إليه ، والمعنى : أن ذلك الرد خير لكم وأحسن مرجعا

ترجعون اليه ، ويجوز أن يكون المعنى : أن الرد أحسن تأويلاً من تأويلكم الذي صرتم اليه عند التنازع . ( ١ )

وعن قتادة : ذلك أحسن ثواباً وخير عاقبة .  
وعن مجاهد : أحسن جزاء ( ٢ ) ، ويقول ابن جرير الطبرى فى تفسير : " وأحسن تأويلاً " أى جزاء ، وذلك أن الجزاء هو الذى صار اليه أمر القوم ( ٣ ) ، وعن السدى وابن زيد ، وابن قتيبة ، والزجاج : بالعاقبة ( ٤ ) .

وهنا يتبين أن الشوكانى ومفسرى السلف فسروا التأويل " هنا بالشواب والجزاء " ، والعاقبة ، ومؤدى ذلك أن يكون بمعنى المآل ، لأن الشواب والجزاء هو مآل الطاعة .

وثانيها : قوله تعالى فى سورة الأعراف : " جئناهم بكتاب فصلناه على علم ، هدى ورحمة لقوم يوءمنون ، هل ينتظرون الا تأويله ؟ ، يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل : " قد جاءت رسل ربنا بالحق ، فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل " . ( ٥ )

يقول الشوكانى فى تفسير : " هل ينتظرون الا تأويله " أى هل ينتظرون الا ما وعدوا به فى الكتاب من العقاب الذى يثول الأمر اليه ، وقيل : تأويله جزاءه ، وقيل : عاقبته ، والمعنى متقارب ( ٦ ) ، فعن قتادة قال : عاقبته ،

- 
- ( ١ ) الشوكانى فتح القدير ج ١ ص ٤٨١ .  
( ٢ ) المصدر السابق ج ١ ص ٤٨٢ .  
( ٣ ) الطبرى تفسير الطبرى ج ٦ ص ٢٠٥ تحقيق الاستاذ محمود شاكرو . وانظر ابن كثير ج ١ ص ٤٠٨ من مختصر الصابونى .  
( ٤ ) محمد رشيد رضا تفسير المنار سنة ١٣٥٠ هـ ، وانظر ابن الجوزى ، زاد المسير ج ٢ ص ١١٧ - ١١٨ .  
( ٥ ) سورة الأعراف آية : ٥٣ .  
( ٦ ) الشوكانى فتح القدير ج ٢ ص ٢١٠ .

وعن مجاهد قال : " يوم يأتي تأويله " جزاءه ، وفى تفسير الطبرى قوله :  
" يوم يأتي تأويله " يوم يجي ما يثول اليه أمرهم من عقاب الله (١) ، وفى قوله :  
" هل ينظرون الا تأويله " قال ابن عباس : تصديق ما وعدوا فى القرآن ، " يوم  
يأتي تأويله " وهو يوم القيامة (٢) •

وهنا يتبين أن التأويل كما بينه الشوكانى وابن عباس والسلف بمعنى : التصديق  
بوعده ووعدته ، أى يوم يظهر صدق ما أخبر به عن الآخرة • (٣)

وبذلك يتضح أن المعنى هنا المال والعاقبة ، فانه لا يكون يوم القيامة  
الا المال والعاقبة •

وثالثها : قوله تعالى فى سورة يونس : " بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولما  
يأتهم تأويله ، كذ لك كذب الذين من قبلهم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين " (٤)  
يقول الشوكانى فى تفسير : " ولما يأتهم تأويله " معطوف على " ولم يحيطوا  
بعلمه " أى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وبما لم يأتهم تأويله ، فمعنى تأويل :  
ما يثول اليه • (٥)

قال ابن جرير الطبرى : يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء المشركين يا محمد  
تكذيبك ، ولكن بهم التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه ، مما أنزل الله عليك فى هذا  
القرآن من وعيدهم على كفرهم ، " ولما يأتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك  
الوعيد الذى توعدهم الله به فى هذا القرآن بل كذبوا به قبل أن يفهموه •

---

(١) تفسير الطبرى ج ١٢ ص ٤٧٨ ط دار المعارف ١٩٥٨ م •

(٢) ابن الجوزى زاد المسير ج ٣ ص ٢١٠ •

(٣) محمد رشيد رضا تفسير النار ج ٣ ص ١٧٣ وما بعدها •

(٤) سورة يونس آية : ٣٨ •

(٥) الشوكانى فتح القدير ج ٢ ص ٤٤٦ •

ففى قوله تعالى : " ولما يأتهم تأويله " قولان :

أحدهما : تصديق ما وعدوا به من الوعيد ، والتأويل ما يعول اليه الأمر •

والثانى : ولم يكن معهم علم تأويله • قاله الزجاج • ( ١ )

فالتأويل هنا المراد به : وقوع ما أخبر به القرآن ، وهو الأثر الخارجى ،  
والمدلول الواقعى بوعيد هو " لا " ، ولا يصح بحال أن يكون معنى التأويل هنا أو  
فى الآية السابقة التفسير والبيان أو ارادة غير الظاهر •

وبذلك يتبين فى هذه الآية : أن الشوكانى ومفسرى السلف فسرُوا التأويل  
هنا بمعنى الجزاء ، أو العقاب ، أى بمعنى المآل والعاقبة •

رابعها : ما جاء فى سورة يوسف ، خاصا بتأويل يوسف عليه السلام للاحلام ،

مثل قوله تعالى : " وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث " ( ٢ )

وقوله تعالى : حكاية عن صاحبى السجن : " نبئنا بتأويله " ( ٣ ) ، وقوله

تعالى : " وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ، ولنعلمه من تأويل الأحاديث " ( ٤ )

وكذا بقية الآيات الواردة فى هذه السورة ، كلها تتحدث عن تأويل الرؤيا •  
وأحاديث الناس ، وتأويل هذه الأحاديث •

يقول الشوكانى فى تفسير : " وليعلمك من تأويل الأحاديث " أى تأويل

الرؤيا ، قال القرطبى : كان يوسف أعلم الناس بتأويلها ( ٥ ) ، وعن مجاهد :

عبارة الرؤيا ، وعن بن زيد : تعليم الحلم والعلم • ( ٦ )

---

( ١ ) ابن الجوزى زاد المسير ج ٤ ص ٣٣ •

( ٢ ) سورة يوسف آية : ٦ •

( ٣ ) سورة يوسف آية : ٣٥ •

( ٤ ) سورة يوسف آية : ٢١ •

( ٥ ) الشوكانى فتح القدير ج ٣ ص ٥ •

( ٦ ) المصدر السابق ج ٣ ص ٧ •



وفى قوله تعالى : " ولنعلمه من تأويل الأحاديث " أى تأويل الروءيا ،  
وقيل : فهم أسرار الكتب الالهية وسنن من قبله من الأنبياء ، ولا مانع من حمل  
ذلك على الجميع . ( ١ )

قال ابن الجوزى فى تفسير : " وليعلمك من تأويل الأحاديث " فيه ثلاثة  
أقوال :

أحدها : أنه تعبير الروءيا ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، فعلى هذا سمي  
تأويلا ، لأنه بيان ما يثول أمر المقام اليه .

الثانى : أنه العلم والحكمة ، قاله ابن زيد .

الثالث : تأويل أحاديث الانبياء والامم والكتب ، ذكره الزجاج . ( ٢ )

وفى قوله تعالى فى نفس السورة : " لا يأتكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله  
قبل أن يأتكما " ( ٣ ) ، فبعد أن بين لهما ما يصير اليه أمر ما رآياه فى مناهما  
من الطعام الذى رآياه ، قال لهما ذلك ، أى تأويل رؤءياكما كما علمنى ربى ،  
وذلك اشارة الى قوله تعالى : " ولنعلمه من تأويل الأحاديث " ( ٤ ) ، وكذلك بقية  
الآيات الواردة فى السورة كلها تتحدث عن تأويل الروءيا ، وأحاديث الناس ،  
وتأويل هذه الأحاديث ، وتأويل الأحلام ، هو المعنى الوجودى لها .

خامسها : قوله تعالى فى سورة الاسراء : " وأوفوا الكيل اذا اكتم ، وزنوا بالقسطاس  
المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا . " ( ٥ )

يقول الشوكانى فى تفسير : " ذلك خير وأحسن تأويلا " : أى احسن عاقبة ،  
من آل اذا رجع ( ٦ ) ، وذلك واضح كل الوضوح كما فى سورة النساء ، فقوله :

---

( ١ ) المصدر السابق ج ٣ ص ١٤ .

( ٢ ) ابن الجوزى زاد المسير ج ٤ ص ١٨١ .

( ٣ ) سورة يوسف آية : ٣٦ .

( ٤ ) الطبرى تفسير الطبرى ج ١٢ ص ١٢٠ الطبعة الميمونية .

( ٥ ) سورة الاسراء آية : ٣٥ .

( ٦ ) الشوكانى فتح القدير ج ٣ ص ٢٢٧ .

" ذلك خير وأحسن تأويلا " أى مالا ومرجععا كما ذكره تفسير المنار (١) .

سادسها : ماجاء فى سورة الكهف كلمة " تأويل " كما حكى الله تعالى فى كتابه ، يبين موقف الخضر من موسى عليه السلام ، كما تتابعت أسئلته ، ولم يستطع صبرا على ما رآه : " هذا فراق بينى وبينك ، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا " (٢) ، ولما بين له الخضر ما سأل عنه قال له فى النهاية : " ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا " (٣) .

يقول الشوكانى فى تفسير : " سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا " ، التأويل رجوع الشئ الى ماله (٤) ، وفى الآية التى بعدها هو : المال الذى آلت اليه تلك الأمور ، وهو انضاج ما كان مشتبهها على موسى عليه السلام . (٥)

كما قد بين ابن تيمية أن التأويل فى هذه الآيات : بمعنى المال ، فكانت أفعال الخضر بخلاف الصحة فى الظاهر عند موسى - عليه السلام - إذ لم يكن عالما بعواقبها ، ولكنها ماضية فى الحقيقة على الصحة وآيلة الى الصواب فى العاقبة . (٦) (٧)

وهذا يتبين لنا مما سبق : أن لفظ " التأويل " لم يستعمله الشوكانى فى هذه الآيات الا بمعنى المال ، والمرجع ، والمصير ، أو الأثر الخارجى ، الذى يقع جزاء لقوم وعاقبة لهم ، أو مالا لأحاديث الناس وتعبيرا لروءياهم ، كالمنهج الذى سلكه مفسروا السلف ، ونقله الخلف عنهم .

- (١) محمد رشيد رضا تفسير المنار ج ٣ ص ١٧٣ .
- (٢) سورة الكهف : آية : ٧٧ .
- (٣) سورة الكهف : آية : ٨١ .
- (٤) الشوكانى : فتح القدير ج ١ ص ٣٠٣ .
- (٥) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .
- (٦) ابن تيمية : الاكليل فى المتشابه والتأويل ص ٢٦ . وتفسير سورة الاخلاص ص ٧٤ .
- (٧) الطبرى : تفسير الطبرى ج ١٦ ص ٦ .

## المحكم والمتشابه :

ذكر الشوكاني : اختلاف العلماء في تفسير المحكمات والمتشابهات ، كما بين أن هذا الاختلاف واقع منذ القرون الأولى عند السلف ، فنقل عنهم أقوالا كثيرة مناقشا ومحققا القول الأولى بالترجيح فيقول :

أولا : المحكم : ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره ،

والمتشابه : ما لم يكن لاحد إلى علمه سبيل ، ومن القائلين بهذا : جابر ابن عبد الله ، والشعبي ، وسفيان الثوري ، قالوا : وذلك نجو الحروف المقطعة في أوائل السور .

ثانيا : وروى عن ابن عباس : أن المحكم : ناسخه ، وحرامه ، وحلاله ، وفرائضه ، وما نؤمن به ونعمل عليه ، والمتشابه : منسوخه ، وأمثاله ، وما نؤمن به ولا نعمل به .

ثالثا : وروى عن ابن مسعود وقتادة والربيع والضحاك : المحكم : الناسخ ، والمتشابه : المنسوخ .

رابعا : وعن مجاهد وابن اسحاق : المحكم : الذي ليس فيه تحريف ، ولا تحريف عما وضع له ، والمتشابه : ما فيه تحريف ، وتحريف ، وتأويل ، قال ابن عطية : وهذا أحسن الأقوال .

خامسا : وقيل : المحكم : ما كان قائما بنفسه لا يحتاج إلى أن يرجع فيه إلى غيره ، والمتشابه : ما يرجع فيه إلى غيره ، قال النحاس : وهذا أحسن ما قيل في المحكمات والمتشابهات ، قال القرطبي : مقاله النحاس : يبين ما اختاره ابن عطية ، وهو الجارى على وضع اللسان ( ١ ) .

---

( ١ ) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٣١٤ ، وأنظر تفسير الطبري ج ٦ ص ١٧٠ —

٢٠٢ ط دار المعارف ، وأنظر السيوطي : الاتقان في علوم القرآن

ج ٢ ص ٢ — ٤ ط الحلبي سنة ١٩٥١ .

هذا ولا يريد الاسترسال في حكاية أقوال السلف فان لهم أقوالا كثيرة ،  
هي راجعة الى ما ساذكره في التعريف الأولى للشوكاني <sup>(١)</sup> .

وهذه الأقوال التي ذكرها المفسرون كالطبري والشوكاني ، والسيوطي ،  
وغيرهم : قد عرفت المحكم : ببعض صفاته ، كما عرفت المتشابه : بما يقابلها ،  
فأهل القول الأول : جعلوا المحكم : ما وجد الى علمه سبيل ، والمتشابه :  
ملا سبيل الى علمه ، ولا شك ان مفهوم المحكم والمتشابه أوسع دائرة مما  
ذكره ، فان مجرد الخفاء أو عدم الظهور أو الاحتمال أو التردد ، يوجب  
التشابه .

كما أن أهل القول الثاني : خصوا المحكم بما ليس فيه احتمال ،  
والمتشابه بما فيه احتمال ، ولا شك ان هذا بعض أوصاف المحكم والمتشابه ،  
لا كلها .

وأهل القول الثالث : فانهم خصوا كل واحد من القسمين بتلك الأوصاف  
المعينة دون غيرها <sup>(٢)</sup> .

واستخرج الشوكاني نتيجة المناقشة بين العلماء مبينا أن الأمر أوسع مما  
قالوه ، وانهم أهملوا ما هو أهم من ذلك ، مما لا سبيل الى علمه من دون تصريح  
ولا تحريف ، كقواتح الصور المقطعة ، كما أهمل بعضهم ما هو اخص أوصاف  
كل واحد منها ، من كونه باعتبار نفسه مفهوم المعنى أو غير مفهوم فقال :  
سادسا : والأولى ان يقال : ان المحكم : هو الواضح المعنى الظاهر  
الدلالة ، أما باعتبار نفسه أو باعتبار غيره ، والمتشابه : ملا يتضح  
معناه ، أو لا تظهر دلالة لا باعتبار نفسه ، ولا باعتبار غيره <sup>(٣)</sup> .

(١) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٣١٨ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٣٢٤ .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٣٢٤ .

وقد اعتبر الشوكاني هذا القول : أولى بالاعتبار ، حيث وجد الأقوال المتقدمة ، قد عرفت المحكم ، ببعض صفاته ، كما عرفت التشابه : بما لا يقابلها ، وبالنظر والتأمل ، وجد أن كل قول : يأخذ ببعض جوانب المحكم والتشابه ، ويترك البعض الآخر ، ولا شك أن مفهوم المحكم والتشابه أوسع دائرة مما ذكره ، وبالرغم من ذلك ، لم يكن ثم تعارض أو اختلاف ، لأن بعضها يعاضد البعض الآخر .

والجدير بالذكر أن الذي يصدق عليه تفسير التشابه هو : فواتح السور ، لأنها غير متضحة المعنى ، ولا ظاهرة الدلالة لا بالنسبة الى نفسها ، ولا باعتبار أمرا آخر يفسرها ويوضحها ، ومثل ذلك الالفاظ المنقولة عن لغة العجم ، وهكذا ما استأثر الله بعلمه كالروح ، وفي قوله تعالى : " أن الله عنده علم الساعة ... الخ " الآية . (١)

#### تحقيق القول في آية آل عمران :

أن الكلام في تأويل التشابه له اتصال وثيق بالكلام في صفات الله تعالى ، ووحدانيته ، والكلام في أحد هما يلازمه الكلام في الآخر ، والأساس في هذا الموضوع هو أن بكلمة تشابه ، قد وردت في القرآن الكريم في مقابل آيات محكمات ، قال تعالى في سورة آل عمران : " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولوا الألباب " . (٢)

---

(١) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٣١٧ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٧ .

ان الاضطراب الواقع فى مقالات أهل العلم فى هذه الآيه أعظم  
اسبابه ترجع الى اختلاف أقوالهم فى تحقيق معنى المحكم والمتشابه (١) ، وقد  
اتفق المفسرون على أن فى الآيه روايتين مشهورتين بالنسبة للوقوف ، وقد أدلى  
الشوكانى فى تحقيق ذلك بدلوه فقال :

الرواية الأولى : قد روى الوقوف على كلمة لفظ الجلالة " الله " فى قوله  
تعالى : " وما يعلم تأويله الا الله " يقول الشوكانى : فالذى عليه الاكثر :  
ان الكلام تم عند قوله " الا الله " هذا قول : ابن عمر وابن عباس ، وعائشة ،  
وعروة بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز ، وأبى الشعثاء ، وأبى نهيك ، وغيرهم ،  
وهو مذهب الكسائى ، والفراء ، والاخش ، وأبى عبيد ، وحكاه ابن جرير الطبرى  
عن مالك ، واختاره وحكاه الخطابى عن ابن مسعود ، وأبى بن كعب (٢) .

الرواية الثانية : قال القرطبى : قد روى عن ابن عباس أن الراسخين معطوف  
على لفظ الجلالة " الله " عز وجل ، وأنهم داخلون فى علم المتشابه ،  
وأنهم مع علمهم به يقولون : آمنا به ، ومن جملة ما استدل به القائلون بالمعطف :  
أن الله سبحانه مدحهم بالرسوخ فى العلم ، فكيف يمدحهم وهم لا يعلمون ذلك ؟  
كما روى عن مجاهد : أنه نسق الراسخين على ما قبله ، وزعم أنهم يعلمونه (٣)

فاذا كان الوقوف على لفظ الجلالة " الله " كان " التأويل " بمعنى :  
حقيقة الشئ ، وما يؤول أمره اليه ، ومنه قوله تعالى : " هذا تأويل رؤىائى " ،  
وقوله : " هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله " أى حقيقة ما أخبره من أمر  
الميعاد ، لان حقائق الامور وكسها لا يعلمه الا الله عز وجل .

---

(١) الشوكانى : فتح القدير ج ١ ص ٣١٧ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٣١٥ .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٣١٥ .

واذا كان الوقف على و " الراسخون في العلم يقولون آمنا به " ، كان المراد به (التأويل) : التفسير والبيان والتعبير عن الشيء ، لانهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار ، وان لم يحيطوا علما بحقائق الاشياء على كفة ما هي عليه ، ورجح ذلك جماعة من محققي المفسرين .

قال القرطبي : قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر : وهو الصحيح ، فان تسميتهم الراسخين تقضى بأنهم يعلمون أكثر من المحكم ، وفي أي شيء هو رسوخهم اذا لم يعلموا الا ما يعلم الجميع ؟

وعلى ذلك القول : يكون المتشابه متوعا :

منه : مالم يعلم البتة ، كأمر الروح والساعة ، مما استأثر الله بعلمه ، وهذا لا يتعاطى علمه أحد ، فمن قال من العلماء الخذاق : بأن الراسخين لا يعلمون علم المتشابه ، فانما أراد هذا النوع <sup>(١)</sup> ، ويؤيد هذا التخريج ، ما أخرج ابن جرير ، وابن المنذر عن ابن عباس قال : تفسير القرآن على أربعة أوجه : تفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعذر الناس بجهالته من حلال وحرام ، وتفسير تعرفه العرب بلغتها ، وتفسير لا يعلم تأويله الا الله ، فمن ادعى علمه ، فهو كذاب ، كما أخرج عنه قال : أنا من يعلم تأويله <sup>(٢)</sup> ، وكان يقول : وأنا من الراسخين في العلم <sup>(٣)</sup> .

نتائج هذا التحقيق :

أولا : ان الذي كان معروفا من معاني " التأويل " عند السلف معنيان :

أولهما : بمعنى الحقيقة الخارجية والاثار الواقعي المحسوس لمدلول

الكلمة ، ومنه : قول عائشة - رضي الله عنها : " كان

(١) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٣١٥ - ٣١٨ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٣١٥ - ٣١٨ .

(٣) ابن تيمية : درء تعارض النقل والعقل ج ١ ص ٢٠٨ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن (١)

كما أن الحقيقة الخارجية تشمل الحقيقة المخبر عنها ، ومن ذلك ، اخبار الله عن أمور الغيب ، كالبعث ، والقيامة ، مما لا يعلم حقيقته كيفاً وقدره الا الله عز وجل : وهذا هو التأويل الذي اختص الله تعالى بعلمه ، كما ذكر الشوكاني عن السلف ، والذي جعله السلف محرماً على العلماء ، الا أن عدم علمنا بحقائق هذه الاشياء في ذاتها لا تنفي علمنا بمعنى الخطاب الذي خاطبنا به في ذلك ، لان هناك فرقاً كبيراً بين علم المعنى وعلم التأويل .

ثانيهما : التأويل بمعنى التفسير والبيان ، لمن قرأ بالوقف على الراسخين في العلم ، فهذا يجوز على أن التأويل المذكور هو تفسير القرآن وبيان معناه (٣) ، فأهل الرسوخ يعلمون ، ويفهمون ما خاطبوا به بهذا الاعتبار ، كما حققه الشوكاني (٤) .

ويرى ابن تيمية : أن التأويل بهذا المعنى : هو الذي سار عليه السلف ، وهو التفسير المحمود المطلوب ، لانه لا بد من معرفة معاني آيات القرآن ، وفهم ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستشهد على ذلك بقول مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته الى خاتمة ، أقف عند كل آية واسأله عنها ، وقال ابن مسعود : ( ما في كتاب الله آية الا وأنا أعلم فيما نزلت )

---

(١) أخرجه مسلم ، في كتاب الصلاة ج ٢ ص ٥٠ ، وأنظر البخاري ج ٢ ص ١٥٩

(٢) ابن تيمية : سورة الاخلاص ص ١٠٤ وما بعدها ، وأنظر رسالة الاكليل ص ١٠ - ٢٤ .

(٣) ابن تيمية : العقيدة الحموية ص ٢٠٠ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٣١٥ - ٣١٨ .

(٥) ابن تيمية : الرسالة التدمرية ص ٧١ .



## ثانيا : فيما يدخله التأويل :

إذا كانت كلمة السلف متفقة على أن ما يتعلق بأشراط الساعة ،  
ووقت قيامها ، والملائكة ، وأصول الآخرة ، وغير ذلك من الأمور الغيبية ،  
لا يعلم تأويله الا الله بناء على أنه لا مدخل للعقل في معرفته ، وليس  
لأحد علم به الا عن طريق الشرع ، فها هو مثار الخلاف بين السلف ، والفرق  
الكلامية في هذا الموضوع ؟

وهنا نجد الشوكاني يوضح مثار الخلاف فيما يدخله التأويل ،  
بالنسبة للعقائد ، وأصول الديانات ، وخصوصا صفات الباري ، فيذكر في  
ذلك مذاهب ثلاث ، مبينا آراء العلماء والمحدثين ، كابن الصلاح ، والذهبي ،  
وغيرهما ، كما يسجل تراجع كبار المتكلمين عن مسالكهم في التأويل ، كالغزالي  
والرازي ، وإمام الحرمين ، الى طريقة القرآن في الاثبات والنفي ، وهجرهم  
( ١ )  
ما سوى مذهب السلف .

يقول الشوكاني : اختلف الناس فيما يدخله التأويل بالنسبة للعقائد  
وأصول الديانات ، وصفات الباري عز وجل على مذاهب ثلاث .  
الأول : أنه لا مدخل للتأويل فيها ، بل تجرى على ظاهرها ولا يؤول شيء  
منها ، وهذا قول المشبهة .

الثاني : أن لها تأويلا ، ولكنا نمسك عنه ، مع تنزيه اعتقادنا عن التشبيه  
والتعطيل لقوله تعالى : " وما يعلم تأويله الا الله " قال ابن برهان :  
وهذا قول السلف .

قال الشوكاني : قلت : وهذا هو الطريقة الواضحة والمنهج المصحوب  
بالسلامة عن الوقوع في مهاوى التأويل ، لما لا يعلم تأويله الا الله ،

---

( ١ ) الشوكاني : ارشاد الفحول ص ١٧٦ - ١٧٧ .

وكفى بالسلف الصالح قدوة لمن أراد الاقتداء ، وأسوة لمن أحب الناس ،  
على تقدير عدم ورود الدليل القاضى بالمنع من ذلك ، فكيف وهو قائم  
( ١ )  
موجود فى الكتاب والسنة ؟ .

### الثالث : أنها مؤولة :

قال ابن البرهان : والأول من هذه المذاهب باطل ، والآخرا منقولان  
عن الصحابة .

قال أبو عمرو بن الصلاح : الناس فى هذه الاشياء الموهمة للجهمة  
ونحوها فرق ثلاث : فرقة تولى ، وفرقة تشبه ، وثالثة ترى أنه لم يطلق الشارع  
مثل هذه اللفظة ، الا واطلاقها سائغ ، وحسن قبولها مطلقة ، كما قال : مع  
التصريح بالتقديس ، والتزيه ، والتبرى من التحديد والتشبيه ، قال : وعلى  
هذه الطريقة مضى صدر الامة وسادتها ، واختارها أئمة الفقهاء وقادتها ،  
واليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ، وأصح الغزالي فى غير موضع بهجر ماسواها  
فى كتابه " الجام العوام " الذى بحث فيه على مذهب السلف .  
( ٢ )

قال الشوكانى : قال الذهبى فى النبلاء ( ٣ ) ، فى ترجمة فخر الدين  
الرازى ما لفظه : رأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ فى الاثبات - الرحمن  
على العرش استوى - ( ٤ ) اليه يصعد الكلم الطيب ( ٥ ) - وأقرأ فى النفى -  
( ٦ )  
ليس كمثله شئ .

- 
- ( ١ ) الشوكانى : ارشاد الفحول ص ١٧٦ .  
( ٢ ) المصدر السابق ص ١٧٧ .  
( ٣ ) كتاب سير اعلام النبلاء ، حققه الاستاذ شغيب الارناؤوط وآخرين فى ٢٣  
مجلد ط مؤسسه الرسالة بيروت .  
( ٤ ) سورة طه : آية : ٥ .  
( ٥ ) سورة فاطر : آية : ١٠ .  
( ٦ ) سورة الشورى : آية : ١١ .

كما ذكر الذهبي عن امام الحرمين الجويني قوله : " الذي نرتضيه رأيا ،  
وندين الله به عقدا ، اتباع سلف الأمة ، وقال في موضع آخر : اشهدوا  
على أتى قد رجعت عن كل مقالة تخالف السلف •

وقد ذكر الشوكاني هذا معقبا على ذلك ، وحامدا لله على نعمة  
التوفيق والهداية لما اختلف فيه من الحق ، ورجوع كبار المتكلمين بعد طول  
الحيرة الى مذهب السلف فقال :

وهؤلاء الثلاثة الذين رجعوا الى مذهب السلف : أغنى الجويني ،  
والغزالي ، والرازي ، هم الذين وسعوا دائرة التأويل ، وطولوا ذيوله ، وقد  
رجعوا آخرها الى مذهب السلف ، فله الحمد كما هو له أهل •  
( ١ )

ومن هنا تجلّى لنا وفاء الشوكاني لمنهج التأويل على المذهب السلفي ،  
كما ينبغي ان يفهم أن السلف كفوا عن أنفسهم البحث في كيفية الباري ذاتا  
وصفات مع علمهم بأن آيات الصفات كلها لها معان مفهومة وصحيحة من  
غير تأويل لها ، ومرادهم بالتأويل : التحريف المقصود الذي هو صرف اللفظ  
عن ظاهرة •  
( ٢ )

---

( ١ ) الشوكاني : ارشاد الفحول ص ١٧٦ ، ١٧٧ •

( ٢ ) د • الجلنيد : ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٦٣ •

موقف الزيدية من التأويل ، ومناقشة الشوكاني لهم :

---

أولا : موقف الزيدية من التأويل :

---

قبل الكلام عن موقف الزيدية من التأويل ، يجدر بنا أن نذكر نبذة يسيرة عن الامام الذي تتسبب هذه الفرقة اليه ، وكيف اتصلت بالمعتزلة ، واعتنقت مبادئها ، وعملت بأصولها .

تسبب الزيدية الى الامام زيد بن علي <sup>(١)</sup> - رضى الله عنه - الذي خرج للجهاد ، موجها كلامه الى اصحابه يقول : " انى ادعو الى كتاب الله ، وسنة نبيه ، واحياء السنن ، وامامة البدع ، فان تسمعوا يكن خيرا لكم ولسى ، وان تأبوا فلست عليكم بوكيل " <sup>(٢)</sup> .

وهو الذى قال لأحد اصحابه : " أما ترى هذه الثريا ، أترى أحدا ينالها ؟ قال صاحبه : لا ، قال : والله لو ددت ان يدى ملصقة بها فأقع على الارض أو حيث أقع ، فأقطع قطعة قطعة ، وان الله يجمع بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم " <sup>(٣)</sup> .

ومن هنا ندرك ان نيته - رضى الله عنه - كانت تطمح الى امرين :

احدهما : اقامة الحكم على أساس من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فيعود الناس الى السنن التى كانوا عليها فى عهد

---

(١) هو زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب ولد سنة ٨٠ هـ ، قتل شهيدا فى ميدان الدفاع عن الحق سنة ١٢٢ هـ

وكانت سنة لا تتجاوز الثانية والاربعين .

(٢) ابن كثير تاريخ ابن كثير ج ٩٠ ص ٣٣٠ .

(٣) مقاتل الطالبين : ص ١٢٩ .

السلف الصالح ، وتموت البدع المستكرة •

الأمر الثاني : اصلاح ما بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم •

( ١ )

فذلك غايته التى ينتدبها لنفسه •

هذا هو الامام زيد ، أما الذين يحملون اسم الزيدية ، وينتسبون اليه ،

قد توزعتهم الأرض ، ولم يجتمعوا فى مكان واحد ، وكلهم يدعى أنه يمثل

بآرائه ذلك الامام ، وإن الصدق عنده •

وزيدية الي من هم والمعتزلة فرقة واحدة ، فهم يطبقون مبادئ المعتزلة

واصولهم الخمسة ، ويعتقونها بكل موارد ها الا فى شىء يسير من مسائل

الامامة ، يقول الشيخ المقلبى : " ان زيدية اليمن معتزلة فى كل موارد ها

الا فى شىء يسير من مسائل الامامة " ( ٢ ) ، كما أنهم يدينون بالعدل والتوحيد ،

والوعد والوعيد ( ٣ ) ، وإن من يطلع على تصانيف ائمتهم وموافقاتهم يجدها

كلها كلمات الجبائية بعينها ، مع تصريحهم بقولهم : " والمختار كـلام

شيخنا ابو على او ابى هاشم ، نوغير ذلك ... " ( ٣ )

ويرجع اعتناق الزيدية لمبادئ الاعتزال ، والعمل باصولهم الى صلة

استمرت بينهم فترة طويلة ، وتاريخ عريق كان أساسه : الامام القاسم الرسى ( ٤ )

---

( ١ ) أبو زهرة : الامام زيد ص ٦ .

( ٢ ) المقلبى : العلم الشامخ ص ٩٨ •

( ٣ ) عبد الله بن حمزة : الشافى : ١ / ق ٦٢ •

( ٤ ) هو نجم الدين آل الرسول ، وفقههم ، وعالمهم المبرز فى أصناف العلوم

كان بمصر داعيا الى اخيه محمد بن ابراهيم ، فيصلغه انه قتل ، فازمـج

على القيام ، فبث الدعاة فى الاقطار فأجابه خلق كثير ، وبقي فى مصر

عشر سنوات مستترا ، طلبه عبد الله بن طاهر عامل المأمون بمصر ،

فعاد الى الحجاز ، واستتر بجبل الرس بالقرب من المدينة ، توفى سنة

٢٤٦ بالمدينة • ( أنظر المسلك الحسن والمسلك الواضح السنن : ( ق ١٨٢ ) •

وحفيده الامام الهادي <sup>(١)</sup> الذي كانت علاقته بالمعتزلة اظهر ما تكون من علاقة ، فقد كان شيخه في الاصول ، أبا القاسم البلخي ، فعليه أخذ الاصول ، وعلم الكلام ، ولذلك ترى أقواله في الأصول ، متابعة لأبي القاسم <sup>(٢)</sup> في الغالب .

ومن ذلك عرفنا مدى اتصال الزيدية بالمعتزلة وكيف كان الاعتزال مؤثرا على عقيدتها ، وأساسا تتبنى عليه اصولها ؟ والآن نعود الى موقف الزيدية من التأويل .

بناءً على ما تقدم ، وما علم من اعتناق الزيدية لاصول الاعتزال ، وإيجابها على المتكلمين أن يعلموها كما قال القاسم الرسي : " من لم يعلم في دين الله خمسة أصول فهو ضال مضل جهول " <sup>(٣)</sup> بناءً على ذلك ، نرى انزيدية

---

(١) هو الامام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم ابن اسماعيل الرسي مؤسس الدولة الزيدية في اليمن ، ولد بالمدينة سنة ٢١٥ هـ ، قام بأمر الامة سنة ٢٨٠ هـ ، بعد أن دعاه لها اهل اليمن ، وتوفي سنة ٢٨٩ هـ ، قام في صعدة نواصل من قبائلها ، ودخل في حروب كثيرة مع القرامطة ، ومن أشهر مؤلفاته " جامع الاحكام في الحلال والحرام ، ومجموع رسائل العدل والتوحيد " صنفها ونشرها د . محمد عمارة .

( أنظر غاية الاماني ج ١ ص ١٩٨ ، وانظر قائمة هذه المؤلفات للهادي

في مصادر الفكر العربي في اليمن ص ٥٠٨ - ٥١٢ ) .

(٢) يحيى بن الحسين : الزهر واعيان العصر ١/ ق ١٨ .

(٣) د . محمد عمارة : رسائل العدل والتوحيد ج ١ ص ٦٤٢ .

لكى يسلم لها هذه الاصول ، جعلت العقل مقدما على الشرع ، واعتبرت الشرع فوعا لا يثبت الا بالعقل فهم يقولون : " العقل آمن أمين ، وأفضل قرين ، فأستأنه على أحوالك ، وجميع خلالك " ( ١ ) .

كما أن الزيدية قد مجدت العقل تمجيذا لانظير له حيث جعلت صحته أصلا لحجتى القرآن والسنة ، فجعلت له الاسبقية عليها ، يقول القاسم الرسى : " احتج المعبود على العباد بثلاث حجج : العقل ، والكتاب ، والرسول . بحجة العقل يعرف المعبود ، وبحجة الكتاب تم معرفة التعبد ، وجاءت حجة الرسل بمعرفة العبادة ، والعقل اصل الحجتين الاخريتين ، لأنهما عرفا به ولم يعرف بهما " ( ٢ ) .

ومن هذا المنطلق التزمت الزيدية ، كالمعتزلة بالعقل ، وببإدائه ، وأخضعت الدين له ، وجعلته الحكم فى كل شىء ، فوجهت القرآن وجهة تتفق مع أصولها الخمسة ، فما فيه من آيات يرون أنها تشهد بظواهرها لمذهبهم ، أقروها على ظواهرها ، وما وجدوه يتعارض مع أصولهم قالوا : أنه من المتشابه . ( ٣ )

فاذا لم يتفق القرآن مع مذهبهم أولوه ، وأخرجوه عن معانيه ، ففى مبدأ التوحيد ، يرى عقل الزيدية ويقرر : أن مفهوم التوحيد يقضى بتتزييه الله عن كل ما يوهم التجسيم او التشبيه بمخلوقاته ، ومن ثم أخرجوا كثيرا

---

( ١ ) ذكره القاسم الرسى فى كتابه : " المكون " أنظر د . أحمد محمود صبحى : الزيدية ص ١٢٣ .

( ٢ ) القاسم الرسى : أصول العدل والتوحيد تحقيق محمد عمارة ص ٢٦-٢٧

( ٣ ) د . محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة

ج ١ ص ١٠٠ .

من الآيات عن ظاهرها ، ونفوا الصفات " فتمام التوحيد غدهم نفى الصفات والتشبيه لخلقه " (١)

وهكذا اشتمل تأويل الزيدية على الصفات الخمسة ، ينفونها ولا يشبثونها لله تعالى ، ويؤولون الآيات التي تثبت هذه الصفات ، فهم لا يشبثون الوجه واليدين وغيرها من الصفات الخيرية . (٢)

فمثلا الزيدية يؤولون قوله تعالى : " خلقت بيدي " (٣) أى خلقت بقدرتى وعلى ، يريد أنى على ذلك قادر وبه عالم وتوليت ذلك بنفسى ، وقوله تعالى : " والسماوات مطويات بيمينه " (٤) يعنى فى قدرته ، وغير ذلك من الصفات مما سيكون له زيادة بيان فى فصل الصفات بعد ذلك ان شاء الله تعالى .

هذا موقف الزيدية تجاه الآيات القرآنية أما موقفها تجاه النصوص النبوية والاحاديث المتعلقة بذات الله وصفاته ، فلم يكن بأحسن حال من موقفهم من التشرع فقد وقفوا حيالها بنفس الضيق ، ونفس الأسلوب .

عرضت الزيدية الحديث النبوى المتعلق بالذات أو الصفات الثابتة لله ، على مبدأ العقل ، فما وجدوه متفقا معه قبلوه ، وما رأوه مخالفا رفضوه ، اذا لم يجدوا له تأويلا يحتمل اللفظ .

---

(١) د . أحمد محمود صبحى : الزيدية ص ٢١٧ .

(٢) الاشعرى : مقالات الاسلاميين ١٤٦/١ ، وأنظر البحر الزخار

لابن المرتضى ج ١ ص ٥٩ .

(٣) سورة ص : آية : ٧٥ .

(٤) سورة الزمر : آية : ٦٧ .

(٥) العدل والتوحيد ونفى التشبيه عن الواحد المجيد ، المخطوط بالمكتبة

المركزية بجامعة أم القرى .



وعلى هذه القاعدة العقلية ردت الزيدية الاحاديث التى تتعارض مع  
التزييه الزيدى المعتزلى والتى ظاهرها فى نظريهم يوهى التشبيه ، كأحاديث الرواية .<sup>(١)</sup>

فهم فى ذلك كالمعتزلة ، يقول الشيخ أبوزهرة : " والزيدية فى قبولهم  
الحديث كالمعتزلة الى حد ما ، فى تفريقهم ما بين نوعين من الاحاديث ،  
احاديث تتعلق بالعبادات والمعاملات ، وأخرى تتعلق بالاعتقادات .  
فالأولى متبناة بالقبول <sup>(٢)</sup> . أما النوع الثانى من الاحاديث الخاصة  
بالاعتقاد ، فان كان من قبل الأحاد ، فلا يؤخذ به . <sup>(٣)</sup> لانه لا يؤخذ  
بخبر الاحاد فى مسائل أصول الدين . <sup>(٤)</sup>

بينما ترى الزيدية : أن ما يحكم به العقل باستحسانه فانه يعمد عندهم من  
أصول الفقه القطعية على مقتضى نظريهم ونظر المعتزلة .<sup>(٥)</sup>

أما ان كان الحديث متواترا ، ويتعارض مع اصول الزيدية فى العدل  
والتوحيد ، اولوه الى ما يتناسب مع هذه الاصول أو ردوه بالطمع فى روايته  
أو عارضوه بأحاديث أخرى .<sup>(٦)</sup>

فمثلا من الاحاديث التى ردوها : أحاديث اثبات روية الله  
تعالى ، فقد طعنوا فى رواية جرير بن عبد الله البجلي واتهموه بالكذب .<sup>(٧)</sup>

- 
- (١) ابن الوزير : الروض الباسم ٩١/١ .
  - (٢) أبوزهرة : الامام زيد ٣٢٥ .
  - (٣) الامام القاسم بن محمد : الجواب المختار ق ٦ مخطوط .
  - (٤) أبوزهرة : الامام زيد ٣٨٠ .
  - (٥) المصدر السابق نفس الصفحة .
  - (٦) محمد عارف : أصول الاتفاق فى القضايا الكلامية بين الزيدية والمعتزلة  
رسالة ماجستير بكلية دارالعلوم القاهرة ص ٩١ .
  - (٧) ابن الوزير : الروض الباسم ٩١/١ .

(١) وعارضوا الأحاديث التي تثبت الشفاعة لأهل الكبائر .

أما المحكم والمتشابه عد الزيدية :  
فقد قسموا القرآن الى محكم ومتشابه ،  
وعدوا المحكم أصلا للمتشابه ، يفسرونه اعتمادا عليه ويرجعونه اليه .  
(٢)

وتضع الزيدية في عداد المحكم كل الآيات التي تويد مذهبها اليه ،  
كما تضع في عداد المتشابه كل الآيات التي يظهر منها القول بما يخالف  
ما ذهب اليه ، فمن أمثلة الآيات المحكمة قوله تعالى : " ولم يكن له كفوا  
أحد " (٣) وقوله تعالى : " ليس كمثله شيء " (٤) وقوله : " لا تدركه  
الأبصار " (٥) .

ومن أمثلة الآيات المتشابهة ، قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة  
الى ربها ناظرة " (٦) لانها توحى بإمكان الرؤية البصرية لله ، وما " هو "   
يفهم منه الجبر والتسيير : قوله تعالى : " ان هى الا فتنتك تضل  
بها من تشاء وتهدى من تشاء " .  
(٧)

ثم تقرر الزيدية بعد ذلك : أن الواجب الاخذ بالمحكم ، والاقرار  
بان المتشابه من الله ، وتتخذ هذا الموقف من القرآن ، لتفى عنه مظنة  
التناقض بين آياته .  
(٨)

---

(١) كحديث : " شفاعتى لاهل الكبائر من امتى " أخرجه أبو داود ٣٤

كتاب السنة ٢٣ باب الشفاعة ١٠٦/٥ تحقيق الدغاس .

(٢) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٤٨ .

(٣) سورة الاخلاص : آية : ٤ .

(٤) سورة الشورى : آية : ١١ .

(٥) سورة الانعام : آية : ١٣٠ .

(٦) سورة القيامة : آية : ٢٢ .

(٧) سورة الاعراف : آية : ١٥٥ .

(٨) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٤٨ ، وأنظر القاسم الرسى رسائل

العدل والتوحيد ٩١/١ - ٩٢ .

ومن منهج الزيدية : اهتمامها بتحديد معنى المصطلحات وذلك لتفى مظنة التناقض بين آيات القرآن الكريم وجعلها تشهد للعقل وتزامل حججه ، فهي تبحث عن التحديد الدقيق لمعاني المصطلحات لتحديد معنى موضوع الجبر والاختيار ، وتستخدم في تحديد المصطلح الاستقراء ، ومعرفة ملابسات نزول الآيات وظروفها ، وتفسيرها للمتشابه اعتمادا على المحكم كما فعل الامام الهادي في رده على المشبهة والمجبرة .<sup>(١)</sup>

كما تستعين الزيدية باللغة العربية والبلاغة في تحديد المصطلحات ، فالقرآن نزل بلغة العرب ولا يمكن فهمه بدون معرفة هذه اللغة معرفة دقيقة ، ومعرفة الاستخدام الصحيح للكلمة ، لذلك نراهم يستعينون بالشواهد الشعرية التي وردت منها الكلمة لمعرفة استخداماتها البليغة .

والحق أن من الزيدية رجالا يهدون بالحق وبه يعدلون ممن علموا الحديث والاثر ، كعلامة اليمن ابن الوزير ، وتابعه الشوكاني على ذلك وغيرهما ، لم يرض هو<sup>١</sup> لا<sup>٢</sup> عن طريقة المتكلمين كالمعتزلة ومن تابعهم من الزيدية في تجاوزهم قواعد اللغة ، وأصول التفسير ، وتوسعهم في استعمال المجاز حتى جعلوا كل ما يخالف معتقدهم مجازا .<sup>(٢)</sup>

وقد نقدهم ابن الوزير وندد بطريقة المتكلمين فيما ذهبوا اليه من أمر المحكم والمتشابه فيقول : وقع المتكلمون في عدة أخطاء :

- ١ - دعواهم : أن الراسخين في العلم يعلمون المحكم والمتشابه .
- ٢ - اختلافهم في تمييز المحكم والمتشابه ، حتى أن ما تعدّه فرقة محكما تعدّه المخالفة لها متشابها .

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٨ ، وأنظر رسائل العدل والتوحيد ٩١/١ .

(٢) ابن الوزير : ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص ١٥٥ .

(١)

٣ - التباس الأمر عليهم ، وخلطهم بين المتشابه وبين المجاز .  
كما وضع ابن الوزير أضرار طرق المتكلمين البدعية ومرجعها في دين

الله تعالى ، وكيف نشأت هذه الضلالات ؟

فذكر أن منشأ هذه البدع يرجع الى امرين :

أولا : الزيادة في الدين ، وإثبات ما لم يذكره الله تعالى ورسله ، وذلك :  
بالتأويل الباطل ، وذلك بخوض المبتدعة فيما لا تدركه العقول ، من  
الحشيات التي أعرض عنها السلف ، وكذلك اختلافهم في معرفة  
المحكم والمتشابه ، والتمييز بينهما ، ورد المتشابه الى المحكم ،  
واختلافهم هل يعلمون تأويل المتشابه ؟ ، وكذلك اختلافهم في  
تأويله على فرض أنهم عرفوا المتشابه .

ثانيا : النقص في الدين : ومرجعه رد النصوص ، واعتبار حقائقها مجازا ،  
من غير طريق قاطعة توجب التأويل .  
(٢)

تبين فيما سبق أن الشوكاني في موضوع التأويل سلفى المذهب ،  
لا يخرج في آرائه عن آراء السلف ، ولا يجامل المتكلمين أو أصحاب مذهبهم  
- لمجرد التعصب - وإنما يظهر ما يعتقدونه ويدافع عنه بالأدلة التي ساقها  
السلف في مثل هذه الموضوعات ، وسوف يتضح لنا من خلال مناقشته لأصحابه  
مذهبه ، وهم الزيدية : أنه يخالفهم في معتقداتهم ، بل ويرد عليهم لعلهم  
يستجيب للحق الذي هو عليه أحد ، وقد كان له تأثيره بالفعل حيث تابعه  
من الزيدية الكثير من التلاميذ وقد ترجمت لبعضهم فيما سبق .  
(٣)

---

(١) ابن الوزير : ايثار الحق على الخلق ص ١٣٦ - ١٣٩ ، ص ١٢٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٤ .

(٣) أنظر ص بهذه الرسالة .

## ثانيا : مناقشة الشوكاني للزيدية فى التأويل :

لقد ناقش الشوكاني الزيدية فى عدة أمور خالفوا فيها

ماكان عليه السلف الصالح فى هذا الموضوع :

ناقشهم فيما أعطوه للعقل من سلطان لانظيره ، كما ناقشهم فى صرفهم النصوص عن حقائقها بأنواع المجازات ، وغرائب اللغات ، كما بين فى هذه المناقشة خطاهم فى الاخذ باصطلاح المتأخرين فى مفهوم التأويل ، وأخيرا تكلم معهم فى الطريق الذى سلكوه فى معنى المحكم والمتشابه مبينا المضائق والمزالق التى وقعت فيها طوائف أهل علم الكلام .

### أولا : العقل :

يرى الشوكاني كما ترى السلفية : أن الزيدية أسرفت حين أعطت العقل سلطانا لا نظيره ، فجعلت حجته مقدمة على حجتى الكتاب والسنة <sup>(١)</sup> ، فالتزمت بمبادئ العقل وأخضعت الدين له ، وإذا تعارض العقل والنقل وجب عندها تقديم العقل ، لانه الاصل ، وهذا انما يدل على النزعة العقلية ، التى غلبت على الزيدية والمعتزلة ، وجعلتهم يقررون هذه الديانة العقلية .

فكانت الزيدية بهذه المبادئ العقلية كالمعتزلة الذين كانوا يعولون على العقل أكثر ما يعولون على نصوص القرآن . <sup>(٢)</sup>

كما رأت الزيدية كالمعتزلة ان العقل يحكم ويقرر أن مفهوم التوحيد يقتضى تنزيه الله تعالى عن كل ما يوهم التجسيم ، أو التشبيه بمخلوقاته ،

(١) محمد عمارة : أصول العدل والتوحيد ص ٧٦ - ٩٧ .

(٢) دى يور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ١٠٥ +

ومن ثم صر فوا كثيرا من الآيات التى تشير بظاهرها فى نظريهم الى التجسيم  
معانى أخرى مجازية كما بينت ذلك من قبل ص ١٠٩ .

وهنا يرد الشوكانى عليهم : ويقرر ما ينبغى أن تبنى عليه العقائد من  
الأصول فيقول : أصول الدين الذى هو عمدة المتقين ، ما فى كتاب الله تعالى ،  
الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وما فى السنة المظهرة ،  
وليسعك ما وسع خير القرون . . . . وهو الايمان بما ورد ( ١ )

ثم بين الشوكانى فساد ما التزمت به الزيدية من مبادئ العقل الذى  
أخضعت له الدين ، والذى عولوا فيه على العقل أكثر مما عولوا على نصوص  
القرآن ، وقد موا العقل على الكتاب والسنة فقال :

" أن غاية ما تدركه العقول ، وجل ما تصل اليه ثبوت البارى ، وأن هذه  
الموجودات لها موجد ، وما عدا ذلك من التفاصيل ، لا يستفاد من العقل ،  
بل من ذلك النقل الذى عنه جاءت ، والينا به وصلت " ( ٢ ) .

" والعقل الصريح دائما موافق للرسول لا يخالفه قط ، فان الميزان  
مع الكتاب ، والله أنزل الكتاب بالحق والميزان " ( ٣ ) والله تعالى أمرنا  
أن لا نقول بخلاف الكتاب والسنة قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا  
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله " ( ٤ ) .

يقول ابن تيمية : " لو قدر عارض العقل للشرع لوجب تقديم الشرع ، لأن  
العقل قد صدق الشرع ومن ضرورة تصديقه له ، قبول خبره ، والشرع لم يصدق  
العقل فى كل ما أخبر به . . . لأن العقل يغلط كما يغلط الحس وأكثر من

---

( ١ ) الشوكانى : كشف الشبهات عن المشتبهات ، ضمن الرسائل السلفية

ص ١٩ ، ٢٠ .

( ٢ ) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ضمن الرسالة السلفية ص ٢ - ١٢ .

( ٣ ) ابن تيمية : تفسير سورة الاخلاص ص ١٥٥ .

( ٤ ) تفسير المراغى : سورة الحجرات آية : ١ .

غلطه بكثير<sup>(١)</sup> ، واتباع الرسل قدموا الوحي على الرأي والمعقول ، واتباع  
ابليس أو نواب من نوابه قدموا العقل على النقل .<sup>(٢)</sup>

ثانيا : مناقشة موقف الزيدية حيال النصوص :

يرى الشوكاني كما ترى السلفية : أن الزيدية وقفت حيال  
النصوص موقف المبتدعة ، فاستخرجوا معاني النصوص ، وصرفوها عن حقائقها ،  
بأنواع المجازات ، وغرائب اللغات ، ومستكرهات التأويلات ، فأولوا الآيات  
القرآنية التي جاءت في معناها ، تأويلات تتناسب وأدلتهم العقلية في نفي  
الصفات ، وقالوا : ان الاستدلال بالسمع في هذه المسألة لا يجوز ، وهو  
استدلال بالفرع على أصله .<sup>(٣)</sup>

فكانت نظرة الزيدية تجاه النصوص : أن الاستدلال بها لا يجوز في اثبات  
الصفات ، إذ هو استدلال بالفرع على أصله ، وأن مسألة الصفات من القضايا  
الاعتقادية التي لا يصح الاستدلال فيها إلا بالعقل ، يقول القاضي عبد الجبار  
في المحيط : " كل ما كان مما لا يجوز إلا على الأجسام يجب نفيه عن الله  
تعالى ، وإذ ورد في القرآن آيات تقتضي التشبيه وجب تأويلها ، لأن اللفاظ  
معرضة للاحتمال ، ودليل العقل بعيد عن الاحتمال .<sup>(٤)</sup>

وهكذا بالغت الزيدية والمعتزلة في التأويل حتى نفوا الصفات الإلهية  
ومنها وصلوا إلى التعطيل ، وأنكروا الصفات الخيرية جميعها<sup>(٥)</sup> ، كما

---

(١) ابن تيمية درء التعارض العقل للنقل ج ص

(٢) ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة ص ٢٦٢

(٣) أحمد عارف : أصول الاتفاق في القضايا الكلامية بين المعتزلة والزيدية

ص ١٧٠ رسالة ماجستير بكلية دار العلوم بالقاهرة

(٤) القاضي عبد الجبار : المحيط بالتكليف ص ٢٠٠

(٥) د . محمود أحمد خفاجي : العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة

• سنڀين في الفصول القادمة •

ويرد الشوكاني على الزيدية : مستكرا عليهم وعلى من لم يكتف بالوحى  
كما قال تعالى : " أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم " (١) قال  
الشوكاني : " ان الحق الذى لا شك فيه ولا شبهة هو ما كان عليه خير القرون "  
فقد كانوا " لا يتكلفون علم ما لا يعلمون ولا يتأولون ، وجاء من بعدهم " يوضح  
للناس بطلان أقوال أهل الضلال " ويحذرهم منها " كما فعله التابعون  
— رحمهم الله — بالجعد بن درهم ومن انتحل نحلته الباطلة " (٢)

كما رد الشوكاني على هو " لا " الزيدية فى موقفهم حيال النصوص ،  
وتعطيلهم للصفات ، بمقالة أهل السلف : " ان اقرار أدلة الصفات على ظاهرها  
هو مذهب السلف الصالح من الصحابة ، والتابعين " (٣) " وأن التأويل  
الصحيح هو الذى يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة " (٤) يقول  
ابن قيم الجوزية : " ان كل تأويل يعود على أصل النص بالابطال فهو باطل ،  
كالتأويل الذى يوجب تعطيل المعنى ، الذى هو غاية العلو والشرف ، ويحطه  
الى معنى دونه بمراتب ، كتأويل الجهمية " " وهو القاهر فوق عبادهم " (٥)  
ونظائره بأنها فوقية الشرف ، فعطلوا حقيقة الفوقية المطلقة التى هى من  
خصائص الربوبية • (٥)

---

(١) سورة العنكبوت : آية : ٥١ •

(٢). الشوكاني : التحف فى مذهب السلف ضمن الرسائل السلفية ص ٤ •

(٣) ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسله للموصلى ص ١٢ •

(٤) سورة الأنعام : آية : ١٨ •

(٥) ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسله ص ١٦ •



### ثالثا : مناقشة الزيدية حيال المحكم والمتشابه :

علمنا فيما سبق أن الزيدية ، وضعت الآيات التي يظهر منها القول بما يخالف ما ذهب إليه في عداد المتشابه ، ثم ترده إلى الآيات التي زعمت أنها محكمة ، ومن ذلك قوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة<sup>(١)</sup> باعتبارها من المتشابه ترد إلى قوله تعالى : " لا تدركه الأبصار"<sup>(٢)</sup> وقوله : " ليس كمثل شيء"<sup>(٣)</sup> باعتبارها محكمات ، وذلك لأن الآية الأولى توحى بما يفهم منه الرواية البصرية ، ويوهم بالتجسيم والتشبيه ، ويتنافى في زعمها مع التنزيه ، وتفعل في الآيات التي تتعارض مع مبادئها وقواعدها نفس العمل ، واتخذت هذا الموقف من القرآن لتنفى عنه مظنة التناقض بين آياته<sup>(٤)</sup> .

ويرد عليهم الشوكاني مبينا ما وقعوا فيه من المزالق والمضائق لطوائف أهل الكلام " حتى صارت كل طائفة تسمى ما دل لما ذهب إليه محكما ، وما دل على ما يذهب إليه من يخالفها متشابها<sup>(٥)</sup> .

ثم قطع الشوكاني على هؤلاء الطريق بما ورد عن السلف فيما يصدق عليه تفسير المتشابه فذكر : " فواتح السور ، وما استأثر الله بعلمه كالروح ، وما في قوله - ان الله عده علم الساعة ... الخ الآية<sup>(٦)</sup>

(١) سورة القيامة : آية : ٢٢ .

(٢) سورة الأنعام : آية : ١٣ .

(٣) سورة الشورى : آية : ١١ .

(٤) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٤٨ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٣١٤ - ٣١٧ .

(٦) المصدر السابق : نفس الصفحات .

وتصديقا لذلك يقول ابن تيمية : المحكم : ما علم العلماء تأويله ، والمتشابه :  
( ١ ) ما لم يكن للعلماء الى معرفته سبيل كقيام الساعة .

ونناء على ذلك ترى السلفية : ان آيات الصفات من الآيات المحكمات ،  
وأن المتشابه لا يعلم تأويله الا الله ، كالأمر الغيبية ، وأحوال الآخرة ،  
وعلى ذلك ترد السلفية قول كل من يروى عن السلف أنهم يقولون بأن آيات  
الصفات من المتشابه ، وينبغي أن يعلم أن الذي كف السلفية عن الخوض فيه  
بالنسبة للصفات هو : البحث عن كيفية الصفة ، فلا يقال عندهم كيف ؟ لأن  
الكيف عنه مرفوع ( ٢ ) ، " فالمذهب الحق في الصفات ، هو امرارها على ظاهرها  
من غير تأويل ( ٣ ) " و مراد السلف بالتأويل ، التحريف المقصود الذي هو صرف  
اللفظ عن ظاهره " ( ٤ ) .

---

( ١ ) ابن تيمية : سورة الاخلاص : ١٣٠ .

( ٢ ) د . محمود أحمد خفاجي : : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة :  
ج ١ ص ١٣٥ .

( ٣ ) الشوكاني : التحف في مذاهب السلف ضمن الرسائل السلفية ص ٨ .

( ٤ ) د . الجنيد : ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٦٣ .

## الفصل الثاني

~~~~~

الاستدلال على وجود الله ومهجه فيه

~~~~~

ويشتمل على :

~~~~~

❖ تمهيد

- * المنهج الذي اختاره الشوكاني في الاستدلال .
- * أدلته على وجود الله تعالى .
- * أ - دليل الفطرة .
- ب - الاستدلال بالآيات .
- ج - الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة .
- * منهج الزيدية في الاستدلال على وجود الله .
- ❖ - معرفة الله عند الزيدية .
- * - كيف يستدل الزيدية على وجود الله ؟
- * - مناقشة الشوكاني للزيدية في منهجهم .
- * - نقد العلماء لهذا المنهج الكلامي .

~~~~~

~~~~~

~~~~~

تمهيد : هناك منهجان في الاستدلال على وجود الله تعالى :

أحدهما : المنهج القرآني •

وثانيهما : المنهج الفلسفي الكلامي •

ويختلف كل منهما في خط سيره بداية ونهاية •

أما المنهج الكلامي : فقد رجع المتكلمون جانب العقل وتطرفوا في تقديمه ،

فحكموا باستقلاله وكفايته في الوصول الى قضايا الدين الاساسية ، مثل العلم بوجود الصانع وقدرته ونحو ذلك ، ونفوا صفات الله - عز وجل - متاولين ما ورد فيها من النصوص ، فنهج المتكلمين على هذا بعيد عن الحق لانهم يسلمون بقضية عامة وهو أنه ، اذا تعارض العقل والنص وجب تقديم العقل ، فيحكمون عقولهم في مسائل العقيدة ويتلاعبون بالنصوص • فاذا كانت ثابتة بحيث لا يمكن ردها جعلوها من المتشابه والا بادروا الى انكارها •

يقول ابن تيمية في منهج المتكلمين والفلاسفة : " وعمدة الكلام عندهم ،

ومعظمه ، تلك القضايا التي يسمونها العقليات وهي اصول دينهم ، وقد بنوها على مقاييس تستلزم رد كثير مما جاء به السنة ومنهم قسم بنوا على هذه العقليات القياسية ، جميع الاصول العلمية ، والعملية ، كالمحتزلة ، ولا شك أن هؤلاء هم المتكلمة المذمومون عند السلف لكثرة بنائهم الدين على اساس القياس الفاسد الكلامي ، وردهم لما جاء به الكتاب والسنة ، والآخرون لما شاركوهم في ذلك لحقهم من الذم والعيب ، بقدر ما وافقوهم فيه ، وهو موافقتهم في كثير من دلائلهم ، التي يزعمون أنهم يقررون بها اصول الدين ، والايمان ، وفي غائفة من مسائلهم التي يخالفون بها السنن والآثار وما عليه اهل العقل والدين •  
( ١ )

وهذه الأصول التي ابتدعوها برايهم يعرض عليها القرآن والحديث فان وافقه احتجوا به اعتقادا لا اعتمادا ، وان خالفه فتارة يحرفون الكلام عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله ، وتارة يعرضون عنه ويقولون نفوض معناه الى الله ، وعمدة الطائفتين على غير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . ( ١ )

أما المنهج القرآني : يجعل فاتحة دعوته ودعوة الرسل جميعا : هو الدعوة الى عبادة الله ، ومن المعلوم " أن التوحيد أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك الى الله عز وجل " ( ٢ ) قال تعالى : لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الاله غيره " ( ٣ ) وقال هود عليه السلام لقومه : " اعبدوا الله ما لكم من اله غيره " ( ٣ ) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله " ( ٤ ) ، ولهذا كان الصحيح ان أول واجب على المكلف : شهادة أن لا اله الا الله ، لا النظر ، ولا القصد الى النظر ، ولا الشك ، كما يقول ارباب الكلام المذموم ، بل ائمة السلف متفقون على ان أول ما يورثه العبد ، الشهادتان . " ( ٥ )

---

( ١ ) د . محمد خليل هراس : ابن تيمية السلفي ص ٣٨ ، ٣٩ ط دار الكتب العلمية بيروت .

( ٢ ) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جز ١ ص ٦٥

( ٣ ) سورة الأعراف : آية : ٦٥ .

( ٤ ) الحديث رواه الامام مسلم في الايمان ٣٢ ، والبخارى في الايمان ١٧ ،

٣٨ ، ورواه أبو داود في الجهاد ، والترمذي في التفسير سورة ٨٨ ،

والنسائي في الزكاة ٣ ، وابن ماجه في الفتن ١ - ٣ ، والدارمي في

السير ١٠ ، وأحمد بن حنبل ج ٤ ص ٨ .

( ٥ ) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٦٥ .

فأصل العلم عند أصحاب هذا المذهب السلفي : هو العلم بالله ،  
لا الحس ، ولا البدهيات ، والحجة لا تقوم على الناس الا ببعثة الرسل (١) ،  
قال تعالى : " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " (٢)

بعد أن وضع أمامنا كل من هذه المناهج ياترى ماهو المذهب الذى  
ارتماه الشوكاني فى الاستدلال على وجود الله تعالى ؟ .

### المذهب الذى اختاره الشوكاني :

وجد الشوكاني فى القرآن الكريم ، ومنهجه ما اغناه عن أدلة  
المتكلمين ، كما وجد فيه من الأدلة والبراهين العقلية الصريحة ما يناسب  
جميع الخلق ، كما ، أنها أكثر دلالة على مطلوب الشرع من أدلة المتكلمين التى  
لا تدل الا على مطلوبهم لا مطلوب الشرع .

يقول الشوكاني : " قد أخبرنا الله تعالى فى كتابه أنه " قد أحاط  
بكل شئ علما " فقال : " ما فرطنا فى الكتاب من شئ " (٣) وقال " ونزلنا  
عليك الكتاب تبينا لكل شئ " ، وهدى ورحمة " (٤) ، كما أمر عباده أيضا  
فى محكم كتابه ، باتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال  
سبحانه : " وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا " (٥)  
وقال : " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة " (٦) فكل حكم سنه الرسول

---

(١) د . عمر الأشقر : العقيدة فى الله ص ٣٣ .

(٢) سورة الاسراء : آية : ١٥ .

(٣) سورة الانعام : آية : ٣٨ .

(٤) سورة النحل : آية : ٨٩ .

(٥) سورة الحشر : آية : ٧ .

(٦) سورة الاحزاب : آية : ٢١ .

صلى الله عليه وسلم لأمته ، قد ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز . (١)

وهكذا من ينظر فى القرآن يجده كله حديثا عن الايمان بالله ، اما حديث مباشر عن الله تعالى ذاته وصفاته ، وأسمائه ، وأفعاله ، واما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له ، وهذا كله تعريف بالله ، ودعوة للقيام بحقه ، ونهى عن صرف ذلك لغيره . (٢)

فالقرآن اما دعوة الى التوحيد ، بمعنى افراد الله بالعبادة ، واما أمر بطاعته ، ونهى عن معصيته ، وهذا من لوازم الايمان ، واما اخبار عن أهل الشرك ، وما فعل بهم من النكال ، وما يفعله بهم فى العقب من العذاب . (٣)  
من أجل هذا كله قد اختار الشوكاني القرآن منهجا أغناه عن أدلة المتكلمين التى لاتدل على مطلوب الشرع فى الاستدلال على وجود الله .

### أدلة على وجود الله :

سلك الشوكاني فى الاستدلال على وجود الله اتجاهين كلاهما يمكن الاستدلال به على وجود الصانع .

الاتجاه الأول : لجوؤه الى الفطرة السليمة التى لم تغيرها أصناف الشرك ، وألوانه ، وتضطر بطبيعتها الى الاقرار بوجود الرب الخالق .

الاتجاه الثانى : الاستدلال بالآيات التى هى أدل على المقصود من الاستدلال بالأقيسة والبراهين ، وهذه الآيات تشمل آيات الآفاق من العلويات والسفليات من الأرض والجبال والبحار والانهار ، والحيوانات والمزروعات وغيرها ،

---

(١) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص ١١٤ ، وأنظر الشوكاني : الاجتهاد

والتقليد تحقيق د / ابراهيم هلال ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) د . عمر الأشقر : العقيدة فى الله ص ٦٠ .

(٣) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٢٥

ودليل الأنفس التي ذكرها الله في القرآن . قال تعالى : " وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم . أفلا تبصرون " (١) الآية .

ويجد ربنا أن نتعرف على طريقة الشوكاني ومنهجه في الاستدلال على وجود الله بهذين الاتجاهين ، اتجاه الفطرة والعهد المعقود بينهما وبين بارئها ، واتجاه الآيات في الآفاق والأنفس .

أولا : دليل الفطرة ، والعهد المعقود بينهما وبين بارئها :

---

آمن الشوكاني أن النفوس المستقيمة ، والفطرة

السليمة التي لم تغيرها أصناف الشرك ، وعوامل البيئة تعترف وتقر بربطها إلى الإقرار بوجود الخالق من غير احتياجها إلى إقامة دليل ، وذلك لأن توحيد الله أمر بدهى فطرى قال الشوكاني : كل فرد من أفراد الناس مفطور على ملة الإسلام ، والقول بأن المراد بالفطرة الإسلام هو مذهب جمهور السلف (٢) ، قال تعالى : " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم " (٣) فكل أفراد الناس مفطور على ملة الإسلام ، والامر في هذه الآية ب ( أقم وجهك للدين . . . ) أمر باتباع الدين واتباع الفطرة ، فهذا الدين المأمور بإقامة الوجه له ، هو الدين القيم " (٤)

ومعلوم أن مطلوب الشرع لزوم الفطرة والاستمرار عليها ، قال ابن كثير : " الله تعالى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ، أن يستمر على الدين الذي شرعه ، كما أمره سبحانه بلزوم الفطرة السليمة التي فطر

---

(١) سورة الذاريات : آية : ٢١ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ج ٤ ص ٢٤٤ .

(٣) سورة الروم : آية : ٣٠ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ج ٤ ص ٢٢٦ .



الخلق عليها ، فانه تعالى فطر خلقه على معرفته ، وتوحيده ، وأنه لا اله غيره ، وأنه تعالى قد ساوى بين خلقه كلهم فى الفطرة ، ولا تفاوت بين الناس فى ذلك . ( ١ )

وما ذكره الشوكانى وابن كثير من أن المراد بالفطرة الاسلام هو مذهب جمهور السلف ، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم : " ما من مولود الا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، وينصرانه ، ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء " ثم يقول أبو هريرة - رضى الله عنه - : اقرأوا ان شئتم : " فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم " ( ٢ )

وقد استعمل هذا الدليل الفطرى قبله الامام ابن تيمية فى الاستدلال على وجود الله .

فقد لجأ ابن تيمية الى الفطرة السليمة التى هى مضطرة بطبيعتها الى الاقرار بوجود الله ، وذلك لما تحتاج اليه النفوس من لجوئها الى قوة عليا تستغنى بها عند حلول الكوارث ، ونزول الصائب ، أيا . كانت هذه النفوس مؤمنة او كافرة ، وقد لفت القرآن الكريم أنظارنا الى هذا الاعتراف الفطرى حيث قال فى صيغة الاستفهام التقريرى : " أمن يجيب المضطر اذا دعاه ، ويكشف السوء ؟ " . ( ٣ ) ( ٤ )

فقد يظهر أثر هذه الفطرة عند حلول الكوارث والمحن ، وطلب النجاة .

( ١ ) ابن كثير : مختصر ابن كثير اختصار وتحقيق الشيخ محمد على الصابونى

ج ٣ ص ٥٤ .

( ٢ ) أخرجه البخارى ٩٤ / ٢ - ٩٥ . كتاب الجنائز باب اذا أسلم الصبى فمات .

( ٣ ) سورة النحل : آية : ٦٠ .

( ٤ ) د . محمد السيد الجليل : ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٢٧٦ ،

والفطرة تدعو المرء الى الاتجاه الى الخالق ، لكن الانسان تحيط به  
مؤثرات كثيرة قد تجعله ينحرف حينما يتجه الى المحبود الحق ، ذلك  
بسبب ما يفرسه الآباء ، في نفوس الأبناء ، وما يلقيه الكتاب والمعلمون في  
أفكار الناشئة فيلقى على هذه الفطرة غشاوة فلا تتجه الى الحقيقة ، وكثيرا  
ما تتكشف وتزول هذه الغشاوة عند فقد أسباب النجاة وحلول المصائب ،  
فكم من ملحد عرف ربه وآب اليه لضر نزل به ؟ ” ( ١ )

وليس غريبا أن نرى ملحدا أو مشركا يعترف بالخالق ويقربه ويلجأ  
اليه عند نزول الكوارث ، وذلك لأن الله تعالى أشهد المرء على نفسه  
أزلا ، بهذه المعرفة النظرية ، وهذه الشهادة من أقوى أنواع الاقرار  
لأن من شهد على نفسه بحق فقد أقربه .

قال تعالى : ” واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ،  
وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة  
انا كنا عن هذا غافلين ” . . . . ” ( ٢ )

فهذا العهد المأخوذ على الذرية ميثاق يرتبط ارتباطا وثيقا بالفطرة  
الانسانية و في تفسير هذه الآية يقول الشوكاني : ان الله سبحانه لما خلق  
ادم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد ، وهو لاء عالم  
الذر ، وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ، لثبوته مرفوعا الى النبي  
صلى الله عليه وسلم ، وموقوفا على غيره ” ( ٣ )

== و انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١٤ ، ١٦ ص ١٦٥ .

( ١ ) د . عمر الاشقر : العقيدة في الله ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ .

( ٢ ) سورة الاعراف : آية : ١٧٢ — ١٧٣ .

( ٣ ) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص ٢٦٤ .

وقد وردت أحاديث في اخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام ،  
(١)

وفي بعضها الاشهاد عليهم بأن الله ربهم .

ففيها : ما رواه الامام أحمد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن  
النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " ان الله أخذ الميثاق من ظهر  
آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة وأخرج من صلبه كل ذرية ذراهما ،  
فنشرها بين يديه ، ثم كلمهم قبلا قال : ألت بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا  
... الى قوله : المبطلون " (٢) ورواه النسائي أيضا ، وابن جرير ، وابن  
أبي حاتم ، والحاكم في ( المستدرک ) وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ،  
يقول الألويسي في التفسير : ينبغي للمؤمن أن يصدق بهذا الأخذ ،  
فقد نطقت به الأخبار ، الصادرة من منبع الرسالة ، ولا يلتفت الى قول من  
قال : أنها متروكة العمل لكونها من الآحاد . (٣)

ونناء على ما بيخته الآيات في العهد المأخوذ على الذرية ، وارتباطه  
بالفطرة الانسانية ، والاعتراف بالربوبية ، وما ورد في الاحاديث بهذا الخصوص ؛  
لم يرد التكليف به ، وانما ورد بمعرفة التوحيد وفي الشرك .

---

(١) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٢٩٤

(٢) الحديث رواه الامام أحمد في مسنده ٢٧٢/١ ، وقال الشيخ أحمد شاکر

هو في المسند بتحقيقه : ٢٤٥٥ - تفسير الطبري ٧٥/٩ - ٧٦ (مطبعة

بولاق ) ومجمع الزوائد ١٨٨/٧ - ١٨٩ ، ونقله ابن كثير في التفسير

٥٨٤/٣ - ٥٨٥ ، وفي التاريخ ٩٠/١ .

(٣) الالوسي : تفسير روح المعاني ج ٩ ص ١٠٨ .

يقول ابن تيمية : لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع ، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفى الشرك : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله ، فاعلم أنه لا اله الا الله " ( ١ )

فالسبب في أن التكليف لم يرد بمعرفة وجود الصانع لأن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار ، فمن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما " ( ٢ )

وقد سجل القرآن الكريم ، اعتراف المشركين في غير ما موضع بربوبية الرب الخالق بما لا يقدر على انكاره ، ولا يتمكن من جحوده ، ولا يجدون الى انكاره سبيلا " ( ٣ ) .

قال تعالى : " ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله " ( ٤ )  
" ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله " ( ٥ )

وهذا الاعتراف يقتضى بطلان ما هم عليه من الشرك . ولذلك كانت دعوة الرسل عليهم السلام الى عبادة الله وحده لا شريك له ، وللتذكير بالربوبية ، لان عامة الناس مقرين بالصانع ، متخذين معه شريكا في العبادة . ومما تقدم يتبين لنا أن الاقرار بالصانع أمر فطري مترسخ في كل نفس ، وأن الفطرة الانسانية مركوز فيها معرفة الله تعالى .

---

( ١ ) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل تحقيق محمد رشاد سالم

ج ٣ ص ١٢٩ .

( ٢ ) د . محمود أحمد خفاجي : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة

ج ١ ص ١٥٣ .

( ٣ ) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٢١١ .

( ٤ ) سورة الزخرف : من الآية : ٨٧ .

( ٥ ) سورة لقمان : من الآية : ٢٥ .

## ثانيا : الاستدلال بالآيات :

### تمهيد :

قد وضع القرآن الكريم أمام الانسان أظهر الآيات دلالة ،  
كآيات الخلق من العدم ، وهذه الآيات مستلزمة لوجود الخالق تبارك  
وتعالى ، وذلك لأن آيات الخلق أقوى أنواع الآيات دلالة على الخالق ،  
لأن الاستدلال بها مشروط بالمعرفة الفطرية السابقة ، والاقرار السابق  
بالربوبية .

يقول ابن تيمية : " شأن الحق الذى يطلب معرفته بالدليل ، لا بد  
أن يكون مشعورا به فى النفس ، حتى يطلب الدليل عليه أو على بعض  
أحواله ، وأما مالا تشعر به النفس أصلا فليس مطلوبا لها البتة " ( ١ )  
فآية الخلق مودعة فى الفطرة ، وظاهرة لأصحاب العقول ، لذلك  
يمكن الاستدلال بها على وجود الله ، وهى أدلة بينة فى نفسها ، لا تحتاج  
الى دليل آخر يوءد كها كما فعل المتكلمون مع أدلتهم المعقدة .

ولملائمة هذه الطريقة للفطرة ، اهتدى اليها بعض المفكرين ، كابن  
رشد الفيلسوف الأندلسى ، وابن الوزير اليمنى ، والشوكانى كذلك ، كما  
اهتدى اليها أئمة السلفية ، كابن تيمية ، وابن قيم الجوزية وغير هؤلاء .  
يقول ابن الوزير : ذكر صاحب الوظائف على مذهب السلف : أن فى  
القرآن قدر خمسمائة آية دالة على وجود الله ، ثم ذكر منها خمسة  
وعشرين حجة وقال : اذا نظرنا الى هذه الطريقة ، المسماه بطريقة  
الأحوال وجدنا الاحتجاج بها هو سنة الأنبياء ، والأولياء ، والأخلاف  
الصالحين . ( ٢ )

( ١ ) د . محمد السيد الجلندى : ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٢٨٣ .  
( ٢ ) ابن الوزير : ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص ٧٠-٧٤ .

وقد سلك الشوكاني هذه الطريقة في الاستدلال بالآيات على وجود الخالق ، وذلك لأنها أدلة عقلية صحيحة ، وشرعية دل عليها القرآن قال تعالى : " ان في خلق السموات والأرض آيات للمؤمنين ، وفي خلقكم ، وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ، واختلاف الليل والنهار ، وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها ، وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ، تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق " فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون " ( ١ ) ؟

قال الشوكاني : هذه الآيات المذكورة هي حجج الله وبراهينه . ( ٢ )  
ومفتاح الدليل بالنسبة لهذه الآيات وغيرها التي يستدل بها الشوكاني ، وغيره من المفكرين " هو أن يسلك الانسان سبيل الانتفاع بحواسه وعقله وتذكيره ، وذلك في عالم الانسان والحيوان ، والنبات ، والجماد ، وفي عجائب خلق الأرض والسموات وفي مواقع ما نظر الله عليه الحيوان والنبات " ( ٣ )  
قال تعالى : " وفي الأرض آيات للموقنين " ( ٤ ) قال الشوكاني : ذكر سبحانه مانصبه من الدلائل الدالة على توحيده ، وصدق وعده ووعيده ، فقال : " وفي الأرض آيات للموقنين " أي دلائل واضحة وعلامات ظاهرة من الجبال والبحر والبر ، والأشجار ، والأنهار ، والثمار ، وفيها آثار الهلاك للأمم الكافرة المكذبة لما جاءت به . رسل الله ودعتهم اليه ، وخص المؤمنين لأنهم الذين يعترفون بذلك ، ويتدبرون فيه ، فينتفعون به . ( ٥ )

---

( ١ ) سورة الجاثية : آية : ٣ - ٥ .

( ٢ ) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ٤ .

( ٣ ) د . محمد يوسف موسى : الاسلام وحاجة الانسان اليه : ٧٣ .

( ٤ ) سورة الذاريات : آية : ٢٠ .

( ٥ ) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ٨٥ .

وقد تناول القرآن الحديث عن الأرض بما فيها من الآيات والعبر والدلائل على وجوده وتوحيده وقدرته ، وحكمته . قال تعالى : ( والأرض فرشناها فنعم الماهدون " ( ١ ) قال الغزالي : أنظر كيف جعل الله الأرض مهاداً ليستقر عليها الحيوان ، وجميع الأرض محالاً للنبات لقوته ، ومسكن يكمه من الحر والبرد ، ثم ذلل طرقها ، لينتقل فيها الخلق لطلب مآربهم ، فهي موضوعة لبقاء النسل من جميع أصناف الحيوان والحرث ، والنبات . ( ٢ )

قال تعالى : " ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ، " ( ٣ ) وهنا يسوق الشوكاني الدلائل والبراهين التي عن طريقها يتعرف الناس على خالقهم ، ويستدلون بهذه المخلوقات على توحيده ، وصدق وعده ووعيده ، فيقول : ومن كل شيء خلق الله زوجين : أى صنفين ونوعين من ذكر وأنثى ، وبر وبحر ، وشمس وقمر ، وحلو ومر ، وسما وأرض ، وليل ونهار ، ونور وظلمة ، وجن وانس ، وخير وشر ، خلقنا ذلك هكذا لتتذكروا ، فتعرفوا أنه خالق كل شيء ، وتستدلوا بذلك على توحيده ، وصدق وعده ووعيده . ( ٤ )

وقد أعطى الشوكاني الاستدلال بالآيات عناية كبيرة عندما تكلم في آية الآفاق والأنفس وذلك لأنها أوسع دلالة وأوضح برهاناً ، وأعظم حججاً من غيرها في هذا الباب .

---

( ١ ) سورة الذاريات : آية : ٤٨ .

( ٢ ) الغزالي : الحكمة في مخلوقات الله تحقيق د : محمد رشيد رضا

قبنى ص ٣١ - ٣٢ .

( ٣ ) سورة الذاريات : آية : ٤٩ .

( ٤ ) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ٩١ .

نقد اشتملت كما قال الشوكاني عن عطاء : على دلالات في : انظار  
السموات والأرض ، من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار ، والرياح  
والأمطار ، والرعد والبرق والصواعق ، والنبات والأشجار ، والجبال  
والبحار وغير ذلك .

كما اشتملت على دلالات في الأنفس : من لطيف الصنعة ، وبديع  
الحكمة <sup>(١)</sup> ، قال تعالى : " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى  
يتبين لهم أنه الحق " <sup>(٢)</sup> . وكما قال تعالى : " وفي أنفسكم أفلا تبصرون " <sup>(٣)</sup>  
قال الشوكاني : وفي أنفسكم آيات تدل على توحيد الله ، وصدق ما جاءت  
به الرسل ، فانه خلقهم نطفة ثم علقه ، ثم مضغه ، ثم عظمها الى أن  
ينفخ فيه الروح ، ثم تختلف بعد صورهم وألوانهم وطبائعهم وألسنتهم ،  
ثم نفس خلقهم على هذه الصفة العجيبة الشأن من لحم ودم وعظم ، وأعضاء  
وحواس ، ومجاري ومنافس . <sup>(٤)</sup>

فمن نظر بعين البصيرة استدل " بذلك على الخالق الرازق ، المنفرد  
بالألوهية ، وأنه لا شريك له ، ولا ضد ولا ند " <sup>(٥)</sup>

وقد تكلم الغزالي في دليل الأنفس مبينا دقة الخلق وعظيم  
الحكمة في تكوين هذا الانسان وأطال في هذا الوصف الى أن قال : " فأنظر  
كيف خلق البارئ سبحانه وتعالى ذلك كله من نطفة رقيقة سخيصة ،  
وكيف خلقها ؟ وخالف بين أشكالها ؟ . . . وجعل سبحانه في هذا الخلق

---

( ١ ) الشوكاني : فتح القدير ج ٤ ص ٥٢٣ .

( ٢ ) سورة فصلت : آية : ٥٣ .

( ٣ ) سورة الذاريات : آية : ٢١ .

( ٤ ) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ٨٥ .

( ٥ ) المصدر السابق :



عبرة لأولى الأبصار ، وآيات بينات على عظمته وجلاله " . ( ١ )

وفى الحقيقة أن آيات الأنفس أكثر من أن تحصى ، إذ ليس فى العالم شيء إلا وفى ذات الانسان له نظير ، يدل مثل دلالة ، على ما انفرد به ، من الهيئات النافعة ، والمناظر البهية ، والتركيبات العجيبة ، والتمكن من الأفعال البديعة واستتباط الصنائع المختلفة ، ( ٢ ) روى عطاء عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : " وفى أنفسكم أفلا تبصرون " ( ٣ ) قال : أريد بذلك : اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع ( ٤ ) .

قال ابن الجوزى : " وفى أنفسكم " آيات إذ كتمت نطفاً ، ثم عظاماً ، ثم علماً ، ثم مضغاً الى غير ذلك من أحوال الاختلاف ، ثم اختلاف الصور والألوان والطبائع ، وتقويم الأدوات ، والسمع والبصر والعقل ، الى غير ذلك من العجائب المودعة فى ابن آدم . ( ٥ )

وقد أعطت السلفية طريقة الاستدلال بالآيات عناية فائقة ، فتميز منهجهم فى الاستدلال بالوضوح والسهولة ، والملاءمة للنفوس ، ولجميع الناس عامتهم وخاصتهم .

---

( ١ ) الغزالي : الحكمة فى مخلوقات الله تحقيق د . محمد رشيد

رضا قباني ص ٦٤ - ٦٥ .

( ٢ ) الألوسى : روح المعانى ج ٢٧ ص ٩ .

( ٣ ) سورة الذاريات : آية : ٢١ . ( ٤ ) الألوسى روح المعانى ج ٢٧ ص ٩

( ٥ ) ابن الجوزى : زاد المسير ج ١ ص ٣٣ وأنظر ابن جرير الطبرى

فى تفسير هذه الآية من سورة الذاريات قال : ( وفى أنفسكم )

أيها الناس آيات وعبر تدلكم على وحدانية صانعكم ، وأنه لا اله

لكم سواه .

كما أن السلف قد توسعت في الاستدلال ، فمع استدلالهم بآيات الخلق ، التي اشتملت على عموم الآفاق والأنفس التي ذكرت أقطار السموات والأرض ، وأحوال النبات والحيوان ، والجبال والأنهار ، استدلت أيضا : بآيات الاعجاز في اثبات الصانع : وحدوث العالم ، بطريق الاستدلال بمقدّمات النبوة ومعجزات الرسالة .

يقول ابن قيم الجوزية : من طرق القرآن التي أرشد الله إليها عباده ، ودلهم بها : المعجزات " كما دلهم بما يشاهدونه من أحوال الحيوانات ، والنبات ، والمطر ، والسحاب ، والحوادث التي في الجو ، وأحوال العلويات من السماء والشمس والقمر والنجوم ، وأحوال النطفة وتقلبها طبقا بعد طبق ، حتى صارت انسانا سميعا بصيرا متكلمًا عالما قادرا يفعل الأنفع العجيبة ، ويعلم العلوم العظيمة . ( ١ )

كما وضع البيهقي الاستدلال بالمعجز في كتابه : " الاعتقاد على مذهب السلف " وبين أن دلائله مأخوذة عن طريق الحس لمن شاهدها ، ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها فيقول : " لما ثبتت النبوة ، صارت أصلا في وجوب قبول ما دعا إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فعلى هذا الوجه كان إيمان أكثر المستجيبين للرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين " ( ٢ )

وقد لقي هذا النوع من الاستدلال قبولا لدى كبار العلماء والمحققين كابن الوزير اليمنى حيث ذكر دليل المعجزات وبين أنه : " أقرب وأقوى وأجلى وأقطع للحجاج وأولى " ( ٣ ) ، ثم قال :

---

( ١ ) ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلّة للموصلى ج ١ ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

( ٢ ) البيهقي : الاعتقاد ص ١٥ .

( ٣ ) ابن الوزير : ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص ٦٤ .

(١) ما لهم عن دليل المعجزات أما هـ هـ في طلعة الشمس عن نور السهمى عوض  
ومن هنا نعلم أن هذه الطريقة من أقوى الطرق وأصحبها ، وأدللها  
على وجود الصانع وصفاته وأفعاله . " وذلك لأن ارتباط أدلة هذه الطريق  
بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها ، وليس فى  
طرق الادلة أوثق ولا أقوى منها " (٢) .

والاستدلال بقدمات النبوة ومعجزات الرسالة الذى أخذت به السلف  
معلوم بالتواتر ، اذ ثبت احتجاج الرسل به على أشد الخلق غادا ، كما هو موضح  
ومبين فى مواضع عديدة من القرآن ومن ذلك :  
افحام ابراهيم عليه السلام خصمه الكافر الذى زعم أنه يحيى ويميت فقال له  
ابراهيم عليه السلام : " الى الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب  
فبهتت الذى كفر " (٣)

واحتجاج موسى عليه السلام على فرعون : " قال فرعون لموسى : " لئن اتخذت  
الها غمري لأجعلنك من المسجونين " (٤) قال موسى : " أولو جئتكم بشىء مبين  
قال : فأت به ان كنت من الصادقين ، فألقى عصاه فإذا هى شعبان مبين ،  
ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين . . . الى قوله : فألقى السحرة ساجدين " (٥)  
واحتجاج النبى - صلى الله عليه وسلم - بالمعجز : فعن ابن عباس  
- رضى الله عنهما - أنه قال : جاء اعرابى الى النبى - صلى الله عليه وسلم -  
فقال : بم أعرف أنك رسول الله ؟ قال : " رأيت لودعوت هذا العذق من هذه

(١) ابن الوزير : ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص ٦٤ .

(٢) ابن القيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٣) سورة البقرة : آية : ٢٥٨ .

(٤) سورة الشعراء : آية : ٢٩ .

(٥) سورة الشعراء : آية : ٣٠ - ٤٦ .

النخلة أتشهد بأنى رسول الله ؟ ، قال : نعم قال : فدعا العذق ، فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط فى الارض ، فجعل ينفر حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم قال له : " ارجع " ، حتى عاد الى مكانه ، فقال :  
( ١ )  
أشهد أنك رسول الله وأمن .

كما استدل النجاشى ومن معه بأعجاز القرآن على صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان فيما جاء اثبات الصانع ، وحدوث العالم ، ( ٢ )

وكذلك سائر آيات الانبياء ، كإخراج ناقة صالح عليه السلام من صخرة تمخضت بها ثم انصدعت عنها ، والناس حولها ينظرون ، وكذلك تصوير طائر من طين ثم ينفخ فيه النبي عيسى عليه السلام ، فينقلب طائرا ذا لحم ودم ، وريش ، واجنحة يطير بمشهد من الناس . ( ٣ )

هذا وبعد استقراء طرق الشوكانى من خلال مؤلفاته العديدة وتفسيره للقرآن فى كيفية الاستدلال على وجود الله تعالى ، ومقارنته بمذهب السلف ، يتضح أمانا ما يمكن أن نحدد به ، ونحكم من خلاله على مذهب فى اثبات الصانع .  
اذ وجد الشوكانى فى القرآن الكريم ومذهبه ، ما أغناه عن أدلة المتكلمين كما بينت ذلك فيما تقدم .

كما أمن ان الفطرة السليمة والنفوس المستقيمة تقر من غير دليل بوجود خالقها ، فكل فرد من افراد الناس مفتور على ملة الاسلام ، ولذلك امرنا باتباع الدين الذى

---

( ١ ) البيهقى : الاعتقاد على مذهب السلف : ص ١٧ ، وهذا الحديث تابعه  
الاعمش عن ابى غلبيا ، ورواه ابو حبان عن عطاء ، عن ابن عمر ، عن النبي  
صلى الله عليه وسلم بمعناه ، وأخرجه الترمذى فى المناقب ج ٥ ص ٥٩٤ .  
( ٢ ) المصدر السابق ص ١٧ .

( ٣ ) ابن قيم الجوزية : المصدر السابق ص ١٩٥ .

هو الفطرة ، واقامة الوجه له ، والاستمرار عليه .

كما ربط الشوكاني في هذا الاستدلال بين الفطرة والميثاق المأخوذ على الذرية ، عندما مسح الله ظهر آدم ، واستخرج منه ذريته ، وأخذ عليهم ذلك العهد " ألت بربكم قالوا : بلى " .

كما اعتبر الشوكاني أن ما ذهب اليه ، وما حققه في هذا الموضوع ، هو ماكان عليه جمع من السلف ، وأنه الحق والحجة التي لاينبغي العدول عنه ، لثبوتها عن النبي صلى الله عليه وسلم .

أما بالنسبة لاستدلاله بالآيات في اثبات وجوده تعالى ، فنجد أنه عن طريق الآيات القرآنية ، وبما يشاهد من الآيات الكونية يثبت وجوده تعالى .

اذ وجد أن القرآن عن طريق الآيات يكشف أسرار الخلق والتكوين ، ويدل ويهدي الى الحكمة من الخلق والايجاد ، ويظهر قوته وعظمته بما حبا عباده من نعم الامداد ، في ذوات انفسهم ، وفي الكون حولهم ، وفي ذلك الدلائل الواضحة على كمال قدرته وبديع صنعه .

يلاحظ ان الشوكاني اثناء تفسيره للقرآن ما من اية يمر عليها تتكلم عن اى حال من احوال الخلق الا ويشهد فيها الكمال والعظمة وبديع الصنعة التي تدل على وجود الله تعالى وتفرد به بالكمال والجلال ومن ذلك : ما رآه في احوال النبات والحيوانات ما يشهد بالكمال وعظيم الحكمة لخالقها .  
— كما وجد في السحاب والأمطار وحوادث الجو ما يدل على العناية الالهية والقدرة الربانية .

— كما دلت على وحدانية الله وتفرد به ، احوال العلويات من الشمس والقمر والنجوم ، و احوال السفليات من الجبال والبحار والانهار .

— كما استدل الشوكاني باطوار النطفة وتقلبها طبقا بعدة طبقات حتى صار انسانا كاملا دليلا واضحا على بديع صنعته ، وعجيب حكمته في خلق هذا الانسان .

وبذلك نستطيع أن نحكم على منهج الشوكاني في الاستدلال على وجود الله من خلال هذه النقاط بأنه سلفى المنهج ، وذلك لأن السلفية ، استغنت بالقرآن عن أدلة المتكلمين ، إذ وجدته كله حديثاً عن الإيمان ، وإن معرفة الله وتوحيده طبيعة مركوزة في الإنسان .

— كما استدلت السلفية بالآيات ، وجعلت الاقرار السابق بالربوبية شرطاً في صحة الاستدلال بهذه الآيات .

ورأت السلفية أن آية الخلق كافية في الاستدلال على وجود الله كما سبق أن بينت ذلك عن ابن تيمية .

وينبغي أن يعرف عن السلفية أنها : توسعت في الاستدلال بالآيات ، فمع استدلالهم بآية الخلق التي شملت الآفاق والانفس في اثبات الصانع وحدوث العالم ، استدلت أيضاً بالدلائل المأخوذة من طريق الحرل من شاهدها ، وطريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها ، وهو الاستدلال بالمعجزات ، واعتبرت هذه الطريق من أقوى الطرق ، وأوثقها كما بين ابن قيم الجوزية ، وابن الوزير ، والبيهقي .

وبذلك يكون قد توافق منهج الشوكاني مع المنهج السلفى في الاستدلال على وجود الله ، وخالف كل منهما منهج المتكلمين والفلاسفة المعطلين .

والآن نشهد مناقشة الشوكاني للزيدية ومنهجهم في الاستدلال على اثبات الصانع ، ومدى توافقه أو تخالفه مع المنهج السلفى في هذا النقد .

منهج الزيدية في الاستدلال على وجود الله وموقف الشوكاني منه :

---

معرفة الله عند الزيدية :

---

سبق أن تقرر عند السلف : أن القرآن كله حديث عن الايمان ،  
وأن قضية وجود الله فطرية كما قررها القرآن في مواضع متعددة ، فوجود  
الله أمر بدهي ، فطر الله الخلق عليه ، وانتهج الشوكاني هذا المنهج  
كما وضحت ذلك من قبل ، ونريد الان أن نتعرف على مذهب الزيدية في الاستدلال  
على وجود الله ، فما هو مذهب الزيدية في ذلك ؟

لقد قرر أحد أعلام الزيدية : صالح بن المهدي المقبلي " في كتابه :  
" العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشاخ " والذي ذكرته في الفصل الأول  
من هذا البحث ص ١٠٢ : أن الزيدية معتزلة في كل الموارد الا في شيء يسير  
من مسائل الامامة <sup>(١)</sup> ، كما ذكر السيد الهادي ابن الوزير ، الذي قال فيهم وفي  
المعتزلة أنهما فرقة واحدة في التحقيق . <sup>(٢)</sup>

وبناء على ذلك ، وعلى ما تقرر مصنفات أئمتهم يتقرر منهجهم في الاستدلال  
على وجود الله .

فالزيدية ترى أن معرفة وجود الله لا تتم بالضرورة والبدئية ، وانما عن  
طريق النظر ، كما ذكر الحاكم الجشمي ، والقرشي . يقول الجشمي : وأول ما يجب  
على المكلف النظر المؤدى الى معرفة الله تعالى ، لأنه تعالى لا يعرف  
ضرورة ولا بالمشاهدة ، فيجب أن يعرف بالتفكير والنظر " <sup>(٣)</sup>

---

(١) صالح بن المهدي المقبلي : العلم الشامخ طبعة جديدة مكتبة دار البيان ص ١١

(٢) المصدر السابق : نفس الصفحة .

(٣) د . عدنان زرزور : الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن ص ١٩٧ .

كما يقول القرشي في منهاج التحقيق : أنه لا يختلف رأى الزيدية عن قوله المعتزلة : في أن أول واجبات النظر هو تحصيل المعرفة بالله ، بتوحيده وعدله ، ووجوب شكره على نعمائه . ( ١ )

كما أن الزيدية لا يجوزون التقليد في هذه المعرفة باعتبارها من 'العروض' العقدية ، لأنه كما يقول صاحب الأساس في الرد على القائلين بالتقليد : بأنه تعالى : لم يكن مطابقا لكل اعتقاد حتى يجوز التقليد في معرفته " لاسيما " وقد علم اختلاف أهل المذاهب في عقائدهم ، فالمخطئ في اعتقاده جاهل به " الله " والجاهل به تعالى كافر اجماعا ، وتقليد الكافر في كفره كفر اجماعا . ( ٢ )

واجاب الزيدية النظر على المكلف لأنه يـؤدي الى معرفة الله ، بمعنى أنه لا يعفى منه مكلف عاقل ، ولا يصح تأجيله بخلاف سائر الواجبات ، وأن شكر الله ، إنما يكون بعد معرفته ، حتى لا يكون الشكر تقليدا ، كما ذهب البصرية من المعتزلة الى أن المعرفة بالصانع وصفاته مكتسب . ( ٣ )

وعلى ذلك يستطيع المكلف عند الزيدية بدون تقليد أن يستدل على وجود الله ، وعلى تصديق دعوى الرسل فيما أخبروا به عنه تعالى من الأمر والنهي ، وذلك بالنظر في معجزاتهم الدالة على صدقهم .

كما أنه لا تغنى المعرفة السمعية عن ذلك ، إذ هي متأخرة عن المعرفة العقلية ، ومتوقفة عليها ، والا لأدى ذلك الى الدور وهو الاستدلال بالفرع على أصله . ( ٤ )

---

( ١ ) أحمد عبد الله عارف : أصول الاتفاق في القضايا الكلامية بين الزيدية

والمعتزلة ، رسالة ماجستير ، ص ١٢١ .

( ٢ ) الشرفي : العدة ص ٤٧ .

( ٣ ) د . أحمد محمود صبحي ، الزيدية ص ٤٣٤ — ٤٣٦ .

( ٤ ) أحمد عبد الله عارف : أصول الاتفاق في القضايا الكلامية بين المعتزلة

والزيدية ص ١٢٣ ، وأنظر شرح الأصول الخمسة ص ٦٩ ، وأنظر المغنسي

ج ١٥ ص ١٦٨ .



فالمعرفة أول العبادة ، وأصل المعرفة بالخالق توحيده ، والعبادة عند الزيدية ثلاثة : معرفة الله ، ومعرفة ما يرضيه ، وما يسخطه ، واتباع ما يرضيه واجتناب ما يسخطه ، وعلى قدر نظر الناظر استدلاله يكون درك الحقيقة ( ١ ) ومن هنا يتطابق قول الزيدية مع المعتزلة : في أن العلم بالله أول الواجبات لان الشرائع من قول أو فعل الشرط فيها ايقاعها على وجه القرينة والعبادة الى الله تعالى ، وذلك لا يتم الا بعد معرفة الله ، ذلك لأن سائر الواجبات تتأخر . ( ٢ )

### كيف تستدل الزيدية على وجود الله :

يتصدر الاستدلال على وجود الله تعالى ، المسائل الاولى لبدا التوحيد عندهم ، من حيث انه لا بد — عقلا — لهذا الكون من موجد او حده وصانع أبده ، على هذه الصورة والاشكال المتنوعة التي تنتظم في تناسق بديع . ولأن يثبت هذا الوجود الأزلي للذات الالهية من خلال البرهنة عليه عقلا ، ذهب علماء الكلام ، وبعض الفلاسفة الاسلاميين ، ومشى في تيارهم الزيدية ، يستدلون على ذلك بحدوث العالم ، وقد صاغوا لذلك عدة أدلة منها : — دليل الجوهر والأعراض :

وكان أول من صاغ هذا الدليل : أبو الهذيل العلاف وقد اخذ بهذا الدليل المعتزلة والزيدية ، ثم جاء الاشاعرة واعتوا به ، وسماء مناظروا

---

( ١ ) د . فضيلة عبد الامير الشامي ، تاريخ الفرقة الزيدية ص ٣٢٠ ، وانظر

العدل والتوحيد للقاسم الرسي .

( ٢ ) القاضي عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ص ٧٠ .

المعتزلة والزيدية بدليل الدعاوى الأربع <sup>(١)</sup> ، وابن تيمية يرجح صدور هذه  
الادلة الى الجهم ابن صفوان <sup>(٢)</sup> .

والزيدية توضح أن هذه الدعاوى تقوم : على أن الاجسام لا تخلو من الاعراض  
وهي محدثة ، فلا بد أن الاجسام محدثة <sup>(٣)</sup> ، أما الدعاوى فهي :

- ١ - أن في الاجسام معاني وهي : الاجتماع ، والافتراق ، والحركة ، والسكون .
  - ٢ - أن هذه المعاني محدثة .
  - ٣ - أن الجسم لم ينفك عنها ، ولم يتقدمها .
  - ٤ - أنها اذا لم ينفك الجسم عنها ، ولم يتقدمها وجب حدوثه مثلها ، ولهذا  
الدعاوى ترتيب ، فالاولى يجب أن تكون متقدمة ، والاخيرة يجب أن تكون  
متأخرة ، والدعويان اللتان هما في الوسط لا ترتيب فيهما <sup>(٤)</sup> .
- وشرح الرازي في " تحصيل أفكار المتقدمين والمتأخرين " هذه الطريقة  
وقال :

قد عرفت أن العالم اما جواهر ، واما أعراض ، وقد يستدل بكل واحد منهما  
على وجود الصانع ، اما بإمكانه أو حدوثه ، فهذه اربعة <sup>(٥)</sup> :

الأول : الاستدلال بحدوث الجواهر : وهو أن العالم حادث ، وكل حادث فله  
محدث .

- 
- (١) حابس الصعدي : الايضاح ص ١٦ .
  - (٢) د . محمود أحمد خفاجي : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ج ١ ص ١٨٠ .
  - (٣) د . أحمد محمود صبحي : الزيدية ص ٤٦٩ .
  - (٤) القاضي عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة تحقيق د . عبد الكريم عثمان  
ص ٩٥ - ٩٦ .
  - (٥) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ١٨٣ ، وأنظر  
الايجي : المواقف ص ٢٦٦ .

الثانى : بإمكانها : وهو أن العالم ممكن ، لأنه مركب وكثير ، وكل ممكن فله  
علة مؤثرة •

الثالث : بحدوث الأعراض : مثل ما نشاهده من انقلاب النطفة علقية ، ثم  
مضغة ، ثم لحماً ودماً ، إذ لا بد من مؤثر صانع حكيم •

الرابع : بإمكان الأعراض : وهو أن الاجسام متماثلة ، فاختصاص كل بما له من  
الصفات جائز ، فلا بد فى التخصيص من مخصص له •

ثم بعد هذه الوجوه نقول : مدبر العالم ان كان واجب الوجود فهو  
المطلوب ، والا كان ممكناً فله مؤثر ، ويعود الكلام فيه ، ويلزم اما الدور واما  
التسلسل ، واما الانتماء الى مؤثر واجب الوجود لذاته ، والأول بقسميه باطل ،  
لما مر ، فتعين الثانى وهو المطلوب • ( ١ )

ويوضح هذه الطريقة بعض المتكلمين فيقول : بأن العالم ينقسم الى  
جواهر وأعراض ، وأن الأعراض لا تبقى زمانين متتاليتين ، وانما يطرأ عليها التغير  
والتحول ، فهي حادثة ، والجواهر لا تتعزى عن الأعراض التى هى ملازمة لها ،  
وما دامت الجواهر لا تتفك عن الأعراض ، فهي حادثة بحدوثها ، لان ملازم الحادث  
فهو حادث ، ومادام مكوناً من الجواهر والأعراض ، وقد ثبت حدوثها — فالعالم  
حادث ، وكل حادث فلا بد له من محدث ، وهو الله سبحانه وتعالى • ( ٢ )

وسنرى موقف الشوكانى من هذا المنهج وكيف قابله بالنقد والرد ؟ وما هى  
النتائج التى لزمت عن هذا المسلك الكلامى ؟ •

---

( ١ ) عبد الرحمن بن أحمد الابجى : المواقف ص ٢٦٦ •

( ٢ ) د • محمد السيد الجليلي : ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ١٨٣ — ١٨٤ •

## مناقشة الشوكاني للزيدية في منهجهم في اثبات الصانع :

لم يلق منهج الزيدية في الاستدلال على وجود الله تعالى لدى الشوكاني قبولا بل ندد بهم وعنفهم فيما ذهبوا اليه من مذهب المتكلمين في الاستدلال بالجواهر والاعراض ، وذلك لانهم لم يلقوا على ما تقتضيه أدلة الكتاب والسنة ، ولا ينبغي لعالم من العلماء أن يدين بغير ما دان به السلف الصالح من الصحابة والتابعين .

كما رأى الشوكاني أنه : ينبغي عدم الاعتداد بشيء من تلك القواعد المدونة في علم الكلام ، وذلك لانها مبنية على شفا جرف هار ، من أدلة العقل التي لا تعقل ولا تثبت الا بمجرد الدعاوى والافتراء على العقل بما يطابق الهوى . ( ١ )

كما يطلب الشوكاني من الباحثين أن يريحوا انفسهم من عبارات المتكلمين والفاظهم ، واصطلاحاتهم ، التي جعلوها أصولا ترد الكتاب والسنة فيقول : لو خالفتم فيما ذهبوا اليه وجئت بالف آية واضحة الدلالة ظاهرة المعنى ، والف حديث بما ثبت في الصحيح لم يبالوا به ، ولا رفعوا اليه روء وسهم ولا عدوه شيئا . ( ٢ )

ويحط الشوكاني من قيمة المنهج الكلامي في الاستدلال على وجود الله ، ومن قدر هذه الغاية التي يرمى اليها " وهى ثبوت الباري " الذي هو أمر فطري بدهى ، وان غاية ما حصلوه تحصيل الحاصل فيقول : ان غاية ما تدركه العقول ، وجل ما تصل اليه هو ثبوت الباري ، وان هذه المصنوعات لها صانع ، وهذه الموجودات لها موجد ( ٣ ) كما اشرت الى ذلك من قبل في الفصل الاول من هذا البحث .

( ١ ) د . أحمد محمود صبحي : الزيدية ص ١٣٧ — وانظر التحف في مذهب السلف

( ٢ ) الشوكاني : التحف في مذهب السلف ضمن رسائل السلفية ص ٦ .

( ٣ ) د . أحمد محمود صبحي : الزيدية ص ١٣٧ .

كما أعرب الشوكاني عن فساد هذا المنهج ونتائجه الوخيمة التي أفسدت دين العباد ، إذ لزم عنه : تعطيل صفات الباري ، ورد النصوص الثابتة من الكتاب والسنة ، فوق أنه افتراء على الله وجراً عليه يقول الشوكاني :

” فهذا أبو علي الجبائي وهو ركن من أركانهم ، واصطوانة من اصطواناتهم ، قد حكى عنه صاحب شرح القلائد ( أن الله لا يعلم من نفسه ما يعلم هو ) فانظر هذه الجرأة على الله سبحانه وتعالى التي ليس بعدها جرأة ” ( ١ )

ولما كان منهج الشوكاني موقفا معارضا ورافضا لمنهج المتكلمين كما بينت آنفا ، لأنهم ابتدعوا في الاسلام من الاستدلال على وجود الله ، مسلكا غريبا ، هو طريقة الاعراض والجواهر ، واستدلوا بحدوث كل ما كان على حدوث العالم . نراه يندد بكل من قلده هذا المنهج الكلامي ، من الائمة الزيدية ، كالامام الهادي وامثاله الذين ساروا على منهج المتكلمين ، وقلده اهل الديار اليمنية في الاصول والفروع ، وكان من آثار هذا التقليد ما كان ، ان تفرقت الأمة ، وصارت الى ما نراه من التباين والتقاطع والتخالف ” . ( ٢ )

ولما حاول المتكلمون الانتماء ببراهينهم في اثبات وجود الله الى منهج القرآن ، فزعموا أن أدلتهم من جنس دليل ابراهيم — عليه السلام — حين استدل على عدم قدم الوهية الكواكب بالافول . وقالوا : ” ان ابراهيم ” قد استدل على حدوث الكواكب بتحركها وتغيرها ، لأن كل ما حرك محدث ، والمحدث لا يصلح أن يكون ربا ، واستدل الرازي بهذه الطريقة ، وفسر الافول بالحركة . ( ٣ )

لما حاول المتكلمون ذلك الانتماء ، لم يلق هذا الانتماء لدى الشوكاني قبولا ، وذلك لان منهجه أداه الى ان يفهم طريقة المخالفين ، والتزم هذا

---

( ١ ) الشوكاني : التحف في مذهب السلف ص ٧ .

( ٢ ) الشوكاني : القول المفيد في ادلة الاجتهاد تحقيق د . ابراهيم صلال س ١٢٥

( ٣ ) د . محمد السيد الجليلي : ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل : ص ١٨٩ .

المنهج قولا وتطبيقا فى تفسيره للقرآن الكريم .

ومن ثم يفسر الآفول فى قوله تعالى : " فلما أفل " <sup>(١)</sup> بالذهاب  
او الغياب فقال الشوكانى : " فلما أفل " أى غرب ، قال ابراهيم : " لا احب  
الآفولين " أى الالهة التى تغرب <sup>(٢)</sup> ، وبهذا المعنى فسر ابن كثير وقال :  
" والحق أن ابراهيم كان مناظرا لقومه مبينا لهم ما كانوا عليه ، فهو اولى  
الناس بالفطرة السليمة ، والسجية المستقيمة بعد رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - بلا شك ولا ريب <sup>(٣)</sup> ، قال ابن الوزير : " لو اشتغل الانبياء بالنظر  
لنقل اليها نظرهم ، وكيفية استدلالهم ، ولكنهم لم ياخذوا عقائدهم عن النظر " <sup>(٤)</sup>

وقد نقض ونقد هذا المنهج - منهج المتكلمين - فى الاستدلال

على وجود الله كثير من العلماء :

نقده ابن رشد وقال : انها طريقة معتاضة ، ليس فى استطاعة  
الجمهور قبلها ، كما اتفق نقده مع ابن تيمية : فى ان طريقة المتكلمين تحتاج  
فى تقريرها الى مقدمات طويلة لاتسلم الى اليقين فى نتائجها ، كما صرح الأشعرى  
بأن هذه الطريقة بدعة محرمة فى دين الانبياء . <sup>(٥)</sup>

وقد تميز منهج السلف فى الرد على المتكلمين بالتفصيل والاستقصاء .  
لجزئيات الدليل ، وبيان تهافت أدلتهم عقلا ونقلا .  
يقول ابن تيمية : " هذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمدا - صلى  
الله عليه وسلم - لم يدع الناس بها الى الاقرار بالخالق ونبوة انبيائه ، كما ذكر

( ١ ) سورة الانعام : آية : ٧٦ .

( ٢ ) الشوكانى : فتح القدير ج ٢ ص ١٣٤ .

( ٣ ) ابن كثير مختصر الصابونى ج ١ ص ٥٩٢ ، ٥٩٣ .

( ٤ ) أحمد محمود صبحى : الزيدية ص ٨٢ .

( ٥ ) د . محمد السيد الجليل : ابن تيمية وقضية التأويل ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

عن الأشعرى وغيره : أنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم ، ولا سلف الأمة وأئمتها ، وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعى بها مطلقا . ( ١ )

كما أن استعمال المتكلمين لهذه الطريقة قد ألجأتهم الى مازق لم يمكنهم التخلص منها ، فاضطروا الى أن يلزموا أنفسهم لاجلها لوازم معلومة الفساد فى العقل والشرع .

” فأول لوازم هذه الطريقة ، نفى الصفات والافعال ، ونفى العلوصفة

الكلام ، ونفى الروئية ، والقول بخلق القرآن ، وعن هذه الطريق قال جهنم ومن وافقه ، بفناء الجنة ، وفناء أهلها ، وعدمهم عدما محضا ، وغيرها قال أبو الهذيل العلاف : بفناء حركاتهم دون ذاتهم . ( ٢ ) والتزم لاجلها الاشاعة : أن الماء والهواء والتراب والنار له طعم ولون وريح . ( ٣ )

وقد استخدم ابن تيمية فى نقده لطريقة المتكلمين منهاجا قويا وأسلوبا

حكيمًا ، وطريقة أصوب فى البحث .

اذ عرف أولا المعانى التى يقصدها والالفاظ التى اصطلموها عليها

ثم وزنها بميزان الكتاب والسنة ، فأثبت ما فيها من الحق ، ونفى ما فيها من الباطل ، فمعانى الالفاظ قد وزنتها كتب اللغة والمعاجم ، وليس فى واحد منها أن معانى ألفاظ المتكلمين هى ما تعارفوا عليه ، كلفظ الجسم والجهة ، والممكن والواجب ، والحركة والحيز ، فهذه كلها ألفاظ استعملها العرب فى معنى غير ( ٤ )

المعنى الذى استعملها فيه المتكلمون .

فاذا اردنا أن نعرف اللبس والتدليس ، فصلنا ما فى هذه الالفاظ من اجمال ،

ووضحنا ما فيها من ابهام وغموض ، وهذا الذى سلكه ابن تيمية .

( ١ ) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل تحقيق محمد رشاد سالم ص ٢٩ .

( ٢ ) ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة للموصلى ج ١ ص ١٩٢ — ١٩٣ .

( ٣ ) د . محمد السيد الجليند : ابن تيمية وقضية التأويل ص ١٨٦ .

( ٤ ) المصدر السابق ص ١٨٧ .

## الفصل الثالث

### منهج الشوكاني في الوحدةانية

---

- \* تمهيد :
- \* توحيد الربوبية .
- \* توحيد الالهية .
- \* الوحدةانية في العبادة .
- \* عناية القرآن الكريم بتقرير توحيد الالهية والبرهنة عليه .
- \* تحقيق توحيد الالهية بقطع ذرائع الشرك .
- \* توحيد الأسماء والصفات .
- \* العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة .
- \* منهج الزيدية في التوحيد .
- \* مناقشة الشوكاني لهم فيما ذهبوا اليه .
- \* رد السلفية وابطالهم لهذا المذهب .

\* \* \* \* \*

\* \* \* \* \*

\* \* \* \*



تمهيد :

ان التوحيد هو دين العالم أوله وآخره ، وسابقة ، ولاحقة ،  
وأن الشرائع كلها انضقت على ذلك على كثرة عدد الرسل المرسلين ، وكثرة  
كتب الله عز وجل . يقول الشوكاني : " ان الشرائع كلها انضقت على  
التوحيد ، على كثرة عدد الرسل ، وكثرة كتب الله عز وجل ، المنزلة على  
أنبيائه . (١)

" فان الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، وأن الكتب المنزلة ،  
مائة كتاب وأربعة كتب " (٢)

وعبادة الله وحده لا شريك له هي أصل الدين ، وهو التوحيد  
الذي بعث الله به الرسل ، وأنزل به الكتب (٣) ، قال تعالى : " وما  
أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون " (٤)  
فكل نبي بعثه الله يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له ، والفتنة  
شاهدة بذلك ، والمشركون لا يبرهان لهم (٥) . قال الشوكاني : في هذه  
الآية : تقرير لأمر التوحيد وتأكيده ، فقد ختم تعالى الآية بالأمر  
لعباده بعبادته فقال : " فاعبدون " فقد اتضح بذلك دليل العقل ،  
ودليل النقل ، وقامت حجة الله . (٦)

- 
- (١) الشوكاني : ارشاد الثقات الى اتقاق الشرائع على التوحيد والمعاد  
والنبوات تحقيق د . ابراهيم هلال : ص ٢٠ .  
(٢) الحديث : أخرجه ابن حبان ، والبيهقي بسندين حسنين عن  
أبي ذر أنظر المصدر السابق ص ٢٠ .  
(٣) الشوكاني : الدر النضيد ص ٤١ .  
(٤) سورة الأنبياء : آية : ٢٥ .  
(٥) ابن كثير : مختصر الصابوني ج ٢٠ ص ٥٠٥ .  
(٦) الشوكاني : فتح القدير ج ٣ ص ٤٠٣ .

ومن هنا نعرف أن التوحيد أول مايدخل به في الاسلام ، وآخر ما يخرج به من الدنيا ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة " <sup>(١)</sup> فهو أول واجب وآخر واجب ، وهو أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك الى الله عز وجل . ( ٢ )

بعد أن عرفنا التوحيد ومعانيه ، وأنه أول دعوة الرسل ، وأنه أول ما يجب على المكلف : " شهادة أن لا اله الا الله " وأنه أول ما يؤمر به العبد باتفاق أئمة السلف <sup>(٣)</sup> ، وهو أول مايدخل به الاسلام يجد ربنا أن نعرف أنواع التوحيد .

#### أولاً : توحيد الربوبية :

وهذا النوع من التوحيد معناه : الاقرار بأنه خالق كل شيء ، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال . ( ٤ )

ويوضح الشوكاني هذه المعاني في معنى اسم الرب ، والربوبية فيقول : " الرب اسم من أسماء الله تعالى ، ولا يقال في غيره الا بالاضافة ، وقد قالوه في الجاهلية للملك ، وفي الكشف : الرب الملك ، ومنه قول صفوان لأبي سفيان : " لأن يربني رجل من قريش أحب الي من أن يربني رجل من هوازن ، وفي تفسير القرطبي : الرب السيد ، ومنه قوله تعالى :

---

( ١ ) الحديث : رواه البخاري في الجنايز ١ ، ورواه أبو داود في الجنايز ١٦ ، والحاكم من طريق كثير بن مرة الحضرمي عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة " .

( ٢ ) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ص ٥ - ٧

( ٣ ) المصدر السابق ص ٦ .

( ٤ ) ابن أبي العز : شرح الطحاوية " " " " ج ١ ص ٩ .

"أذكرنى عند ربك" <sup>(١)</sup> وفى الحديث : " أن تلد الأمة ربتهـا " <sup>(٢)</sup>  
والرب المصلح والمدبر والجبار والقائم <sup>(٣)</sup> .

وهذا يبين أن الرب هو الملك المتصرف ، ويطلق فى اللغة على  
السيد ، وعلى المتصرف للإصلاح ، وكل ذلك صحيح من حق الله  
تعالى ، ولا يستعمل الرب لغير الله إلا بالاضافة ، تقول : رب الدار ،  
وأما الرب فلا يقال إلا لله عز وجل " <sup>(٤)</sup> كما ينبغى أن يعرف أن أصل  
الرب مصدر بمعنى التنزيه ، وهو تبليغ الشئ الى كماله بحسب استعدادة  
شيئاً فشيئاً ، واستعير للفاعل أى العربى ، والرب صفة ذات أو صفة  
فعل <sup>(٥)</sup> .

ومن هذه التعريفات يفهم أن : للفظ الرب عدة معان ، وأن هذه  
المعان كلها تصح أن تراد بلفظ الرب ، أما اذا أطلق على الله تعالى ،  
فهو الربى للأشياء ، ينقلها فى أطوار مختلفة حتى تبلغ الكمال ، وهو  
المالك والسيد عليها والمدبر والمصلح لها ، والقائم بحفظها .  
وتعنى السلفية بتوحيد الربوبية : أن الله تعالى رب كل شئ  
ومالكة وخالقه ، ورازقه ، وأنه المحيى المميت ، النافع الضار ، المنفرد  
باجابة الدعاء عند الاضطرار ، الذى له الأمر كله ، ويده الخير كله ،  
القادر على ما يشاء ليس له فى ذلك شريك <sup>(٦)</sup> .

- 
- (١) سورة يوسف : آية : ٤٢ .  
(٢) الحديث : أخرجه البخارى فى الايمان ٣٧ ، وتفسير سورة ٣١ ،  
وأخرجه مسلم فى الايمان ٥ ، ٦ .  
(٣) الشوكانى : فتح القدير ج ١ ص ٢١ .  
(٤) ابن كثير : مختصر الصابونى للتفسير ج ١ ص ٢٠ .  
(٥) حسنين مخلوف : صفوة البيان ج ١ ص ١٢ .  
(٦) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : تيسير العزيز  
الحميد ص ٣٣ .

وهذا التوحيد حق لا ريب فيه ، ولم يذهب الى نقيضه طائفة  
معروفة من بنى آدم ، بل القلوب مبطورة على الاقرار به . يقول الشوكاني :  
" ان ارسال الرسل وانزال الكتب لم يكن لتعريف الناس بخالقهم  
ورازقهم ونحو ذلك فان هذا يقر به كل مشرك قبل بعثه الرسل ، وانما بعث  
الله رساله وأنزل كتبه لا خلاص توحيد ، وافراد ، بالعبادة " (١)  
وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بانكار الصانع فرعون ، وقد كان  
مستيقنا في الباطن ، كما قال له موسى - عليه السلام - : " لقد علمت  
ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر " (٢) (٣) ، فكان فرعون  
عالم بما قاله موسى وهذا هو الأصح للمعنى . (٤) يقول الشوكاني : ولهذا  
نجد كل ماورد في الكتاب العزيز في شأن خالق الخلق ونحوه في مخاطبة  
الكفار معنونا باستغهام التقرير : " هل من خالق غير الله ؟ " (٥)  
" أنى الله شك فاطر السموات والأرض ؟ " (٦) ، " أغير الله أتخذ وليا  
فاطر السموات والأرض ؟ " (٧) ، " أروني ماذا خلق الذين من دونه " (٨) (٩)

---

(١) الشوكاني : الدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد ضمن الرسائل

السلفية ص ١٦ .

(٢) سورة الاسراء : آية : ١٠٢ .

(٣) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عبيدة

ج ١ ص ٩ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ج ٣ ص ٢٦٣ .

(٥) سورة فاطر : آية : ٣ .

(٦) سورة ابراهيم : آية : ١٠ .

(٧) سورة الانعام آية : ١٤ .

(٨) سورة لقمان : آية : ١١ .

(٩) الشوكاني : الدر النضير ضمن الرسائل السلفية ص ١٦ - ١٧ .

فهذا اقرار بتوحيد الخالق والرازقيه ونحوهما لا انه اقرار بتوحيد الالهية .  
ذكره الشوكاني عن السيد محمد بن اسماعيل الأمير . ( ١ )

وبما سبق يتبين أنه ليس ثمة من يثبت للعالم صانعين متماثلين ،  
حتى النصارى يتفقون على أن صانع العالم واحد ويقولون : باسم الابن  
والأب وروح القدس اله واحد ، فهو واحد بالذات ثلاثة بالاقنوم ،  
والمانوية القائلين بالأصلين - النور والظلمة - متفقون على أن النور خير من  
الظلمة وهو الاله المحمود ، فلم يثبتوا ربين متماثلين . ( ٢ )

ومن الخطأ الذى وقع فيه المتكلمون اثبات توحيد الربوبية بدليل  
التمانع ، الذى يزعمون أنه فى معنى قوله تعالى : " لو كان فيهما آلهة  
الا الله لفسدتا " ( ٣ ) لا اعتقادهم أن توحيد الربوبية الذى قرروه هو  
توحيد الالهية الذى بينه القرآن ، ودعت اليه الرسل عليهم السلام ،  
وليس الأمر كذلك ، " نعباد الله وحده لا شريك له ، هو التوحيد  
الذى بعث الله به الرسل ، وأنزل به الكتب " ( ٤ ) قال تعالى : " وما  
أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون " ( ٥ )

ومضى ذلك أقول : ان جميع المشركين كانوا يقرون بأن الله  
خالق كل شىء ، وربهم ومليكه ، ومع اقرارهم لم يخرجوا عن مسمى الشرك ،  
لأنهم لم يحققوا قول المسلم : لا اله الا الله ، الذى يتضمنه " توحيد  
الالهية " الذى هو قطب رضى القرآن ، والذى لأجله جاءت الرسل ،

( ١ ) المصدر السابق : ص ٣٤ .

( ٢ ) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة

ج ١ ص ١٠ ، ١١ .

( ٣ ) سورة الأنبياء : آية : ٢٢ .

( ٤ ) الشوكاني : الدر النضير ص ٤١ .

( ٥ ) سورة الأنبياء : آية : ٢٥ .

وأنزلت الكتب ، وعليه يكون الثواب والعقاب ، وبه يتحقق اخلاص الدين .  
(١)  
ومن ذلك يعلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الالهية ، الذي  
يتضمن توحيد الربوبية .

ثانيا : توحيد الالهية :

ويبنى هذا التوحيد على اخلاص التأله لله تعالى ، من  
المحبة ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والرغبة ، والرغبة ، والدعاء  
لله تعالى وحده ، فينبني على ذلك اخلاص العبادات كلها ، ظاهرة  
وباطنة لله وحده لا شريك له . (٢)

قال الشوكاني : بعث الله رساله وأنزل كتبه لا خلاص توحيد وانفراد  
بالعبادة ، واخلاص التوحيد لا يتم الا بأن يكون الدعاء كله لله ، والنداء  
والاستغاثة ، والرجاء ، واستجلاب الخير ، واستدفاع الشر له ومنه  
لا لغيره ، ولا من غيره : " فلا تدعوا مع الله أحدا " (٣) " له دعوة  
الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء " (٤) ، " وعلى  
الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين " (٥) ، " وعلى الله فليتوكل المؤمنون " (٦) (٧)

فالله تعالى بعث كل نبي يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك  
له ، ومن أجل ذلك أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ودليل ذلك ما ذكره

---

(١) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٢٨٦ .

(٢) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : تيسير العزيز

الحميد ص ٣٦ .

(٣) سورة الجن : آية : ١٨ .

(٤) سورة الرعد : آية : ١٣ .

(٥) سورة المائدة : آية : ٢٣ .

(٦) سورة المجادلة : آية : ١٠ .

(٧) الشوكاني : آدر النضيد لا خلاص كلمة التوحيد ص ١٧ .

الشوكانى من الآيات فقال : قوله تعالى : " يا قوم اعبدوا الله مالكم من  
اله غيره <sup>(١)</sup> " ، " ألا تعبدوا الا الله " <sup>(٢)</sup> ، " أن اعبدوا الله  
واتقوه وأطيعون " <sup>(٣)</sup> ، " قالوا : أجبنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان  
يعبد آباؤنا " <sup>(٤)</sup> ، " أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره " <sup>(٥)</sup> ،  
" فايأى فاعبدون " <sup>(٦)</sup> . (٧) .

فآيات القرآن كلها تدور حول تقدير هذا النوع من التوحيد ،  
وذلك لأنه مناط الايمان ، فلا يتحقق ايمان المرء الا بالاقرار به قولاً وعملاً ،  
لهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " أمرت أن أقاتل  
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم  
وأموالهم " <sup>(٨)</sup> . (٩)

والوحدانية فى العبادة تقتضى أمرين :

أحدهما : ألا يعبد الا الله وحده ، ولا يعترف بالألوهية لغيره  
سبحانه وتعالى ، فالاسلام يتضمن الاستسلام لله وحده ، والاستسلام

(١) سورة الأعراف : آية : ٦٥ .

(٢) سورة هود : آية : ٢ .

(٣) سورة نوح : آية : ٣ .

(٤) سورة الاعراف : آية : ٧٠ .

(٥) سورة المؤمنون آية : ٣٢ .

(٦) سورة العنكبوت آية : ٥٦ .

(٧) الشوكانى : الدرالنضيد ص ١٧ .

(٨) الحديث : رواه الامام مسلم فى الايمان ٣٢ ، والبخارى فى

الايمان ١٧ ، ٣٨ ، ورواه أبو داود فى الجهاد ٩٥ ، والترمذى

فى التفسير سورة ٨٨ .

(٩) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٢٨٦ .

له وحده يقتضى عبادته وحده ، ومن أشرك مع الله فى العبادة شخصا أو شيئا فقد أشرك بالله سبحانه ، ومن سوى بين المخلوق والخالق فى شيء من العبادة فقد جعل مع الله آلهة أخرى وان كان يعتقد بوحدانية الخالق ، فان مشركى العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق السموات والأرض<sup>(١)</sup> ، كما قال تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله<sup>(٢)</sup> " وقال تعالى : " قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولن لله قل أفلا تذكرون "<sup>(٣)</sup> ، ومثل ذلك كثير فى القرآن ، ولم يكونوا يعتقدون فى الأصنام أنها مشاركة لله فى خلق العالم .<sup>(٤)</sup>

الأمر الثانى : مما يقتضيه التوحيد فى الألوهية والعبادة ، أن نعبد الله سبحانه بما شرعه على السنة رسله ، ولا نعبده الا بواجب أو مستحب أو مباح قصد به الطاعة وشكر الله تعالى .

يقول ابن تيمية : والدعاء من جملة العبادات ، فمن دعا المخلوقين من الموتى والغائبين واستغاث بهم ، كان مبتدعا فى الدين ، مشركا برب العالمين ، متبعا غير سبيل المؤمنين ، ومن سأل الله بالمخلوقين أو أقسم عليه بالمخلوقين كان مبتدعا بدعة ما أنزل الله بها من سلطان .<sup>(٥)</sup>

ولما كان توحيد الألوهية هو مناط الايمان بالله ورسوله ، كان لا بد أن يعنى القرآن بتقريره والبرهنة عليه بالأدلة العقلية ، والبراهين الصحيحة .

---

(١) ابن تيمية : العقيدة التدمرية ص ٩٣ .

(٢) سورة لقمان : آية : ٢٥ .

(٣) سورة المؤمنون : آية : ٨٤ - ٨٥ .

(٤) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة

ج ١ ص ١٢ .

(٥) ابن تيمية : قاعدة خلية فى التوسل والوسيلة ص ١٠٢ .



وذلك لأن الشرك الذى وقع فى جميع الأمم كان فى هذا النوع ، فقد كان ماعابه مشركوا العرب على " محمد " أن جعل الالهة الها واحدا ، وقالوا له : " ان هذا لشيء عجيب " (١) ، وفى مجال تقرير هذا التوحيد نقول آيات كثيرة فى الاستدلال على نفى التعدد فى الالهية .

مناية القرآن بتقرير توحيد الالهية والبرهنة عليه :

---

وفى معرض الاستدلال على نفى التعدد فى الالهية يقول تعالى : " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض " (٢) فالآية قد نفت أن يكون لله ولد يتقرب اليه بعبادة . هذا الولد ، وفى هذا نفى لتأليه الوسائط بين الله وعباده ، ثم نفت أن يكون هناك آلهة أخرى تعبد على سبيل الشركة معه . (٣) ويوضح الشوكانى هذا الاستدلال فيقول : تقدير الكلام : لو كان مع الله آلهة لانفرد كل اله بخلقه ، واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخر ، ووقع بينهم التطالب والتحارب والتغالب ، وغلب القوى على الضعيف وقهره ، وأخذ ملكه كعادة الملوك من بنى آدم ، وحينئذ فذلك الضعيف المغلوب لا يستحق أن يكون الها ، واذا تقرر عدم امكان المشاركة فى ذلك ، تعين أن يكون الواحد هو الله سبحانه ، وهذا الدليل كما دل على نفى الشريك ، دل على نفى الولد ، لأن الولد ينازع أباه فى ملكه . (٤)

---

(١) سورة ص : آية : ٥ .

(٢) سورة المؤمنون آية : ٩٢ .

(٣) د . محمد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٢٨٨ .

(٤) الشوكانى : فتح القدير : ج ٣ ص ٤٩٦ .

ومن هذا البرهان الباهر ، يعلم أن الاله الحق لا بد أن يكون خالقا فاعلا ، يوصل الى عابده النفع ، ويدفع عنه الضر ، فلو كان معه سبحانه اله آخر يشركه فى ملكه ، لكان له خلق وفعل ، وحينئذ فلا يرضى تلك الشراكة ، ففى الآيه لا بد أن يكون أحد ثلاثة أمور :

- ١ - اما أن يذهب كل اله بخلقه وسلطانه .
- ٢ - واما أن يعطو بعضهم على بعض .
- ٣ - واما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ، ولا يتصرفون فيه ، بل يكون وحده هو الاله ، وهم المربوبون المقهورون من كل وجه . ( ١ )

ومن ذلك يعلم :

- ١ - أن انتظام أمر العالم كله واحكام أمره ، من أدل دليل على أن مدبره اله واحد ، وملك واحد ، ورب واحد ، لا اله للخلق غيره .
  - ٢ - وكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان ، كذلك يستحيل أن يكون لهم الهان معبودان ، فوجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته ، فكذا تبطل الهية اثنين . ( ٢ )
- وفى عناية القرآن بتقرير توحيد الالهية ، واخلاصه يقول الشوكانى :
- وبالجملة فاخلاص التوحيد هو الأمر الذى بعث الله لأجله رسله وأنزل به كتبه ، وفى هذا الاجمال ما يغنى عن التفصيل ، ولو أراد رجل أن يجمع ماورد فى هذا المعنى من الكتاب والسنة ، لكان مجلدا ضخما ، فانظر فاتحة الكتاب :

---

( ١ ) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة

ج ١ ص ٢١ .

( ٢ ) المصدر السابق : ج ١ ص ٢٢ .

تكرر في كل صلاة مرات من كل فرد من الأفراد ، ومفتتح بها التالي  
كتاب الله ، والمتعلم له ، فان فيها الارشاد الى اخلاص التوحيد في  
مواضع : فمن ذلك :

" بسم الله الرحمن الرحيم " ففيها مالا يخفى من اخلاص التوحيد ،  
وفيها : " الحمد لله رب العالمين " فان التعريف يفيد أن الحمد  
مقصود على الله . . . ومقتضى هذا : أنه لا حمد لغيره أصلاً ، وما وقع  
منه لغيره ، فهو في حكم العدم ، وقد تقرر أن الحمد هنا هو الثناء ،  
فلا ثناء الا عليه ، ولا جميل الا منه ، ولا تعظيم الا له ، وفي هذا من  
اخلاص التوحيد ما ليس عليه مزيد ، ومن ذلك : " مالك يوم الدين " يفيد  
أنه لا ملك لغيره ، فلا ينفذ الا تصرفه ، وأن الأمر أمره ، والحكم حكمه ،  
ليس لغيره معه أمر ولا حكم ،

ومن ذلك : " اياك نعبد " فان تقديم الضمير يفيد الاختصاص بالعبادة  
لله سبحانه ، لا يشاركه فيها غيره ، ولا يستحقها .

وقد عرفت أن : الاستغاثة ، والدعاء ، والتعظيم ، والذبح  
والتقرب من أنواع العبادة .

ومن ذلك : " واياك نستعين " فان تقديم الضمير هنا يفيد الاختصاص  
كما تقدم ، وهو يقتضى أنه لا يشاركه غيره في الاستغاثة به في الأمور التي  
لا يقدر عليها غيره .

فهذه خمسة مواضع في فاتحة الكتاب يفيد كل منها اخلاص التوحيد ،  
نما ظنك بما في سائر الكتاب العزيز ( ١ ) .

فالقرآن كله في التوحيد ، وحقوقه ، وجزائه ، وفي شأن الشرك  
وجزائه ، وما يثبت حقائق هذا التوحيد ويرد على طوائف الضلال قوله

---

( ١ ) الشوكاني : الدرالنضيد ص ٤٣ ، ٤٤ .

( ٢ ) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عبيدة

تعالى : " شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم ، ان الدين عند الله الاسلام " (١)  
يقول الشوكاني : " شهد الله " أى بين وأعلم ، بما قد دلنا على وحدانيته بما خلق وبين . (٢)

فهذه الآيات تضمنت من المعارف الالهية ، والحقائق الايمانية ما ثبت حقيقة التوحيد ويرد على الزائفين ، وذلك " لأنها تضمنت أجل شهادة وأعظمها ، وأعدلها ، وأصدقها ، من أجل شاهد ، بأجل مشهودا فشهادة الله سبحانه بالوحدانية ، والقيام بالقسط تضمنت مراتب أربع :

أولها : علمه بذلك سبحانه .

ثانيها : تكلمه بذلك .

ثالثها : اعلامه واخباره لخلقه به .

رابعها : أمرهم والزامهم به . (٣)

كما بين الشوكاني ما لا بد أن يحمل معنى الشهادة فى الآيات عليه : من شهادة الله وشهادة الملائكة وأولى العلم ، وشهادة الملائكة اقرارهم بأنه لا اله الا الله ، وشهادة أولى العلم بمعنى الايمان منهم ، وما يقع من البيان للناس على أسنتهم ، والمراد بهم : علماء الكتاب والسنة ، وما يتوصل به الى معرفتهما . (٤)

---

(١) سورة آل عمران : آية : ١٨ ، ١٩ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٣٢٥ .

(٣) ابن القيم الجوزية : التفسير القيم ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٣٢٥ .

ووجه شهادته سبحانه لذلك : أنه اذا شهد أنه لا اله الا هو ،  
فقد أخبر ، وأعلم ، وحكم ، وقضى ، أن ما سواه ليس باله أو الهيسة  
ماسواه باطلة ، فلا يستحق العبادة سواء ، كما لا تصح الالهية لغيره ،  
وذلك يستلزم الأمر باتخاذ وحده الها ، والنهي عن اتخاذ غيره  
معه الها . فشهادته سبحانه في هذا الموضع ، شهادة من حكم  
به وقضى وأمر وألزم عباده به كما قال تعالى : " وقضى ربك ألا تعبدوا  
الا اياه " (١) وقوله : " وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا " (٢) (٣)

---

(١) سورة النحل : آية : ٥١ .

(٢) سورة التوبة : آية : ٣١ .

(٣) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة

ج ١ ص ٢٨ ، ٢٩ .

### تحقيق توحيد الالهية بقطع ذرائع الشرك :

ولما كان الشرك الذى وقع فى الأمم كان فى توحيد الالهية ، لأن عامة مشركى الأمم كانوا مقرين بالصانع ، ولكنهم مع اقرارهم بالربوبية قد أشركوا فى العبادة ، نجد القرآن قد استعمل فى نفسى الشركاء لله فى العبادة ، ونفى تعدد الالهية الامثلة المشاهدة أمام الناس ، وعليه أن يستعمل فى ذلك قياس الأولى بالنسبة لله ، يقول تعالى : " ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من مملكت أيمانكم من شركاء فى ما رزقناكم " ( ١ )

نفى هذه الآية : أقام الله الحجة على المشركين ، واستعمل فى ذلك قياس الأولى ، يقول الشوكانى : والمعنى هل لكم شركاء فيما رزقناكم كائنون من النوع الذى ملكت ايمانكم ، وهم العبيد والاماء ، والاستفهام للانكار ، والمراد : اقامة الحجة على المشركين ، فانهم لابد أن يقولوا : لا نرضى بذلك ، فيقال لهم : فكيف تنزهون أنفسكم عن مشاركة المملوكين لكم وهم أمثالكم فى البشرية ، وتجعلون عبيد الله شركاء له ؟ فاذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة بطلت الشركة بين الله وبين أحد من خلقه ، والخلق كلهم عبيد الله تعالى ، ولم يبق الا أنه الرب وحده لا شريك له . ( ٢ )

فاذا كان أحدهم يأنف أن يكون عبده شريكا له فى ماله ، فكيف يجعلون لله الأنداد من خلقه ؟ ، ومثل ذلك جعلهم الملائكة بنات الله ، ونسبوا اليه مالا يرتضونه لانفسهم كما قال تعالى : " ويجعلون

---

( ١ ) سورة الروم : آية : ٢٨ .

( ٢ ) الشوكانى : فتح القدير ج ٤ ص ٢٢٣ .

لله ما يكرهون " (١) .

وبذلك أقيمت عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم لا يحتاجون فيها  
الى غيرهم . (٢)

ومن ثم كانت الآيات المتعددة والمتنوعة في القرآن التي تدعو وتقرر هذا  
النوع من التوحيد من مثل قوله تعالى : " وقال الله لاتخذوا الهين  
اثنين انما هو اله واحد " (٣) وقوله : " ومن يدع مع الله الها آخر ، لابرهان (٥)  
له فانما حساب عند ربه " (٤) ، وقوله : " لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا "

فهذه الآية سقوة لنفي التعدد في الالهية ، ونفى أن يكون هناك من  
يستحق العبادة من دون الله ، فان فساد السموات والارض يلزم من كون  
الالهة فيهما متعددة ، ومن كون اله الواحد غير الله ، وأنه لا صلاح  
لهما الا بأن يكون اله فيهما هو الله لا غيره ، فلو كان للعالم الهان  
معبودان لفسد نظام العالم كله . (٦)

(٧)  
وقوله : " قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا "   
فالمعنى الظاهر المتبادر الذي تشهد له آيات كثيرة : هو : لو كان مع الله  
آلهة أخرى كما يزعم الكفار لابتغوا — أى الآلهة المزعومة — أى طلبوا  
الى ذي العرش — أى الى الله سبيلا — أى الى مغالبتة وازالة ملكه ،

- 
- (١) ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ج ٣ ص ٥٣ .  
(٢) ابن قيم الجوزية : التفسير القيم جمعه محمد ادريس الندوى ص ٤٠٥ .  
(٣) سورة النحل : آية : ٥١ .  
(٤) سورة المؤمن : آية : ١١٢ .  
(٥) سورة الانبياء : آية : ٢٢ .  
(٦) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٢٣ .  
(٧) سورة الاسراء : آية : ٤٤ .

لأنهم اذا يكونون شركاء ، كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض ، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وأبي على الفارسي ، والنقاش ، وأبي منصور . (١)

وبذلك يتحقق توحيد الالهية ، ويتبين أنه هو افراد الله بالعبادة والالهية ، والنفي والبراءة من كل معبود ، ويتم ذلك بأن يعرف أن الله جعل العبادة له أنواع : اعتقادية ، وقلبية ، ولفظية ، ومالية ، وبدنية ، مما يدل على أن دين الاسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له ، بفعل المأمور وترك المحظور ، والاخلاص في ذلك كله ، وقد تضمن ذلك جميع أنواع العبادة ، فيجب اخلاصها لله تعالى ، فمن أشرك بين الله تعالى وبين غيره في شئ فقد نقض توحيد . (٢)

وقد عمل الشوكاني على قطع ذرائع الشرك لتحقيق توحيد الالهية ، واخلاص العبادة لله تعالى ، فدعا الى هدم كل ما يوصل الى الاشراك ، ووضح حكم ما يفعله القبوريون من الاستغاثة بالأموات ، ومناذاتهم لقضاء الحاجات ، وتشريكهم مع الله في بعض الحالات فقال :

ان الأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وفيها التصريح بلعن من اتخذ القبور مساجد ، مع أنه لا يعبد الا الله ، وذلك لقطع ذريعة التشريك ، ودفع وسيلة التعظيم ومن هذه الأحاديث :

— " ما أخرجه مالك في الموطأ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اللهم لاتجعل قبري وشا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " (٣)

---

(١) الشوكاني : فتح القدير ج ٣ ص ٢٣٠ ، وأنظر الشنقيطي أضواء البيان

ج ٣ ص ٥٩٤ .

(٢) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب تيسير العزيز الحميد ص ٤٠ .

(٣) الشوكاني : الدر النضيد ص ١١ ، ١٢ ، والحديث في الموطأ في السفر :

٨٥ ، وأخرجه الامام أحمد ٢٤٦/٢ .



— " كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها : أن أم سلمة

ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيسة رأتهما بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال : " أولئك إذا مات الرجل — أو العبد — الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله " (١) .

— " ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمات أربع : " لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من أوى محدثا ، لعن الله من غير منار الأرض " (٢) .

— " ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم ، نهى عن الحلف بغير الله وقال : " من حلف فليحلف بالله أو ليصمت " وقال : ومن حلف بملة غير الاسلام لم يرجع الى الاسلام سالما " وقال : " من حلف بغير الله فقد أشرك " (٣) فأفادت هذه الأحاديث أن الحلف بغير الله يخرج به الحالف عن الاسلام ، وذلك لكون الحلف مظنة تعظيمه فكيف بما كان شركا محضا ؟ (٤) — ومن ذلك ما أخرجه أحمد بإسناد جيد عن قبيصة عن أبيه أنه سمع

---

(١) الحديث أخرجه البخارى في الجنائز ٧٠ ، وفي مناقب الانصار ٢٢ ، ومسلم في المساجد ١٢ ، وفي الفتن ١١٠ ، ١١٦ ، ١٢١ ، والنسائي في المساجد ١٢ . وأنظر الدر المنثور للشوكاني ص ١١ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الاضاحي ٤٢ — ٤٥ ، والنسائي في الضحايا ٢٤ ، وأحمد بن حنبل ١ / ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٥٢ ، ٢١٢ . وأنظر الدر المنثور للشوكاني ص ٩ .

(٣) أخرجه الترمذي ١٨ / ٢ — ١٩ ( كتاب النذور ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ، وفي سنن أبي داود ٣٠٣ / ٣ ) ( كتاب الايمان والنذور باب في كراهية الحلف بالآباء .

(٤) الشوكاني : الدر المنثور ص ١٠ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان العياقة والطرق والظيرة من الجبت " (١) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر " (٢) وعن أبي هريرة رضى الله عنه : " من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئا وكل اليه " (٣) وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد " . (٤)

والعلة الموجبة للكفر ليست الا اعتقاد أنه مشارك لله تعالى فى عالم الغيب مع أنه فى الغالب يقع غير مصحوب بهذا الاعتقاد ولكن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . (٥)

ثم وضع الشوكانى حكم ما يفعله القبوريون فذكر أنهم : قد جعلوا بعض خلق الله شريكا له ومثلا وندا فاستغاثوا به فيما لا يستغاث فيه الا بالله وطلبوا منه ما لا يطلب الا من الله مع القصد والارادة . وقال : ولا شك أن من اعتقد فى ميت من الأموات أوحى من الأحياء أنه يضره

(١) الحديث : أخرجه أبوداود فى الطب ٢٢ ، وأحمد ٢ ، ٤٧٧ ، ٥ ، ٥٠

٦٠ ، ومعنى العياقة : الخط أو زجر الطير ، والطرق : الخط يخط فى الأرض بنفس الصدر ، والجبت اسم جامع للخرافات كلها ، أنظر الشوكانى فى الدر المنضيد ص ١٢ .

(٢) أخرجه أبوداود بسند صحيح عن ابن عباس طب ٢٢ ، ٥١ ، وأخرجه

ابن ماجه فى الأدب ٢٨ ، وأحمد بن حنبل ٢٢٧/١ ، ٣١١ .

(٣) الحديث : أخرجه النسائى من حديث أبي هريرة فى باب الحكم

فى السحرة ج ٧ ص ١١٢ سنن النسائى بشرح السيوطى .

(٤) أخرجه أبوداود فى باب الكاهن ٢١ ج ٥ ص ٣٧٠ تهذيب ابن

قيم الجوزية .

(٥) الشوكانى : الدر المنضيد ص ١٣ .

أو ينفعه اما استقلالا أو مع الله تعالى أو ناداه أو توجه إليه أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق ، فلم يخلص التوحيد لله ، ولا أفرد به بالعبادة . . . ولم يكن ثم فرق بين من اعتقد في وثن من الأوثان أنه يضر أو ينفع وبين من اعتقد في ميت من بنى آدم أو حي منهم أنه يضر أو ينفع أو يقدر على أمر لا يقدر عليه الا الله تعالى .

وهل الشرك الا دعاء غير الله ، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواء ، أو التقرب الى غيره بشئ مما لا يتقرب به الا اليه ؟ (١)

وفي هذا يبين الشوكاني أن ما يفعله القبوريون وعباد الأصنام واحد ولا فرق بينهما ، لأن عبادة الكفار للأصنام لم تكن الا بتعظيمها ، واعتقاد أنها تضر وتنفع ، والاستغاثة بها عند الحاجة ، والتقرب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور فانهم قد عظموها الى حد لا يكون الا الله سبحانه ، بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية ، اذا كان في مشهد من يعتقده أو قريبا منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت ، وربما حلف بعضهم بالله كاذبا ولم يحلف بالميت الذي يعتقده . (٢)

يقول ابن تيمية : ان من دعا ميتا وان كان من الخلفاء الراشدين فهو كافر ، وان من شك في كفره فهو كافر (٣) ، وقال ابن قيم الجوزية في كتابه " اغاثة اللهفان " في انكار تعظيم القبور : وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين الى أن صنف بعضهم كتابا سماه " مناسك للشاهد " ولا يخفى أن هذا مفارقة للدين الاسلام ، ودخول في دين عباد الأصنام (٤)

---

(١) المصدر السابق ص ١٨ .

(٢) الشوكاني : الدر النضيد ص ١٨ ، ١٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٠ .

(٤) المصدر السابق : نفس الصفحة ، وأنظر ابن قيم الجوزية " اغاثة

اللهفان " ج ١ ص ١٩٧ .

كما ذكر الشوكاني عن شيخ الاسلام في الرسالة السننية قوله : ان كل من  
غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول ياسيدى  
فلان أغثنى أو انصرنى أو أرزقنى أو أجرنى ، وأنا فى حسيك ونحو هذه الاقوال  
فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب نجا والا قتل .<sup>(١)</sup>

### ثالثا : توحيد الأسماء والصفات :

لقد بنى الشوكاني منهجه فى هذا التوحيد على ما دل  
عليه الكتاب والسنة ، فى مبحث الأسماء والصفات ، من الأسس والقواعد التى  
يرتكز عليها مذهب السلف الصالح كما سيتضح بعد :

أولا : تنزيه الله تعالى .

ثانيا : الايمان بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه

وسلم

ثالثا : قطع الاطماع عن ادراك حقيقة الكيفية والكنة .

وتفصيل ذلك وبيانها فيما يلى :

أولا : تنزيه الله تعالى عن أن يشبه شىء من صفاته شيئا من صفات

المخلوقين لقوله تعالى : " ليس كمثله شىء " وهو السميع البصير <sup>(٢)</sup> وقوله

تعالى : " ولم يكن له كفوا أحد " <sup>(٣)</sup> وقوله : " هل تعلم له سميا " <sup>(٤)</sup>

" ولا يحيطون به علما " يقول الشوكاني : قد يغنى هو " لا " وأمثالهم من المتكلمين

المتكلمين ، كلمتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه ، وأنزلهما على رسوله

وهما : " ولا يحيطون به علما " و " ليس كمثله شىء " فالكلمة منها قد دلت

(١) المصدر السابق : ص ٤٠ ، ٤١ .

(٢) سورة الشورى : آية : ١١ .

(٣) سورة الاخلاص :

(٤) سورة مريم : آية : ٦٥ .

دلالة بينة على أن كل ما تكلم به البشر في ذات الله وصفاته على وجهه  
التدقيق ودعاوى التحقيق فهو مشوب بشعبيه من شعب الجهل . . . . .<sup>(١)</sup>  
والله أعلم بكيفية ذاته ، وماهية صفاته .<sup>(٢)</sup>

ثانيا : ————— الإيمان بما وصف الله به نفسه ، وبما وصفه به رسوله :  
يقول الشوكاني : " حقيقة مذهب السلف الصالح هو قولهم بإثبات ما أثبتته  
الله تعالى لنفسه من الصفات على وجهه لا يعلمه الا هو فانه القائل : " ليس  
كشله شيء " وهو الصميع البصير .<sup>(٣)</sup>

ومعنى ذلك : أنه لا يصف الله أعلم بالله من الله . قال تعالى : " أنتم  
أعلم أم الله " <sup>(٤)</sup> كما أنه لا أعلم بالله بعد الله من رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم - الذي قال في حقه : " وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى  
يوحى " <sup>(٥)</sup> . (٦)

ثالثا : ————— قطع الأطماع عن ادراك حقيقة الكيفية ، لأن ادراك حقيقة الكيفية  
مستحيل لقوله تعالى : " ولا يحيطون به علما " .<sup>(٧)</sup>

يقول الشوكاني : الله أعلم بكيفية ذاته ، فان الله أخبرنا أنهم لا يحيطون  
به علما ، فمن زعم أن ذاته كذا أو صفته كذا فلا شك أن صحة ذلك متوقفة

---

(١) الشوكاني : التحف في مذهب السلف ضمن الرسائل السلفية ص ٩ .

(٢) المصدر السابق :

(٣) المصدر السابق : ص ١٠ .

(٤) سورة البقرة : آية : ١٤٠ .

(٥) سورة النجم : آية : ٣ - ٤ .

(٦) د . عمر الاشقر : العقيدة في الله ص ١٤٢ - ١٩٩ .

(٧) سورة طه : آية : ١١٠ .

(١)

على الاحاطة وقد نفيت عن كل فرد من الافراد علما .

والمعنى الذى قرره الشوكانى من القواعد السلفية فى فهم الاسماء والصفات يبين أنه : لا احاطة للعلم البشرى برب السموات والأرض ، فالاحاطة المسندة

(٢)

للعلم منفية عن رب العالمين .

وهذه القواعد والأصول التى بنى عليها الشوكانى منهجه فى توحيد  
الاسماء والصفات ينبغى أن لا يخل بها أى مكلف ، والا وقع فى هوة الضلال ،  
وذلك بأن من نفى عن ربه وصفا أثبتته الله لنفسه ، فالله — جل وعلا — يثبت  
لنفسه صفات كمال وجلال ، فكيف يليق بمسكين أن يتقدم بين يدي رب العالمين ؟  
ومن أراد أن يسلم من ورطة التشبيه والتعطيل ، فعليه أن يوء من بصفات ربه  
— جل وعلا — منزها ربه عن مشابهة صفاته لصفات الخلق (٣)

يقول الشوكانى : ان اثبات المثل لله تعالى محال ومن فهم الآيات  
السابقة حق الفهم وتدبرها حق التدبر مشى بها عند اختلاف المختلفين فى  
الصفات على طريقة بيضاء واضحة . (٤)

والذى تعنيه السلفية من هذا التوحيد : هو أن يوصف الله تعالى بما  
وصف به نفسه ، وما وصفه به رسوله ، من غير تحريف (٥) أو تعطيل (٦) ، ومن

(١) الشوكانى : الرسائل السلفية : التحف فى مذهب السلف ص ٩ .

(٢) د . عمر الأشقر : العقيدة فى الله ص ١٩٢ — ١٩٩ .

(٣) الصدر السابق :

(٤) الشوكانى : فتح القدير ج ٤ ص ٥٢٨ .

(٥) التحريف : تغيير الفاظ أسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا أو تغيير

معانيها الى معانى باطلة لا يدل عليها الكتاب والسنة . أنظر : الصديق

حسن خان : قطف الثمر فى بيان عقيدة أهل الاثر ص ٣١ وأنظر الكواشف

الجلية ص ٧٣ .

(٦) التعطيل : نفي أسماء الله وصفاته ، وتعطيل المخلوقات من خالقها

جل وعلا ، وأول من ابتدع التعطيل : الجعد بن درهم وأخذها عنه

الجهم بن صفوان ، الفتوى الحموية ص ٩٥ .

غير تكيف<sup>(١)</sup> ، ولا تمثيل<sup>(٢)</sup> .

يقول الشوكاني : والحق في الصفات امرارها على ظاهرها من غير تأويل ،  
فان ذلك هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين .<sup>(٣)</sup>

وما ذكره الشوكاني من استحالة معرفة كمة الله أو كمة صفاته منطوق  
سليم ، لأن العقل الانساني مهما بلغ من الذكاء وقوة الادراك فانه قاصر غاية  
القصور ، وعاجز نهاية العجز عن معرفة حقيقة الروح ، فكيف يطمح الى معرفة  
حقيقة الذات والصفات الالهية ؟

وقد ردت السلفية على من أدخلوا نفى الصفات في مسمى التوحيد ، كجهم  
ابن صفوان ، ومن وافقه من المعتزلة وغيرهم الذين قالوا : " ان اثبات  
الصفات يستلزم تعدد الواجب " وهذا القول معلوم الفساد بالضرورة ، لأن  
اثبات ذات مجردة من جميع الصفات لا يتصور لها وجود في الخارج ، وهذا  
غاية التعطيل .<sup>(٤)</sup>

يقول ابن قيم الجوزية : ليس اسم الله والرب والاله اسما لذات مجردة  
لاصفة لها البتة ، فان هذه الذات المجردة وجودها مستحيل ، وانما يفرضها  
الذهن فرض المتعمات . ثم يحكم عليها ، واسم الله والرب والاله اسم لذات  
لها جميع صفات الكمال ونعوت الجلال .<sup>(٥)</sup>

---

(١) التكيف : أن يقال أن الصفة على هيئة كذا ، وكيفية معينة ، الصديق

حسن خان : قطف الثمر ص ٣١ .

(٢) التمثيل : التشبيه بين الخالق والمخلوق — المصدر السابق .

(٣) الشوكاني : رسالة التحف في مذهب السلف ص ٨ .

(٤) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٨ .

(٥) د . محمود أحمد خفاجي : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة

ج ١ ص ٢٢١ .

ومما سبق يتبين لنا عن طريق الشرع أن الله ليس كمثله شيء ، لا في

ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، لقوله تعالى : " ليس كمثله شيء " (١)

وقوله : " هل تعلم له سميا " (٢) وقوله تعالى : " فلا تجعلوا لله أندادا

وأنتم تعلمون " (٣) وقوله : " ولم يكن له كفوا أحد " (٤)

وكما دل على ذلك الشرع ، دل عليه أيضا دليل العقل : " فان المثليين

يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ويجب له ما يجب على الآخر ، ويمتنع

عليه ما يمتنع عليه . فلو كان المخلوق ماثلا للخالق للزم اشتراكهما فيما يجب

وما يجوز وما يمتنع ، والخالق يجب وجوده وقدمه ، والمخلوق يستحيل وجوب

وجوده وقدمه ، بل يجب حدوثه وامكانه ، فلو كانا متماثلين ، للزم اشتراكهما

في ذلك فكان كل منهما يجب وجوده وقدمه ، ويمتنع وجوب وجوده وقدمه ،

ويجب حدوثه وامكانه ، فيكون كل منهما واجب القدم ، واجب الحدوث ،

واجب الوجود ، وليس بواجب الوجود ، يمتنع قدمه ، لا يمتنع قدمه ، وهذا جمع

(٥)

بين النقيضين .

هذا وينبغي أن يعلم أن أنواع التوحيد الثلاثة : الربوبية ، والالهية ،

والأسماء والصفات — يوجد بينها علاقة تضمن وتلازم وشمول .

### العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة :

فبين توحيد الربوبية ، والالهية ، وتوحيد الاسماء والصفات علاقة

تلازم : معناها : أن من أشرك في أي نوع منها فهو مشرك في بقيتها ،

(١) سورة الشورى : آية : ١١ .

(٢) سورة مريم : آية : ٦٥ .

(٣) سورة البقرة : آية : ٢٢ .

(٤) سورة الاخلاص

(٥) ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية ص ٨ ، ومجموع الفتاوى ج ٥ ص ٢٢٢



فدعاء غير الله وسوء اله حاجة شرك في الالهية ، كما أنه شرك في الربوبية ، حيث اعتقد أنه متصرف مع الله في ملكوته ، وأنه يسمعه على البعد والقرب ، وهو شرك في الاسماء والصفات حيث أثبت للمدعو من دون الله سمعا محيطا بجميع السموعات ، لا يحجبه قرب ولا بعد ، فاستلزم هذا الشرك في الالهية ، الشرك في الربوبية والشرك في الاسماء والصفات . (١)

كما أن توحيد الالهية مضمن لتوحيد الربوبية ، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزا ، والعاجز لا يصلح أن يكون الها . قال تعالى : " **أَيْشْرِكُونَ** مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ " (٢) وقال : " **أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** " (٣) . (٤)

أما الشمول الموجود بين الأنواع الثلاثة : فهو أن في توحيد الأسماء والصفات شمولاً للالهية والربوبية ، وذلك لأنه يقوم على أفراد الله بكل ما له من الأسماء الحسنی والصفات العلا ، ومن جعلتها كونه ربا واحدا لا شريك له في ربوبيته ، وكونه الها واحدا لا شريك له في الهيته . (٥)

ومن ذلك يتبين أن الأنواع الثلاثة في التوحيد متكافلة ومتلازمة يكمل بعضها بعضا ، ولا يكمل لأحد توحيدها الا باجتماعها جميعا .

- 
- (١) حافظ بن أحمد الحكمي : العقيدة الإسلامية سوء ال وجواب ص ٣٨ .  
 (٢) سورة الاعراف : آية : ١٩١ .  
 (٣) سورة النحل : آية : ١٧ .  
 (٤) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٢٣ .  
 (٥) د . محمود أحمد خفاجي : العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة ج ١ ص ٢٢٣ .

## مناقشة الشوكاني للزيدية في الوحدةانية

أولا : منهج الزيدية في التوحيد :

ويتبين بنظرتهم للذات ، ثم نظرتهم للصفات ،

( أ ) نظرتهم للذات :

يحدد أصل التوحيد ركيزة أساسية يرتكز عليها فكر الزيدية ،  
ولذلك ترى ائمتهم يضعونه في مقدمة أصولهم الخمسة ، التي أخذوا بها عن  
المعتزلة ، وسنجد عند عرضهم لهذا الأصل وما يتعلق به من رفض واستبعاد  
لكل ما يمس المفهوم المطلق للذات الالهية من تشبيه أو تجسيد ، وتزييفها  
من كل عوامل التعدد والتركيب ، شأنهم شأن المعتزلة تماما .

وتفسر الزيدية اصطلاحهم في التوحيد : بأنه العلم بأن الله تعالى  
واحد لا يشاركه غيره : فيما يستحق من الصفات ، نفيا وإثباتا على الحد الذي  
يستحقه ، والاقرار به <sup>(١)</sup> ، كما جعلت الزيدية ذلك واجبا على كل مكلف ، يقول  
الامام يحيى بن الحسين : " أو واجب على العبد أن يعلم أن الله واحد  
أحد فرد صمد ، ليس له شبهه ، ولا نظير ، ولا عدل ، لا تدركه الابصار في  
الدنيا ولا في الآخرة " . <sup>(٢)</sup>

كما أن معرفة الله عندها : هو التعيين عليه ويكون على وجهين :

اثبات ونفي ، فالاثبات : هو التعيين بالله والاقرار به ، والنفي : نفي  
التشبيه عنه . <sup>(٣)</sup>

كما تحدد الزيدية المعنى الاصطلاحي لـ (الواحد) الذي ينطبق على  
لفظ الجلالة ( الله ) فتقول : نخرج معنى قولنا الواحد ، على أنه لا شبه له

( ١ ) د . عدنان زرزور : الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير ص ١٧٩ .

( ٢ ) د . أحمد محمود صبحي : الزيدية ص ١٥٧ .

( ٣ ) د . فضلة عبد الامير : تاريخ الفرقة الزيدية ص ٣١٢ .

ولا نظير ، ولا كفوا لاصغير ولا كبير ، هو الله الواحد الاحد ، الذى لم يكن فى شىء ، وهو الموجد لكل شىء ، ولم يكن من اصل ، ولا يكون منه ابدا فصل " لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " <sup>(١)</sup> ، الواحد فى الربوبية ، والملوك والعزة ، والكبرياء ، والعظمة . <sup>(٢)</sup>

وتوغل الزيدية فى معنى التجريد للتوحيد ، والمنزه للذات الالهية عن كل ما يشير من قريب أو بعيد الى التجسيد ، والتشبيه فتقول : عالم لا يجهل ، قادر لا يعجز ، قاهر لا يغلب ، دائم لا يبيد ، حى لا يموت ، قديم وما سواء محدث ، غنى وما سواء فقير ، لا تحيط به الانظار ، القديم الازلى الذى لا غاية له ولا نهاية ، البرى من أفعال العباد ، المتعال عن الانتقال ، المتقدس عن الزوال ، وعن التصور فى الاجسام <sup>(٣)</sup>

ليس جسما ، لان الجسم محدود مبعض ، والله ليس كذلك ، ولا عرضا لان العرض لا قوام له الا بغيره ، والله هو المقيم لكل شىء ، الذى لا يحتاج الى معونة شىء ، وليس شخصا فتجاهره الابصار ، ولا هو صوت فتوعيه الاسماع ، ولا رائحة فيشمه الشام ، ولا حار ولا بارد فتذوقه اللهوات ، ولا لين ولا خشن ، فتلمسه الايدي <sup>(٤)</sup> ، ولا يجوز عليه المكان والحركة والسكون والجوارح والاعضاء <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup>

---

(١) سورة الاخلاص .

(٢) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٦١ .

(٣) د . محمود أحمد صبحى : الزيدية ص ١٥٧ — ١٥٨ .

(٤) رسائل العدل والتوحيد : ج ٢ ص ٣٢٠ — ٣٢١ .

(٥) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٦٢ .

(٦) د . عدنان زرزور : الحاكم الجسمى ومذهبه فى التفسير ص ١٧٩ .

ولما كانت الزيدية كالمعتزلة يعتقدون وحدانية الله على النحو السابق ، انبروا يحاربون كل مذهب ، ويفندون كل قول يروونه بعقولهم أنه يتعارض مع مبدأ التوحيد ، فحاربوا كل مذهب جعل لله شريكا في الازلية أو شبه الله بخلقه ، فنفوا عن الله تعالى جميع الصفات المحدثات ( ١ ) .

وبعد أن حددت الزيدية معنى الوحدانية ووضعت لكلمة ( واحد ) عدة معان ، انطلقت تقول : أنه تعالى لا يجوز عليه التجزؤ والانقسام ، وأنه لا يشاركه غيره في صفاته ، وأنه لا ثاني له ، ولا قديم معه سواء ، واستدل على ذلك بدليل التمايز ( ٢ ) من قوله تعالى : " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا " ( ٣ ) ويقول : وما كان معه من اله لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض " ( ٤ )

فيتبين مما سبق نظرة الزيدية للذات الالهية . وننتقل الآن الى نظرتهم الى وحدانية الصفات ، فتجدهم قالوا : ينفي الصفات الالهية الزائدة على الذات والقائمة بالذات سواء ما اصطلاحوا عليه من صفات الذات أو صفات الافعال .

( ب ) نظرتهم للصفات :

فالزيدية فيما يتعلق بصفات الذات ذهبت مذهب المعتزلة ، الذين قالوا : أنها والذات الالهية سواء بسواء ، وأنه ليس لله من صفات مفارقة ، بل هذه الصفات هي ذاته نفسها ، فعلمه ذاته ، وكما قالت المعتزلة واحد أنفسهم ابو الهذيل : أنه عالم بعلم هو هو ، قادر بقدره هي هو ، وهي بحياة هي هو ، وسميع بسمع هو هو ، وهكذا في جميع صفات الذات . وكما يقول الهادي : أن القدرة ليست شيئا سوى ذاته ، لان القول بأن لله

( ١ ) د . محمود أحمد خفاجي : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ج ١ ص ٣٢٧ .

( ٢ ) د . أحمد محمود صبحي : الزيدية ص ٣٠٢ .

( ٣ ) سورة الانبياء آية : ٢٢ .

( ٤ ) سورة المؤمنون آية : ٩١ .

قدرة سواء يعنى أنه اما أن تكون قديمة أولية ، فتكون ثابتة مع الله ،  
أزلية ، وهذا ابطال للتوحيد ، أو أن تكون محدثة بعلم ، ويكون الله  
أوجد ها من بعد عدم ، فيدخل بذلك العجز على الله والتضعيف (١) .

ومن هنا نعلم أن الزيدية قالت أن الله ليس له سبحانه صفات أزلية  
قائمة بذاته ، من علم وقدرة وإرادة وحياة وعلم وسمع وبصر وكلام غير ذاته  
فنفوا الصفات القديمة أصلا والقائمة بذاته تعالى زاعمين أن القول بوجود  
هذه الصفات يؤدى الى القول بالتجسيم كما قالت المعتزلة : أنه لو وصف  
الله بصفة ما للزم أن يكون قبل هذه الصفة ناقصا ومحتاجا الى ما يكمله  
بهذه الصفة ، وللزم افتقاره اليها وهو محال . . . وأنه لم يكن فى الأزل  
اسم ولا صفة لأن الصفة وصف الواصف ، ولم يكن فى الأزل واصفا ، ولم  
يكن فى الأزل مسم . (٢)

وهكذا تنتهى الزيدية الى القول : بأنه ليس هناك سوى الذات  
الالهية ، ولا فرق بين هذه الصفات والذات لأن هذه الصفات قديمة  
أزلية ، ولو افترضنا وجودها مستقلة عن الذات لكان هناك أكثر من قديم  
ولا تنتفى التوحيد .

أما صفات الفعل : مثل السخط والرضى والارادة والتفضل والجود ، والكرم  
والثواب ، والاحسان والعفو والرحمة وغيرها ، فهى فى نظر الزيدية أفاعيل  
من الله يفعلها بعد عدم وفقا لمقتضيات الفعل الانسانى وملابساته ،  
فهذه الصفات تصدر عن الله وفقا لمقتضيات الحوادث ، وسيأتى لهذا  
الموضوع زيادة بيان فى فصل الصفات .

---

(١) محمد على زيد: معتزلة اليمن ص ١٦٦ .

(٢) د . محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة

ج ١ ص ٣٤٩ .

(٣) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٦٨ .

ولما اصطدمت الزيدية بعد التجريد المتأهلي للذات بالعديد من الآيات في القرآن الكريم التي تبين صفات الله تعالى وأفعاله ، تراها تعاملت معها وفقا لمنهجها في التأويل ، والذي سبق الكلام عنه في الفصل الأول<sup>(١)</sup> ، فأولت النصوص التي تصطدم مع منهجها لكي تسلم لها قواعد ها في تجريد الذات عن الصفات وسوف نناقش الزيدية في كل ما ذهبت اليه في هذه الوحدة لتعرف مدى انحرافها عن منهج الكتاب والسنة والسلف الصالح

### مناقشة الشوكاني للزيدية :

رأينا أن الزيدية والمعتزلة ، رفضوا واستبعدوا كل ما يمس المفهوم المطلق للذات الالهية من تشبيه أو تجسيد كما نزهت الذات من كل عوامل التعدد التركيب ، وقالوا : في وحدة الذات : " هو واحد نفس ذاته لا قسم له "<sup>(٢)</sup> وفسروا هذا النوع من التوحيد : أنه تعالى لا يجوز وصفه بصفة ثبوتية ، لأن ذلك يقتضي الكثرة في القدماء ، وقالوا : ان صفاته عين ذاته .

وقالوا في توحيد الصفات : أنه لا شبه له في صفة من صفاته ، وأدرجوا في مسمى هذا النوع نفى الصفات<sup>(٣)</sup> ، فمن أثبت صفة صار في زعمهم مشبها ، وبعضهم لم يصفه لا ينفي ولا بإثبات فشبهوه بالممتنع . وقالوا في توحيد الأفعال : أنه واحد في أفعاله لا شريك له فيها ، وقد موا على هذا النوع دليل التمانع ، وهو الدليل المذكور في جميع كتب المتكلمين ، والمعتمد عندهم في الاستدلال على الوحدةانية .<sup>(٤)</sup>

---

(١) أنظر هذه الرسالة ص

(٢) د . عدنان زرزور : الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن ص ١٧٩

(٣) علي محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٦٦ .

(٤) د . أحمد محمود صبحي : الزيدية ص ٣٠٣ .

نقد الشوكاني الزيدية في هذا المسلك ، وبين أنه مشوب بالجهل  
مباين للعلم ، وأن عبا رتهم في نفى الصفات بلغت الى حد يقشعر منه  
الأبدان ، وأنهم فروا من التشبيه الى التعطيل ثم قال : قد رأيت  
ما يقول هؤلاء ، ويذكرونه في مؤلفاتهم ويحكونه عن أكابرهم : " أن الله  
سبحانه وتعالى وتنزهه وتقديسه لا هو جسم ولا هو جوهر ولا عرض ، ولا داخل  
العالم ولا خارجه ، فأنشدك الله : أى عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في  
النفى ؟ وأى مبالغة في الدلالة على هذا النفى تقوم مقام هذه المبالغة ؟ ( ١ )  
فكان هؤلاء في قرارهم من شبهة التشبيه الى هذا التعطيل . ( ٢ )

وهكذا نفت الزيدية والمعتزلة حقائق أسمائه وصفاته ، وقالوا : هذا  
هو التوحيد ، وقالوا : نحن ننزه الله عن الأعراض والأبعض ، والحدود  
والجهات ، وحلول الحوادث . فانظر ماتحت تنزيه هؤلاء المعطلة النفاة .  
يقول ابن قيم الجوزية : انظروا ماتحت تنزيه المعطلة النفاة بقولهم :  
ليس بجسم ولا جوهر ولا مركب ، ولا تقوم به الأعراض ، ولا يوصف بالأبعض ،  
ولا تحل الحوادث ، ولا يفعل بالأعراض ، ولا تحيط به الجهات ، ولا يقال :  
في حقه أين ، فكسوا بهذه الألفاظ حقائق أسمائه وصفاته ، ثم توصلوا  
بواسطتها الى نفيها وضللوا من أثبتها . ( ٣ )

والزيدية لما أدخلوا نفى الصفات في مسمى التوحيد ، وقالوا :  
اثبات الصفة يستلزم تعدد الواجب ، كان قولهم معلوم الفساد بالضرورة ،  
" فان اثبات ذات مجردة من جميع الصفات لا يتصور - لها وجود في الخارج ،  
وانما الذهن قد يفرض المحال ويتخيله ، وهذا غاية التعطيل . ( ٤ )

( ١ ) الشوكاني : التحف في مذهب السلف ص ٩ .

( ٢ ) المصدر السابق نفس الصفحة .

( ٣ ) ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة للموصلى ج ١ ص ١٢٥ - ١٣٦

( ٤ ) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ط ٨ ص ٨

يقول ابن القيم الجوزية : ليس اسم الله والرب والاله اسما لذات  
مجردة لا صفة لها البتة ، فان هذه الذات المنجردة وجودها مستحيل ،  
وانما ناسم الله والرب والاله اسم لذات لها جميع صفات الكمال ، ونعوت  
الجلال . ( ١ )

والله تعالى موصوف في القرآن بكل صفات الكمال الواردة فيه ،  
وليس في وصفه بشيء منها ما يوجب الجسمية ولا الحيز ولا الجهة  
ولا التركيب ، ومعنى الكمال والنقص يجب أن يؤخذ من الشرع حتى لانصفه  
سبحانه بما قد يظن أنه كمال في حق بالمقايضة على المخلوقين وهو ليس  
كمالا بالنسبة له . ( ٢ )

وهذه الطريقة التي سلكتها السلفية في التنزيه وبنيت عليها مذهبها  
في الصفات طريقة سديدة ، وابن تيمية كان منهجه واضحا في ذلك عند ما  
رأى أن تلقى معنى الكمال والنقص بالنسبة لله لا يؤخذ الا من السمع ،  
لأنه سبحانه أعلم بنفسه وبما يجب له .

واذا كان هؤلاء الزيدية يعتقدون أن اثبات الصفات يتنافى مع  
التنزيه عندهم ، فانهم بذلك قد خالفوا أصول القرآن ، والأساس الذي  
بنى عليه مذهب السلف الذي جمع بين الاثبات والتنزيه يقول الشوكاني :  
كلمة : " ليس كمثله شيء " يستفاد منها نفى المماثلة في كل شيء ، ونعريف  
الكلام عند وصفه سبحانه " بالسميع البصير " وعند ذكر السمع والبصر واليد  
والاستواء ونحو ذلك مما اشتمل عليه الكتاب والسنة فيقرر بذلك الاثبات  
لتلك الصفات لا على وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات . ( ٣ )

---

( ١ ) د . محمود أحمد خفاجي : العقيدة الاسلامية بين السلفية

والمعتزلة ج ١ ص ٢٢١ .

( ٢ ) د . محمد السيد الجليلي : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٢٩٤ .

( ٣ ) الشوكاني : التحف في مذهب السلف ص ١٠ .



ومن هنا نعلم أن منهج الزيدية والمعتزلة وسائر النفاة ليس بسديد ، لأنهم اختلفوا فى تحقيق معنى الكمال لله هل هو فى اثبات الصفات أو نفيها عنه ، وقد تلقوا ذلك من عقولهم ، ولم يتلقوه من السمع ، فكان تأويلهم للصفات بما يؤدى الى نفيها زاعمين أن اثبات الصفات يستلزم التعدد والتركيب ، والافتقار ومشابهة الحوادث أو يستلزم الحركة والانتقال . ( ١ )

فيقال لهم أن العقل لما دل على اثبات اله واحد ورب واحد لا شريك له ولا شبيه ولم يلد ولم يولد " لم يدل على أن الرب الواحد لا اسم له ولا صفة ولا وجه ، ولا يدين ، ولا هو فوق خلقه ، ولا يصعد اليه شىء ولا ينزل منه شىء ، فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه كما هو كذب صريح على الوحي . ( ٢ )

والوحي والعقل والفطرة دلت على ثبوت ذلك له سبحانه — أفنفيه لمجرد تسمية الزيدية أو المعتزلة له بأن ذلك يستلزم التركيب أو الجسمية أو قيام الحوادث به ؟ ( ٣ )

---

( ١ ) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ٥ ص ٣٠ .

( ٢ ) ابن القيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ١٣٥ .

( ٣ ) المصدر السابق :

## الفصل الرابع

=====

الصفات الالهية العقلية ومنهج في اثباتها

=====

- تعريف الصفات الالهية العقلية .
- قواعد منهج الشوكاني في هذه الصفات .
- اثبات الصفات الالهية العقلية .
- صفة العلم .
- صفة القدرة .
- صفة الارادة : ( الكونية والدينية ) .
- صفة الحياة .
- صفتي السمع والبصر .
- صفة الكلام .
- الصفات الالهية العقلية عند الزيدية .
- مناقشة الشوكاني لهم .
- رد السلفية على هؤلاء النفاة المعطلة .

=====

=====

## تعريف الصفات الالهية العقلية :

---

الصفات الالهية العقلية : هي ما كان طريق اثباتها

أدلة العقول ، مع ورود السمع بها ، وهي على قسمين :

الأول : ما يدل خبر المخبر به عنه ، ووصف الواصف به له على ذاته ، كوصف الواصف له ، بأنه شيء ذات موجود قديم ، له قدوس ، ملك جليل عظيم عزيز متكبر ، والاسم والمسمى في هذا القسم واحد .

الثاني : ما يدل خبر المخبر به عنه ، ووصف الواصف له به على صفات زائدات على ذاته قائمات به ، وهو كوصف الواصف له بأنه : حي عالم قادر مرید سمیع بصير متكلم باق ، فدلّت هذه الأوصاف على صفات زائدات على ذاته قائمة به ، كحياته وعلمه وقدرته ، وإرادته وسمعته وبصره وكلامه وبقائه ، والاسم في هذا القسم ، صفة قائمة بالمسمى ، لا يقال أنها هي المسمى ، ولا أنها غير المسمى <sup>(١)</sup> ، وهذا القسم هو الذي سنتناوله بالبحث هنا .

وقد عرف المتكلمون هذا القسم الأخير ، بأنه صفات معاني ، وهي في اصطلاحهم أنها : ما دل على معنى وجودي قائم بالذات ، والذي اعترفوا به منها سبع صفات هي : القدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، ونفوا غير هذه الصفات ، وأنكر هذه المعاني السبعة المعتزلة ، وأثبتوا أحكامها فقالوا : هو قادر بذاته ، عليم بذاته ، حي بذاته . . . الخ ، ولم يشبّثوا قدرة ، ولا علما ، ولا حياة ، ولا سمعا ، ولا بصرا ، فرارا من تعدد القديم ، وهذا المذهب كل العقلاء يعرفون ضلاله وشاقضه <sup>(٢)</sup> .

---

(١) البيهقي : الاعتقاد على مذهب السلف : ص ٧١ .

(٢) د . عمر سليمان الأشقر : العقيدة في الله : ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

### قواعد منهج الشوكاني في هذه الصفات :

---

حدد الشوكاني موقفه من هذه الطوائف التي ضلت في هذه الصفات ، وأرجع الأسباب التي بها ومن أجلها تحالفت فيه نجلهم الى الدخول في الأبواب التي لم يأذن لهم الشرع بدخولها ، وقسم هذه الطوائف الى أقسام ثلاث مبينا المذهب الحق في هذه المسائل فقال :

" اعلم أن الكلام في الآيات والأحاديث الواردة في الصفات قد طالت ذيوله ، وتشعبت أطرافه ، وتناسبت فيه المذاهب وتفاوتت فيه الطرائق ، وتحالفت فيه النحل ، وسبب هذا عدم وقوف المنتسبين الى العلم حيث أوقفهم الله ، ودخولهم في أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها ، ومحاولتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه ، حتى تفرقوا فرقا وتشعبوا شعبا وصاروا أجزايا :

الطائفة الأولى : هي التي غلت في التنزيه ، فوصلت الى حد يقشعر عنده الجلد ، ويضطرب له القلب ، من تعطيل الصفات الثابتة في الكتاب والسنة ، ثبوتا أوضح من شمس النهار . (١)

والطائفة الثانية : هي التي نحلت في اثبات القدر غلوا بلغ حد أنه لا تأثير لغيرها ، ولا اعتبار بما سواها ، وأفضى ذلك الى الجبر المحض ، والقسر الخالص ، فلم يبق لبعث الرسل وانزال الكتب كثير فائدة وجاءوا بتأويلات بلايات البينات .

والطائفة الثالثة : توسطت وراعت الجمع بين الضب والنون وظنت أنها وقفت بمكان بين الإفراط والتفريط .

---

(١) الشوكاني : التحف في مذهب السلف : ص ٣٢٢ .

ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تجادل وتتاضل وتحقق وتدقق فى زعمها ، " وكل حزب بما لديهم فرحون " (١)

ويذكر الشوكانى موضحا متى يكون الاعتقاد شبهة ؟ وما الواجب على المجتهد اذا تعارضت أمامه الأدلة ، ولم يترجح لديه أحد الطرفين ؟ وما موقف المؤمن بالنسبة للمسائل المدونة فى علم الكلام التى تسمى بأصول الدين مع العلم أن غالب أدلتها متعارضة ؟ فيقول : ان الأدلة اذا تعارضت على المجتهد فى شىء من مسائل الاعتقاد ، ولم يترجح أحد الطرفين ، ولا أمكنه الجمع بينهما ، كان الاعتقاد شبهة ، والمؤمنون وقانون عند الشبهات ، ومن هذا القبيل المسائل المدونة فى علم الكلامسمى بأصول الدين ، فان غالب أدلتها متعارضة . (٢)

ومن هنا يعلم أن المسائل الاعتقادية وأصول الدين يجب أن تؤخذ من المصادر التى لا يعترضها الاختلاف ولا يأتىها الباطل من بين يديها ولا من خلفها وهى مافى الكتاب العزيز والسنة لمطهرة .

يقول الشوكانى : أصول الدين الذى هو عمدة المتقين مافى كتاب الله تعالى الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وما فى السنة المطهرة ، فان وجدت فيهما ما يكون مختلفا فى الظاهر فليسعك ماوسع خير القرون . (٣)

وبذلك بين الشوكانى أنه لا يجوز التعويل على غير الكتاب والسنة وحدهما فى أخذ الاسماء والصفات التى وصف الله تعالى بها نفسه ، ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف : ص ٢ ، ٣ .

(٢) الشوكانى : كشف الشبهات عن المشتبهات : ضمن الرسائل السلفية ص ١٨ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٩ ، ٢٠ .

يقول الشوكاني : لا يتبغى لعالم أن يدين بغير ما دان به السلف الصالح من الوقوف على ما تقتضيه أدلة الكتاب والسنة ، وإبراز الصفات كما جاءت ، ورد علم المتشابه الى الله . . . فانه لا سبيل للعباد يتوصلون به الى معرفة ما يتعلق بالرب سبحانه ، وبالوعد والوعيد والجنة والنار ، والهدى والمعاد الا بما جاءت به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم عن الله سبحانه ، وليس للعقول وصول الى تلك الأمور . (١)

ويذكر الشوكاني ما يحدد به منهجه ويوضح مذهبه ويرسم به طريقه في اثبات الصفات أو نفيها ، ويذكر قاعدة واجبة في هذا الباب ، وهي : ما أثبتته الله ورسوله يثبت ، وما نفاه الله ورسوله ينفيه ، ويحفظ حرمة النصوص والالفاظ والمعاني التي جاءت في الكتاب والسنة فيقول : "لم يكلف الله أحدا من عباده أن يعتقد أنه جل جلاله متصف بغير ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن زعم أن الله سبحانه تعبد عباده بأن يعتقدوا أن صفاته الشريفة كائنة على الصفة التي يختارها طائفة من طوائف المتكلمين فقد أعظم على الله الفرية . (٢)

ومن هنا نعلم أن معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته ، وما يجب له ويمتنع عليه لا سبيل الى ادراكها بالعقل وحده ، لأنها من شئون الغيب التي لا تدخل في نطاق وظيفته ، وانما وظيفة العقل في ذلك أن يفهم ما تضمنته النصوص من معاني أسماء الرب وصفاته . (٣)

---

(١) الشوكاني : أدب الطلب تحقيق ونشر مركز الدراسات والابحاث

اليمينية ص ١١٤ - ١١٥ .

(٢) الشوكاني : كشف الشبهات ص ١٨ .

(٣) د . محمود أحمد خفاجي : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة

ج ١ ص ٢٣١ = ٢٣٢ .

ولا شك أن الله عز وجل لم يكلنا في معرفة شيء من أسمائه وصفاته إلى شيء وراء ما دل عليه الكتاب والسنة ، ومن رجع في شيء من ذلك إلى قضية عقل أو استحسان برأى أو الهام وكشف أو غير ذلك فقد قال على الله بغير علم ، وضل سوا السبيل . (١)

والرجوع إلى قضايا العقل أو الاستحسان بالرأى وممارسة علم الكلام والاشتغال به لا يفيد ، وإنما يؤدى إلى الحيرة ، وليس ثم أوثق من أدلة الكتاب والسنة يقول الشوكاني : أعلم أنى عند الاشتغال بعلم الكلام وممارسة تلك المذاهب لم أزد بها إلا خيرة وعند هذا رميت بتلك القواعد من حالى ، وطرحتها خلف الحائط ، ورجعت إلى الطريقة المربوطة بأدلة الكتاب والسنة . (٢)

وتتخذ السلفية في اثبات هذه الصفات منهاجاً قوياً إذ تجعل أسماء الله تعالى وصفاته كلها توقيفية لا يجوز إطلاق شيء منها على الله في الإثبات والنفي إلا باذن من الشرع .

وتعنى السلفية بقولها هذا : أن لا يتجاوز بها الوارد في الكتاب والسنة ، فهى تتلقى من طريق السمع لا بالراء فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يسمى إلا بما سمي به نفسه أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم .

وما تذكره السلفية في هذا الباب هو النصيحة النافعة على أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل تثبت له الأسماء والصفات ،

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٢) الشوكاني : أدب الطلب تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية

وتنفي عنه مشابهة المخلوقات<sup>(١)</sup> ، فلا مبالغة في الاثبات المفضى الى التجسيم ولا مبالغة في النفي المفضى الى التعطيل ، فيخرج من بين الجانبين وظو الطرفين حقيقة مذهب السلف الصالح وهو قولهم : باثبات ما أثبتته الله لنفسه من الصفات على وجه لا يعلمه الا هو .<sup>(٢)</sup>

واذا كان هناك من الأسماء ما يطلق على صفات الله كما يطلق على صفات خلقه ، فليس هذا الا محض اشتراك في الاسم فقط ، ولا يقتضى مماثلة صفاته تعالى لصفات المخلوقين ، ولا مشابهته تعالى لخلقهم ، لأن صفاته كلها خلاف صفات المخلوقين ، يعلم لا كعلمنا ، ويقدر لا كقدرنا ، ويرى لا كروؤيتنا ، فليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه .<sup>(٣)</sup>

فوصف الله تعالى بالصفات التي توصف بها المخلوقات لا تقتضى التشبيه بأى حال ، مادامنا نفرق بين اطلاق اسم ما على الله تعالى ، وبين اطلاقه على شئ من المحدثات وذلك لبطلان طريقة قياس الغائب على الشاهد .<sup>(٤)</sup>

ومعنى ذلك في كلام السلفية : أن الاثبات ليس تشبيها ، لأن القرآن تحدث عن الصفات الالهية بالاثبات ، والله قد سمي بعض عباده بما يسمى به نفسه كالعلم والسمع والبصر ، والله موجود والعبد موجود ، وليس اثبات هذه الصفات لله يقتضى مشابهته لشئ من خلقه في أى منها ، لأنه لا يلزم من اتفاقهما في مسمى الصفة اتفاقهما في حقيقة الصفة لأن الله

---

(١) ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين ج ٢ ص ٥٢ ، ٨٦ .

(٢) الشوكاني : التحف في مذهب السلف ص ١٠ .

(٣) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبدالرحمن عميرة :

ج ١ ص ٧٣ .

(٤) د . محمود أحمد خفاجي : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة

ج ١ ص ٢٣٥ .



تعالى لا يقاس بخلقه ، فلا يستعمل فى حقه قياس التمثيل أو التمثول ،  
بل يستعمل فى ذلك قياس الأولى . ( ١ )

وبناء على ذلك اذا رأينا القرآن الكريم قد وصف الخالق - جل وعلا -  
بصفات ووصف المخلوقين بتلك الصفات ، نصفة الخالق حق ، ونصفة  
المخلوقين حق ، لكن صفة الخالق لائقة بذاته ، وصفة المخلوق مناسبة لعجزه  
وافتقاره ، وبين الصفة والصفة من الفرق كما بين الذات والذات . ( ٢ )

ومما سبق عرفنا منهج الشوكاني وطريقته فى اثبات هذه الصفات  
الالهية ، والتزامه بنصوص الكتاب والسنة ، واثبات ما أثبتته الله تعالى  
لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وكذلك ما أثبتته له رسوله  
صلى الله عليه وسلم .

فما هى طريقته فى النفى ؟

نجد الشوكاني يلتزم نفس طريقة الكتاب والسنة فلا ينفى نفياً محضاً ،  
لأنه وجد القرآن لا ينفى صفة نقص عن الله الا اذا كانت متضمنة صفة مدح  
أو كمال ، فلا ينفى نفياً مجرداً ، ولذلك نراه ينقد ويندد بمقالة أهل  
النفى المحض فيقول :

" قد رأيت ما يقوله هؤلاء النفاة ، ويذكرونه فى مؤلفاتهم ، ويحكونه  
عن أكابرهم : أن الله تنزه وتقدس ، لا هو جسم ولا هو جوهر ، ولا عرض ،  
ولا داخل العالم ، ولا خارجه ، فأى عبارة تبلغ هذه العبارة فى النفى ؟ ( ٣ )  
وهذا الذى ذكره الشوكاني مندد بمقالة أهل النفى المحض لم  
يصف الله به نفسه فى القرآن ، لأنه لا يستلزم ثبوتاً ، وهذه الصفات

---

( ١ ) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٢٩٩ .

( ٢ ) د . عمر الأشقر : العقيدة فى الله ص ٨ - ٩ .

( ٣ ) الشوكاني : التحف فى مذهب السلف ص ٩ .

يمكن أن يوصف بها المعدوم ، وذلك لأن القرآن لا ينفي عن الله  
صفة نقص الا اذا كانت متضمنة صفة مدح أو كمال كما في آية الكرسي  
وغيرها ، وعامة السلفية على النفي المتضمن اثبات صفة مدح يقول ابن تيمية :  
كل نفي لا يستلزم ثبوتاً هو مما لم يصف الله به نفسه ، فالذين لا يصفونه  
الا بالسلوب ، لم يثبتوا في الحقيقة ، الهام محموداً بل ولا موجوداً ،  
وكذلك من شاركهم في بعض ذلك كالذين قالوا : لا يتكلم ولا يرى أو ليس  
فوق العالم أو لم يستو على العرش ، ويقولون : ليس بداخل العالم  
ولا خارجه ، ولا مابين للعالم ولا بجانب له ، اذ هذه الصفات يمكن  
أن يوصف بها المعدوم ، وليست هي صفة مستلزمة صفة ثبوت . (١)  
وقد أذعن الشوكاني على ما نطق به لكتاب والسنة فمنع التأويل ،  
وأثبت الحقيقة المتبادرة من ظواهر النصوص التي وردت في هذه الصفات  
الالهية ، وأجرى أخبارها على ظواهرها " من دون تكليف ولا تكلف ،  
ولا قصور في شيء " (٢) وقال : " فمن جاوز هذا المقدار بافراط أو تغريط ،  
فهو غير مقيد بالسلف ، ولا واقف في طريق النجاة ، ولا معتصم من  
الخطأ ، ولا سالك طريق السلامة والاستقامة " . (٣)

وليس الظاهر المتبادر في الصفات عند السلفية معناه التشبيه ،  
حتى تحتاج الى تأويل أو صرف اللفظ عن ظاهره ، بل الظاهر المتبادر  
عند كل مسلم هو التنزيه الكامل عن مشابهة الخلق ، وانرارها على ظاهرها  
هو الحق ، ولا ينكر عاقل أن المتبادر للاذهان السليمة أن الخالق ينافي

---

(١) ابن تيمية : الرسالة التدمرية ص ١٤١ المكتب الاسلامي تحقيق

زهير الشاويش الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ .

(٢) الشوكاني : التحف في مذهب السلف ص ١٢ .

(٣) المصدر السابق ص ١٢ .

المخلوق في ذاته وسائر صفاته ، لا يعارض في هذا الا مكابر معاند . (١)  
ومما سبق يتبين لنا موقف الشوكاني والسلفية من اثباتهم الحقائق  
المتبادرة من ظواهر النصوص التي وردت في صفات الله وأسمائه الأسمى  
الذى ينادى بأعلى صوت ويقرر : أنه لا يجوز على رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وهو الداعي الى الله على بصيرة أن يكون قد أخبر عن الله  
وأسمائه وصفاته وأفعاله بما الهدى في خلاف ظاهره ، والحق في اخراجه  
من حقائقه ، وحمله على وحشى اللغات ، وستكرهات التأويلات ، وأن  
حقائقه ضلال وتشبيه والحاد ، وأن الهدى والعلم في مجازه ، واخراجه  
عن حقائقه . (٢)

وبهذا الموقف الواضح والمنهج المستقيم الذى قرره الشوكاني :  
من اثبات جميع الصفات الالهية المذكورة في القرآن والسنة ، ومنعه تأويلها  
أو تكييفها كما سبق ، لأنها صفات كمال لا بد أن يتصف بها الله تعالى ،  
ولأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله ، ولا أعلم من رسول الله الذى  
لا ينطق عن الهوى يكون بذلك قد أعطانا تصورا واضحا لتحديد العلاقة  
بين ذات الله تعالى وصفاته .

وفي اثبات هذه الصفات الالهية العقلية سلك الشوكاني طريقا  
مأمون العواقب ، وذلك بأن تعرف على الله وصفاته من خلال كلامه  
وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فلم يترك مجالا للشك والا لتباس .

---

(١) د . عمر الأشقر : العقيدة في الله ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) ابن القيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ٦ .

### اثبات الصفات الالهية العقلية :

سلك الشوكاني في اثبات هذه الصفات سبيل النصوص القرآنية والحديثية التي تتحدث عن الله تعالى حديثا مباشرا ، مبينة صفاته تعالى وأسماءه وأفعاله ، كما حرص الشوكاني على ألا يزيغ النصوص بتأويل أو تحريف كما فعل كثير من المتكلمين ، وخصوصا المعتزلة والزيدية ، ولكن وضع المراد من خلال النصوص ، وحرر المقصود كما سنوضحه بعد .

### أولا : اثباته صفة العلم :

بين الشوكاني صفة العلم بما قد تقرر بالأدلة من الكتاب والسنة ، بأن علمه عز وجل أزلي ، وأنه قد سبق في كل شيء ، ولا يصح أن يقدر وقوع غير ما قد علمه ، والا انقلب العلم جهلا ، وذلك لا يجوز اجتماعا ، لأن علمه عز وجل سابق أزلي ، وقد علم ما يكون قبل أن يكون ، ولا خلاف بين أهل الحق من هذه الحثية . (١)

ومعنى ذلك أن الله تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بجميع المعلومات ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة ، جاءت في آيات لا تحصى : أنه عالم بعلم هو صفة له ، قائم بذاته ، ولما اشتق منها كونه عليما ، ويعلم ، وأحاط بكل شيء علما : قال تعالى : " ان الله بكل شيء عليم " (٢) ، وقال تطلّى : " يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها " (٣) وقوله : " وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ،

---

(١) الشوكاني : أمناء الشريعة تحقيق د . ابراهيم هلال ص ١١٩ .

(٢) العنكبوت : آية : ٦٢ .

(٣) سورة سبأ : آية : ٢ .

ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ، ولا رطب ، ولا يابس الا فى كتاب مبين " (١) ، وقوله : " وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه " (٢) وقوله : " وأن الله قد أحاط بكل شىء علما " (٣) ، " عالم الغيب والشهادة " (٤) ، " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " (٥) وغير ذلك من الآيات .

فأفادت هذه الآيات وغيرها اثبات صفة العلم لله ، وأن علمه سبحانه شامل لكل شىء ، ومحيط به ، فيعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ؟ ، فهو عالم السر والعلائية ، والآخرة والدنيا ، وعالم ما غاب من الاحساس وما حضر . (٦)

والذى يقرر ذلك ويدل عليه قوله تعالى : " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " ومعناها : ألا يعلم الله المخلوق الذى هو من جملة خلقه ، فان الاسرار والجهر ومضمرات القلوب من جملة خلقه ، فهو الخبير بما تسره وتضمهر القلوب ، لا تخفى عليه خافية . (٧)

قال الدكتور خليل هراس فى شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية :  
 " والعلم صفة لله عز وجل ، بها يدرك جميع المعلومات على ما هى عليه ، فلا يخفى عليه منها شىء " ، وفى هذه الصفة اثبات اسم الحكيم ، ومعناه :  
 الذى لا يقول ولا يفعل الا الصواب ، وكذلك اثبات اسمه الخبير ، بمعنى :  
 كمال العلم وثوقه ، والا حاطة بالأشياء على وجه التفصيل ، ووصول علمه

( ١ ) سورة الأنعام : آية : ٥٩ .

( ٢ ) سورة فصلت : آية : ٤٧ .

( ٣ ) سورة الطلاق : آية : ١٢ .

( ٤ ) سورة الحشر : آية : ٢٢ .

( ٥ ) سورة الملك : آية : ١٤ .

( ٦ ) الشوكانى : فتح القدير ج ٥ ص ٢٠٧ .

( ٧ ) الشوكانى : فتح القدير ج ٥ ص ٢٦٢ .

الى كل ماخفى ودق من الحسيات والمعنويات . (١)

ومما سبق تقرر بالأدلة السمعية من القرآن الكريم صفة العلم لله تعالى ، كما يتقرر بالأدلة العقلية هذه الصفة له تعالى : فان المصنوع يدل من جهة الترتيب الذى فى أجزائه ، أى كون صنع بعضها من أجل بعض ، ومن جهة موافقه جميعها للمنفعة المقصورة بذلك المصنوع ، أنه لم يحدث عن صانع هو طبيعة ، وانما حدث عن صانع رتب ما قبل الغاية قبل الغاية ، فوجب أن يكون عالما به . (٢)

فهذا الدليل بين أنه يستحيل ايجاد الأشياء مع الجهل ، لأن ايجاد الأشياء بأرادته تعالى ، والارادة تستلزم العلم المراد ، ولأن المخلوقات فيها من الاتقان وعجيب الصفة ودقيق الخلقة ما يشهد بعلم فاعلها ، وهذا ظاهر لمن نظر فى الآفاق والأنفس ، وتأمل ارتباط العلويات بالسفليات ، والحيوانات وما هديت اليه من مصالحها . (٣)

وقد اشتد انكار الشوكانى على من ينكر علم الله الأزلى كالمعتزلة وعلى رأسهم أبو على الجبائى بما سنوضحه فى مناقشة الشوكانى لهم فى نهاية هذا الفصل (٤) كما اشتد انكار السلفية لهؤلاء لأنهم نفوا صفة العلم . (٥)

- 
- (١) د . خليل هراس : شرح العقيدة الواسطية الطبعة الثالثة ص ٣٧ .  
(٢) د . محمود خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ج ١ ص ٢٨٩ ، وأنظر العقيدة الاصفهانية تحقيق حسنين مخلوف ص ٢٤ .  
(٣) الايجى : المواقف ص ٢٨٥ .  
(٤) الشوكانى : رسالة التحف فى مذهب السلف : ص ٧ ، ٨ .  
(٥) د . خليل هراس : شرح العقيدة الواسطية ص ٣٩ .

## ثانيا : اثبات صفة القدرة :

أثبت الشوكاني صفة القدرة بما قد تقرر بالأدلة من الكتاب والسنة أنه تعالى قادر ، وله قدرة يباين بها صفة من ليس بقادر لقوله تعالى : " ان القوة لله جميعا " <sup>(١)</sup> والله تعالى لكمال قدرته لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء : " وما كان الله ليعجزه من شئ في السموات ولا في الأرض انه كان عليما قديرا " <sup>(٢)</sup> قال الشوكاني في تفسيرها : ما كان الله ليسبقه ويفوته من شئ من الأشياء كائنا ما كان فيها ، لأنه كثير العلم ، وكثير القدرة ، لا يخفى عليه شئ ، ولا يصعب عليه أمر . <sup>(٣)</sup>

فالله تعالى لكمال قدرته لا يعجزه شئ ، لأن العجز نقص ينشأ اما من الضعف عن القيام بما يريد ، الفاعل ، واما من عدم علمه به ، والله تعالى لا يكرب عنه مثقال ذرة ، وهو على كل شئ قدير .

والآيات في تقرير صفة القدرة كثيرة كقوله تعالى : " وكان الله على كل شئ مقتدرا " <sup>(٤)</sup> وقوله تعالى : " وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم " <sup>(٥)</sup> ، وقوله : " ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين " <sup>(٦)</sup> " والسما بنيناها بأيد " <sup>(٧)</sup> وغير ذلك من الآيات التي تثبت لله صفة القدرة .

- 
- (١) سورة البقرة : الآية : ١٦٥ .
  - (٢) سورة فاطر : " : ٤٤ .
  - (٣) الشوكاني : فتح القدير : ج ٤ ص ٣٥٦ .
  - (٤) سورة الكهف : آية : ٤٥ .
  - (٥) سورة البقرة : " : ٥٥ .
  - (٦) " الذاريات : " : ٥٨ .
  - (٧) " " " : " : ٤٧ .

كما جاء عن طريق السنة ما يقرر هذه الصفة كما في حديث الاستخارة  
عن جابر " . . . اللهم اني أستخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك . . . فانك  
تقدر ولا أقدر " (١) .

وقد علم ببداهة العقول والنظر كمال قدرته وعلمه ، فانتفى العجز لما بينه  
وبين القدرة من التضاد ، ولأن العاجز لا يصلح أن يكون لها " (٢)  
ويدل على اثبات هذه الصفة لله سبحانه : أن هذا العالم فعل محكم  
مرتب متقن منظم مشتمل على المعجائب والآيات ، وذلك يدل على القدرة ،  
لأنه صادر من فاعل قادر . (٣)

فالله تعالى قادر يصح منه ايجاد العالم وتركه ، فليس شيء منهما  
لازما لذاته ، بحيث يستحيل انفكاكه عنه ، فهو ان شاء فعل ، وان لم يشأ لم  
يفعل ، فهو مختار ، والمختار انما يفعل بالقدرة ، اذ القادر هو ان شاء  
فعل وان شاء لم يفعل ، فأما من يلزمه المفعول بدون ارادته ، فهذا ليس  
بقادر " (٤)

---

(١) الحديث في صحيح البخارى : كتاب الدعوات باب الدعاء عند الاستخارة .

(٢) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٥٦

(٣) ابن تيمية : العقيدة الاصفهانية تحقيق حسنين مخلوف ص ٢٥ .



### ثالثا : اثبات صفة الارادة :

الارادة والمشيئة : عبارتان عن معنى واحد ، فهو مرید وله

ارادة صفة له ، يباين بها صفة من يكون ساهيا أو مغلوبا أو مكرها <sup>(١)</sup> ،

وقد أثبت الشوكاني هذه الصفة لله سبحانه وتعالى ، بما قد تقرر بالأدلة

من الكتاب والسنة : أنه تعالى مرید ، وله ارادة ومشیئة لقوله تعالى : " وربك

يخلق ما يشاء ويختار " <sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : " فعال لما يريد " <sup>(٣)</sup> وقوله :

" ان الله يفعل ما يريد " <sup>(٤)</sup> وغير ذلك من الآيات .

وقد وضع الشوكاني صفة الارادة وبين أنها ارادة كونية : وهي مشيئته

لما خلقه من جميع مخلوقاته : انفسهم وجنهم ، مسلمهم وكافرهم ، حيوانهم

وجمادهم ، ضارهم ونافعهم <sup>(٥)</sup> ، فهذه الارادة القدريّة الكونية خلقية ، وهي

المشيئة الشاملة لجميع الموجودات . <sup>(٦)</sup>

ثانيا : ارادة دينية : وهي محبته المتأولة لجميع ما أمر به وجعله شرعا ودينا ،

وهذه مختصة بالايان والعمل الصالح " <sup>(٧)</sup> ، وهذه الارادة الدينية ، أمرية

شرعية ، وهي متضمنة للمحبة والرضى . <sup>(٨)</sup>

يقول الشوكاني : ما خلقه الله وقدره وقضاه فهو سبحانه يريد ، وان

كان لا يأمر به ، ولا يحبه ، ولا يرضاه ، ولا يثيب أصحابه ، ولا يجعلهم من أوليائه ،

---

(١) البيهقي : الاعتقاد على مذهب السلف ص ٣٦ .

(٢) سورة القصص : آية : ٦٨ .

(٣) سورة هود : آية : ١٠٢ .

(٤) سورة الحج : آية : ١٤ .

(٥) الشوكاني : قطر الولي تحقيق د . ابراهيم هلال ص ٢٦٩ .

(٦) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٦٦ .

(٧) الشوكاني : قطر الولي تحقيق د . ابراهيم هلال ص ٢٦٩ .

(٨) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٦٦ .

وما أمر به وشرعه وأحبه ، ورضيه ، وأحب فاعله ، وأثابهم وأكرمهم عليه ،  
فهو الذى يحبه ويرضاه ويثيب فاعله . (١)

فالارادة الشرعية التى ذكرها الشوكانى : فى مثل قول الناس لعن  
يفعل القبائح ، هذا يفعل مالا يريد الله ، أى : لا يحبه ، ولا يرضاه ،  
ولا يأمر به ، وأما الارادة الكونية ، فهى الارادة المذكورة فى قول المسلمين :  
ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . (٢)

ثم ذكر الشوكانى ما يتقرر به صفة الارادة الكونية من القرآن فقال :  
قوله تعالى : " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن  
أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء " (٣) ، وقول  
نوح عليه السلام : " ولا ينفعكم نصيحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله  
يريد أن يغويكم " (٤) وقوله تعالى : " وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له  
وما لهم من دونه من وال " (٥) (٦) وغير ذلك من الآيات .

وأما ما يتقرر به صفة الارادة الدينية فيقول الشوكانى : قوله تعالى :  
" يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر " وقوله تعالى : " ما يريد  
الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم  
تشكرون " (٨) (٩) ، وغير ذلك من الآيات التى تبين صفة الارادة الدينية .

---

(١) الشوكانى : قطرالولى ص ٢٦٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سورة الانعام : آية : ١٣٥ .

(٤) سورة هود : آية : ٣٤ .

(٥) سورة الرعد : آية : ١١ .

(٦) الشوكانى : قطرالولى تحقيق ابراهيم هلال ص ٢٦٩ - ١٢٧٠ -

(٧) سورة البقرة : آية : ١٨٥ .

(٨) سورة المائدة : آية : ٦ .

(٩) الشوكانى : قطرالولى ص ٢٧٠ .

وكما ثبت بالأدلة العقلية صفة الإرادة والمشئة لله عز وجل كنيضة  
و دينية ، ثبت بالضرورة أنه مريد ، لأنه إنما يفعل على حسب علمه ، ثم إن كل  
موجود ، فهو على قدر مخصوص ، وصفة معينة ، وله وقت ومكان محددان ،  
وهذه وجوه قد خصصت له دون بقية الوجوه الممكنة وتخصيصها كان وفق العلم  
بالضرورة ، ولا معنى للإرادة إلا هذا (١) .

#### رابعاً : اثبات صفة الحياة :

الحياة صفة لله عز وجل : فهو حي ، وله حياة يبين بها  
صفة من ليس بحي . (٢)

وحياته تعالى أكمل حياة ، وأتمها ، وإذا كانت كذلك استلزم اثباتها ،  
اثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة ، قال الشوكاني : لا حياة على الدوام إلا  
لله سبحانه دون الأحياء المنقطعة حياتهم ، والحي هو الذي يوثق به في  
المصالح (٣) قال تعالى : " وتوكل على الحي الذي لا يموت " (٤) .

وقد أثبت الشوكاني هذه الصفة لله عز وجل بما تقرر بالأدلة من الكتاب  
والسنة أنه تعالى : حي ، والحي هو الباقي ، وهو حي كما وصف نفسه به  
لقوله تعالى : الله لا اله إلا هو الحي القيوم (٦) وقال تعالى : " هت الوجوه  
للحي القيوم " (٧) .

---

(١) ابن تيمية : العقيدة الأصفهانية ضمن مجموعة الفتاوى ج ٥ .

(٢) البيهقي : الاعتقاد على مذهب السلف ص ٣٦ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ج ٤ ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٤) سورة الفرقان : آية : ٥٨ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٢٧١ .

(٦) سورة البقرة : آية : ٢٥٥ ، سورة آل عمران : آية : ٢ .

(٧) سورة طه : آية : ١١١ .

وقد اقترن اسم الحى بالقيوم فى ثلاث سور من القرآن - البقرة ٢٥٥ ،  
 وآل عمران آية : ٢ ، وطه : ١١١ ، كما جاء ذلك فى الحديث الثابت عن  
 ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول فى  
 دعائه : " أعوذ بعزتك لا اله الا أنت أن تغفلنى أنت الحى القيوم الذى لا يموت ،  
 والجن والانس يموتون " (١) .

وهو تعالى حيا ، وهو معلوم بالضرورة ، فان العالم القادر حيا ضرورى ،  
 اذ لا يعنى بالحى الا ما يشعر بنفسه ، ويعلم ذاته وغيره ، والعالم بجميع  
 المعلومات ، والقادر على جميع المقدرات ، كيف لا يكون حيا ؟ (٢) .

والحى القيوم من أعظم أسماء الله ، لأنهما يتضمنان اثبات صفات الكمال  
 أكمل تضمن ، وأصدق ، وعلى هذين الاسمين مدار الأسماء كلها ، واليهما  
 ترجع معانيهما ، فصفه الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال ، فلا تتخلف عنها  
 صفة الا لضعف الحياة ، ويدل القيوم على معنى الأزلية والأبدية ، وهو يفيد  
 دوام قيامه ، فهو سبحانه لا يزول ولا يافل : أى لا يغيب ولا ينقص ولا ينفى  
 ولا يعدم ، بل هو الدائم الباقي ، الذى لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات  
 الكمال . (٣)

خامسا : اثبات صفة السمع والبصر :

الله تعالى سميع بصير ، وله سمع وبصر ، يدرك بأحدهما  
 جميع السموعات وبالأخر جميع المبصرات (٤)  
 الذات الثبوتية الملازمة للذات أزلا وأبدا ، والسميع البصير اسمان من أسمائه

(١) البيهقى : الاعتقاد على مذهب السلف ص ٣٧ .  
 (٢) الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٦٥ .  
 (٣) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٧٩ .  
 (٤) البيهقى : الاعتقاد على مذهب السلف ص ٣٨ .

تعالى ، فهو سبحانه بصفة السمع يسمع السر والنجوى ، يسمع هو صفة لا يماثل  
اسماع خلقه ، كما هو تعالى بصير يدرك جميع المراتب مهما لظفت أو بعدت ،  
فلا يؤثر على رؤيته الحواجز والأشياء ، وهو دال على ثبوت صفة البصر له سبحانه  
على الوجه الذى يليق به .<sup>(١)</sup>

وقد أثبت الشوكانى صفتى السمع والبصر له تعالى بما تقرر بالأدلة من الكتاب  
والسنة بقوله تعالى : " اننى معكما أسمع وأرى " <sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : " قد سمع  
الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله ، والله يسمع تحاوركما ،  
ان الله سميع بصير " <sup>(٣)</sup> ، وقوله تعالى : " ألم يعلم بأن الله يرى " <sup>(٤)</sup> .  
وقوله تعالى : " ليس كمثله شئ " وهو السميع البصير <sup>(٥)</sup> وقوله تعالى : " له  
غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع " <sup>(٦)</sup> .

قال الشوكانى فى هذه الآية الأخيرة : الله سبحانه له ماخفى فى السموات  
والأرض ، وغاب من أحوالهما ، ليس لغيره من ذلك شئ ، كما جاء بما يدل على  
التعجب من ادراكه سبحانه للمبصرات والمسموعات فقال : أبصر به وأسمع " .  
فأناد هذا التعجب على أن شأنه سبحانه فى علمه بالمبصرات والمسموعات  
خارج عما عليه ادراك المدركين ، وأنه يستوى فى علمه الغائب والحاضر ،  
والخفى والظاهر ، والصغير والكبير ، واللطيف والكثيف ، وكان أصله ما أبصره  
وما أسمع .<sup>(٧)</sup>

(١) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . خليل هراس ص ٣٥ .

(٢) سورة طه : آية : ٤٦ .

(٣) سورة المجادلة : آية : ١ .

(٤) سورة الفلق : آية : ١٤ .

(٥) سورة الشورى : آية : ١١ .

(٦) سورة الكهف : آية : ٢٦ .

(٧) الشوكانى : فتح القدير ج ٣ ص ٢٢٩ .

وكما ثبتت صفتا السمع والبصر عن طريق الآيات القرآنية ثبتت أيضا بطريق الأحاديث النبوية ، ففي صحيح البخارى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة ، فجعلنا لانصعد شرفا ، ولا نهبط فى واد ، الا رفعنا أصواتنا بالتكبير ، فدنا منا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " أيها الناس : أربعوا على أنفسكم فانكم ما تدعون أصم ولا غائبا ، فانما تدعون سميحا بصيرا ، ان الذى تدعونه أقرب الى أحدكم من حق راحلته ، يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنوز الدنيا " لاحول ولا قوة الا بالله " (١)

وينبغى أن يتقرر بذلك الاثبات لتلك الصفات لا على وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات ، " فكلمة " ليس كمثله شئ " بها يستفاد نفي المماثلة فى كل شئ ، ووصفه سبحانه بالسميع البصير يتقرر بها الاثبات لهذه الصفات لا على وجه المماثلة للمخلوقات . (٢)

كما تثبت صفة السمع والبصر لله تعالى بضرورة العقل ، وذلك بأن السميع البصير من صفات الكمال ، فان الحى السميع البصير أكمل من حى ليس بسميع ولا بصير ، كما أن الموجود الحى أكمل من موجود ليس بحى ، واذا كانت صفة كمال لولم يتصف الرب بها لكان ناقصا ، والله منزّه عن كل نقص (٣) وكل كمال محض لانقص فيه فهو جائز عليه وما كان جائزا عليه من صفات الكمال ، فهو ثابت له ، فانه لولم يتصف به لكان ثبوته له موقوفا على غير نفسه فيكون مفتقرا الى غيره فى ثبوت الكمال له ، وهذا متع اذا لم يتوقف كمال الا على نفسه ، فيلزم من ثبوت نفسه ثبوت الكمال لها ، وكل ما ينزه عنه ، فانه يستلزم نقضا يجب تنزيهه له ، وأيضا فلولم يتصف بهذا الكمال

- 
- (١) صحيح البخارى : كتاب الدعوات ، باب لاحول ولا قوة الا بالله .  
 (٢) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ص ١٠ .  
 (٣) ابن تيمية : العقيدة الأصفهانية تقديم حسنين مخلوف ص ٨٥ .

لكان السميع البصير من مخلوقاته أكمل منه .

كما أبطلت السلفية قول المعتزلة ومن وافقهم الذين أرادوا بسمعه وبصره مجرد العلم بما يسمع ويرى . لأن الله فرق بين العلم وبين السمع والبصر ، وفرق بين السمع والبصر ، وهو لا يفرق بين علم وعلم لتتبع المعلومات قال تعالى : " وأما ينزعك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم " <sup>(١)</sup> وقال تعالى : " وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم " <sup>(٢)</sup> فذكر سمعه لا قوالهم ، وعلمه ليتناول باطن أحوالهم <sup>(٣)</sup>

### صفة الكلام :

أثبت الشوكاني صفة الكلام لله تعالى بما تقرر بالأدلة من الكتاب والسنة بقوله تعالى : " وكلم الله موسى تكليماً " <sup>(٤)</sup> وقوله تعالى : " وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله " <sup>(٥)</sup> وقوله : " انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين " <sup>(٦)</sup> وقوله : " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه " <sup>(٧)</sup> وقوله تعالى : " ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون " <sup>(٨)</sup> الى غير ذلك من الآيات التى تقرر بأدلتها صفة الكلام .

- 
- (١) سورة الأعراف : آية : ٢٠٠ .
  - (٢) سورة البقرة : آية : ٢٢٧ .
  - (٣) د . محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ج ١ ص ٣٠ .
  - (٤) سورة النساء : آية : ١٦٤ .
  - (٥) سورة التوبة : آية : ٦ .
  - (٦) سورة الأعراف : آية : ١٤٤ .
  - (٧) سورة الاعراف : آية : ١٤٣ .
  - (٨) سورة الأنبياء : آية : ٢ .

وقد وضع الشوكاني من خلال تفسيره لمعاني هذه الآيات معتقد السلفية  
فذكر أن القرآن كلام الله غير محدث ولا مخلوق ، بل منزل ، وهو صفة من  
صفات الله تعالى قديم النوع حادث الآحاد في التنزيل .<sup>(١)</sup> يقول الشوكاني :  
لقد أصاب أئمة السنة بامتناعهم من الإجابة إلى القول بخلق القرآن وحدوثه  
وحفظ الله بهم أمة نبيهم من الابتداء .<sup>(٢)</sup>

كما ذكر الشوكاني في قوله تعالى : " وكلم الله موسى تكليماً " : أن الله  
هو الذي كلم موسى ، و " تكليماً " مصدر مؤن كد وفائدة التوكيد دفع توهم المجاز ،  
فإذا أكد الكلام لم يكن إلا حقيقة ، وأجمع النحويون على أنه إذا أكد الفعل  
بالمصدر لم يكن مجازاً .<sup>(٣)</sup>

كما وضع الشوكاني أن كلام الله تعالى لموسى عليه السلام كان من غير  
واسطة . قال تعالى : " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه " <sup>(٤)</sup> قال الشوكاني :  
أي سمع كلامه من غير واسطة .<sup>(٥)</sup>

وبهذا وغيره ما وضعه الشوكاني تبين أن القرآن كلام الله ، منزل غير  
مخلوق ، والله تكلم به حقيقة ، فهو كلامه حقيقة لا كلام غيره ، وإذا قرأ  
الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف لم يخرج ذلك عن أن يكون كلام الله ،  
فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من بلغه مؤدياً ،  
والله تكلم بحروفه ومعانيه بلفظ نفسه ليس شيء منه كلاماً لغيره ، والله  
تكلم به أيضاً بصوت نفسه ، فإذا قرأه العباد قرأوه بصوت أنفسهم ، وكما أن

---

(١) د . محمد حسن الخماري : الامام الشوكاني مفسراً ص ٢٠٣ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ج ٣ ص ٣٩٧ .

(٣) المصدر السابق : ج ١ ص ٥٣٦ .

(٤) الاعراف : ١٤٣ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص ٢٤٢ .



القرآن كلامه ، فكذلك هو كتابه لأنه كتبه في اللوح المحفوظ . (١)

وإذا كان القرآن كلام الله عز وجل ، وكلام الله صفة من صفات ذاته ، فلا يجوز أن يكون شئ من صفات ذاته مخلوقا ولا محدثا ولا حادثا ، فلو كان القرآن مخلوقا لكان الله سبحانه قائلا له كن ، والقرآن قوله ، ويستحيل أن يكون قوله مقولا له ، لأن هذا يوجب قولاً ثانياً ، والقول في القول الثاني وفي تعلقه بقول ثالث كالأول وهذا يفضي إلى ما لا نهاية وهو فاسد ، وإذا فسد ذلك فسد أن يكون القرآن مخلوقا . (٢)

قال الشوكاني : أنه لا نزاع في حدوث المركب من الأصوات والحروف ، لأنه متجدد في النزول ، فالمعنى محدث تنزيله . (٣)

وقد وضع ابن تيمية رأى السلفية في هذه المسألة وناقش فيها المخالفين من المعتزلة والمتفلسفة والأشعرية وأنزل كلا منهم منزلة من صفة الكلام فقال : اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله متكلم بكلام قائم بذاته ، وأن كلامه غير مخلوق ، واتفق أئمة السلف على أن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، ومعنى بدأ : أي هو المتكلم به ، لم يخلقه في غيره ، كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم ، بأنه : بدأ من بعض المخلوقات وأنه سبحانه لم يقم به كلام ، ومعنى وإليه يعود : ما جاء في الآثار ، أن القرآن يسرى به حتى لا يبلى في المصاحف منه حرف ، ولا في القلوب منه آية ، وكما ورد في الحديث الذي رواه أحمد في المسند أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه " (يعنى القرآن) . (٤)

---

(١) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح الدكتور خليل هراس ص ٨٤ — ٨٥

(٢) البيهقي : الاعتقاد على مذهب السلف تصحيح الشيخ محمد أحمد

موسى ص ٣٢ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ج ٣ ص ٣٩٢ .

(٤) د . محمود أحمد خفاجي : العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة

ج ١ ص ٣٠٢ — ٣٠٣ .

كما يعتبر اطلاق لفظ قديم من الألفاظ المبتدعة التي لم ينطق بها  
سلف الأمة وأئمتها يقول ابن تيمية : ان أحدا من الأئمة والسلف لم يقل أن  
القرآن قديم وأنه لا يتعلق بمشيئته وقدرته . (١)

وقد قطعت السلفية على المعتزلة حجتهم عندما جمعت بين وصفين في  
صفة المتكلم فقالوا : " المتكلم من قام به الكلام ، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته " . (٢)

---

(١) ابن تيمية : التسعينية ص ١٤٣ .

(٢) ابن تيمية : شرح العقيدة الاصفهانية تقديم حسنين مخلوف ص ٦٦-٦٧ .

## مناقشة الشوكاني للزيدية فى الصفات العقلية :

### الصفات الالهية العقلية عند الزيدية :

عندما ننظر الى مصنفات الزيدية ، وما ألفوه وكتبوه فى  
الالهيات ، وما ذكروه فى صفات الله عز وجل ، نجد أنهم نقوا الصفات  
القديمة أصلاً والقائمة بالذات والزائدة على ذاته .  
يقول أبو الحسن الأشعري فى مقالاته : اختلفت الزيدية فى الأسماء  
والصفات وهم فرقتان :

فالفرقة الأولى منهم : أصحاب سليمان بن جرير الزيدى  
" يزعمون أن البارى عالم يعلم لاهو هو ولا غيره وأن علمه شىء " ، قادر  
بقدره لاهى هو ولا غيره ، وأن قدرته شىء " ، وكذلك قولهم فى سائر صفات  
النفس كالحياة والسمع والبصر وسائر صفات الذات (١) .  
والفرقة الثانية : يزعمون أن البارى عز وجل عالم قادر سميع بصير ، بغير  
علم وحياة وقدرة وسمع وبصر ، وكذلك قولهم فى سائر صفات الذات (٢) .

ويقول الامام الهادى مؤسس الزيدية فى كتاب الديانة : من زعم أن علمه  
وقدرته وسمعه وبصره صفات له لم يزل موصوفاً بها قبل أن يخلق وقبل أن يصفه  
بها أحد وقبل أن يصف هو بها نفسه بتلك الصفات ، فلا يقال هى الله ،  
ولا يقال هى غيره فقد قال منكراً من القول وزوراً . (٣)

فتبين أن الهادى فيما يتعلق بالصفات الالهية العقلية أو بصفات الذات  
كالعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر وغيرها يذهب فيها مذهب المعتزلة  
كأبى الهذيل العلاف وأمثاله الذين قالوا : أنها والذات الالهية سواء بسواء ،

(١) الأشعري : مقالات الاسلاميين ص ٢٠ ، ٢١ .

(٢) المصدر السابق

(٣) د . أحمد محمود صبحى الزيدية ص ٥١٢ .

وأنة ليس لله من صفات مفارقة ، بل هذه الصفات هى ذاته نفسها ، فعلمه ذاته أو كما قال أبو الهذيل : أنه عالم بعلم هو هو ، وقادر بقدرة هى هو ، وحى بحياة هى هو . وهكذا فى جميع صفات الذات .<sup>(١)</sup>

وبهذا يتضح التقارب فى الآراء والعقائد وخصوصا فى الصفات العقلية بين الزيدية والمعتزلة فلم يحدث ثم اختلاف .<sup>(٢)</sup>

والمراد بالصفات العقلية هنا التى تستحقها الذات الالهية دون أن توجب لها معان زائدة على الذات — على رأى المعتزلة والزيدية — أو تسلب عنها معانى الكمال من قدرة وعلم . . . الخ فتكون الذات الالهية عبارة عن فكرة تجريدية متصورة فى الخيال ليس لها به علاقة بمخلوقاتهما ، ومن ثم تكون النتيجة عند الوقوع فى التعطيل ، ولثلا تكون النتيجة كذلك ذهب المعتزلة والزيدية الى أن صفاته هى عين ذاته ، فهو قادر وعالم وقدرته وعلمه هى عين ذاته وكذلك فى بقية الصفات الأخرى .<sup>(٣)</sup>

ومعلوم أن نفى الزيدية والمعتزلة لهذه الصفات أولهذه المعانى الزائدة إنما ينبع من مبدأ حماية فكرة الوحدانية للذات الالهية ، لأن هذا يتفق مع قواعدهم فى التنزيه ، فهم فى نفهم للصفات يهربون من الوقوع فى التشبيه والتعدد الذى وقع فيه النصارى .

فالمعتزلة تقول : ان النصارى قد كفروا باثبات ثلاثة فكيف بمن يثبت الأكثر؟ يقول القاضى عبد الجبار عد تأويله لقوله تعالى : " لقد كفر الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثة " <sup>(٤)</sup> قال : انهم يقولون : ثالث ثلاثة ، وهو معنى قولهم

---

(١) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٦٦ .

(٢) د . فضيلة عبد الأمير الشامى : تاريخ الفرقة الزيدية ص ٣٢٤ .

(٣) أحمد عبد الله عارف : أصول الاتفاق بين القضايا الكلامية بين الزيدية والمعتزلة ص ١٥٠ رسالة ماجستير .

(٤) سورة المائدة : آية : ٧٢ .

اذ أثبتوا ابنا ، وأبا ، وروحا قديمت ، وعلى هذا يقال فى هؤلاء المشبهة  
أنهم يثبتون معبودا ثالثا ، ورابعا ، وعاشرا اذ قالوا : ان معه علما ، وقدرة  
(١) وحياة قديمة .

ومن أدلة الزيدية والمعتزلة على نفى هذه الصفات أنه لو وصف الله بصفة  
ما لنتج عن ذلك تصور الكثرة فى الذات الالهية حيث يكون هناك صفة وموصوف ،  
وللزم تبعا لذلك أن تشاركه هذه الصفة فى معنى القدم ، وللزم تعدد  
القدماء ، فتكون هناك ذات قديمة ، وصفة قديمة ، وهم يقولون بتقديم واحد ،  
يقول الشهرستاني : الذى يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد القول : بأن الله  
تعالى قديم ، والقدم أخص وصف ذاته ، ونفوا الصفات القديمة أصلا فقالوا :  
هو عالم بذاته ، قادر بذاته ، حى بذاته ، لا يعلم ولا قدرة ولا حياة ، هى  
صفات قديمة ، ومعان قائمة به ، لأنه لو شاركه الصفات فى القدم الذى هو  
(٢) أخص الوصف لشاركه فى الالهية .

ومن هنا نعرف أنه مهما اختلفت عبارات المعتزلة والزيدية فى تحديد  
هذه الصفات ، وتحديد العلاقة بينها وبين الذات كما رأينا أن منهم  
من ينفى جميع الصفات الايجابية من علم وقدرة وإرادة . . . الخ ، وآخر  
يقول : ان الله عالم بذاته ، قادر بذاته . . . الخ .

وثالث يقول : ان الله عالم يعلم هو ذاته ، وقادر بقدرة هى ذاته . . . الخ  
وغير ذلك فانه لم يكن هم الجميع سوى النفى المحض .

ولما اصطدمت الزيدية بالنصوص الصريحة التى تثبت هذه الصفات التى  
نفوها بحجة أنها توءد الى القول بالجسمية أو القول بتعدد القدماء مما يتعارض  
مع مبدأ التوحيد عندهم كقوله تعالى فى اثبات العلم : " أنزله يعلمه " (٣)

---

(١) د . محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة

ج ١ ص ٣٥٣ .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٤٨ تقديم د . عبد اللطيف محمد العبد .

(٣) سورة النساء : آية : ٦٦ .

(١) وقوله فى اثبات القوة مثبثا على نفسه : " ان الله هو الزاق ذو القوة المتين " الى غير ذلك من الآيات التى تثبت صفة السمع والبصر والحياة والكلام... الخ عندئذ لجأت الزيدية . متبعة المعتزلة فى ذلك الى القواعد التى تجعل للعقل المكانة الأولى ، وللنص المكانة الثانية ، وأن النقل لا يثبت الا بالعقل ، فالعقل أصل للنقل ، والقدر فى الأصل قدر فى الفرع ، فكان تقديم النقل قدر فى النقل والعقل معاً ، فوجب تقديم العقل ، وأما النقل فوجب أن يؤتى ، وعلى ذلك يجب تأويل جميع النصوص التى تخالف بظاهرها دلالة العقل كما بينت ذلك فى الفصل الأول " التأويل " . (٢)

ومن هنا تجعل الزيدية لهذه الصفات معنى بحيث لا تكون سوى ذاته ، فجعلت لصفة العلم معنى : أنه العالم بالأشياء ، لا يخفى عليه سر ولا نجوى ، والقول بأن لله علماً سواء يحلم فى الحالات ما يكون من المعلومات وهذا فى الله فأحول المحولات ، وأبطل ما يقال به من المقالات (٣) يقول الحاكم الجسمى : لو كان تعالى " ذا علم " لكان فوقه " عليم " لقوله تعالى : " وفوق كل ذى علم عليم " ولو كان الله " ذا علم " وكان العلم صفة قديمة لشاركت هذه الصفة ذاته ، لأن الاشتراك فى صفة ذاتية يوجب الاشتراك فى سائر الصفات مما يوجب التعدد بين ذاته وصفاته . (٤)

كما أخرجت الزيدية للقدرة معنى القدرة على ما خلق وذرأ من عجائب ما خلق من المخلوقات ، ومدبرات ما دبّر ، وافتطر من المفطورات من الأرضيين والسموات ، وما سوى ذلك من المجعولات ، اللواتى يشهدن لمديرهن بالحصول

(١) سورة الذاريات : آية : ٥٨ .

(٢) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٦٧ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) د . أحمد محمود صبحى : الزيدية ص ٢٧٤ .

والقوة ، وينطق مع كل أو ان بالقدرة ، وهذه القدرة ليست شيئا سوى ذاته ، لأن القول بان لله قدرة سواء يعنى أنه اما أن تكون قديمة أزلية فتكون ثابتة مع الله أزلية ، وهذا ابطال للتوحيد . أو أن تكون محدثة بعلم ويكون الله أوجدها من بعد العدم فيدخل بذلك العجز على الله والتضعيف (١) . . . . .

وكذلك أخرجت الزيدية معنى صفة السمع والبصر ، بأنه : سميع بصير أزلا . قال الحاكم الجشى : ان قولنا سميع بصير ، لا يفيد صفة زائدة على كونه حيا لا آفة به ، بينما قولنا سامع مبصر يفيد حالة متجددة . (٢) كما أخرج الامام الهادى صفة السمع على أنه أربعة معان : بمعنى سميع هو عليم أو المجيب للداعين من دعاه من عباده أو على وجه ثالث فسى قول القائل : " سمع الله لمن حمده " قبل الله من حمده ، وأثاب على شكره من شكره ، والوجه الرابع : الاصغاء بالآذان ، وهو لا يجوز اطلاقه على الله ، لأنه يقتضى وجود الجوارح الى أن ينتهى الى أنه ليس لله سمع غير ذاته ، بل سمعه ذاته . (٣)

كما تذهب الزيدية فى الارادة أنها صفة من صفات الفعل ، وهى لذلك محدثة ، مكنة ، موجودة ، ولا تفترق ارادته وصنعه ، بل صنعه مراده ، ومراده ايجاده ، وهكذا لا فرق بين ارادة الله ومراده ، وأن الارادة منه والمراد ، اذا أراد ، فقد كونه ، واذا كونه فقد أراد ، فارادة الله — اذا — محدثة ، تحدث باختلاف الحالات ، ووفقا للمقتضيات ، ومتى كانت كذلك فهى ليست أبدية ، أزلية ، وزال منها اسم القدم والأولية ، وهى ليست سوى الفهم نفسه . (٤)

(١) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٦٦ .

(٢) د . أحمد محمود صبحى : الزيدية ص ٢٧٦ .

(٣) الهادى : كتاب المسترشد ج ٢ ق ٧٣ نقلا عن معتزلة اليمن ص ١٦٨ .

(٤) المصدر السابق : ج ١ ق ٦٢ ، ٦٤ .

كما تخرج الزيدية صفة الحى الى ثلاثة وجوه ، بمعنى المتحرك من ذوى

الحواس . . . . . والله من ذلك برى ، والمعنى الثانى : ما يثبت من الأرض من  
النبات والفواكه ، وهذه أجسام تحيا بالما . . . . . والله برى من هذا المعنى ،  
والمعنى الثالث : الذى لا يجوز على الله غيره " وهو أن معنى الحى هو :  
الذى يجوز منه الفعل والتدبير . (١)

وهكذا تنتهى الزيدية من تحليل كل صفة من الصفات الالهية العقلية  
صفات الذات ، كل واحدة على حدة ، الى القول أن ليس هناك سوى الذات  
الالهية ، ولا فرق بين هذه الصفات والذات .

كما تذهب الزيدية مذهباً مبتدعاً ، فتضع أن يكون الكلام صفة لذاته ،  
فتقول : لو كان الكلام صفة لذاته للزم كون ذاته على صفة الحروف ، وتقول :  
كلام الله محدث مخلوق ، إذ المخلوق هو المحدث بتدبير الله ، وتكلم  
عندهم بمعنى فعل الكلام . (٢)

وقد ذهب الهادى قبل كلام ابن المرىضى السابق الى القول : بأن القرآن  
مخلوق متابعاً للمعتزلة فى ذلك مبيناً أن القول بأزلية القرآن وقدمه يجعله  
يشارك الله فى الأزلية والقدم ، مما يوقع فى الشرك ، ويناقض التوحيد ،  
ولا يقتصر الهادى على ذلك بل يقول : بنفى وجود كلام أزلى لله ، تجنباً للوقوع  
فى التشبيه والشرك بزعمه ، وفسر الهادى قوله تعالى : " وكلم الله موسى  
تكليماً " (٣) ، بالقول : أن الله خلق له كلاماً فى الشجرة ، سمعه موسى  
بأذنه ، كما يسمع ما يأتى به الملك اليه من الوحي . (٤)

(١) المصدر السابق : ج ٢ ص ٧٣ .

(٢) الدكتور أحمد محمود صبحى الزيدية ص ٤٤٠ ، ٤٤١ .

(٣) سورة النساء : آية ١٦٤ .

(٤) محمد على زيد : معتزلة اليمن ص ١٧١ .



### مناقشة الشوكاني للزيدية :

رأينا فيما تقدم أن الزيدية ذهبوا الى نفي الصفات الازلية الزائدة على الذات ، حتى لا يلزم من اثباتها محال زاعمين أن هذا هو الطريق السديد في التنزيه .

ولما اضطدمت بآيات واضحة وصريحة في اثبات هذه الصفات ، فتعاملت معها وفق منهجها ، الذي يعتبر العقل أصلاً لحجتي الكتاب والسنة ، ومن ثم كان له غدهم المكانة الأولى ، وللنصوص المكانة التالية ، بحجة أن الألفاظ معرضة للاحتمال ، ودليل العقل بعيد عن الاحتمال .

ومن هنا كان موقف الزيدية من النصوص التي تثبت صفات المعاني أصفاء الذات ، كالعلم والقدرة ، والحياة والارادة ، والكلام والسمع والبصر ، بصرفها الى معاني أخرى لكي يتسنى لها نفي هذه الصفات ، كما فعل الهادي أمام الزيدية في صفتي السمع والبصر ، فأخرج صفة السمع على أربعة معان فقال : معنى سميع ، هو عليم أو المجيب للداعين أو على وجه ثالث : في قول القائل سمع الله لمن حمده وأثاب على شكره من شكره ، والوجه الرابع : الاصغاء بالآذان وهو لا يجوز إطلاقه على الله ، لأنه يقتضي وجود الجوارح الى أن انتهى أن ليس لله سمع غير ذاته . ( ١ )

وهكذا كان منهج الزيدية في هذه الصفات . فماذا كان موقف الشوكاني والسلفية تجاه هذا المنهج الكلامي المبتدع ؟

نقد الشوكاني منهج الطوائف التي أطالت ذبول الكلام في الآيات والأحاديث الواردة في الصفات حتى تشعبت وتخالفت نحلهم ، وأرجع هذا التخالف والتشعب الى أسباب ثلاث :

( ١ ) محمد علي زيد : معتزلة اليمن ص ١٦٨ .

الأول : عدم وقوفهم — علماء ومتسبين للعلم — حيث أوقفهم الله .

الثاني : دخولهم في أبواب لم يأذن الشرع لهم بدخولها .

الثالث : محاولتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه . (١)

ثم حدد الشوكاني نقاط انحراف هذا المذهب المبتدع فذكر انحراف

الطائفة الأولى : أنه كان في غلوها في التنزيه فأدى بهم الى تعطيل

الصفات الثابتة بالكتاب والسنة .

كما أن انحراف الثانية : كان في غلوها في اثبات القدر فأفضى بهم الى

الجبر المحض والقسر الخالص فلم يبق لانزال الكتب وبعث الرسل كثير فائدة . (٢)

ثم ذكر الشوكاني هذه المسائل التي بنى عليها الزيدية والمعتزلة

وغيرهم من المتكلمين أصول دينهم غالب أدلتها متعارضة ، ومن ثم لا يترجح

أحد طرفيها ، ولا يمكن الجمع بينها ، فيكون هذا الاعتقاد شبهة ،

وليس هذا طريق السلف الصالح ، وإنما السلف هم الذين يتوقعون عند

الشبهات . . .

كما حدد الشوكاني المورد الذي يجب أن تؤخذ منه أصول الدين

وما يتعلق بالله من صفات فذكر أنه لا يجوز التعويل على غير الكتاب والسنة ،

في أخذ الأسماء والصفات ، والاعتصام بالألفاظ والنصوص والمعاني الواردة

فيهما فقال : " أصول الدين الذي هو عمدة المتقين ما في كتاب الله الذي

(٣)

لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وما في السنة المطهرة .

ثم رد الشوكاني على الزيدية الذين عولوا على العقل وقدموه على دليل

السمع ، وأعطوه من الوظائف مالا طاقة له به فقال : أنه لا سبيل للعباد

---

(١) الشوكاني : رسالة التحف في مذهب السلف ص ٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣ .

(٣) الشوكاني : كشف الشبهات عن المشبهات ص ١٨ .

يتوصلون به الى معرفة ما يتعلق بالرب الا بما جاء من الأنبياء عن الله تعالى ، وليس للعقول وصول الى تلك الأمور ، وقال أيضا : لا ينبغي لعالم أن يدين بغير ما دان به السلف الصالح من الوقوف على ما تقتضيه أدلة الكتاب والسنة ، وابرار الصفات كما جاءت ، ورد علم المتشابه الى الله . (١)

وبهذا وغيره بين الشوكاني ما يتسم به منهج السلف الذي هو عليه في الصفات الثابتة لله تعالى ، فهذا المنهج يحتم اقتران جميع الصفات بقوله تعالى : " ليس كمثله شئ " وهو السميع البصير " (٢) التي تغيد النفي والاثبات في وقت واحد ، وكذلك قوله تعالى : " ولا يحيطون به علما " . (٣)

فليست صفاته من علم وقدرة وحياة وسمع وبصر وكلام ، كصفات المخلوقين من العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام ، فصفات الله لائقة بجلاله ، ومناسبة لكماله ، وصفات المخلوقات مناسبة لضعفهم وافتقارهم .

وبذلك يكون الشوكاني قد رد على الزيدية الذين أخطأوا عندما نفوا هذه الصفات الثابتة له تعالى ، وزعموا أن اثباتها يؤدى الى التعدد فى القدماء ، ويؤدى الى التجسيم ، ويتنافى مع التنزيه . واشتد انكار الشوكاني لمنهج المتكلمين عموما والزيدية والمعتزلة خصوصا ، فنقض مصطلحاتهم التي جعلوها أصلا يرد الكتاب والسنة ، ومعيارا لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، يقبل منها ما وافقه ، ويرد ما خالفه ، وأشنع من ذلك أنهم جعلوا هذه التعقلات

---

(١) المصدر السابق .

(٢) سورة الشورى آية : ١١ .

(٣) الشوكاني : رسالة التحف فى مذهب السلف ص ٦ .

معيارا لصفات الله تعالى ، ولم يلتفتوا الى ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم .

يقول الشوكاني في ذلك : دع عنك ما حدث من تلك التمهيدات في الصفات ، وأرح نفسك من تلك العبارات التي جاء بها المتكلمون ، واصطلحوا عليها ، وجعلوها أصلا يرد الكتاب والسنة . . . وجعلها من بعد هم أصلا لا مستند لها الا مجرد الدعوى على العقل والفرية على الفطرة . . .

وأغرب من هذا وأشنع وأفزع أنهم بعد أن جعلوا هذه التعقلات أصولا ترد اليها أدلة الكتاب والسنة ، جعلوها معيارا لصفات الرب تعالى ، فما تعقله هذا من صفات الله قال به جزما وما تعقله خصمه منها قطع به ، فأثبتوا لله تعالى الشيء ونقيضه ، استدلالا بما حكمت به عقولهم الفاسدة . (١)

ولم يلتفتوا الى ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فكان حاصل كلام هؤلاء أنهم يعلمون من صفات الله ما لا يعلمه . (٢)

وأخيرا ندد الشوكاني ببدعة خلق القرآن التي قالت بها المعتزلة والزيدية ، وذكر أن السلف لم يسمع منهم في هذه المسألة شيء من الكلام ، فكان امتناع أئمة السنة من الاجابة الى مادعوا اليه ، وارجاع علم ذلك الى عالمه هو الطريق المثلى ، وفيه السلامة والخلوص ، يقول الشوكاني : لقد أصاب أئمة السنة بامتناعهم من الاجابة بخلق القرآن وحدوثه وحفظ الله بهم أمة نبيه من الابتداء . (٣)

---

(١) المصدر السابق ص ٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٧ .

(٣) د . محمد حسن الغماري الامام الشوكاني مفسرا ص ٢٠٣ .

ومراد الشوكاني في ذلك : أن صفة الكلام لله تعالى قديمة ،  
وأن القرآن كلام الله غير محدث ولا مخلوق ، بل منزل ، وهو صفة  
من صفاته تعالى قديم النوع ، حادث الآحاد في التنزيل ، وفي ذلك رد  
على الزيدية القائلين ، بأن كلام الله محدث مخلوق ، والقول بأزلية  
القرآن وقدمه يجعله يشارك الله في الأزلية والقدم .

كما كان منهج السلفية في الرد على هؤلاء واضحا حيث رأت أن  
تلقى معنى الكمال والنقص بالنسبة لله لا يؤخذ إلا من السمع ، لأنه  
سبحانه أعلم بنفسه ، وبما يجب له ، أما المتكلمون ، فتلقوا معنى التنزيه  
والكمال من عقولهم ، والعقل في ذلك لا يوصل الى يقين اذا عزل نفسه  
عن السمع . (١)

ومن هنا كان منهج الزيدية في الصفات ليس بسديد ، لأنهم تابعوا  
المعتزلة الذين تابعوا الفلاسفة في أن اثبات الصفات يستلزم التعدد والتركيب ،  
والافتقار أو مشابهة الحوادث .

واثبات الصفات لا يستلزم مشابهة الحوادث لأن الإثبات ليس تشبيهاً ،  
فالقرآن جمع بين الإثبات والتنزيه في آية واحدة فقال تعالى : " ليس  
كمثل شيء " وهو السميع البصير " (٢) فالله سميع بصير ، ولا يشبه أحداً  
من خلقه مع أنهم يسمعون ويبصرون ، وكذا في باقي الصفات ، لأن التماثل  
في الذات ، والذاتان هنا مختلفتان تماماً فكذلك صفاتهما . (٣)

كما أن القرآن الكريم تحدث عن الصفات الإلهية بالإثبات ، والله سمي  
بعض عباده بما يسمى به نفسه كالعلم والبصر ، والله موجود ، والعبد موجود ،

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ٥ ص ٣٠ .

(٢) سورة الشورى : آية : ١١ .

(٣) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٢٩٩ .

وليس اثبات هذه الصفات لله يقتضى مشابهته لشيء من خلقه ، لأنه لا يلزم من اتفاقهما فىسمى الصفة اتفاقهما فى حقيقة الصفة ، يقول ابن تيمية :  
ان النافى ان اعتمد فيما ينفيه على أن هذا تشبيه قيل له : ان أردت أنه مماثل له من كل وجه فهذا باطل ، وان أردت أنه مشابه له من وجه دون وجه أو مشارك له فى الاسم لزمك ، هذا فى سائر ما تثبته ، ومعلوم أن اثبات التشبيه بهذا التفسير مما لا يقوله عاقل يتصور ما يقول ، فانه يحلم بضرورة العقل  
(١) . امتناعه .

كما ردت السلفية على من نفى هذه الصفات كالمعتزلة والزيدية ، موضحه  
أن نفى هذه الصفات أبلغ فى النقص وأقرب الى اتصاف المعدوم ، لأنه يستقر فى الفطر والعقول أن مالا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يتكلم لا يكون ربا معبودا ،  
كما يستقر فى العقول أن مالا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يتكلم ناقص عن صفات الكمال ،  
لأنه لا يسمع كلام أحد ، ولا يبصر أحدا ، ولا يأمر بأمر ، ولا ينهى عن شيء ،  
ولا يجبر عن شيء .

يقول ابن تيمية : ان نفى هذه الصفات نقائص مطلقا سواء نفيت عن حى أو جماد ،  
وما انتفت عنه هذه الصفات لا يجوز أن يحدث عنه شيء ، ولا يخلقه ، ولا يجيب  
سائلا ، ولا يعبد ، ولا يدعى كما قال الخليل : يا أبت لم تعبد مالا يسمع  
ولا يبصر ولا يخنى عنك شيئا <sup>(٢)</sup> وفى قوله تعالى : " هذا الهكم واله موسى  
ففسى أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا " <sup>(٣)</sup> .  
فنفى هذه الصفات معلوم بالذات لأنه من أعظم النقائص والعيوب ، وأقرب  
شبهها بالمعدوم ، واثبات الصفات له سبحانه ، مبنى على أنها صفات كمال  
(٤) . فيجب اتصاف الرب بها .

(١) ابن تيمية : الرسالة التدمرية ط المكتب الاسلامى ص ٧٣ .

(٢) سورة مريم آية : ٤٢ .

(٣) سورة طه آية : ٨٨ .

(٤) ابن تيمية : شرح العقيدة الاصفهانية تقديم حسنين مخلوف ص ٨٧ ، ٨٨ .

فالمعتزلة والزيدية في نظر السلفية أكثر المتكلمين إيغالا في التأويل  
لما نفوا الصفات ، وأثبتوا الأسماء ، فقالوا : انه حي عليم قدير ، وقالوا :  
لا يوصف بالعلم والحياة لأن هذه أعراض لا تقوم الا بالأجسام وهم بذلك  
لا يستطيعون أن يتخلصوا مما فروا منه لأنه يقال لهم : اذا كنتم لا تتصورون عالما  
قادرا الا جسما ، فكذلك لا نتصور حيا عليما الا جسما ، ولا يعقل مسمى بذلك  
الا جسما ، فما كان جوابكم عن الأسماء كان هو عينه جوابنا عن الصفات .  
(١)

وبذلك يتبين لنا أن الله تعالى تكفل بحفظ دينه عن التحريف والتغيير  
والتبديل ، بأن أوجد من علماء الكتاب والسنة من يبين للناس أمر دينهم  
وينكرون على أهل البدع بدعهم يقول الشوكاني : أوجد الله تعالى من علماء  
الكتاب والسنة في كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم وينكر على أهل  
البدع بدعهم فكان لهم — والله الحمد — المقامات المحمودة ، والمواقف  
(٢)  
المشهودة ، في نصر الدين وهتك المبتدعين .

---

(١) د . محمد السيد الجليلي : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٢٦٧ .

(٢) الشوكاني : رسالة التحف في مذهب السلف ص ٥ .

## الفصل الخمس

=====

### الصفات الالهية الخيرية

#### وموقف الشوكاني في اثباتها

=====

\* فهم الشوكاني في اثبات هذه الصفات :

=====

أولا : ما يوههم كونه تعالى في جهة •

١ - صفة العلو •

٢ - الاستواء والنزول •

٣ - صفة النزول والمجيء •

ثانيا : ما يوههم نسبة الأعضاء لله عز وجل •

١ - صفة الوجه •

٢ - صفة العين •

٣ - صفة اليد والساق •

ثالثا : ما يوههم أنه تعالى يفعل بالفعالات وأن له عوطف •

— محبة الله ، وكراهية الله وبغضه •

— موقف الزيدية من الصفات الالهية الخيرية •

أولا : ما يوههم الجهة والمكان •

ثانيا : ما يوههم نسبة الأعضاء •

— مناقشة الشوكاني للزيدية فيما ذهبوا اليه •

— رد أئمة الشافعية على هو\* لا\* النفاة المعطلة •

=====

=====

=====



## الصفات الالهية الخهرسة

وضهيج الشوكاني في اثباتها

**XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX**

الصفات الالهية الخيرية من المسائل التي كثر فيها الخوض ، وتعرض  
لها كثير من المتكلمين بأدلة جدلية ، وفلسفة منطقية ليبطلوا بها الحق ،  
ويحقوا بها الباطل ، حتى نفاها الكثير منهم عن رب العالمين ، وابتلى  
الشوكاني كغيره من علماء السنة في عصره وفي قطره اليمنى بكثير من المبتدعين  
من طوائف المعتزلة والزيدية ، الذين نفوا هذه الصفات بحجج واهية ، ودعاوى  
باطلة ، وأمام هو لا وهو لا يقف الشوكاني ماضلا ومدافعا عن مذهب السلف  
في اثباتها ، فقمع هذه البدعة ، ورد تلك الغربة .

منهج الشوكاني في اثبات هذه الصفات :

تعريفها : عرف الامام البيهقي الصفات الخيرية فقال : هي  
ماكان طريق اثباتها الكتاب والسنة فقط ، كالوجه واليدين والعين ، وهذه  
صفات قائمة بذاته لايقال فيها انها هي المسمى ، ولا غير المسمى ، ولا يجوز  
تكييفها ، فالوجه له صفة وليست بصورة ، واليدان له صفتان وليست الجارحتين ،  
والعين له صفة وليست بحدقة ، وطريق اثباتها له صفات ذات ورد خبر  
الصادق به . ( ١ )

ولما كانت هذه الصفات من اهم ما وقع فيه النزاع ، بذل الشوكاني قصارى جهده فى بيان وتوضيح مذهب السلف فيها ، متتبعا لتاريخ المبتدعين فى  
( ٢ )  
احداث بدعة نفى هذه الصفات ، كمعبد الجهنى ، والجعد بن درهم ،

(١) الامام البيهقي : الاعتقاد على مذهب السلف : ص ٣١ .

(٢) الشوكاني : التحف في ذهب السلف ص ٦ .

والجعد بن درهم بن المراهبي ، مبتدع له اخبار في الزندقة سكن الجزيرة

ومن قال بقولتهم ، وانتحل نحلتهم ، مبينا موقف علماء السلف من هؤلاء قال الشوكاني : كانت الكلمة فى الصفات متحدة ، والطريقة لهم جميعا متفقة ، وكان اشتغالهم بما امرهم الله بالاشتغال به وكلفهم بالقيام بفرائضه من الايمان بالله واقام الصلاة ، وطلب العلم النافع ، وارشاد الناس الى الخير ، والقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولم يشتغلوا بمالم يكلفهم الله بعلمه ، ولا تعبدتهم بالوقوف على حقيقته ، فكان الدين اذ ذاك صافيا عن كدر البدع ، خالسا عن شوب قدر التذهب ، فعلى هذا النمط كان الصحابة رضى الله عنهم ، والتابعون وتابعوهم ، ويهتدى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتدوا ، وبافعاله واقواله اقتدوا ، فمن قال : انهم تلبسوا بشئ من هذه المذاهب الناشئة فى الصفات أو غيرها فقد أعظم عليهم الفرية .

فهنا يحتج الشوكاني في اثبات هذه الصفات الخيرية بأن الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين ، وتابعي التابعين ، اثبتوا الحقيقة المتبادرة من ظواهر النصوص التي وردت في صفات الله دون تأويل أو تعطيل ، فلم يتعزضوا لتأويلها وصرفها عن ظاهرها ، ولو كان التأويل سائغاً لكانوا اسبق الناس اليه . يقول الشوكاني :

ان مذهب السلف من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين  
وتابعيهم ، هو ايراد ادلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ،  
ولا تاويل متعسف لشيء منها ، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضى اليه  
كثير من التاويل (٢) ، كما ذكرت ذلك فى الصفات الالهية العقلية من قبل .

== القرانية ، واخذ عنه مروان بن محمد قال الذهبي : مبتدع ضال زعم  
أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، فقتل على ذلك  
بالعراق يوم النحر عام ١١٨ هـ . انظر شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن  
عميرة ج ٢ ص ٣٤٧ .

(١) الشوكاني : رسالة التحف في مذهب السلف ص ٦ .

(٢) الشوكاني : ص ٥ •

فكلمة السلف والأئمة متفقة على ان يوصف الله بما وصف به نفسه ،  
وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكليف ، لانـه  
عرف بالشرع مع العقل ان الله ليس كمثله شئ ، لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ،  
ولا فى أفعاله . (١)

كما ان اهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها فى  
القرآن ، والسنة ، والايمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ،  
الا أنهم لا يكتفون شيئا من ذلك . (٢)

وعلى ذلك اثبت الشوكانى هذه الصفات ، فاثبت لله العلو ، والاستواء ،  
والنزول ، والعين ، واليدين الى آخر الصفات التى اثبتها الله تعالى  
لنفسه فى كتابه العزيز ، واثبتها له رسوله فى السنة النبوية ، يقول الشوكانى :  
الناس فى هذه الاشياء الموهمة للجهة ونحوها فرق ثلاث ، فرقة توءم ، وفرقة  
تشبه ، وثالثة ترى انه لم يطلق الشارع مثل هذه اللفظة الا واطلاقه سائغ  
وحسن قبولها مطلقة ، مع التصريح بالتقديس ، والتتزيه ، والتبرى من  
التحديد والتشبيه ، وعلى هذه الطريقة ضى صدر الامة ، واختارها ائمة  
الفقهاء وقادتها ، واليها دعا ائمة الحديث واعلامه ، وهذا هو المنهج  
المصحوب بالسلامة عن الوقوع فى مهاوى التأويل . (٣)

وفى الحقيقة ان الانكفاف عن التأويل ، واجراء الظواهر على مواردھا  
هو الذى ذهب اليه ائمة السلف ، ولذلك تراجع كبار المتكلمين كالـجـوینى  
والغزالى والرازى الى طريقة القرآن وطريقة السلف . يقول الرازى : تأملت  
الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رايتها تشفى غليلا ولا تروى غليلا ،  
ورأيت اقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرا فى الاثبات - الرحمن على العرش

---

(١) ابن تيمية : شرح الاصفهانية ص ٨ تقديم حسنين مخلوف .

(٢) د . محمود احمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة

ج ١ ص ٣٠٧ .

(٣) الشوكانى : ارشاد الفحول ص ١٧٦ .

استوى (١) - اليه يصعد الكلم الطيب (٢) - واقرا في النقي - ليس كمثل شئ (٣) " (٤)

كما يقول الجويني : ذهب ائمة السلف الى الانكفاف عن التأويل واجراء  
الغواهر على مواردها ، والذي نرضيه رايًا وندين الله به عقدا اتباع سلف  
الامة ... الى أن قال : أشهدوا على أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف  
السلف . (٥)

وهذه العبارات التي نقلها الشوكاني في ارشاد الفحول عن الذهبي في  
النبلاء عن ائمة المتكلمين ورجوعهم الى مذهب السلف في الصفات الخيرية ،  
كلاستواء وصفة العلو ، والنزول ، وغيرها تعتبر حجة على خصماء السلفية ،  
من المعتزلة والزيدية ومن تبعهم الذين ينفون هذه الصفات ، أو يؤولونها  
حتى يخرجوها عن ظاهرها .

وإذا كان الشوكاني يرى أن النصوص يجب أن تحمل على ظاهرها ، وأن  
تفسر كما وردت من غير تعرض للتأويل ، ولا توقف في الداهر كما هو مذهب  
السلف ، فهل معنى ذلك أنه انزل بقوله ذلك وراء المشبه ؟

نجد أنه يتقرر من مذهب السلف : أن الأخذ بظاهر النصوص لا يؤول  
الى التشبيه ، لأن صفات الله ليست كصفات الخلق ، وأنه تعالى  
مفزه عما يختص به المخلوقون من الحدوث والنقص وغير ذلك .

يقول القاضي ابويعلی في كتاب ابطال التأويل : لا يجوز رد هذه الاخبار ،  
ولا التشاغل بتأويلها ، والواجب حملها على ظاهرها ، وأنها صفات الله ،

---

(١) سورة طه : آية : ٥ .

(٢) سورة فاطر : آية : ١٠ .

(٣) سورة الشورى : آية : ١١ .

(٤) الشوكاني : ارشاد الفحول ص ١٧٧ .

(٥) المصدر السابق .

لا تشبه بمسائر الموصوفين بها من الخلق ، ولا يعتقد التشبيه فيها .....  
ويدل على ابطال التأويل : أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها  
على ظاهرها ، ولم يتعرضوا لتأويلها ، وصرفها عن ظاهرها ، ولو كان التأويل  
سائغا لكانوا اليه أصبق ، لما فيه من ازالة التشبيه ورفع الشبه .  
(١)  
ويوضح منهج الشوكاني في هذه الصفات الخيرية ، عندما سئل : ما حكم  
من أول الصفات ، ونفى ما وصف الله به نفسه ، ووصفه به نبيه ، وأول الآيات ،  
وجعل الاستواء استيلاء ، وأول النزول بالرحمة ، وجعل التأويل مطردة في  
سائر نصوص الصفات (٢) ؟ فكان الجواب تنديدا بالمتكلمين ومسالك المتأولين ،  
وأصولهم الزائفة التي دفعوا بها الآيات القرآنية ، والاحاديث الصحيحة  
النبوية ، معتلين في ذلك الدفع بشبه واهية وخيالات مختلفة يقول الشوكاني :  
ان هو لا سلكوا في طريقة متوعدة ، لا يرجع من سلكها بمطلوب صحيح ،  
ومع هذا أصولها أصولا ظنوها حقا فدفعوا بها آيات قرآنية ، وأحاديث  
صحيحة نبوية ، واعتلوا في ذلك الدفع بشبه واهية وخيالات مختلفة .  
(٣)  
وقد أرجع الشوكاني أصل بدعة نفى الصفات الخيرية الى معبد  
الجهنمي (٤) واصحابه ، فبين الصحابة رضى الله عنهم ضلاله وبطلان مقالته  
للناس ، كما فعل التابعون بالجعد بن درهم ومن قال بقوله ، وانتحل نحله  
الباطلة ، فلم يستطع المبتدع في الصفات أن يتظاهر ببدعته حتى نجم

---

(١) ابن تيمية : العقيدة الحموية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ٤٥٥

(٢) الشوكاني : رسالة التحف في مذهب السلف ص ١ .

(٣) المصدر السابق ص ٢ .

ناجم المحنة ، ويرق بارق الشر من جهة الدولة العباسية ، فانطلق ما كان قد  
خرس من السنة المبتدعة ، واعتلوا بذاهبهم الزائفة ، وبدعهم المضلة ،  
ودعوا الناس اليها وحاربوا عنها . (١)

ومما سبق يتبين موقف السلفية والشوكانى تجاه الصفات الخيرية الذين  
رأوا أن من تعظيم حرمة الله تعالى حفظ حرمة نصوص هذه الصفات  
باجرائها على لواهرها واعتقاد مفهومها المتبادر منها الى أذهان العامة . (٢)  
فاذا كانت السلفية قد صرحت بأن الله تعالى استوى على عرشه ،  
وخلق آدم بيده ، ويحيى يوم القيامة ، وينزل الى سما الدنيا ، وكل ذلك  
حق على حقيقته ، فذلك لأنه ما دامت ذاته لاتشبه الذوات ، فكذلك صفاته  
لاتشبه الصفات ، ولا ينبغي التشاغل بتأويلها أو صرفها عن ظاهرها ، لأن  
هذا قياس مضطرب وقول فاسد . (٣)

ومعنى ذلك انه ليس من التشبيه فى شىء أن يؤمن العبد بأن الله  
سبحانه ، عليم ، قدير ، وأنه استوى على عرشه ، ويحيى يوم القيامة ، ما دام  
يعتقد انه ليس كمثل شىء ، ولم يكن له كفوا أحد ، لأن الله سبحانه ، أعلم  
من نفسه ، وبما يجب له من صفات الكمال .

وابن تيمية الذى ينسبون اليه ويوجهون القول التشبيه والتجسيم والتحيز  
والاستواء الحسى ، وغير ذلك من الاتهامات ، برأ نفسه منها فى حياته ،  
وصرح بنفى التمثيل والتشبيه ، وكشف فى ما غررته ونقاشه عن حقيقتين هامتين  
فى المنهج السلفى فذكر :

---

(١) الشوكانى : رسالة التحف فى مذهب للسلف ص ٦

(٢) ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين ج ٢ ص ٨٤ .

(٣) د . محمد السيد الجنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٣١٩ .

فى الأولى : بيان أن العقل الصريح لا يخالف المنقول الصحيح .  
والثانية : أن ما يدعيه المتكلمون مما يقولون أنه قد خالفه ظاهر القرآن  
وخاصة فى الامور الالهية ليس من ذلك ما يصح أن يسمى دليلا  
عقليا حتى يقول أن المنقول الصحيح قد عارضه فضلا عن أن يتأوله .  
كما يقول لهم : ان من خالف الكتاب والسنة ليس معه ما يسمى معقولا ، وانما  
هى شبهات وجهليات ، ومن خرج عن الكتاب والسنة ضل سعيه وخاب أمه .<sup>(١)</sup>

بل ان ابن تيمية نفسه هاجم الحشوية الذين ارتدوا ثوب السلفية  
وارتفعت عقيدتهم بالاثبات الى درجة التشبيه ، اذ كانوا يصرحون بالتشبيه  
يمثلون الله بالمخلوق ، فاتهمهم ابن تيمية بالكذب على السلف ، وبرا  
السلف منهم حيث قال : من الحق الاشارة الى أن من انتحى مذهب السلف  
مع الجهل أو المخالفة لهم بزيادة أو نقصان ، فيمثل الله بخلقه والكذب  
على السلف من الامور المنكرة سواء سعى ذلك حشوا أو لم يسع .<sup>(٢)</sup>

فمن السهل بعد ما سبق من خلال النظر فى تراث السلفية ومن قولنا  
ومن مؤلفات ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ان يحكم الباحث على  
ان السلفية بريئة من التشبيه لأن كتبهم ومصنفاتهم تشهد باثبات التنزيه لله تعالى عن  
مشابهة صفات المخلوقات ، كما تبين لنا من مؤلفات الشوكانى ورسائله أنه  
يسير على المنهج السلفى وطريقة القرآن فى اثبات الصفات الخيرية مع التنزيه  
وعدم التشبيه أيضا .

والآن نتناول مع الشوكانى أهم ما دار حوله النزاع والخلاف من الصفات  
الخيرية بين المثبتين لها من السلفية والنافين لها من المعتزلة والزيدية .

---

(١) ابن تيمية : العقل والنقل ١ - ٣٥ ، ٥١ ، ٥٦ .

(٢) د . محمود احمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة

وجد الشوكاني طوائف المتكلمين وخصوصا المعتزلة والزيدية يدور نزاعهم حول نفى هذه الصفات وعدم اثباتها لنا منهم واعتقادا ان اثبات العلو والاستواء والنزول والمجى\* يوهم الجهة والمكان لله تعالى ، كما أن اثبات الوجه والعين واليدين توهم نسبة الاعضاء لله تعالى ، وأن اثبات المحبة والغضب وغيرها يوهم الانفعالات والعواطف البشرية . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

أولا : ما يوهم كونه تعالى في جهة :

#### ١ - العلو :

لما وجد الشوكاني الخلاف يدور في اثبات صفة العلو ، والنزاع فيه كائنا بين الطوائف وجد الكتاب والسنة المعيار الذي يجب ان يرجع اليه ، فيه يعرف الحق من الباطل ، ويوزن به الصواب من الخطا يقول الشوكاني : الادلة من الكتاب والسنة معروفة في اثبات ذلك ، ولكن الناهي\* على مذهب ، يرى غيره خارجا عن الشرع ، ولا يذخر في ادلته ، ولا يلتفت اليها ، والكتاب والسنة هما المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل ، والصحيح من الفاسد . ولا شك أن هذا اللفظ يطلق على الظاهر الغالب كما في قوله تعالى : " ان فرعون علا في الارض " - وقال الشاعر :

فلما علونا واستوتينا عليهم ه ه تركاهم صرعى لنسروكاسر (١)

كما اثبت الشوكاني هذه الصفة بما تقرر بالأدلة الواردة من الكتاب والسنة كقوله تعالى : " اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه " (٢)

وقوله تعالى : " ياها مان ابن لي صرحا لعلی أبلغ الأسباب - أسباب السموات فاطلع الى اله موسى " (٣) وقوله : " تمرج الملائكة والروح اليه " (٤) وقوله :

(١) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٢٧٢ .

(٢) سورة فاطر : آية : ١٠ .

(٣) سورة غافر : آية : ٣٦ - ٣٧ .

(٤) سورة المعارج : آية : ٤ .



" أأنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور " (١)

وغير ذلك من الآيات التى تدل على صفة العلو لله تعالى وارتفاعه فوق العرش ، ومباينته لخلقه .

ولما سئل الشوكانى عن صفة العلو فقال : مسألة الجهة التى ذكرها السائل وأشار الى بعض ما فيه دليل عليها — فقال : " ان الله سبحانه فى سمائه مستوعب عرشه ، بائن من خلقه ، وعلمه فى كل مكان ، والدليل : آيات الاستواء ، والصعود والرفع ، وقوله تعالى : " أأنتم من فى السماء " ومن السنة : حديث الجارية (٢) ، والنزول وعمران بن حصين ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء " (٣) . . . . . (٤) الى ان قال الشوكانى والادلة فى ذلك طويلة كثيرة فى الكتاب والسنة . . . وقد وقفت من ذلك على مؤلف بسيط فى مجلد جمعه مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبى ، استوفى فيه كل ما فيه دلالة على الجهة من كتاب اوسنة او قول صاحب (٥)

وهكذا يقرر الشوكانى صفة العلو لله بالادلة الواضحة من القرآن والسنة وفى قوله تعالى : " سبح اسم ربك الأعلى " (٦) يقول : الاعلى صفة للرب ، والمعنى : نزهه عن كل ما لا يليق به ، وفى قوله تعالى : " يخافون ربهم من فوقهم " (٧) يقول : أى يخافون ربهم حال كونه من فوقهم ، ويدل

(١) سورة الملك : آية : ١٦ .

(٢) حديث الجارية : رواه مسلم ح : ٥٣٧ ، وأبو داود ح : ٩٣٠ ، والنسائى ١٨/٣ ، وأحمد ٤٤٧/٥ — ٤٤٨ .

(٣) الحديث متفق عليه من حديث الخوارج ولفظ الحديث " لا تأمنونى . . . وأنا أمين من فى السماء ياتينى الوحي صباحا ومساء " انظر ابن خزيمة

كتاب التوحيد ص ١١٨ ، وانظر أحمد بن حنبل ٤ ، ٢ ، ٤ .

(٤) الشوكانى : رسالة التحف فى مذهب السلف ص ١ .

(٥) المصدر السابق ص ١١ .

(٦) سورة الأعلى : آية : ١ .

(٧) سورة النحل : آية : ٥٠ .

على صحة هذا المعنى قوله : " وهو القاهر فوق عباده " (١) وقوله اخباراً  
عن فرعون — " وانا فوقهم قاهرون " (٢) (٣)

كما استعمل الشوكاني في اثبات هذه الصفة دليل الفطرة فقال : وهذا  
ما يجده كل فرد من افراد الناس في نفسه ويحسه وتجذبه اليه طبيعته كما  
تراه في كل من استغاث بالله سبحانه وتعالى ، والتجأ اليه ورجه أدعيته  
الى جنابه الرفيع وعزه المنيع ، فانه يشير عند ذلك بكفه ، او يرمى الى السماء  
بطرفه . (٤)

وتسوق السلفية ادلتها العديدة من الكتاب على انه تعالى في السماء ،  
فوق عباده ، ظاهر عليهم ، وكلها تدور حول الأدلة الدالة على علوه ، وأنه  
فوق عباده ، ومن ذلك — اشارته صلى الله عليه وسلم — بأصبعه الى السماء  
كما في حديث حجة الوداع : عندما قالوا : تشهد انك قد بلغت ، واديت ،  
ونصحت . فقال بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس : " اللهم  
اشهد اللهم اشهد " (٥)

وقد انقضى عصر الصحابة والاجماع منعقد بينهم على ما جاء به هذا  
الخصوص في الكتاب والسنة من اثبات صفة العلو لله عز وجل ولذلك نجد  
التابعين يوجهون جل اهتمامهم الى الرد على من خرج على هذا الاجماع .  
يقول ابو حنيفة : من قال لا اعرف ربى في السماء ام في الارض فقد كفر ،  
لان الله يقول : " الرحمن على العرش استوى " (٦) وعرشه فوق سماواته لانه  
تعالى في اعلى عليين . (٧)

(١) سورة الانعام : آية : ١٨ .

(٢) سورة الاعراف : آية : ١٢٧ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ج ٣ ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٤) الشوكاني : التحف في مذهب السلف ص ١١ .

(٥) أخرجه البخارى في الفتن ٨ ، وفي الحج ١٢٢ ، وأخرجه مسلم في

الايمان ٢٧٨ ، وأبو داود في المناسك ٥٩ ، وأحمد بن حنبل ١ ،

٤٤٧ ، ٤ ، ٢٠٦ ، ٥ ، ٦٨ .

(٦) سورة طه : آية : ٦ (٧) أبو حنيفة : الفقه الأكبر ص ٣٦ ، ٣٧ .

فهذا تصريح من أبى حنيفة بتكثير من أنكر أن يكون الله فى السماء ، واحتج عليهم بأن الله فى أعلى عليين ، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية ، فان القلوب مغطورة على أن الله فى العلو ، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل . ( ١ )

فالمقصود هنا أن أساليب القرآن فى التعبير عن هذه الصفة قد تنوعت غاية التنوع فعبّر القرآن عنها تارة بالاستواء الى السماء ، وأخرى بصعود الأشياء اليه ، وتارة بنزول الملائكة من عنده ، وبأنه رفيع الدرجات ، وأن عباده يخافونه من فوقهم ، وأنه دنا من نبيه ليلة المعراج ، وأنه عنده من يسبحون له بالليل والنهار ، وهذا التنوع فى التعبير والتراكيب المختلفة لا يمكن بحال أن يفهم منه أن المراد فوقية الرتبة والمكانة ، ولهذا انقضى عصر السلف وهم مجمعون على اثبات صفة العلو . ( ٢ )

## ٢ - الاستواء والنزول :

وعلى نحو ما سبق فى موقف الشوكانى من اثبات صفة العلو لله

كان موقفه من الاستواء والنزول كما ورد فى القرآن والسنة .

فقد تحدث القرآن عن استواء الرحمن على عرشه فى سبع مواضع فى سورة الاعراف قوله : " ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش " ( ٣ ) وقال فى سورة يونس : " ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش " ( ٤ ) وقال فى سورة الرعد : " الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش " ( ٥ )

( ١ ) ابن تيمية مجموع الفتاوى الكبرى ج ٥ ص ٤٨ ، ٤٩ .

( ٢ ) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٧٤

( ٣ ) سورة الاعراف : آية : ٥٤ .

( ٤ ) سورة يونس : آية : ٣ .

( ٥ ) سورة الرعد : آية : ٢ .

وفى سورة طه : " الرحمن على العرش استوى " (١) وقال فى سورة الفرقان :  
ثم استوى على العرش " (٢) وكذلك آية الاستواء فى سورة الحديد (٣) ،  
والسجدة (٤) .

فهذه المواضع السبعة التى أخبر فيها سبحانه باستوائه على عرشه  
كلها قطعية الثبوت لأنها من كتاب الله ، كما أنها صريحة لا تحتمل  
تأويلا . يقول الشوكانى : ان الاستواء والكون على مانطق به الكتاب والسنة  
من دون تكيف ولا تكلف ولا قيل ولا قال ، ولا قصور فى شىء من المقال ،  
فمن جاوز هذا المقدار بانراط أو تغريط فهو غير مقتد بالسلف ولا واقف  
فى طريق النجاة ، ولا معصم من الخطأ . (٥)

فكان الشوكانى فى ذلك على النهج الذى أثبتته القرآن فى صفة  
الاستواء ، وهو معرفة معنى الاستواء ، وجهل الكيفية ، والنهى عن البحث  
فيها . كما سئل الامام مالك :  
" الرحمن على العرش استوى " كيف استوى ؟ غضب فى وجه السائل ،  
وقال الاستواء معلوم ، وكيفه مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه  
بدعة . (٦)

فنرى الشوكانى لم يتشاغل بالبحث عن الكيف ، بل كان سبيله اقرار  
الآية على ما دلت عليه من معنى ، ولم يتساءل فى ذلك ؟ هل كان استواء  
حسيا أو غير حسي ؟ ، وهل بمماساة أو غير مماساة ؟ وهل العرش أكبر منه

(١) سورة طه : آية : ٥ .

(٢) سورة الفرقان : آية : ٥٩ .

(٣) سورة الحديد : آية : ٤ .

(٤) سورة السجدة : آية : ٤ .

(٥) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ص ١٢ .

(٦) د . محمود أحمد خفاجى العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة

أو هو أكبر من العرش ؟ وهل هو سبحانه محتاج الى العرش ليستوى عليه  
أم غير محتاج ؟ كل هذه الأسئلة قد أعفى الشوكاني نفسه من البحث عنها ،  
كما فعل السلف ، لأنها بحث عن الكيف والكيف عنه مرفوع .

كما أخرج الشوكاني أحقية مذهب السلف في معنى الاستواء من بين  
اختلاف العلماء ، مبينا أنه استواء بلا كيف وعلى الوجه الذى يليق به فقال :  
اختلف العلماء في معنى الاستواء على أربعة عشر قولاً ، وأحقها وأولاها  
بالصواب مذهب السلف الصالح : أنه استوى سبحانه عليه بلا كيف ، بل  
على الوجه الذى يليق به مع تنزهه عن ما لا يجوز عليه .

والاستواء في لغة العرب هو العلو والاستقرار . قال الجوهري :  
استوى على ظهر دابته ، أى استقر ، واستوى الى السماء : أى صعد ،  
وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة صفة عرش الرحمن <sup>(١)</sup> ، واحاطته بالسموات  
والأرض وما بينهما وما عليهما . <sup>(٢)</sup>

كما أعرض الشوكاني عن ما يجده من التأويلات المختلفة في كتب التفسير  
للاستواء ، لأنه لم يجد واحداً منها وارد عن السلف ، بل هي تأويلات  
أنتجتها طبيعة التفاعل المذهبي الذى اشتد بين علماء الكلام ونقله عنهم  
رجال التفسير <sup>(٣)</sup> لذلك لجأ الشوكاني الى معنى الاستواء الصحيح في اللغة

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد ٢٢ ، وفي باب الجهاد ٤ ، والترمذي

في الجنة ٤ ، والامام أحمد ١ ، ٢٠٧ ، ٢ ، ١٩٧ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص ٢١١ .

(٣) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل : ص ٧٥ .

التي لم يعتريها التغيير والتبديل فقال : الاستواء في اللغة الاعتدال ،  
والاستقامة ، ويطلق على الارتفاع والعلو على الشيء قال تعالى : " فاذا  
استويت أنت ومن معك على الفلك " (١) وقال : " لتستووا على ظهوره " (٢)  
وهذا المعنى هو المناسب لقوله تعالى : " هو الذي خلق لكم ما في الأرض  
جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم " (٣) (٤)  
كما قررت السلفية بالأدلة من الكتاب والسنة معنى الاستواء ،  
وأقوالهم ثابتة في كتب التفسير بالمأثور ، كالطبري في تفسيره ، والسموطي  
في " الدر المنثور " و " ابن كثير " و " البغوي " وغير هؤلاء نقلوا أقوال السلف  
في معنى الاستواء ، وليس في واحد منها أن الاستواء بمعنى الاستيلاء  
أو القهر أو الغلبة بل الاستواء عند هم هو : العلو والارتفاع قال بذلك :  
أبو العالية ومجاهد (٥) ، وهو قول الفراء والبغوي وشعلب ، والكلابي (٦)  
في تفسيره : قال ابن عباس : وأكثر مفسري السلف أن : استوى الى السماء  
ارفع الى السماء ، وكذلك قال الخليل بن أحمد وروى البيهقي عن الفراء  
استوى : أي صعد . (٧)

فهؤلاء جميعا وهم أهل اللغة والتفسير يجعلون الاستواء بمعنى  
الصعود ، والعلو والارتفاع ، ولم يرد عن أحد منهم أن الاستواء بمعنى

---

(١) سورة المؤمنون : آية : ٢٨ .

(٢) سورة الزخرف : آية : ١٣ .

(٣) سورة البقرة : آية : ٢٩ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٦٠ .

(٥) الجليد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٧٧ .

(٦) ابن تيمية : العقيدة الأصفهانية ص ٢٨ .

(٧) المصدر السابق نفس الصفحة .

الاستيلاء أو القهر وليس في اللغة ما يشهد بذلك أو يدل على صحته .

ومما تقدم نعلم أن الشوكاني والسلفية آمنوا باستوائه على عرشه كما أخبر عن نفسه ، ولم يتأولوا آيات الاستواء بصرفها عن ظاهرها ، ولم يتوهموا في الاستواء كيف ، بل كان سبيلهم الكف عن البحث في كيف ، كما كان سبيلهم مع من سأل عنه الزجر والتأنيب ، وعلى هذا النحو في اثبات صفة النزول والمعجى\* .

### ٣ - صفة النزول والمعجى\* :

قد دل القرآن الكريم صريحا على مجيئه تعالى يوم القيامة والملك صفا صفا ، وأنه سبحانه ينزل لفصل القضاء ، لذلك نرى الشوكاني لما ثبت لديه ذلك آمن به فقال : " اتيان الله مجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه كقوله تعالى : " وجاء ربك والملك صفا صفا " (١) (٢) كما ذكر الشوكاني ما أخرجه ابن أبي حاتم عن مقاتل في هذا المعنى فقال : " أو يأتي ربك " قال : يوم القيامة في ظلل من الغمام " (٣) لكني أرى الشوكاني في صفة المعجى\* كان بين مثبت لها تارة ومو\* ول لها تارة أخرى كما في سورة الفجر في قوله تعالى : " وجاء ربك والملك صفا صفا " (٤) يقول الشوكاني : جاء أمره وقضاؤه ، وظهرت آياته ، وقيل : جاء قهر ربك وسلطانه وانفراده بالأمر والتدبير من دون أن يجعل لأحد من عباده شيئا . (٥)

---

(١) سورة الفجر : آية : ٢٢ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص ١٨١ .

(٣) المصدر السابق : ج ٢ ص ١٨٢ .

(٤) سورة الفجر : آية : ٢٢ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ٤٤٠ .

فهنا أول الشوكاني لكه في سورة البقرة في قوله تعالى : " هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر الى الله ترجع الأمور " <sup>(١)</sup> يقول : المعنى : هل ينظرون الا أن يأتيهم الله بما وعدهم من الحساب والعذاب في ظلل من الغمام والملائكة ، كما دعم هذا القول بالرواية عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ، قياما شاخصة أبصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء ، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش الى الكرسي .

كما ذكر الشوكاني عن ابن عباس في هذه الآية قال : يأتي الله يوم القيامة في ظلل من السماء قد قطعت طاقات " وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال : ان من الغمام طاقات يأتي الله منها محفوفاً بالملائكة ، وعن قتادة في الآية : قال : يأتيهم الله في ظلل من الغمام <sup>(٢)</sup> .

ومن هذا يتبين لنا أن الشوكاني أثبت صفة المجيء في سورة البقرة وسورة الانعام في الآيات السابقة من غير تأويل لها ، وضد القول بالرواية بما رواه عن ابن مسعود ، وابن عباس يثبت فيها مجيء الله عز وجل في ظلل من الغمام ، ونزوله من العرش الى الكرسي كما ذكر ذلك عن قتادة .

فاذا رأيناه يذكر تأويلا للمجيء في سورة الفجر فان رسالة التحف في مذهب السلف ، وهى من آخر مؤلفاته ترجح وتشهد برجوعه عن بعض التأويلات التى ذكرها . يقول الشوكاني : " ان المذهب الحق في الصفات هو امرارها على ظاهرها من غير تأويل ، ولا تكلف ولا تعسف ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل ، وأن ذلك هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين <sup>(٣)</sup> ، كما أن وقوف

(١) سورة البقرة : آية : ٢١٠ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٢١٠ ، ٢١١ . والحديث أخرجه

أبو يعلى وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٣) الشوكاني : التحف في مذهب السلف ص ٨ .



الشوكاني على مؤلف الذهبى " العلو للعلو الغفار " الذى أشاد به وقال :  
 " استوفى فيه كل ما فيه دلالة على الجهة من الكتاب والسنة أو قول صاحب (١)

يرجح أيضا تراجعهم عن بعض التأويلات اليسيرة ، فان الذهبى ذكر فيه صفة  
 النزول والمجىء ، والأحاديث المتواترة التى تفيد القطع وبين أنه لا مجال  
 لانكار أو جحود . (٢)

أما السلفية فقد ثبت عندهم خبر النزول من عدة طرق ، فحديث النزول رواه  
 أبو بكر ، وأبو هريرة ، وعلى بن أبى طالب ، وجبير بن مطعم ، وابن مسعود .  
 ورواه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من عشرين صحابيا ، وتواتر ذلك  
 عنهم ، كما يقول ابن القيم الجوزية ، ولفظه فى الصحيحين ، عن أبى هريرة -  
 رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - : " ينزل ربنا كل ليلة  
 الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول : من يدعنى فاستجب له ؟  
 من يسألنى فأعطيه ؟ ، من يستغفرنى فأغفر له ؟ " (٣) وليس هذا النزول  
 يشبه نزول المخلوقين . (٤)

والسلفية قائلون ومصدقون بما فى هذه الأخبار . يقول ابن خزيمة : ان  
 نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا الى سماء الدنيا ، وأعلمنا أنه  
 ينزل ، والله جلا وعلا " لم يترك " ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين اليه  
 الحاجة من أمر دينهم ، فنحن قائلون مصدقون بما فى هذه الأخبار من ذكر  
 النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية . (٥)

(١) المصدر السابق ص ١١ .

(٢) د . محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ج ١ ص ٣٢٦

(٣) الحديث ورد فى البخارى : ٨ - ١٢٨ " كتاب الدعاء " وأنظر كتاب

التوحيد لابن خزيمة ص ١٢٨ .

(٤) د . محمد السيد الجليل : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٧٨ .

(٥) ابن خزيمة : التوحيد ص ١٢٥ .

وعلى ذلك تثبت السلفية نزول الرب من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكيف . يقول ابن تيمية : قال أبو عثمان النيسابورى الملقب بشيخ الاسلام فى رسالته المشهورة فى السنة : وثبت أهل الحديث نزول الرب سبحانه فى كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكيف ، بل يثبتون له ما أثبت له رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتهون فيه اليه ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ، ويكفون علمه الى الله ، وكذلك يثبتون ما أنزل الله فى كتابه من ذكر المجى والأتیان فى ظلل من الغمام والملائكة ، وقوله عز وجل : " وجاء ريك والملك صفافا " (١) (٢)

فرأينا أن السلفية لما صح عندها خبر النزول أقروا به ، وقبلوا الخبر وأثبتوا النزول على ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يعتقدوا أن ذلك تشبيه له بنزول خلقه ، وعلموا وعرفوا وتحققوا أن صفات الرب تعالى لا تشبه صفات المخلوقين كما أن ذاته تعالى لا تشبه ذوات الخلق . (٣)

وبذلك قد التزمت السلفية بالمنهج الذى رسمه القرآن فى الحديث عن الصفات الالهية .

ثانيا : ما يوههم نسبة الأعضاء لله عز وجل :

#### ١ - صفة الوجه :

قد جاء ذكر الوجه له تعالى فى آيات قرآنية وأحاديث نبوية صحيحة كقوله تعالى : " كل شىء هالك الا وجهه " (٤) وقوله تعالى :

(١) سورة الفجر : آية : ٢٢ .

(٢) ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية طدار الكتب الحديثة ص ٢٩ .

(٣) ابن تيمية : العقل والنقل : ٢ - ١٢ .

(٤) سورة القصص : آية : ٨٨ .

” ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ” (١) .

وكان الشوكاني أمام هذه الآيات بعد اطلاعه على الآثار التي قيلت في تفسيرها ، والأخبار التي رويت في اثباتهما ، لايزيد على الآثار ولا يتأول الأخبار .

بمعنى أنه أثبت ما روى في تفسير هاتين الآيتين وجاء عن حبر الأمة بن عباس — رضى الله عنهما — ورواه عطاء عنه ، وبه قال سفيان الثوري ، وذكره الضحاك وأبو عبيدة كما حكاه السيوطي في ” الدر المنثور ” وذكر نحوه ابن الجوزي في زاد المعاد .

يقول الشوكاني في قوله تعالى : ” كل شيء هالك الا وجهه ” أى كل شيء من الأشياء كائنا ما كان هالك الا وجهه : أى الا ذاته ، وذكر رواية عن ابن عباس — رضى الله عنهما — الا ما أريد وجهه (٢) ، ونحو ذلك ذكره ابن الجوزي في زاد المسير فقال : فيه قولان : الا ما أريد به وجهه ، رواه عطاء عن ابن عباس ، وبه قال الثوري ، والثاني : الا هو ، قال الضحاك ، وأبو عبيدة (٣) ، كما ذكره السيوطي في الدر المنثور . (٤)

وفي سورة الرحمن في قوله تعالى : ” كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ” .

قال الشوكاني : ان الوجه عبارة عن ذاته سبحانه ووجوده ، وقيل : حجته التي يتقرب بها اليه . وذكر نحوه ابن الجوزي فقال : ويبقى وجه ربك (٥)

---

(١) سورة الرحمن : آية : ٢٧ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ج ٤ ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٣) ابن الجوزي : زاد المسير ج ٦ ص ٨٩ .

(٤) السيوطي : الدر المنثور ج ٦ ص ٤٤٧ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ١٣٠ .

(١) • أى يبقى ربك •

فخلص من ذلك الى أن ما ذكره الشوكانى فى تفسيرهاتين الآيتين مروى عن ابن عباس ، ذكره الضحاك وسفيان الثورى ، وأبو عبيدة ، وتناوله أهل التفسير كابن الجوزى والسيوطى ، فلم يكن هو بدعا من هوء لا ، غير أن الشوكانى كان مثبتا صفة الوجه فى أحاديث الروئية التى جاء فيها ذكر الوجه له تعالى صفة من صفاته ، فمن أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر عنده حقيقة فكان فيها مثبتا واضحا غير متأولا •

يقول الشوكانى : أخرج ابن جرير ، وابن أبى حاتم والدارقطنى فى الروئية ، وابن مردويه عن أبى موسى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان الله يبعث يوم القيامة ناديا ينادى بصوت يسمعه أولهم وآخرهم : ان الله وعدكم الحسنى وزيادة " فالحسنى الجنة ، والزيادة النظر الى وجه الرحمن ، وعن أبى بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " <sup>(٢)</sup> قال الزيادة النظر الى وجه الرحمن ، وأخرج أبو الشيخ عن أبى هريرة نحوه ، وعن على بن أبى طالب فى الآية <sup>(٣)</sup> مثله •

وبذلك قد أثبت الشوكانى الوجه صفة لله عز وجل عن طريق هذه الروايات فى تفسير آيات اثبات الروئية فثبتت الروئية لله من المؤمنين كما ثبت معها صفة الوجه بطريق لاشك فيها ففى الحديث قال الشوكانى : عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أول أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه ، وسرره مسيرة ألف سنة ،

---

(١) ابن الجوزى : زاد المسير ج ٨ ص ١١٤ •

(٢) سورة يونس : آية : ٢٦ •

(٣) الشوكانى : فتح القدير ج ٢ ص ٤٤١ •

وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية " (١)

وبهذا يتم اثبات الوجه مع الرواية . قال ابن القيم الجوزية : ان الصحابة - رضى الله عنهم - ، والتابعين وجميع أهل السنة ، والأئمة الأربعة ، وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمن يرون وجه ربهم فى الجنة ..... فمن أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر غده حقيقة . (٢)

والنصوص الكثيرة فى اثبات الوجه من الكتاب والسنة تنفى تأويل الوجه بالجهة أو الثواب أو بالذات ، فالذى عليه أهل الحق أن الوجه صفة غير الذات ، ولا يقتضى كونه تعالى مركبا من أعضاء كما يقوله المجسمة ، بل هو صفة لله على ما يليق به . (٣)

كما ترد السلفية على الذين جعلوا المراد بالوجه الذات مستدلين بقولهم : لا خصوص للوجه ، فى البقاء وعدم الهلاك فى الآيتين السابقتين .

فتعارض هذا الاستدلال بأنه لو لم يكن لله عز وجل وجه على الحقيقة لما جاز استعمال هذا اللفظ فى معنى الذات ، فان اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن أن يستعمل فى معنى آخر ، الا اذا كان المعنى الأصلى ثابتا للموصوف ، حتى يمكن للذهن أن ينتقل من الملزوم الى لازمه ، كما أنه اذا اسند البقاء للوجه يلزم منه بقاء الذات بدلا من أن يقال أطلق الوجه وأراد الذات . (٤)

- 
- (١) الحديث أخرجه ابن أبى شيبة والترمذى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والطبرانى ، والدارقطنى ، والحاكم ، وابن مردويه ، والبيهقى . أنظر الشوكانى فتح القدير ج ٥ ص ٣٤٠ .
- (٢) ابن القيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة للموصلى ج ٢ ص ٤٢٢ .
- (٣) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس ص ٥٥ .
- (٤) المصدر السابق .

٢ — صفة العين :

يقرر الشوكاني اثبات صفة العين له سبحانه بما ورد من الأدلة الدالة على ذلك من الكتاب والسنة كقوله تعالى : " فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا " <sup>(١)</sup> وقوله : وحملناه على ذات ألواح ودسر ، تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر " <sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : " وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني " <sup>(٣)</sup> قال الشوكاني : " ولتصنع على عيني " أي ولتربي وتغذي بمرأى مني ، وتفسير " على عيني " بمرأى مني صحيح . وعن قتادة في الآية قال : لتغذي على عيني " <sup>(٤)</sup> وفي قوله تعالى : " تجرى بأعيننا " قال الشوكاني : أي بغير مرأى منا وحفظ لها ، كما في قوله : " واصنع الفلك بأعيننا " <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> قال ابن كثير : " تجرى بأعيننا " أي بأمرنا بمرأى منا ، وتحت حفظنا ، وكلاءنا . <sup>(٧)</sup> ومن هذه الآيات وغيرها ، أثبت الشوكاني ما أثبتته الله تعالى لنفسه عينا يرى بها جميع المراتب ، وهي صفة حقيقية له سبحانه على ما يليق به ، فلا يقتضي اثباتها كونها جارحة . <sup>(٨)</sup>

- 
- (١) سورة الطور : آية : ٤٨ .
  - (٢) سورة القمر : آية : ١٤ .
  - (٣) سورة طه : آية : ٣٩ .
  - (٤) الشوكاني : فتح القدير ج ٣ ص ٣٦٥ ، ٣٦٧ .
  - (٥) سورة القمر : آية : ١٤ .
  - (٦) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ١٢٣ .
  - (٧) ابن كثير : مختصر الصابوني ج ٣ ص ٤٤٠ .
  - (٨) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس ص ٥٧ .

٣ — صفة اليد والساق :

كما أثبت الشوكاني صفة اليد والساق بما ورد من الأدلة في الكتاب والسنة ، قال تعالى : " قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ، استكبرت أم كنت من العالين " <sup>(١)</sup> وقال تعالى : " وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء " <sup>(٢)</sup> .

كما أثبت الشوكاني صفة الساق بقوله تعالى : " يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون " <sup>(٣)</sup> .

قال الشوكاني في اثبات هذه الصفات : والتشية في اليد على أنها ليست بمعنى القوة والقدرة ، بل للدلالة على أنها صفتان من صفات ذاته سبحانه . <sup>(٤)</sup>

وقد ذكر الشوكاني هذا الحديث الذي ثبت به هذه الصفة فقال : عن ابن عمر قال : " خلق الله أربعاً بيده : العرش ، وجنة عدن ، والقلم ، وآدم " وعن عبد الله بن الحارث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلق الله ثلاث أشياء بيده ، خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الفردوس بيده <sup>(٥)</sup> " قال الدكتور محمد خليل هراس : لا يسوغ أن يقال : خلق الله بقدرتين أو بنعمتين ، على أنه لا يجوز إطلاق اليمين بمعنى النعمة والقدرة .

---

(١) سورة ص : ٧٥ .

(٢) سورة نون : ٤٢ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ج ٤ ص ٤٤٥ .

(٤) الحديث : أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ، وأبو الشيخ في العظمة ، والبيهقي في الاسماء والصفات ، أنظر الشوكاني فتح القدير

ج ٤ ص ٤٤٧ .

(٥) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس ص ٥٦ .

وفى اثبات صفة الساق ذكر حديثا أخرجه البخارى وغيره : عن أبى سعيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا <sup>(١)</sup> .

وأخرج ابن مده عن أبى هريرة فى الآية قال : يكشف الله عز وجل عن ساقه ، وعن ابن مسعود فى الآية قال : يكشف عن ساقه تبارك وتعالى ، فيسجد كل مؤمن ومؤمنة ويقسو ظهر الكافر فيصير عظما واحدا ، قال الشوكانى : وبذلك قد أغنانا الله فى تفسير هذه الآيات بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك لا يستلزم تجسيما ولا تشبيها ، فليس كمثل شئ ، ثم أورد قول الشاعر :  
دعوا كل قول عند قول محمد ه ه ه فما آمن فى دينه كمخاطر <sup>(٢)</sup>

فهذه الآيات والأحاديث التى ذكرها الشوكانى تضمنت اثبات اليمين ، والساق صفات حقيقية لله سبحانه وتعالى على ما يليق به ، ولا يمكن حمل اليمين على القدرة أو النعمة ، فان الأشياء كلها حتى إبليس خلقها الله بقدرته ، الا أنه خلق بيده أشياء دلت عليها الآيات التى ذكرتها وغيرها من الأحاديث ، ما يدل على تكريمها ، ورفع منزلتها وعناية الله تعالى بها . هذا بالإضافة الى أن لفظ اليمين بالتشبيه لم يعرف استعماله الا فى اليد الحقيقية ولم يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة <sup>(٣)</sup> ، وكيف يتأتى حمل اليد على القدرة أو النعمة مع ما ورد من اثبات الكف ، والأصابع ، واليدين ، والقبض ،

---

(١) الحديث : بفتح الباء ج ٨ ص ٦٦٤ ، وسلم ج ٢ ص ٣ ، والدارمى فى الرقاق ٨٣ قال الشوكانى : وهذا الحديث ثابت من طرق فى الصحيحين وغيرهما ، وله ألفاظ فى بعضها طول ، وهو حديث مشهور معروف . فتح القدير ج ٥ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير ج ٥ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٣) د . محمود أحمد خفاجى العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة ج ١ ص ٢٢٠



(١)

وغير ذلك مما لا يكون الا لليد الحقيقية .

فاذا اثبت الشوكاني والسلفية هذه الصفات - صفة اليد والساق -  
بالآيات المبينة في كتابه تعالى وفي نصوص الأحاديث الشريفة ، فذلك دلائل  
نقلية صريحة وصحيحة مع قوله تعالى : " ليس كمثله شيء " كما عرفنا  
بالدلائل العقلية : أن العين ليست بحدقة ، وأن اليدين ليستا بجارحتين ،  
فإنها صفات ذات تثبت بالكتاب والسنة بلا تشبيه .  
(٢)

ثالثا : ما يوهم أنه تعالى ينفعل بانفعالات وأن له عواطف :

١ - محبة الله ، وكراهية الله وبغضه :

المحبة صفة من صفات الله تعالى كما أن الكره والبغض  
والسخط والمقت . . . الخ صفات أفعال لله عز وجل ، وهي صفات حقيقية له  
على ما يليق به ، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك ، ولا يلزم منها  
ما يلزم المخلوق .

يقول الشوكاني : معنى الغضب في صفة الله : ارادة العقوبة فهو  
صفة ذاته ، ومنه الحديث : " ان الصدقة لتطفئ غضب الرب " (٣) فهو  
صفة فعله .  
(٤)

كما يقول في صفة المحبة : قال الأزهرى : محبة العبد لله ورسوله طاعته  
لهما ، واتباعه أمرهما ، ومحبة الله للعباد انعامه عليهم بالغفران .  
(٥)

(١) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس ص ٥٧ .

(٢) البيهقي : الاعتقاد على مذهب السلف : ص ٤٢ .

(٣) الحديث أخرجه الترمذى في كتاب الزكاة باب ٣٨ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٢٤ .

وقد ورد ذكر هذه الصفات لله تعالى في كتابه الكريم سنة نبیه صلى

الله عليه وسلم .

ومن ذلك : ما ورد أنه يحب أفعالا معينة ، كما يحب كلاما معينا ، ويحب بعض خلقه الذين اتصفوا بصفات حميدة خاصة وذلك في قوله تعالى : " ان الله يحب المتقين " (١) " والله يحب المحسنين " (٢) " والله يحب الصابرين " (٣)

ومن ذلك : ما ورد في صفة الكره والبغض من صفات أفعاله وذلك في قوله تعالى : " ولكن كره الله انبعاثهم فنبطهم " (٤) وقوله تعالى : " ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه " (٥) ، وقوله تعالى : " ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ولعنه " (٦) الى غير ذلك من الآيات .

أما السنة : فقد ورد ما يثبت هذه الصفات من الاحاديث النبوية الشريفة ومن ذلك ما ورد في صفة المحبة قوله صلى الله عليه وسلم : " كلمتان خفيفتان على اللسان ، حبيبتان الى الرحمن ، ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم " (٧) وفي صحيح البخارى عن عبادة بن

(١) سورة البقرة : آية ٢٦ .

(٢) سورة آل عمران : آية : ١٣٤ .

(٣) سورة آل عمران : آية : ١٥٩ .

(٤) سورة التوبة : آية : ٤٦ .

(٥) سورة محمد : آية : ٢٨ .

(٦) سورة النساء : آية : ٩٣ .

(٧) رواه البخارى ومسلم ، البخارى في التوحيد ٥٨ ، والدعوات ٦٦ ،

وأخرجه مسلم في الذكر ٢٠ .

الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم : " من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه " (١)

ومن ذلك ماورد من صفات الفعل له عز وجل من الكره والبغض والسخط والمقت . . . الخ قوله صلى الله عليه وسلم : " أبغض الرجال الى الله الألد الخصم " (٢) وقوله صلى الله عليه وسلم فى الأنصار : " من أحبهم أحب الله ، ومن بغضهم أبغضه الله " (٣)

فتضمنت هذه الآيات والأحاديث اثبات أفعال له تعالى ناشئة عن صفة المحبة ، والبغض والكره وهذه من صفات الفعل الاختيارية التى تتعلق بمشيئته ، والمعتزلة والزيدية ينفون هذه الصفات بدعوى أنها توهم نقصا ، أما الأشاعرة يرجعونها الى صفة الارادة ، فيقولون أن محبة الله لعبده لا معنى لها الا ارادته لاكرامه ومثوبته ، وصفات الرضى والغضب والكراهية كلها عند هم بمعنى الثواب والعقاب والمعتزلة والزيدية لا يثبتونها ، ويفسرون المحبة بأنها نفس الثواب الواجب عند هم على الله ، وأما أهل الحق فيثبتونها صفة حقيقية . (٤)

يقول الشيخ حسنين مخلوف : والغضب صفة أثبتها الله تعالى

(١) الحديث أخرجه البخارى فى الرقاق ٤١ ، وأخرجه مسلم فى الذكر

١٤ - ١٨ ، والترمذى فى الزهد ٦ ، والنسائى فى الجنائز ١٠ ،

وابن ماجه فى الزهد ٣١ ، والدارمى فى الرقاق ٤٣ ، وأحمد بن

حنبل ٢ ، ٤٢٠ ، ٣ ، ١٠٧ ، ٤ ، ٢٥٩ ، ٥ ، ٣١٦ ، ٣٢١ .

(٢) الحديث فى البخارى فى تفسير سورة ٣ ، ٣٧ مظلالم ١٥ ، وأحكام ٣٤ ،

وأخرجه مسلم ، علم ٥ ، والترمذى فى تفسير سورة ٣ ، ٣٢ ، والنسائى فى

القضاء ٢٤ ، وأحمد بن حنبل ٦ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٢٠٥ .

(٣) أخرجه البخارى فى مناقب الأنصار ٤ ، وأخرجه مسلم فى الايمان ١٣٩ .

(٤) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس ص ٤٤ ، ٤٥ .

لنفسه على الوجه ، اللائق بجلال ذاته ، نوء من بها ونفوض اليه تعالى علم حقيقتها بالنسبة اليه ، مع تنزيهه عن مشابهة الحوادث ، وأثرها الانتقام والعذاب . (١)

كما تثبت السلفية لازم المحبة والفضب ، وهي ارادة الله سبحانه وتعالى باكرام من يحبه أو الانتقام ممن يسخط عليه . (٢)

وكما أن هذه الصفات تثبت بالكتاب والسنة فهي ثابتة باجماع المسلمين ، يقول ابن تيمية : ان القرآن والسنة واجماع المسلمين : أثبت محبته لعباده المؤمنين ومحبتهم له لقوله تعالى : " يحبهم ويحبونه " (٣) ثم قال : وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على اثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له . (٤)

وهذه الصفات التي أثبتها السلفية بالكتاب والسنة يثبتونها كغيرها من الصفات التي وصف الله بها نفسه من صفات كماله ، والعقل يدل على اتصافه بها من الكمال (٥) ، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك ، ولا يلزم منها ما يلزم للمخلوق . (٦)

يقول ابن الوزير : كل صفة يوصف بها الرب ويوصف بها العبد ، فالرب يوصف بها على أتم الوصف مجردة عن جميع النقائص ، والعبد يوصف بها محفوفة بالنقص . (٧)

- 
- (١) حسنين مخلوف : صفوة البيان لمعالي القرآن ج ١ ص ١٣ .
  - (٢) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس .
  - (٣) سورة المائدة : آية : ٥٤ .
  - (٤) ابن تيمية : مجموع الفتاوى الكبرى ج ٢ ص ٣٥٤ .
  - (٥) ابن تيمية : " " " " ج ٣ ص ٨٢ .
  - (٦) د . محمود أحمد خفاجي : العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة ج ١ ص ٢٣٤ .
  - (٧) ابن الوزير : ايثار الحق على الخلق ص ١٣٨ وما بعدها .

وهكذا رأينا : أن الشوكاني والسلفية يثبتون الصفات الخيرية التي ورد بها السمع ، ويرون أن اثباتها من غير تأويل لها أو تحريف من لسوازم كمال الله المطلق وأن ورود السمع بها ثناء على الله تعالى ، ومدحاً له وتعرفاً منه إلى عبادته ، فجددها ، وتحريفها عما دلت عليه ، وأريد بها ، مناقض لما جاءت له .

وسنرى الآن ما فعلت الزيدية بهذه الصفات الإلهية الخيرية ، وكيف جعلت صفات الذات من الوجه واليد والعين والجنب مجازاً ثم ذهبت في تأويلها حتى لا تؤدي إلى التشبيه والتجسيم - في نظرها - ؟ .

كما نرى موقف الشوكاني من هذه البدع التي نتج عنها النفي لصفات الله الذاتية والفعلية . وكيف ردت السلفية على طوائف أهل الضلال وحكمت بزيغهم ؟ .

### موقف الزيدية من الصفات الالهية الخبرية :

---

سبق أن بينت أن الشوكاني والسلفية أثبتوا جميع الصفات التي ورد بها الشرع ، مع فهم معانيها الحقيقية ، من غير تأويل لها ، ولا تعطيل ، وبدون تشبيه ولا تمثيل ، وأن هذا الطريق الذي سلكوه هو طريق السلف الصالح ، فماذا ياترى موقف الزيدية من هذه الصفات ؟

لقد أنكرت الزيدية كالمعتزلة هذه الصفات الخبرية ، وأطلت ما ورد فيها من الآيات والأحاديث ، كما أجمعوا على نفى الجهة عن الله تعالى ، لأنهم اعتقدوا أن اثباتها يوجب المكان والجسمية .

كما اعتبرت الزيدية كالمعتزلة ، جميع الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التي تتضمن معنى الجهة والمكان ، والوجه والعين ، واليد والساق ، والنفس والجنب ، وغيرها مجازا ، وتأولوها بدعوى أن العقول حجة ، ولها حق التوفيق والتأويل ، والآن نسمع ماورد في مصنفات الزيدية ، وما تكلموا به في هذه المصنفات .

أولا : ما يوهم الجهة والمكان :

---

نرى الزيدية تؤول الآيات التي تثبت صفة العلو والفوقية

لله تعالى ، ففي قوله عز وجل : " أأمنتم من في السماء " (١) يقول

الحاكم الجشمي : أأمنتم عذاب من في السماء ، وقيل : أأمنتم من في السماء سلطانته وتدبيره ، فان تدبيره تكون في السماء ، ثم تنزل الى الأرض . (٢)

كما استدلت الزيدية على نفى المكان : بقوله تعالى : " وهو الذي

في السماء اله وفي الأرض اله " (٣) قال الحاكم الجشمي تعبدوا الملائكة ففى

---

(١) سورة الملك : آية : ١٦ .

(٢) د . عدنان زرزور : الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير ص ٢٩٢ .

(٣) سورة الزخرف : آية : ٨٤ .

السما ، ويعبد في الأرض المؤمنون " ، كما فسرت العنودية في قوله تعالى :  
 " فالذين عند ربك " <sup>(١)</sup> بالكرامة والمنزلة ، وفي قوله تعالى : " في مقعد  
 صدق عند مليك مقتدر " <sup>(٢)</sup> قالوا : " عند مليك " أى في علم الله صائرون الى  
 ذلك الموضع ، وقول الحاكم هنا كقول أبو علي الجبائي . <sup>(٣)</sup>

ولا يختلف نفى الزيدية للجهة والمكان عن قول المعتزلة ، ففي قوله  
 تعالى : " وهو الذى فى السما اله " أى هو المعروف بالالهية ، أو المتوحد  
 فيها أو هو الذى يقال له الله فيها لا يشرك به فى هذا الاسم . <sup>(٤)</sup>

وهكذا ترى الزيدية كالمعتزلة تأويل الآيات التى تدل على صفة العلو  
 والاستواء ، وما من شأنه يتنافى مع تصورهم للوحدانية .

ثانيا : ما يوهى نسبة الأعضاء :

نجد الزيدية والمعتزلة بالنسبة للصفات الذاتية من الوجه  
 واليد والعين والجنب وغيرها ، تعتبر هذه الصفات مجازا ثم تذهب الى  
 تأويل الآيات التى وردت فيها ما يورد في نظرهم الى التشبيه والتجسيم . <sup>(٥)</sup>  
 فأولت الزيدية صفة اليد التى وردت في قوله تعالى : " ... لما خلقت  
 بيدي " <sup>(٦)</sup> بمعنى : خلقت من غير واسطة ، وكذا في قوله تعالى : " ساعطت  
 أيدينا " <sup>(٧)</sup> أى خلقت بقدرتي <sup>(٨)</sup> وعلى ، يريد أنى على ذلك قادر وبه

- 
- (١) سورة فصلت : آية : ٣٨ .
  - (٢) سورة القمر : آية : ٥٠ .
  - (٣) د . عدنان زرزور الحاكم الجسمى ومنهجه في التفسير ص ٢٩٣ .
  - (٤) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٥ ، وانظر المصدر السابق ص ٢٩٥ .
  - (٥) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٤٦ ، والبخر الزخار ج ١ ص ٥٩ .
  - (٦) سورة ص : آية : ٧٥ .
  - (٧) سورة يس : آية : ٧١ .
  - (٨) د . عدنان زرزور : الحاكم الجسمى ومنهجه في التفسير ص ٢٩٣ .

عالم . (١)

كما أولت الزيدية : صفة الوجه بمعنى الذات في قوله تعالى : " كل شيء هالك الا وجهه " (٢) وأولت الجنب في قوله : " يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله " (٣) بمعنى الأمر أى أمر الله ، وبعضهم ذهب الى أنه بمعنى الطاعة ، وأولت اليد في قوله تعالى : " بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء " (٤) بمعنى النعمة ، وتأتى اليد بمعنى القوة في قوله : " لما خلقت بيدي " أما العين في قوله تعالى : " تجري بأعيننا " (٥) ، يقال : جرى هذا الأمر بمعنى : أى بعلى (٦) ، كما يؤولون الموجودات السمعية الأخرى كالعرش والكرسى ، أما العرش ، فهم لا يثبتونه لله عز وجل ويقولون أنه مجاز ، وينفون الكرسي ، ويؤولونه بعلم الله عز وجل . (٧)

وهكذا أولت الزيدية الآيات التى جاء ظاهرها فى زعمهم بحمل معانى التشبيه والتجسيم ، وصرفتھا الى معنى يوافق الأدلة العقلية لديهم ، وهم فى ذلك مقلدة للمعتزلة ، يقول الشهرستاني : الزيدية لا يرجعون

---

(١) العدل والتوحيد ونفى التشبيه عن الواحد المجيد المخطوط بالمكتبة

المركزية بجامعة أم القرى .

(٢) سورة القصص : آية : ٨٨ .

(٣) سورة الزمر : آية : ٥٦ .

(٤) سورة المائدة : آية : ٦٤ .

(٥) سورة القمر : آية : ١٤ .

(٦) أحمد عبد الله عارف : أصول الاتفاق فى القضايا الكلامية بين الزيدية

والمعتزلة ، رسالة ماجستير ص ٢٢٢ . وأنظر العدل والتوحيد ونفى

التشبيه عن الواحد المجيد المخطوط بالمكتبة المركزية .

(٧) أحمد عيسى شرف الدين : تاريخ الفكر الإسلامى فى اليمن ص ١٤٣ .



الى رأى واجتهاد ، ويرون رأى المعتزلة حذو القذة بالقذة ، ويعظمون  
أئمة الاعتزال ، أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت . (١)

فلذلك تراهم كالمعتزلة يرجعون صفة المحبة والكراهة الى الثواب  
والعقاب . (٢)

فالسخط والرضى والاحسان والعفو والجود والكرم ، والثواب فى نظر  
الزيدية أفاعيل من الله يفعلها بعد عدم ، وفقا لمقتضيات الفعل الانسانى ،  
وهو لا يسخط ولا يحب أو لا يرضى الا بعد ما يوجب ذلك ، وذلك لا يجوز  
الا بعد التكليف ، ومعد تصرف المكلفين بالطاعة والمعصية ، لأن جميع  
ذلك منه جزاء على الأفعال ، ولا يحسن مجازاة الفاعل قبل اقدامه على الفعل . (٣)

وبذلك وقفت المعتزلة والزيدية تحارب كل شىء يتنافى مع تصورهم  
لوحدانية الله ، ورفضوا أن يأخذوا الآيات التى تحمل فى نظورهم معنى التشبيه  
والتجسيم ، وفعلوا مثل ذلك فى جميع الآيات والأحاديث التى يخالف ظاهرها  
أصل التوحيد بالمعنى الذى فهموه ، وأولوا الآيات تأويلا يتسق مع تعاليه  
عز وجل وتنزيهه عن الشبه بخلقه .

وفى كل ما تقدم يناقش الشوكانى الزيدية فيما ذهب اليه من نفى هذه  
الصفات الخبرية وتأويلهم وتعطيلهم للآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى  
ثبتت ذلك لله عز وجل من صفات كماله ، ونعوت جلاله على الوجه اللائق به  
سبحانه . كما ترى السلفية ضلال هؤلاء وزيفهم عن طريق الهدى والرشاد

(١) الشهرستانى : الملل والنحل : ص ١٦٥ .

(٢) ابن تيمية : العقيدة الواسطية ص ٤٢ .

(٣) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٦٩ ، وأنظر مقالات الأشعرى  
ص ٧٠ تصحيح هلموت زيتير الطبعة الثالثة .

### مناقشة الشوكاني للزيدية :

وجد الشوكاني أن الزيدية تابعت المعتزلة فى الصفات الخبرية ، حتى لا يلزم من اثباتها محال ، فذهبت تتنكر لهذه الصفات جميعها ، فأنكرت استوائه على عرشه تعالى (١) ، وعلوه على خلقه (٢) ومجيئه يوم القيامة ، ونزوله الى سماء الدنيا ، وكذبوا الأحاديث الصحيحة الثابتة فى تلك الصفات .

ولما اصطدمت الزيدية والمعتزلة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تثبت استوائه على عرشه ، وعلوه على خلقه ، وآيات تثبت لذاته تعالى الوجه وصفة اليد والعين ، وكذا تثبت صفات أفعاله من المحبة والكرامية . . . الخ . تعسفت فى التأويل وركبت متن اللجاج ، وحملت آيات الكتاب العزيز ما لا تحتمله لكى يسلم لها مقالة النفى ، ثم يعلنون أن ذلك هو أصل الدين وحقيقته الذى جاء بها نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم .

وفى ذلك ينقدهم الشوكاني ويبين فريتهم على العقل والنقل ، ويزيف ادعاءهم أصول دينهم فيقول : أصول الدين الذى هو عمدة المتقين ما فى كتاب الله تعالى ، الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وما فى السنة المطهرة . (٣)

وبالنسبة لتأويلهم هذه الصفات ، وزعمهم أنهم اذا أثبتوها اقتضى ذلك تشبيهها ، وأن اثبات هذه الصفات لا تعقل الا بمعنى الجواح ، فان الشوكاني والسلفية يرفضون ذلك لفساده ومطلانه ، لأنهم يثبتون لله

(١) أنظر نفس الرسالة ص ٢٥٣ .

(٢) د . عدنان زرزور الحاكم الجسمى ومنهجه فى التفسير ص ٢٩٢ .

(٣) الشوكاني : كشف الشبهات عن المشتبهات ص ١٩ .

عز وجل ما أثبتته لنفسه ، وما أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم ، وليس الزيدية أو المعتزلة أو غيرها أعلم من الله أو رسوله فيما يجوز أن يوصف به الله أولا يوصف . قال الشوكاني : " الله أعلم بكيفية ذاته ، وما هي صفاته ، بل العلم كله له " (١)

كما أنه لم يؤثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة -رضى الله عنهم- تأويل لهذه الصفات ، فلم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم تأويل أى صفة من صفات الله . كما لا يجوز غي حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة ، ولا سيما فى عقائد الدين وأصوله . (٢)

فالصحابة -رضى الله عنهم- فهموا ذلك ، وأثبتوا الصفات لله ولم يؤثروا عليها واحد منهم . يقول الشوكاني : ان مذهب السلف من الصحابة -رضى الله عنهم- والتابعين وتابعيهم هو ايراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل . (٣)

وقد مضى على ذلك سلف الأمة وأئمتها ، يثبتون لله ما أثبتته من الصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات وينزهونه عن النقص والتعطيل ، والتشبيه والتمثيل .

يقول ابن تيمية : " ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه ، وما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، يثبتون لله ما أثبتته من الصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات ، يثبتون له صفات الكمال ، وينفون عنه ضروب الأمثال ، وينزهونه عن النقص والتعطيل والتشبيه والتمثيل ، اثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل ،

---

(١) الشوكاني : رسالة التحف فى مذهب السلف ص ٩ ، ١٠ .

(٢) الشنقيطى : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٢٠ .

(٣) الشوكاني : التحف فى مذهب السلف ص ٧ .

ليس كمثله شيء<sup>١</sup> رد على الممثلة ، وهو السميع البصير رد على المعطلة . (١)

ويتقرر من ذلك أن السلف ما كانوا يتكفون علم مالا يعلمون ، كما أنهم بالنسبة للصفات الثابتة لله تعالى لا يتأولون ، بل كانوا يعرون أدلتها على ظاهرها ، وهذا هو المتقرر من مذاهبيهم لا ينكره أحد . يقول الشوكاني في ذلك : كان السلف يعرون أدلة الصفات على ظاهرها ولا يتكفون علم مالا يعلمون ، ولا يتأولون ، وهذا هو المعلوم من أقوالهم وأفعالهم ، والمتقرر من مذاهبيهم لا يشك فيه شك ، ولا ينكره منكر . (٢)

وتابعهم على ذلك السلفية وأئمتها في كل عصر ومصر . يقول ابن خزيمة مبينا المذهب الذي تشهد له الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم : " نحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر ، مذهبنا أن نثبت لله ما أثبتته لنفسه ، نقر بذلك بألسنتنا ، ونصدق بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجهه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين ... " (٣)

وإذا كانت الزيدية تعتقد أن اثبات استواء الله على عرشه وفوقيته على خلقه ، واثبات الوجه واليد والعين وغيرها يؤدى الى مخالفة قواعد التنزيه لديهم ويوقع فى شبهة التشبيه والتجسيم عندهم ، ولذلك لا يثبتون للرحمن العرش والكرسى ولا الاستواء ولا هذه الصفات الثابتة له فى كتابه فان الشوكاني يرد عليهم وينقدهم فى هذا التعطيل فيقول :

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٧٤ ، وأنظر العقيدة الاصفهانية ص ٩ ، وأنظر ابن القيم الجوزية مدارج السالكين ج ٢ ص ٨٦

(٢) الشوكاني : التحف فى مذهب السلف ص ٤ .

(٣) ابن خزيمة : كتاب التوحيد ص ١٠ ، ١١ .

"ان فرارهم من شبهة التشبيه أدى بهم الى سوء التعطيل ، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار ، والهارب من لسعة الزنبور الى لدغة الحية ، ومن قرصة النطة الى قضة الأسد . (١)

ثم يرد الشوكاني تأويل الزيدية لصفة اليد بالقوة أو النعمة فيقول :  
"التثنية في اليد للدلالة على أنها ليست بمعنى القوة والقدرة ، بل للدلالة على أنها صفتان من صفات الله (٢) ثم يسوق الشواهد التي تؤيد ذلك من الأحاديث الصحيحة فيقول : عن ابن عمر قال : خلق الله أربعاً بيده ، العرش ، وجنة عدن ، والقلم ، وآدم " (٣) وحديث : "يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة فيذهب فيعود ظهره طبقاً واحداً " (٤) كما تقدم ذكره عن الشوكاني : أن هذا لا يستلزم تجسيماً ولا تشبيهاً . (٥)

كما يرد أهل السنة نفى الزيدية للموجودات الثابتة بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من : العرش والكرسي بقولهم : ان الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ، ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه : "الرحمن على العرش استوى" (٦) وغير ذلك من الآيات ، كما يقولون : ونشبت لله الكرسي فالكرسي بين يدي العرش ، وأنه موضع القدمين . . . . . (٧)

- 
- (١) الشوكاني : التحف في مذهب السلف ص ٩ .  
(٢) الشوكاني : فتح القدير ج ٤ ص ٤٤٤ .  
(٣) أخرجه ابن جريج وأبو الفتح في العظمة ، والبيهقي عن ابن عمر .  
أنظر المصدر السابق .  
(٤) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة ٦٨ ، ٢ وفي التوحيد ٢٤ .  
(٥) الشوكاني : فتح والقدير ج ٥ ص ٢٧٤ ، وأنظر فتح الباري ج ٨ ص ٦٦٤ .  
(٦) سورة طه : آية : ٥ .  
(٧) ابن تيمية : رسالة الفتوى الحموية الكبرى ص ١٠٤٣ .

كما يقول الشوكاني : الاستواء على العرش والكون في تلك الجهة  
صرح به القرآن الكريم في مواطن يكثر حصرها ويطول نشرها ، كذلك صرح به  
الرسول صلى الله عليه وسلم في غير حديث ، بل هذا مما يجده كل فرد  
من أفراد الناس في نفسه ويحسه في فطرته ، كما نراه في كل من استغاث  
بالله سبحانه والتجأ إليه . (١)

فاستدل الشوكاني في ذلك بالدلائل النقلية والشواهد الفطرية فـ  
اثبات صفة العلو والاستواء ورد ما نفته الزيدية وغيرهم من المتكلمين الى  
أن قال : " دع عنك ما حدث من تلك التعذيبات في الصفات ، وأرح نفسك  
من تلك العبارات التي جاء بها المتكلمون ، واصطلحوا عليها ، وجعلوها  
أصلا يرد كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . (٢)

وهذا يتبين لنا ما سبق أن الشوكاني يجري الصفات مجرى الذات  
كأهل السنة والجماعة من سلف الأمة ، ويدافع عن ذلك ، ويقمع الخارجيين  
والمبتدعين عن المسالك السلفية في الاعتقاد كالمعتزلة والزيدية الذين عطلوا  
الصفات ، وأولوا الآيات وأفسدوا دين العباد .

كما أن السلفية ترد بشدة كل من عطل أو أول النصوص التي تثبت  
هذه الصفات ، وترجع نفى المعتزلة والزيدية ومن نحنا نحوهم لهذه الصفات  
الى تصورهم لمعنى الكمال اللائق بذات الله ، الا أنهم أخطأوا جميعا  
في تصورهم هذا الكمال وتفسيرهم لمعناه .

اذ كان عليهم أن يفرقوا في تصورهم لهذا الكمال بين حقيقتين  
مختلفتين تمام الاختلاف ، هما : حقيقة الذات الالهية ، وبين حقيقة

---

(١) الشوكاني : التحف في مذهب السلف ص ٦ ، ١١ .

(٢) المصدر السابق .

الانسان ، فلا ينبغي أن يتخذ للقياس الذى نقيس به عالم الشهادة ،  
ونطبقه على عالم الغيب . ( ١ )

كما ترد على الزيدية التى تنكر الصفات الخبرية لانها تؤدى الى  
التشبيه ويتنافى مع التنزيه ، فأولت الاستواء بالاستيلاء ، والفوقية بالقهر ،  
واليد بالنعمة الى غير ذلك . ( ٢ )

يقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : ان هذا الاثبات ومعرفة  
الرب تبارك وتعالى بصفاته ، التى نطق بها كتابه ، وشهد به رسوله  
صلى الله عليه وسلم على ما وردت به الأخبار الصحاح ، ونقله العلماء  
الثقات لا يؤدى الى التشبيه ، وذلك لأن السلف لا يعتقدون تشبيهها لصفاته  
بصفات خلقه ، ولا يكييفونها تكيف المشبهة ولا يحرفون الكلم عن مواضعه  
تحريف المعتزلة والجهمية .

فأهل السنة قد أعانهم الله من التحريف والتشبيه ومنّ عليهم  
بالتفهم والتعريف ، حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه ، وتركوا القول  
بالتشبيه ، واكتفوا بنفى النقائص بقوله عز وجل : " ليس كمثله شيء " وهو السميع  
البصير " ( ٣ ) وقوله تعالى : " لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " ( ٤ ) ( ٥ )

أما الزيدية والمعتزلة : فقد وقعوا فى التشبيه أولاً حيث لم يفهموا آيات  
الصفات الا ما يليق بالمخلوق المحدث ولم يفهموا منها صفة تليق بذاته  
المقدسة .

---

( ١ ) د . محمود أحمد خفاجى : العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة

ج ١ ص ٣٧٢ .

( ٢ ) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : جواب أهل السنة النبوية فى نقض

كلام الشيعة والزيدية ص ٩٨ .

( ٣ ) سورة الشورى : آية : ١١ .

( ٤ ) سورة الاخلاص .

( ٥ ) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : جواب أهل السنة النبوية فى نقض

كلام الشيعة والزيدية ص ٩٨ .

ثم وقعوا في التعطيل ثانيا ، وذلك بنفيهم ما وصف الله به نفسه ،  
لظنهم أن ذلك من صفات المحدثين ، ثم تأولوا الصفات على مذهبهم في  
النفي ، فوقعوا فيما فروا منه حيث وصفوه بالسلب والنفي فشبهوه بالمعدومات<sup>(١)</sup>.  
هذلك قد خالفوا ما أجمعت عليه الأمة من عصر الصحابة والتابعين .

يقول ابن القيم الجوزية عن عصر الصحابة والتابعين :

"كانوا كلهم على ما نطق به الكتاب العزيز والسنة النبوية ، كلمتهم  
واحدة من أولهم الى آخرهم ، لم يسموها تأويلا ولم يحرفوها عن مواضعها  
تبديلا ، ولم يبدلوا الشئ منها ابطلا ، ولا ضربوا لها أمثالا ، ولم يقل  
أحد منهم يجب صرفها عن حقايقها وحملها على مجازها ، بل تلقوها  
بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالاجلال والتعظيم . (٢)

وعلى ذلك قد خالفت الزيدية والمعتزلة الاجماع الحاصل من السابق على اثبات  
الصفات الالهية الخسرية ، فنفث أن يكون من هذه الصفات شيئا لله ،  
فأكبرت السلفية وأهل السنة والجماعة بدعتهم ، فرمهم بالضلالة ، وتولوا  
الرد عليهم في جميع مصنفاتهم .

يقول ابن تيمية في الحموية الكبرى : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى  
المغرب على الايمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل ، من غير تفسير ولا وصف  
ولا تشبيه ، فمن فسر اليوم شيئا فقد خرج عن ما كان عليه النبي صلى الله  
عليه وسلم وفارق الجماعة ، فانهم لم ينفوا ولم يفسروا ، ولكن آمنوا بما في  
الكتاب والسنة ، ثم سكثوا ، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة . (٣)

---

(١) المصدر السابق : ص ٩٨ .

(٢) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٨٣ .

(٣) ابن تيمية : العقيدة الحموية الكبرى مجموعة الرسائل والمسائل ج ١



ومذلك بينت السلفية أن حجج المتأولين والمعتلين في ذلك  
كله متهافة ، لا تنهض أن تعارض بها عقل صريح ، فما بالك فيمن يعارض  
بها المنقول الصحيح ؟ (١)

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ٥ ص ١٣٦ - ١٥٣ .

## الفصل السادس

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

### أفعال العباد

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

\* \* تمهيد

\* \* الله فاعل مختار .

\* \* القدر ومبدأ السببية .

\* \* الآجال والمحو والاثبات .

\* \* الفرق بين الكونيات والدنسيات .

\* \* الارادة الانسانية .

\* \* الهداية والاضلال .

\* \* مذهب السلف في أفعال العباد .

\* \* مناقشة الشوكاني للزيدية :

( ١ ) المقصد الأول في المناقشة .

( ٢ ) المقصد الثانى " .

( ٣ ) المقصد الثالث " .

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

تمهيد : كان على الشوكاني أن يواجه مشكلة أفعال العباد ، التي خاض فيها علماء الكلام ، وقتلوها بحثا ، ولم يتفقوا فيها على كلمة واحدة ، وما كان لهم أن يتفقوا ، إذ هي من أجل المسائل الكبار وأعظمها تشعبا وتفرعا ، وأكثرها اثارة للشبه والحيرة ، وذلك لتعلقها باحكام الله وأفعاله من الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، كما أنها داخلة في خلقه وأمره ، وقضائه وقدره .

وجد الشوكاني أن الناس قد تنازعوا هذه المشكلة قبله وأشاروا حولها نزاعا طويلا ، واتجهوا فيها الى تيارين :

١ - التيار الجبرى : ( ١ )

تمثله فرق المجبرة الذين يقولون بالفناء الحرية الانسانية ، وأنه لا اختيار للعبد في أفعاله ولا قدرة له في ذلك ، بل على حد تعبيرهم أنه كالريشة في الهواء تحركها الرياح كيف تشاء ، واستدلوا على ذلك بآيات كثيرة تسند الفعل الى الله تعالى ، مثل قوله تعالى : " فَعَالٌ لَّما يَرِيدُ " ( ٢ ) " الله خالق كل شيء " ( ٣ ) " يضل من يشاء " ويهتدى من يشاء " ( ٤ )

وأحجموا عن الآيات الأخرى التي تسند عمل العبد الى نفسه

---

( ١ ) يقول الجرجاني في ( التعريفات ) ص ٦٥ : الجبرية هو من الجبر ، وهو اسناد فعل العبد الى الله تعالى ، والجبرية اثنان : متوسطة تثبت للعبد كسبا في الفعل كالا شعرية ، وخالصة لا تثبت كالجهمية ، وأنظر ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق د . محمد رشاد سالم ج ١ ص ٦٣ .

( ٢ ) سورة هود : آية : ١٠٧ ، والبروج : آية : ١٦ .

( ٣ ) سورة الرعد : آية : ١٦ .

( ٤ ) سورة النحل : آية : ٩٣ .

كقوله تعالى : " اعملوا ما شئتم " (١) " جزاء بما كانوا يعملون " (٢) وغير ذلك من الآيات التي تدل على ذلك .

وهؤلاء وجد هم الشوكاني قد أثبتوا القدر وآمنوا به ، الا أنهم قصرُوا في الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، وذهبوا الى الاحتجاج بالقدر على المعاصي والشرور فكانوا من جنس المشركين الذين قال الله فيهم : " لو شاء الله ما أشركنا " (٣) .

٢ - التيار الثاني : تيار القدرية (٤) الذي يمثلُه فرق كالمعتزلة والزيدية المائلون الى اثبات الحرية الانسانية المطلقة ، تحقيقاً لمبدأ العدل الالهي عند هم وذلك لقولهم : أنه لو لم يكن العبد مختاراً في أفعاله لما كان هناك معنى للثواب والعقاب والتكاليف الشرعية ، ووجدوا الكون يطفح بالشرور والآثام وبأنواع من الظلم والفسوق فقالوا : لا يجوز أن تكون هذه الأشياء مرادة لله ، ولا مخلوقة له ، لأنه لا يتصف بالظلم ، لأن ذلك قبيح والله منزّه عن القبح . (٥)

- 
- (١) سورة فصلت : آية : ٤٠ .  
(٢) سورة السجدة : آية : ١٧ .  
(٣) سورة الأنعام : آية : ١٤٨ .  
(٤) القدرية هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى . أنظر ابن تيمية درء تعارض العقل والنقل تحقيق د . محمد رشاد سالم ج ١ ص ٦٥ ، وأنظر التعريف للجرجاني : ص ١٧٤ .  
(٥) ابن تيمية : الارادة والأمر : ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ٣٥٧ .

والشوكانى بين هو<sup>١</sup> ولا هو<sup>٢</sup> لا يرى أن واحدا منهما قد أصاب  
ماكان عليه سلف الأمة وأئمتها الذين آمنوا بالقدر خيره وشره ، والذي  
يتضمن أولا : الايمان بعلمه القديم المحيط بجميع الأشياء وأنه تعالى علم  
بهذا العلم القديم الموصوف به أزلا وأبدا ما سعلمه الخلق فيما لايزال .  
ثانيا : أن الله كتب ذلك كله فى اللوح المحفوظ ، فما علم الله كونه  
ووقوعه من مقادير الخلائق وأصناف الموجودات قد أمر القلم بكتابته <sup>(١)</sup>  
وهذه هى الدرجة الأولى من القدر . أما الدرجة الثانية من القدر :  
فهى تتضمن شيئين أيضا : أولهما : الايمان بعموم مشيئته تعالى ،  
وأن أفعال العباد من الطاعات والمعاصى واقعة بتلك المشيئة العامة .  
وثانيهما : الايمان بأن جميع الأشياء واقعة بقدرة الله تعالى وأنها  
مخلوقة له لا خالق لها سواء كما قال تعالى : " والله خلقكم  
وما تعملون " <sup>(٢)</sup> ولا منافاة بين ما ثبت من عموم مشيئته سبحانه لجميع  
الأشياء وبين تكليفه العباد بما شاء من أمر ونهى ، فان تلك المشيئة  
لا تنافى حرية العبد واختياره للفعل كما قال تعالى : " لمن شاء منكم  
أن يستقيم ، وما تشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين " <sup>(٣)</sup>

فلم يجد الشوكانى أن واحدة من تلك الطائفتين أصابت ماكان عليه  
سلف الأمة وأئمتها فى الايمان الصحيح بالقضاء والقدر ولذلك يقول :  
هذه الطوائف المتكلفة علم ما لم يكلفها الله سبحانه بعلمه ، سلكت  
طريقة متوعدة ، لا يرجع من سلكها بمطلوب صحيح ، فدفعوا آيات  
قرآنية ، وأحاديث نبوية صحيحة ، واعتلوا فى هذا الدفع بشبه واهية  
وخيالات مختلفة وهو<sup>١</sup> طائفتان :

---

(١) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس :

ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) سورة الصافات : آية ٩٦ .

(٣) سورة التكوين : آية ٢٩ .

الطائفة الأولى : هي التي غلت في اثبات القدر غلو أبلغ حد أنه لا تأثير

لغيرها ، ولا اعتبار بما سواها ، وأفضى ذلك الى الجبر المحض ، والقسر الخالص ، فلم يبق لبعث الرسل وانزال الكتب كثير فائدة ، ولا يعود ذلك على عباده بعائدة . ( ١ )

والطائفة الثانية : هي الطائفة التي غلت في التنزيه فوصلت الى حد يقشعر عنده الجلد ، ويضطرب له القلب من تعطيل الصفات الثابتة بالكتاب والسنة ، ثبوتاً أوضح من شمس النهار . . . فضلوا الطرية المستقيم وأضلوا من رام سلوكها " ( ٢ )

مع أن كلا المقصدين صحيح ، ووجه كل منهما صحيح ، لولا ما شأنه من الغلو القبيح . ( ٣ )

وهكذا بين الشوكاني أن كلا الطائفتين غلت غلوا قبيحاً ، فضلوا طريق السلف الصالح وما كان عليه أئمتها من منهج القرآن والسنة في اثبات القدر والايان به على الوجه الصحيح ، لذلك نراه يرفض تأويلات طائفة المجبرة ، وطائفة المعتزلة والزيدية الذين حرفوا الكلم بتأويلاتهم عن مواضعه ، فخالفوا اللغة ، وتناقضوا في المعنى ، وخالفوا اجماع السلف كما سيتبين لنا من المنهج الذي سلكه الشوكاني في هذا السبيل الذي يوضح فيه أن الله فاعل مختار يتصرف في ملكه بمشيئته ، حكمته لأنه مالك الملك على الاطلاق ، والله هو الفاعل المختار .

الله فاعل مختار : بين الشوكاني أن الله فاعل مختار ، يتصرف في ملكه بمقتضى مشيئته وحكمته لأنه سبحانه القائل : " قل اللهم مالك الملك

---

( ١ ) الشوكاني : رسالة التحف في مذهب السلف ص ٢ .

( ٢ ) المصدر السابق : نفس الصفحة .

( ٣ ) الشوكاني : المصدر السابق ص ٣ .

توتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير انك على كل شىء قدير ، تولج الليل فى النهار ، وتولج النهار فى الليل ، وتخرج الحي من الميت ، وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب" (١) .

وفى هذه الآية يذكر الشوكانى : أن الله تعالى مالك جنس الملك على الاطلاق ، فهو مالك العباد وما ملكوا ومالك الدنيا والآخرة ، والعال والعبيد ، والمراد بما يؤتاه من الملك ، وينزعه : هو نوع من أنواع ذلك الملك العام . (٢) .

والملك اما أن يكون هو القدرة ، أو المقدور ، أو كلاهما . يقول ابن تيمية : من لم يقل بقول السلف ، فانه لا يثبت لله قدرة ، ولا يثبت له قادرا ، فالجهمية ومن تابعهم ، والمعتزلة والقدرية المجبرة والنافية : حقيقة قولهم : أنه ليس قادرا وليس له الملك ، فان الملك اما أن يكون هو القدرة ، أو المقدور ، أو كلاهما ، وعلى كل تقدير فلا بد من القدرة ، فمن لم يثبت له القدرة حقيقة لم يثبت له ملكا . (٣) .

كما أنه سبحانه بيده الخير لا بيد غيره ، وذلك الخير دون الشر ، لأن الخير بفضل محض بخلاف الشر ، فانه يكون جزاء لعمل وصل اليه ، ولأن كل شر من حيث كونه من قضاائه سبحانه هو متضمن للخير ، فأنفعاله كلها خير . (٤) .

يقول ابن تيمية : جميع الحوادث كائنة بقضاء الله وقدره ، وقد أمرنا

---

(١) سورة آل عمران : آية : ٤٦ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير ج ١ ص ٣٢٩ .

(٣) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى ج ٨ ص ٣٠ .

(٤) الشوكانى : فتح القدير ج ١ ص ٣٣٠ .

الله سبحانه أن نزيل الشر بالخير ، بحسب الامكان ، ونزيل الكفر  
بالايمان ، والبدعة بالسنة ، والمعصية بالطاعة من أنفسنا ومن عندنا ،  
فكل من كفر أو فسق أو عصى فعليه أن يتوب ، وإن كان ذلك بقدر الله . (١)

وهنا يتقرر من هذه الآية : كما بينه الشوكاني : أن الله تعالى  
فاعل مختار ، وأن كل تصرف يجري في العالم منه وفق مشيئته التي وضعها  
في الكون ، فهو سبحانه مالك الملك الحق ، يعطي الملك لمن يشاء ،  
وينزعه ممن يشاء بمقتضى سنن الله في العطاء والأخذ ، ويعز من يشاء  
بالتوفيق لأسباب العز ، ويذل من يشاء بالخذلان ، وأنه سبحانه بيده  
الأمور كلها خيرا وشرها يعطي ويمنع ويعز ويذل ، وينفع ويضر ، لأنه  
القادر على كل شيء ، إذ القادر هو الذي ان شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل  
فاما من يلزمه المفعول بدون ارادته فهذا ليس بقادر بل ملزوم بمنزلة الذي  
تلزمه الحركات الطبيعية التي لا قدره له على فعلها ولا تركها . (٢)

كما يوءك الشوكاني ذلك التصرف المطلق لله تعالى في ملكه الذي  
لا ينازعه فيه منازع ، وما كان لأحد أن يختار معه لأنه هو الفاعل المختار  
قال تعالى : " وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة " (٣) يقول  
الشوكاني في تفسير الآية : أن الله يخلق ما يشاء أن يخلقه ، ويختار  
ما يشاء أن يختاره - لا يسأل عما يفعل وهم يسألون - وأنه ليس لأحد  
من خلق الله أن يختار ، بل الاختيار الى الله عز وجل . (٤)

---

(١) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى ج ٨ ص ٥٤٧ .

(٢) ابن تيمية : شرح العقيدة الاصفهانية تحقيق حسنين مخلوف ص ٢٥ .

(٣) سورة القصص آية : ٦٨ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ج ٤ ص ١٨٢ .



وهو سبحانه المنفرد بالخلق والاختيار ، وليس له منازع فما شاء كان ،  
وما لم يشأ لم يكن ، والأمر كلها خیرها وشرها بيده ومرجعها اليه . (١)  
وهذا مذهب السلف .

يقول ابن تيمية : ان الله خالق كل شيء وربّه ومليكه وما شاء كان وما لم يشأ  
لم يكن ، فلا يكون في ملكه الا ما شاء ، ولا يكون في ملكه شيء الا بقدرته ،  
وخلقه ومشیئته ، كما دل على ذلك السمع والعقل . وهذا مذهب الصحابة  
قاطبة ، وأئمة المسلمين وجمهورهم ، وهو مذهب أهل السنة . (٢)

و " ما " في قوله تعالى : " وما كان لهم الخيرة " نافية وليست بمعنى  
الذي ، وهذا هو الصحيح كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره ،  
فان المقام في بيان انفراد تعالى بالخلق والتقدير والاختيار . (٣)  
فجميع  
الممكنات مقدرة ومملوكة له تعالى يخرجها من العدم الى الوجود بمقدار  
قدره كيف يشاء ، كما أنه تعالى وضع هذا الوجود على نظام محكم وله سنن  
وقوانين عامة ربط الله تعالى بها الأسباب بمسبباتها كما سيبينه الشوكاني  
في القدر ومبدأ السببية .

### القدر ومبدأ السببية :

أنه يضل في هذا القدر خلق كثير بسبب اهمالهم السنن التي  
ربط الله بها الأسباب بمسبباتها ، فهذا الوجود وضعه الله تعالى  
على نظام محكم ، وله سنن وقوانين عامة ، وكل شيء فيه بمقدار معين ،  
حسبما تقتضيه مشيئته تعالى ، على مقدار حاجة العباد اليه . (٤)

---

(١) ابن كثير : مختصر الصابوني ج ٣ ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى ج ٨ ص ٤٣ .

(٣) ابن الجوزي زاد المسير ج ٦ ص ٢٣٧ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ج ٣ ص ١٢٧ .

ولقد بين القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ما يدل على ذلك ويوضحه .  
قال تعالى : " انا كل شيء خلقناه بقدر " <sup>(١)</sup> وقوله تعالى : " وكل  
شيء عنده بمقدار " <sup>(٢)</sup> وقوله : " وان من شيء الا عندنا خزائنه ، وما ننزله  
الا بقدر معلوم " <sup>(٣)</sup> وغير ذلك من الآيات .

ومن السنة : قوله صلى الله عليه وسلم : " قدر الله مقادير  
الخلايق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على  
الماء " <sup>(٤)</sup> وكما جاء في الحديث : " أن أول ما خلق الله القلم قال له  
أكتب ، قال : وما أكتب ، قال : أكتب ما هو كائن الى يوم القيامة " <sup>(٥)</sup> الى  
غير ذلك من الأحاديث .

يقول الشوكاني : " ان جميع الممكنات مقدورة ومعلوكة له تعالى يخرجها  
من العدم الى الوجود بمقدار كيف يشاء " <sup>(٦)</sup>

كما أنه سبحانه لا يوجد للعباد شيئاً من الأشياء الا متلبساً ذلك  
الايجاد بمقدار معين ، حسبما تقتضيه مشيئته تعالى على مقدار حاجة  
العباد اليه <sup>(٧)</sup> ، وكل ذلك من المخلوقات سبق بها علمه تعالى ، مكتوبة  
في اللوح المحفوظ . يقول الشوكاني : ان كل شيء من الأشياء خلقه الله

- 
- (١) سورة القمر : آية : ٤٩ .  
(٢) سورة الرعد : آية : ٨ .  
(٣) سورة الحجر : آية : ٢١ .  
(٤) الحديث : أخرجه مسلم وأحمد ، ورواه الترمذى بالزيادة ، وقال حسن  
صحيح أنظر ابن كثير : مختصر الصابوني ج ٣ ص ٥٤ أنظر مسلم  
القدر : ١٦ وأنظر الترمذى فى القدر ١٨ ، وأحمد بن حنبل ١٦٩ ، ٢  
(٥) الحديث أخرجه أبو داود فى سننه ١٦ ، والترمذى فى القدر ١٧ ،  
وفى تفسير سورة ٦٨ ، وأحمد بن حنبل ٥ ، ٢١٧ .  
(٦) الشوكاني : فتح القدير ج ٣ ص ١٢٦ .  
(٧) المصدر السابق : ج ٣ ص ١٢٧ .

متلبسا بقدر قدره ، وقضاء قضاء ، سبق في علمه ، مكتوب في اللوح المحفوظ . (١)

واذا كانت هذه الأشياء التي خلقها الله تعالى وقدرها ، وقضاها ، وسبق بها علمه ، وهي مكتوبة عنده في اللوح المحفوظ ، فكيف نجمع بين قوله تعالى : " ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في السماء الا في كتاب من قبل أن نبرأها " (٢) وقوله تعالى : " قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا " (٣) ، وبين ما عارضها في الظاهر من الآيات كقوله تعالى : " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، ويعفوا عن كثير " (٤) وما ورد من الآيات في هذا المعنى ؟

وهنا نجد الشوكاني يبين ويوضح مبدأ السببية في الشريعة الإسلامية ، ويدفع ما يتوهم من التعارض الظاهر بين آيات القرآن الكريم : وذلك بحمل الآيتين الأوليين وما ورد في معناهما على عدم التسبب من العبد بأسباب الخير من الدعاء ، وصلة الرحم ، وسائر الأفعال الصالحة ، وحمل الآية الأخرى وما ورد في معناها على وقوع التسبب من العبد بأسباب الشر المقتضية لاصابة المكروه ووقوعه على العبد ، (٥) ولهذا أمر العباد بالدعاء والاستعانة بالله وغير ذلك من الأسباب ومن قال لا أدعوا ولا أسأل اتكالا على القدر ، كان مخطئا ، لأن الله جعل الدعاء ،

(١) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ١٢٩ .

(٢) سورة الحديد : آية : ٢٢ .

(٣) سورة التوبة : آية : ٣٠ .

(٤) الشوكاني : ولاية الله والطريق اليها تحقيق د . ابراهيم هلال

ص ٤٩٢ - ٤٩٣ .

(٥) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى ج ٨ ص ٧٩ ، ٨٠ .

والسوءال من الأسباب التي ينال بها مغفرته ورحمته وهداه ونصره ورزقه ،  
وما قدره الله وعلمه من أحوال العباد وعواقبهم فانما قدره الله بأسباب ،  
يسوق المقادير الى المواقيت ، فليس في الدنيا والآخرة شيء الا بسبب ،  
والله خالق الأسباب والمسببات . ( ١ )

وأما بالنسبة لما ورد من الأحاديث الدالة على سبق القضاء ، والفراغ  
من تقدير الأجل والأرزاق والسعادة والشقاوة ، وما يتوهم معارضتها  
لما ورد من الأحاديث التي تدل على طلب الدعاء من العبد ، وأن الله  
يجيب دعاءه ، ويعطيه ما سأل ، وأن الدعاء يرد القضاء ونحو ذلك ، فان  
الشوكاني يجمع بين المجموعة الأولى من الأحاديث والمجموعة الثانية ،  
من باب تقييد المسببات بأسبابها ويقول : كما قدر الشيع والرى بالأكل  
والشرب ، وقدر الولد بالوطء ، وقدر حصول الزرع بالبذر ( ٢ ) ، وما اشتمل  
عليه من ترتيب حصول المسببات على حصول أسبابها كثير جدا ( ٣ ) يقول  
ابن القيم الجوزية : وبالأسباب عرف الله ، وبها عبد الله ، وبها أرسل  
رسله وشرع شرائعه وانقسم الناس الى سعيد وشقى ، ومهتد وغوى . ( ٤ )

فأفعال العباد من أقوى الأسباب لما نيظ بها ، بل ما أمر الله به  
من العبادات والدعوات والعلوم والأعمال من أعظم الأسباب ، اما نيظ  
بها من السعادات ، وكذلك ما نهى عنه من الكفر والفسوق والعصيان من  
أعظم الأسباب لما علق بها من الشقاوات . ( ٥ )

---

( ١ ) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى ج ٨ ص ٧٩ ، ٨٠ .

( ٢ ) الشوكاني : ولاية الله ص ٤٩٤ .

( ٣ ) المصدر السابق .

( ٤ ) ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين ج ٣ ص ٤٠٨ .

( ٥ ) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى ج ٨ ص ١٧٦ .

ولما كان هذا القدر قد دخل فيه الوعد والوعيد ، وقال أهل الكلام ،  
وقرر أصحاب الأصول الخمسة من الزيدية وال معتزلة وغيرهم : أنه لو وقع  
غير ما سبق به القلم وفصل به القضاء للزم لازم باطل ، وهو انقلاب العلم  
جهلا ، لتخلف ما حق به القضاء ، كان على الشوكاني أن يحقق هذا الأمر  
ويقول كلمة الحق ، ويبين ذلك بالدلائل القرآنية والأحاديث النبوية  
فيقول : أنهم قصروا أنظارهم على هذا الا لزام ، وغفلوا عن لزوم ما هو أشد  
منه ، وهو أن الرب القادر القوى المتصرف في عالمه بما يشاء ، وكيف شاء ،  
لم يبق له عز وجل الا ما قد سبق به قضاؤه ، ولا يتمكن من تغييره ، ولا من  
نقله الى قضاء آخر - فهذا يعتبر - تقصير عظيم بالجناب العلى عز وجل  
وتعالى وتقدس ، وهو يستلزم اهمال كثير من الأدلة الشرعية من الكتاب  
والسنة . ( ١ )

يقول ابن القيم الجوزية : " ان الدين هو اثبات الأسباب ، والوقوف معها ،  
والنظر اليها ، والالتفاف اليها ، وأنه لا دين الا بذلك ، كما أنه لا حقيقة  
الا به ، فالحقيقة والشرعية مبنيهما على اثباتها ، وهل يمكن حيوانا أن يعيش  
في هذه الدنيا الا بوقوفه مع الأسباب ؟ فكيف وغداؤه بها ، وتنفسه  
في الهواء بها ، ودواؤه بها ، وسعادته وفلاحه بها ، وضلاله وشقاؤه  
بالاعراض عنها ، والغائها ، فالأسباب محل الأمر والنهي ، والثواب  
والعقاب ، والنجاح والخسران . ( ٢ )

والمقصود أن مقالة هؤلاء تستلزم اهمال ما أرشدنا اليه سبحانه  
من التضرع له ، لأنه ليس للداعي الا ما قد سبق به القلم دعا أو لم يدع ،  
فهذا يبطل فائدة الدعاء ( ٣ ) وترك الدعاء من الاستكبار عليه قال تعالى :

---

( ١ ) الشوكاني : ولاية الله ص ٤٧٩ .

( ٢ ) ابن القيم الجوزية : مدارك السالكين ج ٣ ص ٤٠٨ .

( ٣ ) الشوكاني : ولاية الله ص ٤٧٩ .

"أدعوني أستجب لكم" (١) وقال تعالى : "ان الذين يستكبرون عن عبادتي"  
الآية ، وقال : "أم من يجيب المضطر إذا دعاه" (٢) فأخبرنا سبحانه  
أنه يجيب دعوة من دعاه بعد أن أمرنا بالدعاء في آيات كثيرة . . . .  
ومن ذلك ماورد في اجابة دعوة المظلوم على ظالمه ، والأب على ولده ، وورد  
أيضا أن جماعة لايرد دعاءهم ، والأحاديث بذلك صحيحة ثابتة . (٣)

بل قد ثبت أن الدعاء يرد القضاء من حديث سلمان ، أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال : " لايرد القضاء الا الدعاء ولايزيد في العمر  
الا البر" (٤) وحديث عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
" لا يغنى الحذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ، ومما لم ينزل ، وان البلاء  
لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيامة" (٥)

وهكذا بين الشوكاني ما استلزمته مقالة المعتزلة والزيدية من لوازم :  
منها : التقصير العظيم بالجناب العلى ، واهمال كثير من الأدلة الشرعية ،  
واهمال ما أرشدنا الله تعالى اليه من التضرع والدعاء له ، وأن هذا يبطل  
فائدة الدعاء ، وترك الدعاء من الاستكبار عليه .

ولما كان موضوع "أفعال العباد" يرتبط بمسألة الآجال والمحـو

---

(١) سورة غافر : آية : ٦٠ .

(٢) سورة النحل آية : ٦٢ .

(٣) الشوكاني : ولاية الله تحقيق د . ابراهيم هلال ص ٤٨٤ .

(٤) الحديث أخرجه الترمذى وحسنه ، في النذب ٦ ، وابن ماجه

في المقدمة ١٠ ، والفتن ٢٢ ، وأحمد بن حنبل ٢ ، ٥٠٢ ،

٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨ ، ٢٨٢ ، وأنظر الشوكاني : ولاية الله ، ٤٨٤

يقول : أخرجه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم وصححه .

(٥) أخرجه البزار والطبرانى وصححه أنظر الشوكاني : ولاية الله ص ٤٨٤

والاثبات ، كان على الشوكاني أن يبين هذه المسألة والمراد بالذى يمحي ويثبت .

### الآجال والمحو والاثبات :

وجد الشوكاني أمامه آيات القرآن تتكلم عن الآجال والمحو والاثبات نحو قوله تعالى : " يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب " (١) وقوله : " وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب " (٢) ، وقوله تعالى : " ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده " (٣) ويقابل هذه الآيات مجموعة أخرى توهم التعارض نحو قوله تعالى : " فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " (٤) وقوله تعالى : " لن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها " (٥) وقوله : " ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر " (٦)

وقد اختلف المفسرون في المراد بالذى يمحي ويثبت على أقوال كثيرة يقول الشوكاني : وظاهر النظم القرآني العموم في كل شيء مما في الكتاب فيمحوا ما يشاء محوه من شقاوة أو سعادة أو رزق أو عمر أو خير أو شر ، وببديل هذا بهذا ، ويجعل هذا مكان هذا - لا يسأل عما يفعل وهم يسألون - وإلى هذا ذهب عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وأبو وائل وقتادة والضحاك وابن جريج وغيرهم . (٧)

---

(١) سورة الرعد : آية : ٣٩ .

(٢) سورة فاطر : آية : ١١ .

(٣) سورة الانعام : آية : ٢ .

(٤) سورة النحل : آية : ٦١ .

(٥) سورة المنافقون : آية : ١١ .

(٦) سورة نوح : آية : ٤ .

(٧) الشوكاني : فتح القدير ج ٣ ص ٨٨ ، وأنظر ابن الجوزي

زاد البسير ج ٤ ص ٤٠ .

ويؤيد ذلك ما ذكره ابن كثير قال : قال منصور : سألت مجاهدا فقلت :  
 أرايت دعاء أحدنا ، يقول : اللهم ان كان اسمي في السعداء فاثبتته فيهم ،  
 وان كان في الأشقياء فامحه عنهم واجعله في السعداء ، فقال : حسن ،  
 وقال الأعمش عن أبي وائل : أنه كان كثيرا يدعو بهذا الدعاء <sup>(١)</sup> ، وقال  
 ابن جرير : عن أبي عثمان النهدي أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال  
 وهو يطوف بالبيت يبكي : اللهم ان كنت كتبت على شقوة أو ذنبا فامحه ،  
 فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، فاجعله سعادة ومغفرة . <sup>(٢)</sup>

ومعنى هذه الأقوال : أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها ، ويثبت  
 منها ما يشاء ، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الامام أحمد ، عن ثوبان  
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان الرجل ليحرم الرزق  
 بالذنوب يصيبه ، ولا يرد القدر الا الدعاء ، ولا يزيد في العمر الا البر " <sup>(٣)</sup>  
 والمراد من الآية : أنه تعالى يحو ما يشاء مما في اللوح المحفوظ فيكون  
 كالعدم ، ويثبت مما فيه فيجرى فيه قضاءه ، وقدره على حسب ما تقتضيه مشيئته .  
 وهذا لا يناقض ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من قوله : " جف القلم " <sup>(٤)</sup>  
 وذلك لأن المحو والاثبات هو من جملة ما قضاه الله سبحانه .  
 ومعنى ذلك : أنه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب ، أى اللوح  
 المحفوظ ، وأن للانسان أجلين يقضى الله سبحانه بما يشاء منهما من زيادة  
 أو نقص .

(١) ابن كثير : مختصر الصابوني ج ٢ ص ٢٨٦ .

(٢) المصدر السابق :

(٣) الحديث : أخرجه الامام أحمد ٥٠٢/٢ ، ٢٧٧/٥ ، وأنظر

ابن كثير مختصر الصابوني تخريجه : رواه أحمد والنسائي وابن ماجه

• وأنظر الشوكاني ولاية الله ص ٤٨٤ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ج ٣ ص ٨٨ .



وأما بالنسبة لمجموعة الآيات من مثل قوله تعالى : " ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر " <sup>(١)</sup> وأخواتها في هذا المعنى . يقول الشوكاني فيها : أقول : اذا حضر الأجل فانه لا يتقدم ولا يتأخر ، وقبل حضوره يجوز أن يؤخر بالدعاء أو بفعل الخير أو بصلة الرحم ، ويجوز أن يقدمه لمن عمل شرا ، أو قطع ما أمر الله به أن يوصل ، وانتهك محارم الله سبحانه . <sup>(٢)</sup>

ولما كان هذا الموضوع يتعلق بالأمر والنهي ، وداخل في الخلق والأمر ، فرق الشوكاني بين الكونيات والدينيات .

#### الفرق بين الكونيات والدينيات :

وقد فرق الشوكاني بين ما وقع فيه الاشتباه وأخطأت طوائف من الناس ، فلم يفرقوا بين الكونيات والدينيات التي جاءت في القرآن الكريم ، من الإرادة والأمر والأذن ، والقضاء ، والبعث ، والجعل ، والحقيقة الكونية والدينية .

فذكر الشوكاني : أن الفرق بين هذه الأمور واضح ، فالله تعالى له الخلق والأمر " الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين " <sup>(٣)</sup>

فهو سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه لا خالق غيره ، ولا رب سواه ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وكل ما في الوجود من حركة وسكون بقضائه وقدره ، وإرادته وخلقته ، وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسوله ، ونهى عن الشرك بالله سبحانه ، وأمر بالعدل والاحسان ، وإيتاء ذى القربى ، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، وهو يكره ما نهى عنه كما قال : " كل

---

(١) سورة نوح : آية : ٤ .

(٢) الشوكاني : ولاية الله تحقيق د . ابراهيم هلال ص ٤٩١ .

(٣) سورة الاعراف : آية : ٥٤ .

ذلك كان سيئه عند ربك مكروها (١) » (٢) .

يقول الشوكاني والمعنى : كل ما نهى الله عنه كان سيئة ، وكان مكروها ، والمراد بالمكروه عند الله هو الذي يبغضه ولا يرضاه ، لا أنه غير مراد مطلقا ، لقيام الأدلة القاطعة على أن الأشياء واقعة بإرادته سبحانه . (٣)

يقول ابن تيمية : لفظ الارادة يحتمل له معنيان : فيقصد به المشيئة لما خلقه ، ويقصد به المحبة والرضا لما أمر به . وقد ذكر الله في مواضع أنه يريد ها ، وفي مواضع أنه لا يريد ها .

والمراد بالأول : أنه شاء ها خلقا ، والثاني : أنه لا يحبها ولا يرضاها أمرا . (٤)

وبناء على ذلك بين الشوكاني أن الارادة الكونية ، والامر الكوني ، هي مشيئته لما خلقه من جميع مخلوقاته انفسهم وجنهم ، مسلمهم وكافرهم ، حيوانهم وجمادهم ، ضارهم ونافعهم ، أما الارادة الدينية والامر الديني : هي محبته المتأولة لجميع ما أمر به وجعله شرعا ودينا .

وعلى ذلك يكون ما خلقه الله وقدره وقضاه فهو يريده ، وان كان لا يأمر به ولا يحبه ولا يرضاه ، ولا يثيب عليه ، ويكون ما أمر به وأحبه وشرعه ورضيه وأحب فاعله وأثابهم وأكرمهم عليه ، فهو الذي يحبه ويرضاه . (٥)

وبهذه التفرقة التي وضحتها الشوكاني بين الكونيات والدينيات أصبح لاحجة لاهل المعاصي في الاحتجاج بالقدر ومن ظن من الطوائف أن القدر حجة لهم فقد أخطأ وغلط غلطا بينا واقتدى بأهل الكفر الذين حكى الله

---

(١) سورة الاسراء : آية : ٣٨ .

(٢) الشوكاني : ولاية الله تحقيق د . ابراهيم هلال ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ج ٣ ص ٢٢٨ .

(٤) ابن تيمية : مجموع الفتاوى الكبرى ج ٨ ص ١٥٩ .

(٥) الشوكاني : ولاية الله ص ٢٦٩ .

عنهم أنهم قالوا : " لو شاء الله ما أشركنا ، ولا آباؤنا ولا حرمانا من شيء " (١)

يقول ابن الجوزي : جعلوا هذا حجة لهم في اقامتهم على الباطل ، فكأنهم قالوا : لو لم يرض مانحن عليه ، لحال بيننا وبينه ، وانما قالوا لهم لأنهم تعلقوا بالمشيئة ، وتركوا الأمر ، ومشئة الله تعم جميع الكائنات ، وأمره لا يعم مراداته ، فعلى العبد اتباع الأمر ، وليس له أن يتعلل بالمشيئة بعد ورود الأمر (٢) ، فمن احتج بالقدر على المعاصي فحجته داحضة ، ومن اعتذر به فعذره غير مقبول . (٣)

يقول الشوكاني : لو كان القدر حجة لم يعذب الله سبحانه المذنبين للرسول ، كقوم نوح وعاد وثمود ، وقوم فرعون وغيرهم ، ولم يأمر بأقامة الحدود ، ولا يحتج أحد بالقدر الا اذا كان متبعا لهواه بغير هدى من الله ، ومن ظن ذلك فعليه أن لا يذم كافرا ، ولا عاصيا ، ولا يفرق بين من يفعل الخير ومن يفعل الشر ، وهذا خلاف ما تقتضيه عقول العقلاء ، وما تقتضيه كتب الله المنزلة ، وما تقتضيه كلمات أنبياء الله عليهم السلام ، فلا تمسك بعقل ولا شرع (٤) ، فعلى العبد أن يوءمّن بالقدر ، وليس له أن يحتج به على الله ، فلا يمان به هدى ، والا حتاج به على الله ضلال وغى ، بل الايمان بالقدر يوجب أن يكون العبد صابرا شكورا . (٥)

---

(١) سورة الأنعام : آية : ١٤٨ .

(٢) ابن الجوزي : زاد المسير ج ٣ ص ١٤٥ .

(٣) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى ج ٨ ص ٢٤١ .

(٤) الشوكاني : ولاية الله ص ٢٧٥ .

(٥) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى ج ٨ ص ٢٣٧ .

## الارادة الانسانية :

قرر الاسلام أن الانسان خلق مزودا بقوى وملكات ، واستعدادات ، وهذه القوى يمكن أن توجه الى الخير ، كما يمكن أن توجه الى الشر ، فالله تعالى خلق النفس مسوآه ومعتدلة ، قابلة للتقوى والفجور ، ومستعدة للخير والشر ، قال تعالى : " ونفس وما سواها ، فآلهمها فجورها — وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها " (١)

يقول الشوكاني : خلقها وسوى أعضائها ، فآلهمها " فجورها وتقواها " أى عرفها وأنهمها حالهما ، وما فيهما من الحسن والقبح ، فعرفها طريق الخير وطريق الشر - كما قال : " وهدينا النجدين " - قال ابن زيد : جعل فيها ذلك بتوفيقه إياها للتقوى ، وخذلانه إياها بالفجور (٢) ، واختار هذا الزجاج وحمل الإلهام على التوفيق والخذلان ، قال الواحدى : هذا هو الوجه لتفسير الإلهام ، فان التبيين والتعليل والتعريف دون الإلهام ، والإلهام أن يوقع نى قلبه ويجعل فيه (٣) ، وقال : وهذا صريح نى أن الله خلق نى المؤمن تقواه ، ونى الكافر فجوره فقد فاز من زكى نفسه ، وأنماها وأعلاها بالتقوى بكل مطلوب ، وظفر بكل محبوب ، وخسر من أضلها وأغواها وأخفاها وأخطأها ولم يشهدا بالطاعة والعمل الصالح . (٤)

قال ابن الجوزى : فان قلنا : ان الفعل لله ، فمعنى " دساها " : خذلها ،

(١) سورة الشمس : آية : ١٠ .

(٢) سورة البلد : آية : ١٠ .

(٣) ابن الجوزى : زاد المسير ج ٩ ص ١٤٠ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ٤٤٩ .

(٥) المصدر السابق : نفس الصفحة .

وأخفى محلها ( بالكفر والمعصية ) ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح .

وان قلنا : الفعل للانسان ، فمعنى " دساها " : أخفاها بالفجور والمعصية ، قال ابن قتيبة : فكأن المتهم بارتكاب الفواحش دس نفسه ، وقمعها ، ومصطنع المعروف شهر نفسه ورفعها . ( ١ )

قال ابن كثير : ويحتمل أن يكون المعنى : قد أفلح من زكى نفسه ، وقد خاب من دس الله نفسه ، كما قال ابن عباس . ( ٢ )

وبذلك بين الشوكاني أن الله تعالى أودع في نفس الانسان خصائص القدرة على ادراك الخير والشر ، والهدى والضلال ، والحق والباطل ، ليختار أيهما شاء ، ففي طبيعته هذا الاستعداد المزدوج لسلوك أى الطريقين شاء ، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير ، وما هو شر ، وقادر على توجيه نفسه الى الخير والشر على السواء ، وهذه القدرة كامنة في نفسه ، تارة عبر عنها القرآن بالالهام ، " فألهمها فجورها وتقواها " وتارة بالهداية " وهديناه النجدين " ( ٣ ) والآيات القرآنية والتوجيهات النبوية توقظ هذه الاستعدادات وتوجهها ، ولكنها لا تخلق الاستعداد خلقا جديدا ، لأنها مخلوقة فطرة ، وكائنة طبعاً ، وكائنة الهاماً ، أضف الى ذلك أن الله تعالى خلق في الانسان قوة مدركة ، فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعداد الخير

---

( ١ ) ابن الجوزى : زاد المسير ج ٩ ص ١٤٣

( ٢ ) هذا القول عن ابن عباس ورد به حديث مرفوع : " أفلحت نفسى زكاها الله عز وجل " أخرجه ابن أبى حاتم ولكن اسناده ضعيف .  
أنظر ابن كثير مختصر الصابوني ج ٣ ص ٦٤٤ .

( ٣ ) ابن الجوزى : زاد المسير ج ٩ ص ١٤٠ .

فيها ، وتغليبه على استعداد الشرف قد أفلح وأنجح ، ومن ظلم هذه القوة الواحية المدركة وخباها وأضعفها فقد خاب وخسر ، والله تعالى أعان الانسان بالرسالات التي تضع له الموازين الثابتة ، وتكشف له عن موجبات الايمان ودلائل الهدى . ( ١ )

ولما كانت هذه النفس عرضة للتغيير والتبديل والتأثر ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بقوله : " اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها " ( ٢ )

هذا وقد ورد من الآيات القرآنية الكثير مما يقرر حرية الانسان ، واسناد العمل الصالح والعمل السيء له ، وأنه مسئول عن تهذيب نفسه ، واصلاحها ، حتى تصل الى كمالها ، كما تقرر الآيات أن الشرور التي تعرض للانسان انما هي أثر من آثار عمله ونتائج اختياره وتصرفه . ومن هذه الآيات :

قوله تعالى : " بل الانسان على نفسه بصيرة " ( ٣ ) ، وقوله : " كل نفس بما كسبت رهينة " ( ٤ ) ، وقوله تعالى : " كل امرئ بما كسب رهين " ( ٥ ) ، وقوله : " من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد " ( ٦ ) وقوله : " ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون " ( ٧ ) وقوله تعالى : " ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت أيديكم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد " ( ٨ )

( ١ ) المصدر السابق : ص ١٤١ .

( ٢ ) الحديث رواه مسلم وأحمد بن حنبل عن زيد بن أرقم رضي الله عنه .

( ٣ ) سورة القيامة : آية : ١٤ .

( ٤ ) سورة المدثر : آية : ١٨ .

( ٥ ) سورة الطور : آية : ٢١ .

( ٦ ) سورة فصلت : آية : ٤٦ .

( ٧ ) سورة الروم : آية : ٤١ .

( ٨ ) سورة الانفال : آية : ٥٠ ، ٥١ .

قال الشوكاني عن تفسير هذه الآيات الأخيرة : الباء في قوله :  
" بما قدمت أيديكم " سببية ، أي أن ذلك واقع بسبب ما كسبتم من المعاصي ،  
واقترنتم من الذنوب " وأن الله ليس بظلام للعبيد " أي والأمر أنه  
لا يظلمهم ، لأنه سبحانه قد أرسل اليهم رسله ، وأنزل كتبه ، وأوضح  
لهم السبيل ، وهداهم النجدين ، كما قال سبحانه : " وما ظلمناهم  
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " (١) (٢)

قال ابن الجوزي : الله تعالى : لا يظلم عباده بعقوبتهم على الكفر وان  
كان كرههم بقضائه ، لأنه مالك ، فله التصرف في ملكه كما يشاء فيستحيل  
نسبة الظلم إليه ، (٣) لأنه تعالى الحكم العدل الذي لا يجور ، تبارك  
وتقدس الغنى الحميد (٤) ، ولهذا جاء في الحديث القدسي الصحيح :  
" يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظلموا ،  
يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيها لكم ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ،  
ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه " . (٥)

كما بين الشوكاني أن تبديل نعم الله ، ورفعها ، وانزال العقاب  
والعذاب محلها راجع الى أسباب هي : كقران نعم الله ، وعطأ احسانه ،  
واهمال أوامره ونواهيه كما قال تعالى : " كذأب آل فرعون والذين  
من قبلهم كفروا بآيات الله ، فأخذهم الله بذنوبهم ، ان الله قووى

---

(١) سورة النحل : آية : ١١٨ :

(٢) الشوكاتى : فتح القدير ج ٢ ص ٣١٨ .

(٣) ابن الجوزي : زاد المسير ج ٣ ص ٣٧٠ .

(٤) ابن كثير : مختصر الصابوني ج ٢ ص ١١٣ .

(٥) الحديث رواه مسلم في " صحيحه " ١٩٩٤/٤ عن أبي ذر الغفارى

رضى الله عنه وأنظر ابن كثير مختصر الصابوني ج ٢ ص ١١٣ ،

وأنظر زاد المسير ج ٣ ص ٣٧٠ .

شديد العقاب ، ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وأن الله سميع عليم (١) ، "

فهنا أخبر تعالى عن تمام عدله وقسطه في حكمه ، بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد الا بسبب ذنب ارتكبه ، كصنعة آل فرعون وأمثالهم حين كذبوا بآياته ، أهلكهم بسبب ذنوبهم ، وسلبهم تلك النعم التي أسداها اليهم من جنات وعيون ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، وما ظلمهم الله في ذلك بل كانوا هم الظالمين " (٢) .

فكان ذلك العقاب متسبب عن كفرهم ، وتغييرهم ما بأنفسهم من الأحوال والأخلاق ، بكفران نعم الله ، وغفل احسانه ، واهمال أوامره ونواهيهِ . (٣)

وهذا الذي وضحه الشوكاني مما قررته آيات القرآن هو ما يشعر به الانسان من نفسه ، فهو يشعر بأنه يمارس أعماله الارادية بمحض ارادته واختياره ، فلو لم يكن مختارا لما توجه اليه الذم على فعل ما هو ضار ، ولما توجه اليه المدح على فعل ما هو نافع .

بل لو لم يكن مختارا لما كان ثمة فرق بين المحسن والمسيء ، ولبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اذ لا فائدة لهما حيث أن الانسان مسلوب الارادة ، ولما كان ثمة معنى لتكليف الله للعباد . (٤)

---

(١) سورة الأنفال : آية : ٥٣ .

(٢) ابن كثير : مختصر الصابوني ج ٢ ص ١١٣ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص ٣١٨ .

(٤) السيد سابق : العقائد الاسلامية ص ١٠٤ .



وعلى ضوء ما تقدم من رأى الشوكانى والمفسرين من علماء السلف ، فى  
أن العبد يخلق أفعال نفسه ، وله حرية اختيار يُفرق بين أفعال الله  
وأفعال العباد . .

### أفعال الله تعالى وأفعال العباد :

قد فرق الشوكانى فى قضية أفعال العباد ، تفرقة  
حاسمة بين كونها مخلوقة ومفعولة للرب ، وبين كونها نفس فعله الذى هو  
مصدر فعل يفعل فعلا ، اذا قام به الفعل اتصف به .  
فان أفعال العباد هى فعل للعبد حقيقة بمعنى المصدر ، لأنها  
قائمة به حقيقة ، والعبد متصف بها حقيقة ، لأنه فاعل للظلم ،  
ومرتكب للشرور ، وليست هذه الأفعال فعلا للرب ، بهذا المعنى ، بل  
هى مخلوقة له ، مفعولة للعبد ، يقول ابن تيمية : والعباد فاعلون حقيقة ،  
والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ،  
والعصلى والصائم ، وللعباد قدرة على أعمالهم ، ولهم ارادة ، والله  
خالقهم وقد رتبهم وارادتهم<sup>(١)</sup> . فمن قال : خلق الرب تعالى لمخلوقاته ليس  
هو نفس مخلوقاته ، قال : ان أفعال العباد مخلوقة كسائر المخلوقات ،  
ومفعولة للرب كسائر المفعولات ، ولم يقل أنها نفس فعل الرب وخلقها ، بل  
قال : أنها نفس فعل العبد ، وعلى هذا تزول الشبهة ، فانه يقال الكذب  
والظلم ونحو ذلك من القبائح يتصف بها من كانت فعلا به كما يفعلها  
العبد ، وتقوم به ، ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له اذا كان قد جعلها  
صفة لغيره .

---

(١) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس

ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى ج ٨ ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

ومن هنا يعلم أن تأثير قدرة العبد في مقدورها ، كتأثير سائر الأسباب في مسبباتها ، فكما أن المسببات لا تحصل إلا بأسبابها ، فكذلك أفعال العباد لا تقع إلا بقدرتهم ، وقدرة العبد ليست مستقلة في التأثير كسائر الأسباب ، بل تحتاج الى العون وما يدفع العائق . يقول الشوكاني في تفسيره قوله تعالى : " لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين " <sup>(١)</sup> "أعلمهم سبحانه أن المشيئة في التوفيق إليه ، وأنهم لا يقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله وتوفيقه" <sup>(٢)</sup> ، ومثل هذا قوله سبحانه : " وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله " <sup>(٣)</sup> وقوله : ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله <sup>(٤)</sup> " وقوله : " انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء " <sup>(٥)</sup> ، والآيات القرآنية في هذا المعنى كثيرة . <sup>(٦)</sup>

فهنا بين الشوكاني أن مشيئة البشر ليست مستقلة عن مشيئة الله ، فما صح وما استقام لنفس أن تؤمن بالله إلا بإذنه ، وتسهيله وتيسيره ، ومشيئته لذلك فلا يقع غير ما يشاؤه كأئنا ما كان . <sup>(٧)</sup>

- 
- (١) سورة التكوين : آية : ٢٩ .  
 (٢) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ٣٩٢ .  
 (٣) سورة يونس : آية : ١٠٠ .  
 (٤) سورة الانعام : آية : ١١١ .  
 (٥) سورة القصص : آية : ٥٦ .  
 (٦) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ٣٩٢ .  
 (٧) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

يقول ابن كثير فى قوله : " ما كانوا يؤمنوا الا أن يشاء الله " (١)  
أى أن الهداية اليه لا اليهم بل يهذى ويضل من يشاء وهو الفعال لما  
يريد " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " لعلمه وحكمته وسلطانه وقهره  
وغلبته ، وهذه الآية كقوله تعالى : " ان الذين حقت عليهم كلمة ربك  
لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم " (٢) (٣)

فبين سبحانه أن وقوع الايمان بمشيئته لا كما ظنوا أنهم متى شاءوا  
آمنوا ، ومتى شاءوا لم يؤمنوا (٤) .

ومعنى هذا أن الانسان لا يشاء شيئا الا اذا كان فى حدود مشيئة  
الله و ارادته سبحانه .

ولما أطال المتكلمون الخصام فى تفسير الهداية والاضلال ، وفى  
نسبته الى الله سبحانه ، كان على الشوكانى أن يبين ذلك ويوضحه  
ويرد على المعتزلة والزيدية ومن نحا نحوهم الذين جعلوا اسناد الاضلال  
الى الله مجازا .

### الهداية والاضلال :

وضح الشوكانى أن الهداية والاضلال نتائج لمقدمات ،  
ومسببات الأسباب ، فلا يتنافى هذا مع كون العبد مختارا ، وله ارادة ،  
واسناد الهداية والاضلال الى الله من حيث أنه وضع نظام الأسباب  
والمسببات ، لا أنه جبر الانسان على الضلالة أو الهداية .

---

(١) سورة الانعام : آية : ١١١ .

(٢) ابن كثير : مختصر الصابونى ج ١٠ ص ٦٠٩ .

(٣) ابن الجوزى : زاد المسير ج ٣ ص ١٠٢ .

(٤) الشوكانى : فتح القدير ج ١ ص ٥٧ .

يقول الشوكاني : قد أطال المتكلمون الخصام في تفسير الضلال ، وفي  
نسبته الى الله سبحانه ، فصاحب الكشف اعتمد على عصاه التي يتوكأ عليها  
في تفسيره ، فجعل اسناد الاضلال الى الله ، من الاسناد المجازي (١) ،  
وذلك لأن الختم على قلوبهم وضعها من وصول الحق اليها قبيح عنده  
يتعالى الله عنه في اعتقاده ، ولو فهم قوله تعالى : " فلما زاغوا عن الله  
قلوبهم " وقوله : " ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة " (٢)  
وما أشبه ذلك من الايات الدالة على أنه تعالى ، انما ختم على قلوبهم  
وحال بينهم ، وبين الهدى جزاء وثاقا على تماديهم في الباطل وتركهم الحق ،  
وهذا منه سبحانه حسن وليس بقبيح . (٤)

كما وضع الشوكاني المراد بالختم والغشاوة في قوله تعالى : " ختم  
الله على قلوبهم ، وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب أليم " (٥)  
فقال : هما المعنويان لا الحسيان : أي لما كانت قلوبهم غير راعية لما وصل  
اليها ، والأسماع غير مودعة لما يطرقها من الآيات البينات الى العقل  
على وجه غير مفهوم ، والابصار غير مهتدية للنظر في مخلوقاته ، وعجائب  
مصنوعاته ، جعلت بفضل المختوم عليها ختما حسيا ، والمستوثق منها  
استيثاقا حقيقيا ، واسناد الختم قد احتج به أهل السنة على المعتزلة ،  
وحاولوا دفع هذه الحجة بمثل ما ذكره الزمخشري في الكشف . (٦)

(١) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٥٧ .

(٢) سورة الصف : آية : ٥ .

(٣) سورة الانعام آية : ١١٠ .

(٤) ابن كثير : مختصر الصابوني ج ١ ص ٣٢ .

(٥) سورة البقرة آية : ٧ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٣٩ .

يقول الشنقيطي رحمه الله في كتابه " دفع ابهام الاضطراب عن آيات الكتاب " : هذه الآية تدل بظاهرها على أنهم مجبورون ، لأن من ختم على قلبه وجعلت الغشاوة على بصره سلبت منه القدرة على الايمان ، وقد جاء في آيات أخر ما يدل على أن كفرهم واقع بمشيئتهم وارادتهم ، كقوله تعالى : " فاستجبوا للعمى على الهدى <sup>(١)</sup> " ، وكقوله : " أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة <sup>(٢)</sup> " ، وغير ذلك من الآيات .

والجواب : أن الختم والطبع والغشاوة المفعولة على أسماعهم وأبصارهم وقلوبهم ، كل ذلك عقاب من الله لهم على مبادرتهم بالكفر وتكذيب الرسل باختيارهم ومشيئتهم ، فعاقبهم الله بعدم التوفيق جزاء وفاقا ، كما بينه الله تعالى بقوله : " بل طبع الله عليها بكفرهم <sup>(٣)</sup> " وقوله : ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم <sup>(٤)</sup> " وقوله : " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم <sup>(٥)</sup> " وقوله : " بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون " الى غير ذلك من الآيات . <sup>(٦)</sup>

قال الشوكاني عن قتادة في هذه الآية قال : أطاعوا الشيطان فاستحوذ عليهم فختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، فهم لا يبصرون هدى ، ولا يسمعون ، ولا يفقهون ، ولا يعقلون . <sup>(٧)</sup>

(١) سورة فصلت : آية : ١٧ .

(٢) سورة البقرة : آية : ١٦ .

(٣) سورة النساء : آية : ١٥٥ .

(٤) سورة المنافقون آية : ٣ .

(٥) سورة الصف : آية : ٥ .

(٦) الشنقيطي : دفع ابهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص ١٠ .

(٧) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٤٠ .

قال ابن جرير فى معنى الختم : والحق عدى فى ذلك ما صح نظيره  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان المؤمن اذا اذنب ذنباً كان  
نكتة سوداء فى قلبه ، فان تاب ونزع واستعجب صقل قلبه ، وان زاد زادت حتى  
تغلق قلبه <sup>(١)</sup> " فذلك الران الذى قال الله - كلا بل ران على قلوبهم  
ماكانوا يكسبون <sup>(٢)</sup> " <sup>(٣)</sup>

قال الشوكانى : قال الفراء : هو أنها كثرت منهم المعاصى والذنوب ،  
فأحاطت بقلوبهم ، قال الحسن : هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب ،  
قال أبو معاذ النحوى : الرين أن يسود القلب من الذنوب ، والطبع أن  
يطبع على القلب وهو أشد من الرين ، والاققال أشد من الطبع <sup>(٤)</sup> .  
ومن هذه الاخبار تعلم أن الذنوب اذا تتابعت على القلوب أغلقتها ،  
واذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من الله سبحانه والطبع ، فلا يكون اليها  
سلك ولا لكفر منها مخلص ، فذلك هو الختم الذى ذكره الله فى قوله :  
" ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم " ذكره ابن جرير . <sup>(٥)</sup>

---

(١) الحديث رواه الترمذى وقال حديث صحيح ، ولفظ النسائى " أن العبد  
اذا أخطأ خطيئة نكت فى قلبه نكتة سوداء ، فان هونزع واستغفر  
وتاب صقل قلبه ، فان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه ، فهو الران الذى  
قال الله تعالى : " كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون " .  
الترمذى : ج ٥ ص ٤٣٤ رقم ٣٣٣٤ . (٢) سورة المطففين : آية : ٤٤ .

(٣) الشوكانى : فتح القدير ج ١ ص ٤٠ .  
(٤) الشوكانى : فتح القدير ج ٥ ص ٤٠٠ .  
(٥) ابن كثير : مختصر الصابونى ج ١ ص ٣٢ وأنظر المصدر السابق  
ج ١ ص ٤٠ .

فيتضح من ذلك أن سبب الاضلال هو الزيغ والخروج عن تعاليم الله ، والكبر والجبروت ، والتعالى على الناس بغير الحق ، ونقض عهد الله ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، والفساد في الأرض ، والكفر واقتراف الآثام .<sup>(١)</sup> وبذلك يتضح أمانا منهج الشوكاني ومذهبه في أفعال العباد ، فلم يكن جبريا ، ولا معتزلا ولا مع أحد من الزيدية في مذهبهم ، بل كان معتدلا مستقيما على طريق السلف الصالح ، معتصما بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، مثبتا للقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى ، ذكر أن للعبد حرية واختيار في أفعاله ، لكنه لا يشاء شيئا حتى يشاء الله تعالى ، سائر على مذهب السلف في مسائله ودلائله التي سنتكلم عليه بعد قليل .

#### مذهب السلف في أفعال العباد :

وضحت السلفية مذهبها في القدر وأفعال العباد ، وهو ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من أن الله تعالى هو الخالق لكل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها . وأن مشيئته تعالى عامة شاملة لجميع الكائنات ، فلا يقع منها الابتلاك المشيئة ، وأن خلقه سبحانه الأشياء بمشيئته إنما يكون لما علمه منها بعلمه القديم ، ولما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ . كما توءم من السلفية أن للعباد قدرة وإرادة تقع بها أفعالهم ، وأنهم الفاعلون حقيقة لهذه الأفعال بمحض اختيارهم ، وأنهم لهذا يستحقون عليها الجزاء والمدح والمثوبة أو الذم والعقوبة . كما تعتقد السلفية أن نسبة هذه الأفعال إلى العباد لا ينافي نسبتها

---

(١) سيد سابق : العقيدة الإسلامية ص ١٠٨ .

(١) الى الله ايجادا وخلقاً ، لأنه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها .  
فكانت السلفية الذين يمثلون مذهب أهل السنة والجماعة ، واعتصموا  
وتمسكوا بما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، حاكمة ومضللة لكل من خرج على  
هذا الضهج كالجبرية الذين يقولون بالغاء الحرية الانسانية ، فهو لا  
أثبتوا القدر وقصروا في الأمور النهي ، واحتجوا بالقدر على المعاصي والشرور ،  
واتهموا ربهم بالظلم ، وتكاليف العباد بما لا قدرة لهم عليه .

كما ضللت السلفية الذين زاغوا وحادوا عن الصواب كالمعتزلة والزيدية  
الذين تسموا بأهل العدل والتوحيد ، فأثبتوا الحرية الانسانية المطلقة ،  
فأنكروا بذلك القضاء الازلي ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .<sup>(٢)</sup>

كما ناقشت السلفية ما احتج به أهل الجبر والاعتزال فيما ذهبوا اليه ،  
وبينت ما ينبغي أن يفهم من الآيات التي تسند الفعل الى الله مثل قوله  
تعالى : " فعّال لما يريد " <sup>(٣)</sup> وقوله : " يضل من يشاء ويهدي من يشاء " <sup>(٤)</sup>  
وقوله تعالى : " الله خالق كل شيء " <sup>(٥)</sup> وقوله : " وما رميت اذ رميت ولكن  
ولكن الله رمى " <sup>(٦)</sup>

وقالوا : نفى الله عن نبيه الرمي ، وأثبتته بنفسه سبحانه ، فدل على أنه  
لا صنع للعبد ، وقالوا : والجزاء غير مرتب على الأعمال لقوله صلى الله عليه  
وسلم : " لن يدخل أحد الجنة بعمله " ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ،

(١) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس ص ١٣٦ ،  
١٣٧ وأنظر ابن تيمية الارادة والأمر مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ٣٥٦ ، ٣٥٧

(٢) محمد السيد الجلندي : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .  
وأنظر ابن تيمية : الارادة والأمر مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ٣٥٧ .

(٣) سورة البروج : آية : ١٦ .

(٤) سورة النحل : آية : ٩٣ .

(٥) سورة الزمر : آية : ٦٢ .

(٦) سورة الأنفال : آية : ١٧ .



قال : ولا أنا ، الا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل . (١)

كما وضحت السلفية المطلوب من الآيات التى تسند عمل العبد الى نفسه ، واستدل  
بها المعتزلة والزيدية على الحرية المطلقة للانسان كقوله تعالى : " من يحمل سوء ايجزيه " (٢)  
وقوله : " اعملوا ما شئتم " (٣) وقوله تعالى : " تبارك الله أحسن الخالقين " (٤)  
فقالوا : الجزاء مرتب على الأعمال ترتب العوض كما قال تعالى " جزاء بما كانوا يعملون " (٥)  
وقوله : " وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون " (٦)

رأت السلفية أن كلا الطائفتين من الجبرية والمعتزلة والزيدية لم تصب الحق الذى  
كان عليه السلف الصالح ، فادلة الحق لا تتعارض ، لأن الحق يصدق بعضهم بعضاً ، لذلك فهى  
ترى أن كل دليل صحيح يقيمه الجبرية ، فانما يدل على أن الله خالق كل شىء ، وأنه على  
كل شىء قدير ، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته ، وأنه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .  
ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل فى الحقيقة ولا مريد ولا مختار . (٧)

كما أن كل دليل يقيمه القدرى أو المعتزلة والزيدية فانما يدل على أن العبد فاعل  
لفعله حقيقة ، وأنه مريد له حقيقة ، وأن اضافته ونسبته الى الله اضافة حق ، ولا يدل على  
أنه غير مقدور لله تعالى وأنه واقع بخير مشيئته وقد رته .

فإن اضم مامع كل منهما من الحق الى حق الأخرى ، فانما يدل ذلك على أن ما دل عليه  
القرآن ، وسائر كتب الله المنزلة من عموم مشيئة الله وقد رته لجميع ما فى الكون من الأعيان  
والأفعال ، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة ، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم ،  
وهذا واقع فى نفس الأمر . (٨)

(١) الحديث رواه البخارى فى الرقائق ١٨ ، ومسلم فى المنافقين ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ،  
ورواه ابن ماجه فى الزهد ٢٠ ، والدارمى فى الرقائق ٢٤٠ ، وأحمد بن حنبل ٢٣٥ / ٢  
٢٥٦ .

(٢) سورة النساء : آية : ١٣٣ .

(٣) سورة المؤمنون آية : ١٤ .

(٤) سورة الاعراف : آية : ٤٢ .

(٥) سورة السجدة : آية : ١٧ .

(٦) سورة الاعراف : آية : ٤٢ .

(٧) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ٢ ص ٢١٦ .

(٨) المصدر السابق : ص ٢١٦ .

وبذلك قررت ما دل عليه القرآن والسنة من تعميم ارادة الله سبحانه ،  
واثبات القدرة الانسانية ، فان عموم الارادة الالهية والقدرة الكونية وشمولها  
لكل شىء ثابتة بالنصوص مضافت عليها ، كما أن القدرة الانسانية ثابتة  
بالنصوص وبالحس والشعور ، ولا سبيل لانكار ما ثبت بالنص وما يحس ويشعر  
به ، ولا حجة لمن يحتج بالقدر .

يقول ابن تيمية : ليس لأحد أن يحتج فى الذنوب بقدر الله تعالى ، بل  
عليه ألا يفعلها ، وإذا فعلها فعليه أن يتوب منها كما فعل آدم ، ولهذا  
قال بعض الشيوخ اثنان أذنبوا ذنبا ، ابليس وآدم ، فأدم تاب فتاب عليه  
الله ، واختاره وهداه ، وابليس أصر واحتج بالقدر ، فمن تاب من ذنبه  
أشبه أباه آدم ، ومن أصر واحتج بالقدر أشبه ابليس . (١)

كما يتقرر فيما ذهبت اليه السلفية أن العبد فاعل لكذبه وظلمه  
وعدله يقول ابن تيمية : من المستقر فى نظر الناس أن من فعل العدل فهو  
عادل ، ومن فعل الظلم فهو ظالم ، ومن فعل الكذب فهو كاذب ، فإذا لم  
يكن العبد فاعلا لكذبه وظلمه وعدله ، بل الله فاعل ذلك ، لزم أن يكون  
الله المتصف بالكذب والظلم ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . (٢)

كما وفقت السلفية بين سلطان الله الكامل على كل شىء وعموم ارادته ،  
وبين كون الانسان فاعلا مختارا كما وفقت بين ارادة الله للمعاصى مع النهى  
عنها ، وكذلك وفقت بين عدل الله الكريم وجزائه للمحسن الذى وفق له  
السبيل الى الخير وعقابه للمسىء الذى حرمه ذلك التوفيق .

يقول ابن تيمية : ان الله خالق الأشياء كلها بالأسباب التى خلقها ،  
والله خلق العبد بارادة وقدرة يكون بها فعله ، فالعبد فاعل لفعله حقيقة ،

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة ج ١ ص ٢٦٩ .

(٢) ابن تيمية : الرسائل والمسائل ج ٥ ص ٣١٦ تحقيق مجموعة من العلماء .

فقول أهل السنة في خلق الفعل بإرادة وقدره من الله كقولهم في خلق  
سائر الحوادث بأسبابها . (١)

فإن الأشياء التي تعلقت بها إرادة العبد تكون مخلوقة لله من حيث  
نسبة كل شيء إليه بالفعل أو بالسبب ، ومن ينكر ذلك فقد أنكر الأسباب ،  
وإن أراد ذات التعلق فذلك باطل لأنه صفة للعبد . يقول ابن تيمية :  
إن القائل إذا قال : هذه التصرفات فعل الله وفعل العبد ، إن أراد فعل  
الله بمعنى المصدر فهذا باطل باتفاق المسلمين ، وإن أراد بها أنها  
مفعولة مخلوقة لله كسائر المخلوقات فحق . (٢)

ومن هنا لا يوصف الله بأنه فاعل للمعاصي ، بل الذي يوصف بها من  
تعلقت به مريدا مختارا بما خلقه الله فيه .

يقول ابن تيمية : إذا كان الله قد خلق لون الإنسان لم يكن هو  
المتلون به ، وإذا خلق رائحة منتنة أو طعما مرا أو صورة قبيحة ، ونحو  
ذلك ، لم يكن هو متصفا بهذه المخلوقات القبيحة المذمومة (٣) ويوضح ذلك  
وبينه ابن القيم الجوزية بقوله : تقع الحركة بقدره العبد وإرادته التي جعلها  
الله فيه ، فالله سبحانه وتعالى إذا أراد فعل العبد خلق الله القدرة  
والداعي إلى فعله ، ويضاف الفعل إلى قدرة العبد إضافة السبب إلى سببه ،  
ويضاف إلى قدرة الرب إضافة المخلوق إلى الخالق .

فالمقدور واقع الحادثة وقوع السبب بسببه والسبب والمسبب والفاعل والآلة  
كله أثر القدرة القديمة ولا تعطل قدرة الرب سبحانه وتعالى عن شمولها

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢٧٠ .

(٢) ابن تيمية : الرسائل والمسائل ج ٥ ص ٣١٨ تحقيق مجموعة من العلماء .

(٣) المصدر السابق ج ٥ ص ٣١٩ .

وكمالها وتناولها لكل شىء ، وليس الوجود شىء مستقل بالتأثير سوى مشيئة الرب سبحانه وقدرته ، وكل ما سواه مخلوق له وهو أثر قدرته ومشيئته ، ومن أنكر ذلك لزمه اثبات خالق سوى الله سبحانه وتعالى بوجود مخلوق لا خالق له . (١)

كما وفقت السلفية بين ارادة الله المعصية والنهى عنها وعدم تلازم الأمر مع النهى ، فالله تعالى قد يأمر بالشىء ويقع ويكون بارادته ، والذي لا يتلاقى مع المعصية هو المحبة ، فهو سبحانه لا يجب المعاصى ولا يرضاها ، لكن المحبة والرضى يلزمان الأمر ، أما الارادة فهي لا تلازم الأمر ، فالمحبة وصف له سبحانه ، وهى شىء غير الارادة الكونية ، والمحبة هى الارادة الدينية .

يقول ابن تيمية : جمهور أهل السنة من جميع الطوائف يفرقون بين الارادة والمحبة والرضا ، فيقولون : أنه وإن كان يريد المعاصى سبحانه لا يحبها ولا يرضاها ، بل يبغضها ويسخطها ، وينهى عنها ، وهو لا يفرقون بين مشيئة الله وبين محبته ، وهذا قول السلف قاطبة . (٢)

كما وفقت السلفية بين عدل الله عز وجل وبين هداية الله للمهتدى ان سار فى طريق الهداية ، وتركه للجاحد من غير هداية ، فانه ليس من الظلم أن يخص الله أحد عبده بتوفيقه لطريق الخير واعانته عليه اذا اختار سلوكه ، وتركه للجاحد المعاند فى غيه يعمه ، مادام كل منهما مختارا مريدا لما يفعل ، وهو حر شاعر بالحرية .

يقول ابن تيمية : الله تعالى غنى عن العباد انما أمرهم بما ينفعهم ، ونهاهم عما يضرهم ، فهو محسن الى عباده بالأمر لهم ، محسن باعانتهم

(١) ابن قيم الجوزية : شفاء العليل ص ، وأنظر تاريخ الجدل

ص ١٩٦ لابی زهرة .

(٢) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢٦٦ ، ومجموعة الرسائل

والمسائل ج ٥ ص ١٥٢ .

على الطاعة . . . فان أعان الله على فعل المأمور كان قد أتم النعمة على المأمور ، وهو مشكور على هذا ، وان لم يعنه وخذله حتى فعل الذنب كان له في ذلك حكمة أخرى .<sup>(١)</sup>

كما بينت السلفية في تعليل أفعال الله تعالى : أنه تعالى لا يفعل الا الصالح لانه متصف بكل كمال ، والكمال لا يعمل الا الصالح وعلى ذلك لا تنفى السلفية الحكمة في الأفعال الالهية والأوامر والنواهي الدينية ، فهي لحكمة يعلمها الله الذى خلق كل شئ ، فأتقن خلقه ، ولا يلزم أن يعلمها كل الناس أو بعضهم ، وانما يعلم كل الناس أو بعضهم من حكمته ما يظلمهم عليه ، وربما يعلمون ذلك ، ويجب الايمان بأن الامور العامة التى يفعلها تكون لحكمة ، كإرسال الرسل عامة ، وإرسال محمد صلى الله عليه وسلم خاصة كما قال تعالى : " وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " <sup>(٢)</sup>

فكل ما خلق الله سبحانه ، وكل أوامره ونواهيته ، وبعثه الرسل وأشرائعه المنزلة ، كل هذا لنفع الناس ، ودفع الضر عنهم ، وان حصل ضرر بالبعض ، فانه لجلب النفع للمجموع ، أو لدفع ضرر أعظم وأكبر ، يقول ابن تيمية : وانما حصل من الضرر لهم ، أمر مغمور فى جنب ما حصل من النفع ، كالمطر الذى عم نفعه ، اذا خرب به بعض البيوت أو احتبس به بعض المسافرين ونحوهم ، وما كان نفعه عاما كان خيرا مقصودا ورحمة محبوبة ، وان تضرر به بعض الناس <sup>(٣)</sup> وكذا القصاص وإقامة الحدود وقتل الكفار فانه ينشر بالنسبة اليهم لا من وجه بل من وجه دون وجه ، وخير بالنسبة الى غيرهم لما فيه من مصلحة

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢٦٦ .

(٢) سورة الأنبياء : آية : ١٠٧ .

(٣) ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل تحقيق مجموعة من العلماء ج ٥ ص ٢٩٥ .

الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض ، وكذلك الآلام والأمراض وإن كانت شرورا من وجهه فهي خيرات من وجوه عديدة ، فالخير والشر من جنس اللذة والألم ، والنفع والضرر وذلك في المقضى المقدر لافى نفس صفة الرب وفعله القائم به ، فإن قطع يد السارق شرموا لم ضار له وأما قضاء الرب ذلك وتقديره عليه عدل خير وحكمة ومصلحة .  
(١)

### أفعال العباد عند الزيدية :

تجعل الزيدية كالمعتزلة العدل أصل من أصولها الخمسة ، وتعنى به : أن الله عدل فى جميع أفعاله ، لا يظلم ولا يجور ، ولا يكلف الناس فوق ما يستطيعون ، ولم يخلق الظلم ولا الجور ، ولم يرد الظلم والفساد ، ولا يقضى بظلم ولا جور ، ولا فساد ولا معصية ، بل يترك للانسان حرية الاختيار ، وحرية خلق أفعاله ليكون مسئولاً عنها ، محاسباً عليها ، ان خيراً فخير ، وان شراً فشر .

وتتأقضى بذلك الزيدية أقوال المجبرة التى تجعل الانسان ريشة فى مهب الرياح ، لا ارادة لها ولا اختيار ، خاضعة للقضاء والقدر فى كل ما تفعل ، لا حول لها ولا طول ، كل أعمالها استسلام لما تقضى به الاقدار .

يقول الامام الهادى : أنه عدل فى جميع أفعاله ، ناظر لخلقه ، رحيم بعباده لا يكلفهم مالا يطيقون ، ولا يسألهم مالا يجدون ، وأنه لم يخلق الكفر ، ولا الجور ، ولا الظلم ، ولا يأمر بهما ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يظلم العباد ، ولا يأمر بالفحشاء ، وذلك أنه من فعل شيئا من ذلك أو أراد ، أو رضى به فليس بحكيم ، ولا رحيم .  
(٢)

(١) ابن القيم الجوزية : شفاء العليل ، ص ٢٦٦ .

(٢) على محمد زبيد : معتزلة اليمن ص ١٢٢ .

كما تقول الزيدية : أنه عدل حكم لا يفعل القبيح كالظلم والعبث والكذب ، ولا يخل بالواجب وأفعاله كلها حسنة <sup>(١)</sup> . . . . . والله يرى من أفعال العباد <sup>(٢)</sup> .

وتسير الزيدية في اثبات هذا الأصل على وفق وهدي منهجها الذي يدعم مسائلها الكلامية بآيات من القرآن الكريم .

كما ذكر الحاكم الجشمي أن قومه — الزيدية — أجمعوا في باب العدل على أن الله تعالى منزّه عن كل قبيح ، فهو من فعل غيره من العباد ، وأنه لا يريد القبيح ولا يرضاه وأن أفعال العباد حادثة من جهتهم ، وأنه أزاح عنهم باعطاء الآلة والقدرة قبل الفعل ، وأنه لا يكلف العباد ما لا يطيقون ، ولا يعذب من غير ذنب <sup>(٣)</sup> .

وتستدل الزيدية على هذه المسائل بالأدلة النقلية والعقلية :

أما النقلية : فمثل قوله تعالى : " ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى \* وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى " <sup>(٤)</sup> وقوله : " وإذا قتلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى " <sup>(٥)</sup> وقوله : " قل ان الله لا يأمر بالفحشاء " أتقولون على الله ما لا تعلمون \* قل أمر ربي بالقسط " <sup>(٦)</sup>

(١) شرح الثلاثين مسألة المخطوط بالمكتبة المركزية ، وأنظر يحيى الهادى المنزلة بين المنزلتين ورقة ٧٥ ، وأنظر تاريخ الفرقية الزيدية د . فضيلة عبد الأمير ص ٣٢١ .

(٢) رسائل العدل والتوحيد : ج ٢ ص ٧١ ، ٧٢ تحقيق د . محمد عمارة .

(٣) د . عدنان زرزور : الحاكم الجشمي منهجه في التفسير ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٤) سورة النحل : آية : ٩٠ .

(٥) سورة المائدة : آية : ١٠٦ .

(٦) سورة الأعراف : آية : ٢٨ .

فيقول الزيدية : لا يأمر بالعدل ، وهو غير متصف به ، فالعدل والاحسان من الله تعالى ، والظلم والعدوان ضمن عمل الشيطان وفعل الانسان ، والله من ذلك بربى .<sup>(١)</sup>

ومن أدلتهم العقلية : قولهم : والدليل على أن الله عدل حكم : أن الله تعالى عالم بقبح القبيح ونهى عن فعلها وعالم باستغنائها وعن الاخلال بالواجب ، وكل من علم قبح القبائح واستغنى عن فعلها — وعن الاخلال بالواجب ، فانه لا يفعل القبيح ولا يخل بالواجب ، وهذا معلوم بالشاهد عند كل عاقل .<sup>(٢)</sup>

كما تتفق الزيدية مع المعتزلة في أن أفعال العباد حادثة من جهتهم ، وأن الانسان هو محدث أفعاله ، وفاعلها ، ولا محدث له ولا فاعل سواء ، وذلك أن الفعل يقع من العبد بحسب قصده ودواعيه .

كما تردد الزيدية حجج المعتزلة في حرية الارادة من كون الله ليس خالقاً لأفعالنا ، والا كان مقدوراً بين قدرتين ، ولكان الله قادراً بقدرته محدثة ، وفي أن الاستطاعة قبل الفعل وأنها تصلح للضدين .<sup>(٣)</sup>

كما تفسر الزيدية معنى " القضاء " في آيات القرآن بمصطلحها الذي ينتهى الى أنه يأتي على ثلاثة وجوه ، بمعنى العلم بما سيكون كما جاء في قوله تعالى : " وقضينا الى بنى اسرائيل لتفسدن في الأرض مرتين " الآية ،<sup>(٤)</sup> وبمعنى الأمر كما في قوله : " وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه " ،<sup>(٥)</sup> وبمعنى

---

(١) يحيى الهادى : المنزلة بين المنزلتين نقلا عن تاريخ الفرقة الزيدية ص ٣٢٠

(٢) شرح الثلاثين مسألة : المخطوط بالمكتبة المركزية وأنظر القاضي عبد الجبار

شرح الأصول الخمسة تحقيق عبد الكريم عثمان ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٣) د . أحمد محمود صبحي : الزيدية ص ٢٧٩ .

(٤) سورة الاسراء : آية : ٤ .

(٥) سورة الاسراء : آية : ٢٣ .



(١) الخلق والاحداث كما في قوله تعالى : " فقضاهن سبع سموات في يومين " (١)

وقد ذهبت الى هذه المعانى ، لكى لاتقول : أن الله يقضى على

خلقه بمعصية ، ثم يعذبهم عليها ، فهذا محال ، باطل من المقال . (٢)

كما تستقصى الزيدية معنى " القدر " فى القرآن كما فى قوله تعالى :

" وكان أمر الله قدرا مقدورا " (٣) وقوله : " قدرنا بينكم الموت " (٤) وقوله

تعالى : " وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه " (٥) .

فنقول : ان قدر الله أمره بالطاعة ، وليس أمره بالمعصية ، والمعصية منسوبة

الى العصاة ، لأنهم ارتكبوها بعدما نهاهم عنها . (٦)

وبذلك يصير الانسان وفقا لفهوم الزيدية خالق لأفعاله ، اختارها

بارادته ، لم يخلقها الله ، ولم يفعلها ، اذ لا يمكن لله أن يدخل عباده

فى سبب من الاسباب أرادها ، ثم يعذبهم ويعاقبهم فيه ، ان هذا الا جور  
الجور من الفعل . (٧)

كما ترى الزيدية أن قبح الاشياء يدرك بواسطة العقل لا بواسطة الشرع ،

ويعنون على هذه القاعدة أن الله لا يكلف أحدا من عباده مالا يطيقه . (٨)

وتستدل على ذلك بقوله تعالى : " لا يكلف الله نفسا الا وسعها " (٩)

فالوسع دون الطاقة ، كما تستدل على ذلك بالعقل : وذلك أن تكليف

مالا يطاق قبيح عند كل عاقل ، وكذلك كما يعلم قبح تكليف الضرير نكس

(١) سورة فصلت : آية : ١٢ .

(٢) رسائل العدل والتوحيد : تحقيق د . محمد عمارة ج ٢ ص ١٠٨ .

(٣) سورة الاحزاب : آية : ٣٨ .

(٤) سورة الواقعة : آية : ٦٠ .

(٥) سورة الفجر : آية : ١٦ .

(٦) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٧٤ .

(٧) المصدر السابق : نفس الصفحة .

(٨) البحر الزخار : ٥٩/١ ، وأنظر رسائل العدل والتوحيد ص ٧٨ .

(٩) سورة البقرة : آية : ٢٨٦ .

المصحف . . . ونحو ذلك فهذا معلوم قبحه ، وقد ثبت أن الله لا يفعل  
(١) القبيح .

كما تفرق الزيدية بين أفعال الله وأفعال الانسان . فما كان من فعل  
الله فليس من أفعال الانسان ، وما كان من أفعال الانسان فليس من أفعال  
الله ، لأن أفعال العباد تحدث بالحركات والانتقال ، وبذل الجهد ،  
وتأليف شئ الى شئ ، أو فعل شئ عن شئ ، سواء بالأيدي أو باستخدام  
أدوات الانتاج ووسائله ، وأفعال الله كائنة عندما يريد لها بلا تخيل ولا  
حركات ولا تأليف شئ الى شئ ، بالألف والعمالات . (٢)

وتجهد الزيدية نفسها كي تثبت : أن كل ما يحدثه الانسان في اطار  
شروط الحياة التي يحييها ، إنما هو من صنعه وفعله ، وخلقها وابداعه .  
وبذلك حددت الزيدية أن كل ما يراه الناس من ثمرات لفعل الانسان في  
الحياة ، إنما هو من خلقه .

أما المواد الأولية التي استخدمها الانسان ، في الصنع والخلق ، وكذلك مادة  
هذا العالم ، وأجرام هذا الكون هي من صنع القوة الالهية . (٣)

وبهذا وضع جليا أن الزيدية آمنت بحرية العباد حرية مطلقة ، ويرون  
أنهم هم الذين يخلقون أفعالهم ، وأن أفعالهم حسناتها وقبحها منهم . (٤)  
ويستدلون على ذلك بأدلة عقلية ونقلية :

أما النقلية : قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لما تقولون ما لا تفعلون " (٥)

- 
- (١) البحر الزخار : ج ١ ص ٦٣ وأنظر شرح الثلاثين مسألة المخطوط .  
(٢) الهادي يحيى بن الحسين : رسائل العدل والتوحيد تحقيق د . محمد  
عمارة ج ٢ ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .  
(٣) المصدر السابق : ج ٢ ص ٦ - ٩ .  
(٤) البحر الزخار : ج ١ ص ٦٣ وأنظر مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٤٨ .  
(٥) سورة الصف : آية : ٢ .

وقوله : " **وتخلقون احكاما** ... (١) " وذلك يدل على أنها منهم لا من الله .

أما العقلية : فيقولون : لو أن هذه الأفعال كانت من الله تعالى لم يحسن منه أمرهم بالطاعات ولا نهيمهم عن المعاصي ، كما لو أن الوانهم وصورهم لما كانت خلقا لله تعالى فيهم ، لم يحسن أمرهم بشئ منها ولا نهيمهم عن شئ منها ، فلما علمنا أن الله أمرهم بالطاعات ونهاهم عن المعاصي ، دل ذلك على أن أفعال العباد منهم لا من الله تعالى .  
(٢)

وفي اطار الحرية الانسانية نجد الزيدية قد ناقشت الكثير من القضايا الحيوية ، كقضايا الضلال والهدى ، وما يتبع ذلك من مسائل ، كالطبع والختم ، والوقر والأكمة ، والاغراء والاغواء ، وقضايا الاقتصاد والرزق ، وكذلك قضايا الأجل والموت والقتل ،

كما ناقشت المقدر والمكتوب ، والمقصود باللوح المحفوظ والكتاب المسطور ، وموضوع القسمة والنصيب وغير ذلك .

كما اعتبرت الزيدية الآيات التي يفيد ظاهرها الجبر ، آيات متشابهة ، ومشت على مذهبها تواءم الآيات تأويلات مختلفة حتى يتسنى لها اثبات مبدأ العدل وحرية الانسان ، وفي كل ذلك تفند آراء الجبرية وتبين ضلالها ، وتتصر مذهب العدل والتوحيد عليها .

### فالهداية عند الزيدية :

تنقسم الى قسمين : هدى مبتدأ ، وهدى مكافأة .

أما الهدى المبتدأ : فقد هدى الله به البار والفاجر ، وهو العقل ، والرسول ، والكتاب لقوله تعالى : " وأما شعور فهديناهاهم فاستجبوا العمى على الهدى " (٣)

---

(١) سورة العنكبوت : آية : ١٢ .

(٢) شريف الشين صالح : زيد بن علي وآراؤه . الاعتقادية رسالة ماجستير بجامعة

أم القرى ص ٢٢٨ .

(٣) سورة فصلت : آية : ١٧ .

وأما هدى المكافأة : فيكون بمعنى زيادة البصيرة وتنوير القلب

بزيادة العقل ، مصداقا لقوله تعالى : " والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم " (١) .

فهذا جزاء على العمل ومكافأة على الفعل (٢) .

ونفسر الزيدية الضلالة في قوله تعالى : " يضل من يشاء ويهـدى من يشاء " (٣) وفي قوله : " ويضل الله الظالمين " (٤) وأمثالهما بمعنى : أن الله يوقع عليهم اسم الضلالة ويدعوهم به بعد العصيان والطغيان ، لا أنه يغويهم عن الصراط المستقيم كما أغوى وأضل فرعون قومه بدليل تكملة الآية : " كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون " (٥) .

والفتنة تقع عند هم بمعنى المحنة كما في قوله تعالى : " ان هـى الافتنتك نضل بها من نشاء " (٦) أى ان هـى الا محنتك توقع اسم الضلال على من ضل بعد هذه المحنة ، كما تقع الفتنة بمعنى الاختيار ، وتقع بمعنى الاضلال ، وبمعنى العذاب في قوله تعالى : " يوم هم على النار يفتنون " (٧) .

وفي قضية الأرزاق : رأيت الزيدية : أن الحلال الذى يحل للانسان تناوله والتمتع به هو رزق الله لهذا الانسان ، وقدره له وقضى له به ، أما الحرام

---

(١) سورة محمد : آية : ١٧ .

(٢) يحيى بن الحسين : رسائل العدل والتوفيق تحقيق د . محمد

عمارة ج ١ ص ٩٦ .

(٣) سورة الجاثية : آية : ٢٣ .

(٤) سورة ابراهيم : آية : ٢٧ .

(٥) سورة الأنعام : آية : ١٢٥ .

(٦) سورة الرعد : آية : ٦ .

(٧) سورة الذاريات آية : ١٣ .

الذى ليس من حقه فهو اغتصاب ، وسرقة حدثت من الانسان دون قضاء  
من الله بها أو تقدير . ( ١ )

وفى قضية الآجال : اعتقدت الزيدية أن موت الانسان موتا طبيعيا يأتى  
لأجل حدده الله وقضاءه ، أما موته بالقتل أو الانتحار فهو اقترفه الانسان  
ضد أخيه الانسان أو ضد نفسه ، لم يقض الله به ، وإنما نهى عنه وحذر  
مرتكبه العقاب الشديد ، وفى ذلك تقول الزيدية : ان الله حين نهى  
عن قتل الانسان لأخيه الانسان ، وعن قتل نفسه ، كان يعلم أن الانسان  
قادر على القيام بهذا العمل ، والا لما كان النهى عن أعمال لا يستطيع  
الانسان عملها أو اثباتها أى معنى ، وقد فرق الله فى القرآن بين القتل  
والعوت ، فكان القتل من عباده ، والعوت من الله عز وجل حتما . ( ٢ )

وهكذا تبنى الزيدية على رأيها فى قوله تعالى : " وما خلقت  
الجن والانس الا ليعبدون " ( ٣ ) أن الله خلق العباد للعبادة ، ولم  
يخلقهم للمعصية ، ويبينون على ذلك أن الله عز وجل لم يقض بالمعاصى  
ولم يقدرها لأنها جور باطل ، والله لم يقض جورا وباطلا ، مستدلين  
بقوله تعالى : " ان الحكم الا لله يقضى الحق " ( ٤ ) فهم يقولون : أن  
الأنبياء يكرهون المعاصى من العباد ، والشياطين يريدونها ، فلو كان  
الله تعالى يريد ما من العباد لكان الأنبياء قد خالفوا مراد الله . ( ٥ )

وغاية ما انتهى اليه الزيدية فى عدل الله تعالى ، أن الله  
لا يفعل القبيح ولا يختاره ، وأنه لا يخل بما هو واجب عليه ، وأن أفعاله

---

( ١ ) المصدر السابق : ج ٢ ص ١٤ - ١٦ .

( ٢ ) الهادى : رسائل العدل والتوحيد ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٨ .

( ٣ ) سورة الذاريات : آية : ٥٦ .

( ٤ ) سورة الأنعام : آية : ١٥٧ .

( ٥ ) شرح الثلاثين مسألة ، وكتاب العدل والتوحيد وفى الشبه عن الواحد المجيد .

كلها حسنة ، ويرتبون على ذلك القول : أن العبد هو الخالق لأفعاله لا الله عز وجل .  
وقد أطلت في بيان آراء الزيدية في مسألة أفعال العباد ، وأطنبت في سرد أقوالهم وأدلتهم العقلية والعقلية ليعرف من لم يعرف عنهم هذا المعتقد الفاسد الذي خالفوا به ما كان عليه سلف الأمة الصالح ، والآن نناقش هؤلاء الزيدية بين يدي الشوكاني والسلفية .

### مناقشة الشوكاني للزيدية :

سبق أن بينت أن الزيدية مشت وراء المعتزلة ، فأثبتوا الحرية الانسانية المطلقة ، وقالوا : لا يجوز أن يكون الظلم والشور والآثام مراد لله ، ولا مخلوقة له لأن ذلك قبيح ، والله منزّه عن القبيح ، فأنكروا بذلك القضاء الأزلي ، وأنه ماشاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، وفرقت بين أفعال الله وأفعال الانسان ، فما كان من فعل الانسان فليس من أفعال الله ، فرأت أن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم حسننها وقبيحها ، ورأت أن قبح الأشياء وحسنها يدرك بواسطة العقل ، فبينت على هذه القاعدة أن الله لا يكلف أحدا من عباده مالا يطيقه ، لأن هذا معلوم قبحه ، والله لا يفعل القبيح .

وتكلمت في قضايا الضلال والهدى ، والآجال والأرزاق ، واعتبرت الآيات التي يفيد ظاهرها الجبر آيات متشابهات ، فأولت الآيات التي تتعارض في ظاهرها مع الحرية الانسانية ، وذهبت بها كل مذهب حتى تتفق وتتسق مع منهجها الكلامي وأصولها الخمسة .

واجه الشوكاني جميع أقوال الزيدية المعتزلة في مبدأ العدل وحرية الانسانية مواجهة السلف لأهل الكلام والجهمية والجبرية والمعتزلة ، وناقش أقوالهم ، ونقد مسالكهم على ضوء منهج القرآن والسنة ، مبينا أن أدلة الحق لا تتعارض لأنه يصدق بعضه بعضا .

## مناقشة الشوكاني للزيدية :

وستكون المناقشة بين الشوكاني والزيدية فى عدة مقاصد :

أولا : فى أن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى :

وقالت الزيدية والمعتزلة : أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة العبد وحدها فيقولون : " ان الله عدل حكم لا يفعل القبيح كالظلم والعبث والكذب ، ولا يخل بالواجب ، وأفعاله كلها حسنة <sup>(١)</sup> . . . والله بربى من أفعال العباد <sup>(٢)</sup> " وذلك لأن الله منزّه عن كل قبيح فهو من فعل غيره من العباد وأن أفعال العباد حادثة من جهتهم ، وأنه أزاح عنهم باعطاء الآلة والقدرة <sup>(٣)</sup> ، كما بينت ذلك بالتفصيل فيما سبق أنظر ص ٣٠٠ - ٣٠٢ .

ويرى الشوكاني كما ترى السلفية أن هؤلاء الزيدية والمعتزلة ما أصابوا ما كان عليه سلف الأمة فى الايمان بالقدر ، الذى يتضمن الايمان بعموم مشيئة الله تعالى ، وأن أفعال العباد من الطاعات والمعاصى واقعة بتلك المشيئة العامة ، كما يتضمن الايمان بأن جميع الأشياء واقعة بقدرة الله تعالى وأنها مخلوقة له لا خالق لها سواء كما قال تعالى : " والله خلقكم وما تعملون " <sup>(٤)</sup> (٥)

يقول الشوكاني : " ان جميع الممكنات مقدورة ومملوكة له تعالى ، يخرجها من العدم الى الوجود بمقدار كيف يشاء " <sup>(٦)</sup> كما أن كل شىء

- 
- (١) شرح الثلاثين مسألة : المخطوط بالمكتبة المركزية ، وأنظر يحيى الهادى المنزلة بين المنزلتين ورقة ٧٥ .  
(٢) رسائل العدل والتوحيد : ج ٢ ص ٧١ ، ٧٢ تحقيق د . محمد عمارة .  
(٣) د . عدنان زرزور - الحاكم الجسمى و منهجه فى التفسير ج ١٨٠ - ١٨١  
(٤) سورة الصافات : آية : ٩٦ .  
(٥) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس ص ١٣٣ - ١٣٤  
(٦) الشوكاني : فتح القدير ج ٣ ص ١٢٦ .

- (٣) د . عدنان زرزور - الحاكم الجسمى و منهجه فى التفسير ج ١٨٠ - ١٨١  
(٤) سورة الصافات : آية : ٩٦ .  
(٥) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس ص ١٣٣ - ١٣٤  
(٦) الشوكاني : فتح القدير ج ٣ ص ١٢٦ .

من الأشياء خلقه الله متلبسا بقدر قدره ، وقضاء قضاءه ، سبق في علمه ، مكتوب في اللوح المحفوظ <sup>(١)</sup> ، ومعنى ذلك أن مشيئته تعالى متناولة لكل موجود ، فلا خروج لكائن عن مشيئته ، كما لا خروج له عن علمه ، وكل موجود خلقه ، وإيجاده وتكوينه بقدره الله ، فانه لا خالق الا الله ، والله خالق لكل شيء .

كما أن نفى القدر وإخراج أفعال العباد عن قدرة الباري ، وجعلهم مستقلين بها مستغنيين عنه طعن في ربوبية المعبود وملكوته ، ونسبته الى العجز ، ووصفه بما لا يستحق الالهية ولا يتصف بها مما لا يبيد ولا يعيد ولا يغنى عنك شيئا ، تعالى ربنا وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون <sup>(٢)</sup> . فأنفعال العباد التي صاروا بها مطيعين وعصاه ، هي مخلوقة لله تعالى ، والحق سبحانه منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه <sup>(٣)</sup> . وعلى ذلك يكون المذهب الحق الذي كان عليه السلف واعتنقوه الشوكاني ودافع عنه ضد المبتدعين هو الايمان بالقدر خيره وشره من الله . وشمول قدرة الله وإرادته ، وأن الله خلق سبحانه العبد ، وكل ما فيه من قوى ، وأن العبد يفعل ما يشاء بقدرته ومشيئته . يقول ابن تيمية في ذلك : وما ينبغي أن يعلم أن مذهب سلف الأمة مع قولهم : الله خالق كل شيء ، وأنه خلق العبد هلوفا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ونحو ذلك - أن العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدرة ، قال تعالى : " لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين " <sup>(٤)</sup> وقال : " ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ،

---

(١) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ١٢٩ .

(٢) الحكمي : معارج القبول ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٣) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس ص ١٠٩ .

(٤) سورة التكوين : آية : ٣٠ .



وما تشاءون الا أن يشاء الله <sup>(١)</sup> (٢)

وبهذا تعمم ارادة الله ، وثبتت القدرة للانسان ، وعموم الارادة  
الالهية والقدرة الكونية وشمولها لكل شىء ثابت بالنصوص التي مضافت على اثباتها .  
كما أن القدرة الانسانية ثابتة بالحس والشعور ، ولا سبيل لانكار ذلك ،  
وليس لأحد أن يحتج في الذنوب بقدر الله تعالى بل عليه أن لا يفعلها  
وإذا فعلها فعليه أن يتوب منها ، كما فعل آدم ، ومن أصر واحتج  
بالقدر أشبه ابليس <sup>(٣)</sup> .

ثانيا : أنه تعالى مرید لجميع الكائنات غير مرید لما لا يكون :

أما أنه مرید للكائنات ، فلأنه خالق الأشياء كلها . قال تعالى :  
" الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين " <sup>(٤)</sup> وكل ما في الوجود  
من حركة وسكون بقضائه ، وقدره ، وارادته وخلقه ، وهو سبحانه أمر  
بالعدل والاحسان ، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، وهو يكره ما نهى  
عنه <sup>(٥)</sup> ، والمراد بالمكروه عند الله ، هو الذى يبغضه ، لا أنه غير مراد  
مطلقا ، لقيام الأدلة القاطعة ، على أن الأشياء واقعة بارادته سبحانه <sup>(٦)</sup> ،  
وهذه مقالات أهل الحق .

وقالت الزيدية بالا جماع في باب العدل : على أن الله تعالى  
منزه عن كل قبيح ، فهو من فعل غيره من العباد ، وأنه لا يريد القبيح

(١) سورة الانسان : آية : ٣٠ .

(٢) ابن تيمية : الرسائل والمسائل ص ١٤٢ .

(٣) ابن تيمية : منهاج السنة ج ١ ص ٢٦٩ .

(٤) سورة الاعراف : آية : ٥٤ .

(٥) الشوكانى : ولاية الله ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٦) الشوكانى : فتح القدير ج ٣ ص ٢٢٨ .

ولا يرضاه ، وقد ذهب الى هذه المعاني ، لكى لا تقول : أن الله يقضى على خلقه بمعصية ، ثم يعذبهم عليها ، فهذا محال باطل من المقال <sup>(١)</sup> . ولذلك تقول الزيدية : ان قدر الله أمره بالطاعة ، وليس أمره بالمعصية ، والمعصية منسوبة الى العصاء ، لأنهم ارتكبوها بعد ما نهاهم عنها . <sup>(٢)</sup>

وعلى ذلك لا يمكن لله أن يدخل عباده فى سبب من الأسباب أرادها ، ثم يعذبهم ويعاقبهم فيه ، ان هذا الا جور الجور من الفعل . <sup>(٣)</sup>

فهم على ذلك كالمعتزلة تماما ، الذين قالوا ليس الكفر مرادا لله ، فلو كان مرادا لله ، لكان فعله موافقة لمراد الله تعالى ، فيكون طاعة ، مثابا به ، وأنه باطل ضرورة <sup>(٤)</sup> ، كما تقول : ولو كان الكفر مرادا لله تعالى ، لكان واقعا بقضائه ، والرضا بالقضاء واجب ، فكان الرضا بالكفر واجب . <sup>(٥)</sup>

ويرد على هؤلاء الزيدية بمقالات أهل الحق :

يقول الشوكانى : ما خلقه الله وقدره وقضاه فهو يريد ، وان كان لا يأمر به ولا يحبه ولا يرضاه ولا يثيب عليه ، ويكون ما أمر به وأحبه وشرعه ورضيه ، وأحب فاعله وأثابهم عليه ، فهو يحبه ويرضاه . <sup>(٦)</sup>

---

(١) رسائل العدل والتوحيد تحقيق د . محمد عمارة ج ٢ ص ١٠٨ .

(٢) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٧٤ .

(٣) المصدر السابق

(٤) المواقف للإيجي : ص ٣٢١ .

(٥) المصدر السابق : ص ٣٢٢ .

(٦) الشوكانى : ولاية الله ص ٢٦٩ ( بتصرف ) .

فالارادة الكونية ، والأمر الكونى : هى مشيئته لما خلقه من جميع مخلوقاته انفسهم وجنهم ، مسلمهم وكافرهم ، حيوانهم وجمادهم ، ضارهم ونافعهم ، أما الارادة الدينية والأمر الدينى : فهى محبته المتناولة لجميع ما أمر به وجعله شرعا ودينا . ( ١ )

والعصاة الذين قالوا : لو لم يرض مانحن عليه - من المعاصى والشرك لحال بيننا وبينها ، لاجرة لهم لأنهم تعلقوا بالمشيئة ، وتركوا الأمر ، ومشية الله تعم جميع الكائنات ، وأمره لا يعم مراداته ، فعلى العبد اتباع الأمر ، وليس له أن يتعلل بالمشيئة بعد ورود الأمر . ( ٢ )

فيعلم من ذلك أن مشيئة الله عامة نافذة ، وأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو الذى وفق أهل الطاعة لطاعته ، فأطاعوه ، ولو شاء لخذلهم فنعصوه ، وأنه تعالى حال بين الكفار وقلوبهم ، فانه تعالى يحول بين المرء وقلبه فكفروا به ، ولو شاء لوفقهم فأمنوا به وأطاعوه . ( ٣ )

وعلى ذلك يكون لا منافاة بين ما ثبت من عموم مشيئته سبحانه لجميع الأشياء ، وبين تكليفه العباد بما شاء من أمر ونهى ، فان تلك المشيئة لاتنافى حرية العبد واختياره للفعل ، ولهذا جمع الله تعالى بين المشيئتين بقوله تعالى : " لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين " . ( ٤ )

---

( ١ ) المصدر السابق

( ٢ ) ابن الجوزى : زاد المسير ج ٣ ص ١٤٥ .

( ٣ ) الحكمى : معارج القبول ج ٢ ص ٢٩٣ .

( ٤ ) سورة التكويد : آية : ٢٩ .

**قالها :** وفي اطار الحرية الانسانية نناقش الزيدية في عدة قضايا :

مثل : الضلال والهدى ، وما يتبع ذلك من مسائل ، كالطبع والختم ، والرزق ، والآجال والموت والقتل ، وغير ذلك ، وما ورد في ذلك من آيات تؤيدها تأويلا يتسنى لها به اثبات مبدأ العدل وحرية الانسان واستقلاله بأفعاله .

**تنقسم الهدى :** الى هدى مبتدأ ، متمثلا في العقل والرسول والكتاب ،

**وهدى مكافأة :** بمعنى زيادة البصيرة وتنوير القلب بزيادة العقل ،

مصدقا لقوله تعالى : " والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم " ( ١ )

فهذا جزاء على العمل ومكافأة على الفعل ( ٢ )  
كما تفسر الضلالة في قوله : " يضل من يشاء ويهدي من يشاء " ( ٣ )

وأمثالها بمعنى : أن الله يوقع عليهم اسم الضلالة ، لا أنه يغويهم

عن الصراط المستقيم ، وتقع الفتنة بمعنى الاختيار ، وبمعنى المحنة ،

وبمعنى الاضلال ، وبمعنى العذاب . ( ٤ )

وفي قضايا الرزق : ترى أن الحلال هو رزق الله ، والحرام اغتصاب

وسرقة من الانسان دون قضاء من الله بها أو تقدير . ( ٥ )

وهكذا تبني الزيدية على ذلك أن الله عز وجل لم يقض بالمعاصي ،

---

( ١ ) سورة محمد : آية : ١٧ .

( ٢ ) يحيى بن الحسين : رسائل العدل والتوحيد ج ١ ص ٩٦ .

( ٣ ) سورة الجاثية : آية : ٢٣ .

( ٤ ) رسائل العدل والتوحيد ج ١ ص ٣٧ .

( ٥ ) المصدر السابق ج ٢ ص ١٤ - ١٦ .

ولم يقدرها لأنها جور باطل والله لم يقض جورا وباطلا . (١)

ويرد على هؤلاء الزيدية بمقالات أهل الحق :

---

وضح الشوكاني مقالته في الرد فبين : أن الهداية والاضلال

نتائج لمقدمات ، ومسببات لأسباب ، فلا يتنافى هذا مع كون العبد مختارا ، وله ارادة ، وأن اسناد الهداية والاضلال الى الله من حيث أنه وضع نظام الأسباب والمسببات ، لا أنه جبر الانسان على الضلالة أو الهداية . يقول الشوكاني : قد أطال المتكلمون الخصام في تفسير الضلال ، وفي نسبته الى الله سبحانه ، فجعلوا اسناد الاضلال الى الله ، من الاسناد المجازي ، (٢) وذلك لأن الختم على القلوب وضعها من وصول الحق اليها قبيح عندهم ، يتعالى الله عنه في اعتقادهم .

ولو فهموا قوله تعالى : " فلما زافوا أزاغ الله قلوبهم " (٣) وقوله : " ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة " (٤) وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى ، انما ختم على قلوبهم وحال بينهم ، وبين الهدى جزاء ، وفاقا على تماديهم في الباطل وتركهم الحق ، وهذا منه سبحانه حسن وليس قبيح . (٥)

---

(١) شرح الثلاثين مسألة ، وكتاب العدل والتوحيد ونفى الشبه عن الواحد المجيد .

(٢) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف وبينته في أول هذا الفصل ، أنظر

فتح القدير ج ١ ص ٥٧ .

(٣) سورة الصف : آية : ٥ .

(٤) سورة الانعام آية : ١١٠ .

(٥) ابن كثير : مختصر الصابوني ج ١ ص ٣٢ .

فاسناد الختم الى الله قد احتج به أهل السنة على المعتزلة ،  
(١) وحاولوا دفع هذه الحجة بمثل ما ذكره الزمخشري في الكشاف .

وما ذهبت اليه الزيدية كالمعتزلة في اسناد الهدى والضلال وما يتبع  
ذلك من الختم والطبع والغشاوة الى الله قبح عندهم ليس بصحيح ، وذلك  
لأن الختم والطبع والغشاوة المجعولة على أسماعهم وأبصارهم وقلوبهم ،  
عقاب من الله لهم على مبادرتهم للكفر ، وتكذيبهم الرسل باختيارهم  
ومشيئتهم ، فعاقبهم الله لعدم التوفيق كما بينه الله تعالى بقوله :  
" بل طبع الله عليها بكفرهم " (٢) وقوله تعالى : " ذلك بأنهم آمنوا  
ثم كفروا فطبع على قلوبهم " (٣) وقوله تعالى : " بل ران على قلوبهم ما كانوا  
يكسبون " (٤) الى غير ذلك من الآيات . (٥)

يقول الشوكاني عن قتادة قال : أطاعوا الشيطان فاستحوذ عليهم  
فختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، فهم لا يبصرون هدى ،  
ولا يسمعون ولا يفقهون ، ولا يعقلون . (٦)  
وهو " لا " قد سدت عليهم أبواب الهدى الذي يدخل على العبد من ثلاثة  
أبواب : مما يسمعه بأذنه ، ويراه بعينه ، ويعقله بقلبه . (٧)

(١) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٣٩ .

(٢) سورة النساء : آية : ١٥٥ .

(٣) سورة المنافقون آية : ٣ .

(٤) سورة المطففين آية : ١٤ .

(٥) الشنقيطي : دفع الإيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص ١٠ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ٤٠ .

(٧) ابن قيم الجوزية : التفسير القيم ص ١١٥ .

فما تقوله الزيدية والمعتزلة : من أن الله عز وجل عدل بمعنى لا يظلم ، وأن أفعاله كلها حسنة فهذا صحيح ، وليس معنى هذا أن العبد هو الذى يستقل بخلق أفعال نفسه بل الله هو خالق أفعال العباد لقوله تعالى : " الله خالق كل شئ " <sup>(١)</sup> ، " والله خلقكم وما تعملون " <sup>(٢)</sup> ، وأن العبد فاعل لفعله ومريد له ومختار ، لقوله تعالى : " جزاء بما كانوا يعملون " <sup>(٣)</sup> وهذا هو مذهب السلف <sup>(٤)</sup> .

وبناءً على ذلك لا يلزم من إعطاء العبد قدرة على مباشرة الفعل

ليقوم به حقيقة أن يكون الله تعالى ظالماً للعبد أو فاعلاً للقيح .

يقول ابن تيمية : والقدرية يقولون : لو كان الله خالقاً لأفعال العباد كان ظالماً فاعلاً لما هو قبيح ، أما كون الفعل قبيحاً من فاعله ، فلا يقتضى أن يكون قبيحاً من خالقه ، كما أن أكلاً وشرّاً لفاعله لا يقتضى أن يكون كذلك لخالقه ، لأن الخالق خلقه فى غيره كما أنه إذا خلق لغيره لونا وريحاً وقدرة وعلماً كان ذلك الغير هو المتصف بذلك اللون والريح والحركة والقدرة والعلم . <sup>(٥)</sup>

ومن ذلك يعلم أن ما يعتمد عليه الزيدية من أن الهداية والضلال والاغواء والفتنة والسرقة وقتل النفس أو غيره ، وما إلى ذلك من المعاصى هى من العبد لا من الله تعالى فهى ليست حجة لهم ، لكن نقول : أن كل دليل صحيح يقيمه الزيدية والمعتزلة فى ذلك إنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة ، وأنه مريد له ومختار وأن إضافته ونسبته

(١) سورة الزمر : آية : ٥ .

(٢) سورة الصافات آية : ١٦ .

(٣) سورة الواقعة آية : ٢٤ .

(٤) ابن تيمية : منهاج السنة ج ١ ص ٢١٤ وأنظر ابن أبى العز شرح

الطحاوية ٤٩٤ .

(٥) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢١٣ .

اليه اضافة حق ، ولا يدل على أنه غير مقدور لله ، وأنه وقع بغير مشيئته  
وقدرته ، وقد دل على ذلك القرآن من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع  
ما في الكون من الأعيان والأفعال ، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة ،  
وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم <sup>(١)</sup> ، فانه لامضافة بين كون العبد  
محدثا لفعله ، وكون هذا الاحداث وجب وجوده بمشيئة الله تعالى كما  
قال تعالى : " ونفس وما سواها ، فآلهمها فجورها وتقواها " <sup>(٢)</sup> فقله :  
" فآلهمها فجورها وتقواها اثبات للقدر لقوله : " فآلهمها " واثبات  
لفعل العبد باضافة الفجور والتقوى الى نفسه ، ليعلم أنها هي  
الفاجرة والمتقية ، وقوله بعد ذلك : " قد أفلح من زكاها وقد خاب من  
دساها " <sup>(٣)</sup> اثبات أيضا لفعل العبد ، ونظائر ذلك كثيرة . <sup>(٤)</sup>

- 
- (١) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٢١٦  
(٢) سورة الشمس : آية : ٧ - ٨ .  
(٣) سورة الشمس : آية : ٩ - ١٠ .  
(٤) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٢٣٠



## الفصل السابع

### رواية الله تعالى

#### موقف الشوكاني من رواية الله تعالى :

\* أولا : اثبات الرواية بقوله تعالى : " وجوه يومئذ ناظرة الى

ربها ناظرة " أقوال الشوكاني وجمهور العلماء فيها .

\* ثانيا : اثبات الرواية بقوله تعالى : " للذين أحسنوا الحسنى

وزيادة " وما ورد فيها من الروايات .

\* ثالثا : موقف الشوكاني من نفاة الرواية في احتجاجهم ببعض

الآيات :

— احتجاجهم بقوله تعالى : " لا تدركه الأبصار " والرد عليهم .

— احتجاجهم " " لموسى عليه السلام : " لن ترانى "

والرد عليهم .

#### موقف السلفية من الرواية :

\* أولا : سياق مفسر من الآيات في الرواية بالرواية .

\* ثانيا : سياق ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن الصحابة

والتابعين رضى الله عنهم .

\* ثالثا : ما روى عن الصحابة رضى الله عنهم في " الرواية " .

#### موقف الزيدية من الرواية :

مناقشة الشوكاني والسلفية " للزيدية " والرد على شبه الخكرين .

\* أولا : شبه السمعية والجواب عنها .

\* ثانيا : شبه العقلية والرد عليها .

### موقف الشوكاني من روءية الله تعالى :

لقد وضع الشوكاني أمام عينيه الكتاب والسنة ، وجعلهما مقياسا لكل ما يقبل أو يرفض من الأقوال ، فما وافق الكتاب والسنة قال به ، وما خالفهما شدد القول في الإنكار عليه .

ولقد عاش الشوكاني في قطرازدحت فيه عقول الزيدية بمبادئ الاعتزال ، وأفكار المبتدعين فنأدى بمحاربة كل رأى يراه خارجا عن أصول الكتاب والسنة . وجد الزيدية تابعت المعتزلة ، وفعلت فعلتها بنصوص الكتاب والسنة في اثبات روءية الله تعالى في الآخرة ، ففتتها بناء على نفهم الجهة وصفة العلو عن الله تعالى ، لأن المرئى يجب أن يكون في جهة من الرأى ، وما دامت الجهة مستحيلة ، وهى شرط فى الروئية ، فالروئية كذلك مستحيلة <sup>(١)</sup> ، محتجين بقوله تعالى : " لا تدركه الأبصار " وقوله لموسى عليه السلام حين سأله الروئية : " لن ترأى ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترأى " <sup>(٢)</sup> . كما سيأتى لذلك زيادة بيان عدد الكلام على أقوال الزيدية فى الروئية .

وبغير احاطة ولا كيفية ، كما نطق القرآن الكريم أثبت الشوكاني بالنصوص الصريحة والأدلة القاطعة روءية الله تبارك وتعالى بقوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " <sup>(٤)</sup> ويقول تعالى : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " <sup>(٥)</sup> ويقول : " لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد " <sup>(٦)</sup> .

---

(١) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٢) سورة الأنعام : آية : ١٠٣ .

(٣) سورة الأعراف : آية : ١٤٣ .

(٤) سورة القيامة : آية : ٢٢ - ٢٣ .

(٥) سورة يونس : آية : ٢٦ .

(٦) سورة ق : آية : ٣٥ .

ويقوله تعالى : " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " (١) وغير ذلك من الآيات الدالة على الروئية ، كما سيوضح لنا من تفسير الشوكاني وجمهور العلماء المثبتين للروئية بهذه الآيات :

أولا : قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " التي هي من أظهر الدلائل : قال الشوكاني : " وجوه يومئذ ناضرة " أى ضيئة مشرقة " الى ربها ناظرة " هذا من النظر الى خالقها ، ومالك أمرها " ناظرة " : أى تنظر اليه ، هكذا قال جمهور أهل العلم . (٢)

وهذه الروئية التي يختص بها أولياء الله يوم القيامة ، ويحجب عنها جميع أعدائه كما أعلم في قوله : " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " قال الشافعي : لما حجب هو لا في حال السخط دل على أن هو لا يعنى المؤمن يرويه في حال الرضى . (٣)

فهذه الروئية حق لا شك فيها ، والأحاديث فيها صحاح (٤) قال الشوكاني : والمراد به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة : من أن العباد ينظرون الى ربهم يوم القيامة كما ينظرون الى القمر ليلة البدر ، قال ابن كثير : " الى ربها ناظرة " أى تراه عيانا ، كما رواه البخاري في صحيحه : " أنكم سترون ربكم عيانا " (٦) وقد ثبتت روية المؤمنين لله عز وجل

(١) سورة المطففين : آية : ١٥ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ٣٣٨ .

(٣) ابن خزيمة : التوحيد ص ١٨٠ .

(٤) ابن الجوزي : زاد المسير ج ٨ ص ٤٢٢ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ٣٣٨ .

(٦) الحديث من رواية جرير بن عبد الله " أنكم سترون ربكم عيانا - الحديث

في البخاري ١٢٧/٩ (كتاب التوحيد) وفي مسلم ١٦٤/١ كتاب

فى الدار الآخرة ، فى الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث ، لا يمكن دفعها ولا منعها <sup>(١)</sup> ، وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين ، وسلف الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الاسلام وهذا الانام <sup>(٢)</sup> . وقد رد الشوكانى على من فسر النظر بمعنى الانتظار الى ما لهم عند الله من الثواب ، الذى قالت به زيدية ومعتزلة وغيرهم من النفاة ، فقمعهم . يقول الأزهرى : ان هذا القول خطأ ، لأنه لا يقال نظر الى كذا بمعنى الانتظار ، وأن قول القائل : نظرت الى فلان فليس الا رؤية عين كما قال الشاعر :

نظرت اليها والنجوم كأنها ٥٥ مصابيح رهبان تشب لفعال

(٣)

واشعار العرب وكلماتهم فى هذا كثيرة .

فإضافة النظر الى الوجه ، الذى هو محله فى الآية ، وتعديسه ، كما قال الشوكانى وذكره عن الأزهرى بأداة " الى " الصريحة ، فى نظر العين ، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه ، حقيقة موضوعة صريحة ، فى أن الله أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه الى الرب جل جلاله . <sup>(٤)</sup>

يقول ابن أبى العز فى شرح الطحاوية : ان النظر له عدة اعتبارات ، بحسب صلاته وتعديده بنفسه : فان عدى بنفسه ، فمعناه التوقف والانتظار كقوله : أنظرونا نقتبس من نوركم <sup>(٥)</sup> وان عدى بـ " فى " فمعناه : التفكير

=== ( الايمان ) وفى سنن أبى داود ٢٣٣/٤ - ٢٣٤ ( كتاب السنة ) وفى

سنن ابن ماجه ٦٣/١ .

( ١ ) ابن كثير : مختصر الصابونى ج ٣ ص ٥٧٦ .

( ٢ ) الشوكانى : فتح القدير ج ٥ ص ٣٣٨ .

( ٣ ) الشوكانى : فتح القدير ج ٥ ص ٣٣٩ .

( ٤ ) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ١٩٥ .

( ٥ ) سورة الحديد : آية : ١٣ .

والاعتبار ، كقوله : " أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض " (١) وان عدى  
بـ " الى " فمعناه : المعاينة بالأبصار ، كقوله تعالى : " أنظروا الى ثمره  
إذا أثمر " (٢) ، فكيف اذا أضيف الى الوجه الذى هو محل البصر ؟ (٣)

قال الرازى : ان النظر الوارد بمعنى الانتظار كثير فى القرآن ، ولكنه لم  
يقرن البتة بحرف الى ، والذى ندعيه أن النظر المقرون بحرف الى المعدى  
الى الوجوه ليس الا بمعنى الروئية ، فوجب أن لا يرد بمعنى الانتظار . (٤)

فالنظر بمعنى الانتظار كما يقوله النفاة من الزيدية والمعتزلة كما بينه  
الشوكانى وجمهور العلماء مردود لانه لا يتعدى الى بل بنفسه ، وبأنه لا يسند  
الى الوجه ، فلا يقال وجه زيد منتظر ، والمتبادر من الاسناد ، اسناد  
النظر الى الوجوه الحقيقية . (٥)

وكما أثبت الشوكانى عن طريق الدراية ما ثبت ويحقق اثبات روائية  
الله تعالى ، بين كذلك عن طريق الرواية عن الصحابة والتابعين  
وتابعيهم بما لا يدع مجالا للنفاة فى اثبات هذه الروئية .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما : " الى ربهنا ناظرة " قال نظرت  
الى الخالق (٦) ، وعن الضحاك : " الى ربهنا ناظرة " قال : ناظرة

- 
- (١) سورة الأعراف : آية : ١٨٤ .  
(٢) سورة الأنعام : آية : ٩٩ .  
(٣) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ١٩٦  
(٤) الرازى : تفسير مفاتيح الغيب ج ١٥ ص ٢٢٨ .  
(٥) اللوسى : روح المعانى ج ٢٩ ص ١٤٧ .  
(٦) أخرجه ابن المنذر والابخرى فى الشريعة والالكافى فى السنة ، والبيهقى  
فى الروئية عن ابن عباس أنظر الشوكانى : فتح القدير ج ٥ ص ٣٤٠ ،  
وأنظر السيوطى فى الدر المنثور ج ٨ ص ٣٤٩ .

الى وجه الله <sup>(١)</sup> ، وعن عكرمة قال : تنتظر الى الله نظرا <sup>(٢)</sup> ، وعن أنس ابن مالك : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " قال : ينظرون الى ربهم بلا كيفية ولا حد محدود ، ولا صفة معلومة . <sup>(٣)</sup>

كما أثبت الشوكاني رؤية الله تعالى بما تواتر من الأحاديث الصحاح التي يدفع بها في وجوه المفكرين والنفاة المعطلين قال الشوكاني : ان أحاديث الرواية متواترة ، ولم يتمسك من نفاها واستبعدها بشيء يصلح للتمسك به لان كتاب الله ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . <sup>(٤)</sup>

ومن هذه الأحاديث ما ذكره الشوكاني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " قال الناس : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : " هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : فهل تضارون في القمر ليلة البدر ، ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال فانكم ترونه يوم القيامة كذلك " <sup>(٥)</sup>

ومنها ما ذكره أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى

(١) أخرجه ابن المنذر عن الضحاك أنظر المصادر السابقة .

(٢) أخرجه ابن المنذر والآجزي واللالكائي والبيهقي عن عكرمة . انظر الدر المنثور ج ٨ ص ٣٤٩ ، وأنظر

(٣) أخرجه ابن مردويه عن أنس بن مالك أنظر فتح القدير ج ٥ ص ٣٤٠ والدر المنثور ج ٨ ص ٣٤٩ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ٣٤٠ .

(٥) الحديث أخرجه عبد الرزاق وأحمد ، وعبد بن حميد ، والبخاري ومسلم ، والنسائي ، والدارقطني في الرواية ، والبيهقي في الإسماء والصفات

جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " ، وأخرج أحمد في المسند من حديثه بلفظ : " ان أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين " (١) .

وفى الصحيحين " عن جرير قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القمر ليلة البدر فقال : " انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا " (٢) كما ذكر الشوكاني ما أخرجه النسائي والدارقطني وصححه أبو نعيم عن أبي هريرة قال : " قلنا يا رسول الله : هل نرى ربنا ، قال : هل ترون

---

== عن أبي هريرة أنظر الدر المنثور ج ٨ ص ٣٥٠ ، وأنظر فتح القدير ج ٥ ص ٣٤٠ ، وأنظر البيهقي : الاعتقاد ص ٢٨١ وأنظر البخاري في التوحيد باب " وجوه يومئذ ناضرة " ومسلم في الايمان : باب معرفة طريق الروعة ، والنسائي في الايمان باب زيادة الايمان . (١) سنده (ضعيف) فيه ثوير أبي فاخته " وهو ضعيف والحديث أورده اللالكائي عن ثوير مرفوعا ٣ : ٢١٧ ، وذكره الترمذي في السنن ٤ : ٦٨٨ و ٥ : ٤٣١ ، وورد موقوفا ، رواه الطبري في التفسير ٢٩ : ١٩٣ ، ورواه أحمد ٢ : ١٣ والآجري في الشريعة ٢٦٩ ، والدارقطني في الرواية ١١٨ - ب وأنظر الشوكاني فتح القدير ج ٥ ص ٣٤٠ .

(٢) ابن الجوزي : زاد المسير ج ٨ ص ٤٢٣ والحديث أخرجه البخاري : ٧٤٣٥ ، وسنده ثقات ، والحديث رواه ابن منده من طريق آخر في الايمان ٢٢ - أ ، وشيخ الاسلام الهروي في كتابه الفاروق كما ذكره ابن حجر في الفتح ١٣ / ٤٢٧ وفي رواية عن جرير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انكم ستعاينون ربكم " ، وأنظر اللالكائي : أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة تحقيق د . أحمد سعيد حمدان ج ٣ ص ٤٧٥ .

الشمس في يوم لا غيم فيه ، وترون القمر في ليلة لا غيم فيها ؟ ، قلنا : نعم ، قال : فانكم سترون ربكم عز وجل ، حتى ان أحدكم ليحاضر ربه محاضرة ، فيقول : عبدى هل تعرف ذنبك كذا وكذا ؟ فيقول : ألم تغفر لى ؟ ، فيقول : بمغفرتى صرت الى هذا " (١)

ثانياً : أقوال الشوكانى وعلماء التفسير في قوله تعالى : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (٢) التى هى دليل واضح فى اثبات الروئية : يخبر تعالى : أن لمن أحسن العمل فى الدنيا بالايمان والعمل الصالح ، وهم الذين أحسنوا بما أوجبه الله عليهم من الأعمال ، والكف عما نهاهم عنه من المعاصى (٣) ، لهؤلاء " الحسنى " فى الدار الآخرة ، " وزيادة " وهى تضعيف ثواب الاعمال ، ويشمل ما يعطيهم الله فى الجنة من القصور والحدور والرضا عنهم ، وما أخفاه لهم من قرة أعين ، وأفضل من ذلك وأعلاه ، النظر الى وجه الله الكريم (٤)

قال الشوكانى : قد روى عن التابعين ومن بعدهم روايات فى تفسير الزيادة غالبها أنها النظر الى وجه الله سبحانه ، وقد ثبت التفسير بذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق حينئذ لقائل مقال ، ولا التفات الى المجادلات الواقعة بين المتذهبين الذين لا يعرفون من السنة المطهرة ما ينتفعون به فانهم لو عرفوا ذلك لكفوا عن كثير من هذيانهم (٥)

(١) الحديث : أخرجه النسائى والدارقطنى وصححه أنظر الشوكانى فتح

القدير ج ٥ ص ٣٤٠

(٢) سورة يونس : آية ٢٦

(٣) الشوكانى : فتح القدير ج ٢ ص ٤٣٨

(٤) ابن كثير : مختصر الصابونى ج ٢ ص ١٩١

(٥) الشوكانى : فتح القدير ج ٢ ص ٤٤٢



قال ابن كثير : قد روى تفسير الزيادة بالنظر الى وجهه الكريم  
الجمهور من السلف والخلف <sup>(١)</sup> ، قال ابن الجوزي : روى مسلم في " صحيحه "  
من حديث صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الزيادة "  
النظر الى وجه الله عز وجل . <sup>(٢)</sup>

فيتبين مما سبق أن الرسول صلى الله عليه وسلم فسر الحسنى بالجنة ،  
والزيادة : هي النظر الى وجه الله الكريم ، وفسرها كذلك الصحابة من بعده  
والتابعين <sup>(٣)</sup> ، كما روى مسلم في صحيحة عن صهيب ، قال : " قرأ رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " قال : " اذا  
دخل أهل الجنة ، الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة ،

---

(١) ابن كثير : مختصر الصابوني ج ٢ ص ١٩١ .  
(٢) الحديث : في مسلم ١٦٣/١ ، ورواه أحمد ٣٣٣/٤ ، ١٦/٦ ،  
وخرجه السيوطي في " الدر " ٣٠٥/٣ ، وزاد نسبه للطيالسي ،  
وهناد ، والترمذي ، وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن جرير ،  
وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، والدارقطني في الرواية ،  
وابن مردويه ، والبيهقي في " الاسماء والصفات " واللفظ الذي ساقه  
المؤلف " الزيادة " : النظر الى وجه الله عز وجل ، ذكره السيوطي  
من رواية الدارقطني .

(٣) روى ابن جرير ذلك عن جماعة ، منهم : أبو بكر الصديق - رضي الله  
عنه - وحذيفة ، وأبو موسى الأشعري ، وابن عباس - رضي الله  
عنه - أنظر ابن أبي العز شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن  
عميرة ج ١ ص ١٩٧ .

كما روى ذلك عن عكرمة ، وقتادة ، والضحاك ، وعبد الرحمن بن أبي يعلى  
والسدي ، ومقاتل ، أنظر ابن الجوزي زاد المسير ج ٤ ص ٢٤ .

ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبين وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ويجزنا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون اليه ، فما أعظاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه ، وهى الزيادة .<sup>(١)</sup>  
يقول الألوسى : " وزيادة " هى النظر الى وجه ربهم الكريم جل جلاله ، وهو التفسير المأثور عن أبى بكر ، وعلى كرم الله وجهه ، وابن عباس ، وحذيفة ، وابن مسعود ، وأبى موسى الأشعرى ، وخلق آخرين ، وروى مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق شتى ، والذي حمل الزمخشرى على عدم الاعتماد على الروايات الناطقة بحمل الزيادة على رؤية الله تعالى ، زعمه الفاسد كأصحابه أن الله تعالى لا يرى ، وقد علم منشأ ذلك الزعم وقد رده أهل السنة بوجوه<sup>(٢)</sup> متعددة كما سأبينه عند مناقشة الزيدية بين يدى الشوكانى والسلفية .

وحاصل الكلام واختلاف الناس فى لفظ " الزيادة " يرجع الى قولين :

**الأول :** أن المراد منها : رؤية الله سبحانه وتعالى ، وهذا هو الراجح ، لتضافر الأدلة عليه نقلا كما سبق ، وعقلا : بأن الحسنى لفظة منفردة دخل عليها حرف التعريف ، فانصرف الى المعهود السابق ، وهو دار السلام ، والمعروف من المسلمين والمقرر بين أهل الاسلام من هذه اللفظة هو الجنة ، وما فيها من المنافع والتعظيم واذا ثبت هذا ، وجب أن يكون المراد من

(١) الحديث رواه الترمذى فى الجنة ١٦ وتفسير سورة ١٠ ، ورواه أحمد بن حنبل فى مسنده ١ — ٣٨٨ ، ٣٩٤ ، ورواه ابن ماجه فى المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية رقم ١٨٧ وليس فيه " الزيادة " .

(٢) الألوسى : روح المعانى ج ١١ ص ١٠٣ .

الزيادة أمرا مغايرا لكل ما في الجنة من المنافع والتعظيم ، والا لزم التكرار ، وكل من قال بذلك قال : إنما هي روية الله تعالى ، فدل ذلك على أن المراد من هذه الزيادة : الروئية .<sup>(١)</sup>

الثاني : وهو قول النفاة من الجهمية والمعتزلة والزيدية الذين قالوا : لا يجوز حمل الزيادة على الروئية ، وذلك لأن الدلائل العقلية دلت على أن روية الله تعالى مستعنة ، ولأن الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه ، وروئية الله تعالى ليست من جنس نعيم الجنة ، ولأن الخبر — يوجب التشبيه ، لأن النظر عبارة عن قلب الحدقة الى جهة المرئى ، وذلك يقتضى كون المرئى فى الجهة ، وذلك يوجب التشبيه ، فوجب حمل اللفظ على شىء آخر ، كما قال الجبائى : الحسنى عبارة عن الثواب المستحق ، والزيادة هى ما يزيد الله تعالى ، على هذا الثواب من التفضل .<sup>(٢)</sup>

وقد أجاب أهل الحق عن هذه الوجوه ، فقالوا :

أما قولكم : ان الدلائل العقلية دلت على امتناع روية الله تعالى فهذا منوع ، وما ورد من دلائل عقلية لهم عليها النقض الكثير فظهرت فى غاية الضعف ، ونهاية السخافة ، فاذا لم يوجد فى العقل ما يمنع من روية الله ، تعالى ، وجاءت الأخبار الصحيحة بإثبات الروئية ، وحب اجراءها على ظواهرها<sup>(٣)</sup> ، كما سيأتى لذلك زيادة بيان فى الرد عليهم .

(١) الرازى : مفاتيح الغيب ج ٩ ص ٨١ .

(٢) المصدر السابق : ج ٩ ص ٨١ — ٨٢ .

(٣) المصدر السابق :

ثالثا : موقف الشوكاني من نفقة الروئية في احتجاجهم ببعض الآيات :

أحدها : احتج نفاة الروئية من المعتزلة والزيدية وغيرهم في نفى الروئية  
بقوله تعالى : " لا تدركه الأبصار " (١) .

قال ابن كثير : قالت المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الآية ،  
أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة ، فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك ،  
مع ما ارتكبه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله . (٢)

كما قالت الزيدية : " تعجز الحواس والعقول عن درك المعبود ، فلا  
يدرك بهن ولا تدرك ذاته بشيء " (٣)

فهو لا استدلوا بهذه الآية على أنه تعالى لا يرى ، وتقرير ذلك : أن الإدراك  
المضاف إلى الأبصار إنما هو الروئية ، ولا فرق بين أدركته ببصرى ورأيتـه  
إلا في اللفظ أو هما متلازمان ، فلا يجوز رأيتـه وما أدركته ببصرى ، فالآية  
نفى أن تراه الأبصار وذلك يتناول جميع الأبصار ، في جميع الأوقات ، ولأنه  
تعالى تمدح بكونه لا يرى ، وما كان من الصفات عدمه مدحا كان وجوده نقصا  
يجب تنزيه الله عنه ، فظهر أنه يتمتع روءيته سبحانه . (٤)

وقد رد عليهم الشوكاني بقوله : الأبصار : جمع بصر ، وهو الحاسة ،  
وإدراك الشيء عبارة عن الإحاطة به ، قال الزجاج : أى لا تبلغ كنه حقيقته ،  
فالمنفى هو هذا الإدراك لا مجرد الروئية . (٥)

---

(١) سورة الأنعام : آية : ١٠٣ .

(٢) ابن كثير : مختصر الصابوني ج ١ ص ٦٠٤ .

(٣) الإمام الهادي : رسائل العدل والتوحيد تحقيق د . محمد عمارة ج ٢ ص ٧٠ .

(٤) الألوسي : روح المعاني ج ٧ ص ٢٤٥ .

(٥) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص ١٤٨ .

قال ابن الجوزى : فى معنى الآية ثلاثة أقوال :

أحدها : لاتحيط به الأبصار ، رواه العوفى عن ابن عباس ، وبه قال سعيد ابن المسيب ، وعطاء ، وقال الزجاج : معنى الآية : الاحاطة بحقيقته ، وليس فيها دفع الروئية لما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الروئية ، وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث .

والثانى : لاتدركه الأبصار اذا تجلى بنوره الذى هو نوره ، رواه عكرمة عن ابن عباس .

الثالث : لاتدركه الابصار فى الدنيا ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال الحسن ، ومقاتل <sup>(١)</sup> .

وقال آخرون : " لاتدركه الأبصار " أى جميعها وهذا مخصص بما ثبت من روية المؤمن له فى الدار الآخرة . وقد بين الشوكانى ذلك بما تقرر فى علم البيان والميزان : أن رفع الإيجاب الكلى سلب جزئى ، فالمعنى لاتدركه بعض الأبصار ، وهى أبصار الكفار ، هذا على تسليم أن نفى الإدراك يستلزم نفى الروئية ، فالمراد به هذه الروئية الخاصة ، والتقدير : لاتدركه كل الأبصار بل بعضها ، وهى أبصار المؤمنين <sup>(٢)</sup> ، قال الرازى : " الابصار " صيغة جمع دخل عليها الالف واللام ، فهى تفيد الاستغراق ، فقوله : " لاتدركه الأبصار " يفيد أنه لا يراه جميع الأبصار ، فهذا يفيد سلب العموم ، ولا يفيد عموم السلب ، وتخصيص هذا السلب بالمجموع يدل على ثبوت الحكم فى بعض أفراد المجموع <sup>(٣)</sup> .

(١) ابن الجوزى : زاد المسير ج ٣ ص ٩٨ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير ج ٢ ص ١٤٨ .

(٣) الرازى : مفاتيح الغيب ج ١٣ ص ١٣٢ .

قال الشوكاني : والمصير الى الوجهين السابقين متعين لما عرفناك  
من تواتر الرواية في الآخرة . (١)

وبذلك قد رد الشوكاني فرية نفاة الرواية من المعتزلة والزيدية بما بينه  
من ثبوتها بالتواتر الذي تعضده الآيات الصريحة في اثباتها كقوله  
تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة " الآية ، وقوله تعالى عن الكافرين : " كلا انهم عن ربهم  
يومئذ لمحجوبون " (٢) قال الشافعي : فدل هذا على أن المؤمن لا يحجبون  
عنه تبارك وتعالى . (٣)

كما وضع الشوكاني في رده على هؤلاء بما ذكره عن المفسرين وما ورد  
عن السلف في ذلك : بأنه لاضافة بين اثبات الرواية ونفي الادراك ، فان  
الادراك أخص من الرواية ، ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم ، فالادراك  
النفي معرفة الحقيقة ، وأن هذا لا يعلمه الا هو ، وان رأى المؤمن ،  
كما أن من رأى القمر ، فانه لا يدرك حقيقته وكهفه وماهيته ، فالعظيم أولى  
بذلك وله المثل الأعلى ، قال ابن عباس : لا يحيط بصر أحد بالملك ، قال  
ابن جرير عن عطية العوفي : في قوله : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة "  
قال : هم ينظرون الى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره محيط  
بهم ، فذلك قوله : " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار " (٤) .

فاحتجاج النفاة على نفي الرواية بهذه الآية غير صحيح بل الآية حجة

---

(١) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص ١٤٨ .

(٢) سورة المطففين : آية :

(٣) ابن كثير : مختصر الصابوني ج ١ ص ٦٠٤ .

(٤) المصدر السابق : ج ١ ص ٦٠٥ .

عليهم لا لهم ، لأن الإدراك : أما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة  
بالاحاطة ، والأول باطل ، لأنه ليس كل من رأى شيئاً يقال أنه أدركه ، كما  
لا يقال أحاط به ، كما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك فقال : أأنت  
تري السماء ؟ قال : بلى ، قال : أكلها ترى ؟ قال : لا . ( ١ )

ثانيها : تعلق نفاة الرؤية أيضاً في نفيها :

بقوله تعالى لما سأله موسى عليه السلام أن ينظر إليه :  
" قال رب أرني أنظر إليك " ، " قال لن تراني " ( ٢ )  
قالوا : لن لنفي الأبد ، قال ابن كثير : استدل به المعتزلة على نفي الرؤية  
في الدنيا والآخرة . ( ٣ )  
وبيان ذلك : أنهم قالوا : لن للتأيد وإذا لم يره موسى ، لم يره غيره  
اجماعاً . ( ٤ )

ويرد الشوكاني احتجاج النفاة وتعلقهم بهذه الآية فيقول : سوء ال  
موسى للرؤية يدل على أنها جائزة ، ولو كانت مستحيلة غده لما سألها ، ( ٥ )  
والجواب بقوله : " لن تراني " يفيد أنه لا يراه هذا الوقت الذي طلب رؤيته  
فيه أو أنه لا يرى مادام الرائي حياً في دار الدنيا ، وأما رؤيته في الآخرة  
فقد ثبتت بالأحاديث المتواترة ، توأتر لا يخفى على من يعرف السنة المطهرة و

- 
- ( ١ ) ابن تيمية : دقائق التفسير د . محمد الجليلي ج ٣ ص ٢١٠ .  
( ٢ ) سورة الاعراف : آية : ١٤٣ .  
( ٣ ) ابن كثير : مختصر الصابوني ج ٢ ص ٤٨ .  
( ٤ ) الأيجي : المواقف ص ٣٠ .  
( ٥ ) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص ٢٤٣ وانظر ابن الجوزي زاد المسير  
ج ٣ ص ٢٥٦ .

والجدال والمراوغة في مثل هذا لا تأتي بفائدة ، وضح الحق واضح ، ولكن الاعتقاد لمذهب نشأ الانسان عليه ، مع عدم التنبه لما هو المطلوب من العباد من هذه الشريعة المطهرة يوقع في التعصب ، والمتعصب بصيرته عمياء وأذنه عن الحق صماء .

(١)

يأبى الفتى الا اتباع الهوى ه ه ه وضح الحق له واضح

وبذلك بين الشوكاني أن ما تعلق به المعتزلة والزيدية من قوله تعالى :  
 " لن ترانى " وأن " لن " لنفى الأبد غلط ، لأنها وردت وليس المراد بها  
 الأبد في قوله تعالى : " ولن يتنوه أبدا بما قدمت أيديهم " ثم أخبر<sup>(٢)</sup>  
 عنهم بتنفيه في النار بقوله : " يا مالك ليقتل علينا ربك " <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> قال ابن كثير :  
 ما استدل به المعتزلة والنفاة على نفي الروئية في الدنيا والآخرة أضعف  
 الأقوال ، لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة .<sup>(٥)</sup>

فالحاصل : أن رؤيته تعالى جائزة عقلا في الدنيا والآخرة ،  
 لأن كل موجود يجوز أن يرى عقلا ، ويدل لجوازها عقلا : قول موسى عليه  
 السلام : " رب أرنى أنظر اليك " لأنه لا يجهل الجائز في حق الله تعالى  
 عقلا<sup>(٦)</sup> ، كما يدل على ذلك قوله : " لن ترانى " ولم يقل لا أرى فلما قال  
 ذلك علمنا أن هذا يدل على أنه تعالى في ذاته جائز الروئية .<sup>(٧)</sup>

(١) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص ٢٤٣ .

(٢) سورة البقرة : آية : ٩٥ .

(٣) سورة الزخرف : آية : ٧٧ .

(٤) ابن الجوزي : زاد المسير ج ٣ ص ٢٥٦ .

(٥) ابن كثير : مختصر الصابوني ج ٢ ص ٤٨ .

(٦) الشنيطي : دفع الإيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص ١٢٢ .

(٧) الرازي : مفاتيح الغيب ج ١٤ ص ٢٤٠ .



وبذلك أصبحت أدلة نفاة الروئية داحضة في دفع هذا الحق  
الواضح كما بينه ووضحه الشوكاني وكبار العلماء والمفسرين في اثبات روءية  
الله تعالى بالأدلة القاطعة والحجج الدامغة من الكتاب وتواتر السنة .  
ومن هذا يتقرر أن منهج الشوكاني وطريقته في اثبات الروئية منهج  
سلفي مستقيم ، وذلك لأنه يعتصم بنصوص الكتاب والسنة ، ولا يحيد عنها  
لا في قليل ولا في كثير ، مع غزارة العلم وحسن التحقيق والتدقيق ، وإظهار  
الحق ، وجدال المراءخين المبطلين بطريقة القرآن التي هي أحسن ،  
والآن مع البحث فيما تذكره السلفية عن موقفها من اثبات الروئية .

#### موقف السلفية من الروئية :

رأينا فيما سبق أن الشوكاني جعل الكتاب والسنة معيارا  
وميزانا لكل ما يقبل أو يرفض من الأقوال في مسألة الروئية ، كما وجدناه  
يحارب كل ما يراه من الآراء خارجا عن هذه الأصول .  
والسلفية ترى : أن روءية الله تعالى حق بغير احاطة ولا كيفية ، كما  
نطق بها كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . يقول  
ابن تيمية : ان الجهمية والمعتزلة والخوارج تنكر الروئية ، وأما الصحابة  
والتابعون وأئمة الاسلام المعروفون بالامامة في الدين ، كمالك والثوري  
والأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي حنيفة  
وأبي يوسف وأمثال هؤلاء ، وسائر أهل السنة والحديث ، فهو لا كلهم  
متفقون على اثبات الروئية (١)

---

(١) ابن تيمية : دقائق التفسير جمع وتحقيق د . محمد السيد الجليلي  
ج ٣ ص ٢٠٨ ، وأنظر ابن أبي العز شرح الطحاوية تحقيق  
د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ١٩٥ .

كما أن أحاديث الروئية متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم بحديثه ، وكذلك الآثار بها متواترة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، يقول ابن تيمية : قد ذكر الامام أحمد وغيره من الأئمة العالمين بأقوال السلف أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان متفقون على أن الله يرى في الآخرة بالآبصار ومتفقون على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه <sup>(١)</sup> ، وقد آمن وأقر بذلك الامام أحمد الذي يقول في أحاديث الروئية : " أحاديث صحاح نو من بها ونقر ، وكلما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيد جيدة نو من به ونقره <sup>(٢)</sup> .

وقال ابن عيينه : أحاديث الروئية حق نرويهما على ما سمعناها ممن نشق به ونرضى به <sup>(٣)</sup> .

كما بينت السلفية اتفاق الشرع والعقل على إمكان الروئية ووقوعها ، فان الروئية أمر وجودي لا يتعلق إلا بوجود ، وما كان أكمل وجودا كان أحق أن يرى ، فالبارئ سبحانه أحق أن يرى من كل ما سواه ، لأن وجوده أكمل من كل موجود سواه <sup>(٤)</sup> .

يقول ابن القيم الجوزية : ان تعذر الروئية أما لخفاء المرئى ، وأما لآفة ضعف في الرائي ، والرب سبحانه أظهر من كل موجود ، وانما تعذرت رؤيته في الدنيا لضعف القوة الباصرة عن النظر اليه ، فإذا كان الرائي في دار البقاء كانت قوة الباصرة في غاية القوة لأنها دائمة ، فقويت

---

(١) ابن تيمية : دقائق التفسير تحقيق الجليلي ج ٣ ص ٢٠٨ .  
 (٢) اللالكائي : أصول الاعتقاد تحقيق د . أحمد سعد ج ١ - ٢ ص ٥٤ .  
 (٣) رواه عبد الله بن أحمد في السنة ٤٠ ، وأنظر المصدر السابق نفس الصفحة .

(٤) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٢١٦ .

على رؤيته تعالى . (١)

وقدمت السلفية أدلة النقل والعقل التي تثبت رؤية الله تعالى  
 مما لا يدع مجالاً لمكر أمام هذه الحجج والبراهين القاطعة بقول شيخ  
 الاسلام ابن تيمية في فتاويه : وما دل من الكتاب على الرؤية قوله تعالى :  
 " وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة " (٢) وكذلك قوله : " فلا تعلم نفس  
 ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون " (٣) قد فسر بالرؤية ،  
 وقوله : " ان الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون " (٤) ، وقوله : " لنهم  
 ما يشاءون فيها ولدنا مزيد " (٥) وقوله : " انهم عن ربهم يومئذ  
 لمحجوبون " (٦) وقوله : " وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونهم  
 سلام " (٧) . قال ابن تيمية : أجمع أهل اللغة أن اللقاء ههنا لا يكون  
 الا معاينة وناظرة بالأبصار . (٨)

كما قدمت السلفية كثيراً من الأحاديث ، والبحوث في اثبات الرؤية ،  
 فعن أحمد بن حنبل روى الله عنه يقول : أدركت الناس وما ينكرون من هذه  
 الأحاديث شيئاً وكانوا يحدثون بها على الجملة ، يمرونها على حالها غير  
 منكرين لذلك ولا مرتابين . (٩)

- 
- (١) ابن القيم الجوزية : الصواعق المرسلة نختصر الموصلى ج ١ ص ٢١٠ .
  - (٢) سورة القيامة : آية : ٢٢ ، ٢٣ .
  - (٣) سورة السجدة : آية : ١٧ .
  - (٤) سورة المطففين : آية : ٢٢ ، ٢٣ .
  - (٥) سورة ق : آية : ٣٥ .
  - (٦) سورة المطففين : آية : ١٥ .
  - (٧) سورة الأحزاب : آية : ٤٤ .
  - (٨) ابن تيمية : الفتاوى الكبرى ج ٦ ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٨٩ .
  - (٩) ابن تيمية : الفتاوى الكبرى ج ٦ ص ٤٩٩ .

كما ردت السلفية على شبهات النفاة من الجهمية والمعتزلة والزيدية وغيرهم التى سنبينها فى نهاية هذا الفصل بعد ايراد آراء الزيدية فى نفى روية الله وجودها فى الدنيا والآخرة ، وأدلتهم على ذلك .

وتسوق السلفية ما فُسّر من الآيات فى كتاب الله عز وجل على أن الموءنين يرون الله سبحانه وتعالى بأبصارهم يوم القيامة ، وما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين فى روية الموءنين لهمم وخالقهم جل وعلا .

#### أولا : سياق ما فسر من الآيات فى الرواية يوم القيامة :

قال الله عز وجل : " للذين أحسنوا الحسنى <sup>(١)</sup> وزيادة " . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه من تفسيره أنه : النظر الى الله عز وجل ، فروى ذلك عن الصحابة : عن أبى بكر الصديق ، وحذيفة بن اليمان ، وأبى موسى الأشعرى ، وابن مسعود ، وابن عباس ، <sup>(٢)</sup> كما روى عن التابعين : عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وسعيد بن المسيب ، والحسن ، وعكرمة ، وعامر بن سعد البجلي ، وأبى اسحاق السبيعي ، <sup>(٣)</sup> ومجاهد ، وعبد الرحمن بن سابط ، وقتادة ، والضحاك ، وأبو سنان .

ومن ذلك ما روى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى : عن صهيب قال : " قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " فقال : " اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى نادى يا أهل

(١) سورة يونس : آية : ٢٦ .

(٢) أبى القاسم اللالكائى : أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة تحقيق

د . أحمد سعد حمدان ج ٣ ص ٤٥٥ .

(٣) المصدر السابق : نفس الصفحة .

الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم  
يشغل موازيننا وببيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجزنا من النار ؟ ! فيكشف  
الحجاب فينظرون الى الله فما شئ أعطوه أحب اليهم من النظر اليه وهو  
(١)  
الزيادة ) أخرجه مسلم فى الصحيح .

وعن أبى بن كعب لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن  
" الزيادة " قال : " الحسنى " : الجنة ، والزيادة " : النظر الى الله  
(٢)  
عز وجل " .

وعن اسراييل عن أبى اسحاق عن مسلم بن نذير : عن حذيفة أنهما  
قالا : " للذين أحسنوا الحسنى " : الجنة " و"زيادة " : قالوا : النظر  
(٣)  
الى وجه الله .

وعن أبى موسى الأشعرى يقول : " و"زيادة " : النظر الى وجه الله  
(٤)  
عز وجل ، وبذلك ثبت الرواية بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم  
فيما صح عنه من تفسيره لهذه الآية أنه : النظر الى الله عز وجل .

(١) مسلم / ح : ١٨١ / ، ورواه الترمذى / ح : ٢٥٥٢ ، وابن ماجه / ح :

١٨٢ / وأحمد / ٤ : ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٦ : ١٥ ، وكذلك ابن خزيمة فى  
التوحيد / ١١٨ / وعبد الله بن أحمد / فى / السنة / ٢٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨٦ /

(٢) الحديث : رواه الطبرانى فى التفسير ١٠٧ : ١١ بسند عن زهير .

(٣) رواه عبد الله بن أحمد فى السنة ٥١ ، ٥٢ ، وروى الدارمى فى الرد على

الجهمية عن سفيان عن أبى اسحاق ٣٠٣ - ٣٠٤ ، ورواه الطبرى ١١ :

١٠٤ - ١٠٥ ، والآجرى فى الشريعة ٢٥٢ ، والدارقطنى فى الرواية

١٢٠ - ١٢٣ ، ورواه ابن أبى عاصم / السنة / ح : ٤٢٣ ، ورجاله

ثقات - رجال التهذيب .

(٤) رواه ابن خزيمة فى التوحيد ١٢١ ، ورواه الدارمى فى الرد على الجهمية ٣٠٤ ،

والطبرى فى التفسير ١١ : ١٠٥ ، والدارقطنى فى الرواية ٤٩ - ٤٠ ، ب .

(٢) \* \* قال الله عز وجل : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " (١)

فروى فى تفسير هذه الآية : عن ابن عباس أنه : النظر الى الله

عز وجل ، وبه قال من التابعين :

الحسن وعكرمة ، ومجاهد ، ومحمد بن على بن الحسين ، وزيد بن على

بن حسين ، وقتادة ، والضحاك بن مزاحم ، ومن الفقهاء :

مالك والشافعى أنهما استدلا على جواز الرواية بهذه الآية . (٢)

فعن ابن عباس فى قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها

ناظرة " : قال : مسرورة الى ربها ناظرة " قال : تنظر الى ربها (٣)

وعن الحسن : قال : النضرة : الحسن ، نظرت الى ربها عز وجل (٤) ، ونضرت

بنوره عز وجل ، وعن عكرمة فى قوله : " الى ربها ناظرة " تنظر الى ربها نظرا . (٥)

(٣) قال الله تعالى : " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " (٦) .

(١) سورة القيامة : آية : ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) الالكافى : أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق د . أحمد

سعد حمدان : ج ٣ ص ٤٦٣ ، ٤٤٤ .

(٣) روى عن عبد الله بن أحمد بمعناه بسند آخر / السنة / ٥٣ ،

(٤) رواه عبد الله بن أحمد بسندين آخرين الى مبارك . . . به / السنة

٥٣ ، ١٤٣ ، ورواه الطبرى فى التفسير ٢٥ ، ١٩٢ بسند آخر الى

"مبارك" وكذلك الدارقطنى فى الرواية ١٢٦ ، وابن خزيمة فى التوحيد ١٢١

(٥) رواه عبد الله بن أحمد عن أبى معمر عن ابن شقيق . . . السنة

٥٣ ، والدارمى فى الرد على الجهمية ٣٠٥ ، والطبرى فى التفسير

٢٩ : ١٥٢ ، والآجرى فى الشريعة ١ : ٢٥٧ ، وصحاح ابن حجر

طريق الطبرى الفتح ١٣ : ١٢٤ - ٤٢٥ .

(٦) سورة المطففين : آية : ١٥ .

وقد روى فى تفسير هذه الآية : عن الحسن ومحمد بن كعب القرظى ،  
وابراهيم الصائغ ، : أنه النظر الى الله عز وجل ، كما روى ذلك عن  
الفقهاء : مالك ، والشافعى ، ووكيع ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم .<sup>(١)</sup>  
فعن الحسن فى هذه الآية : قال : اذا كان يوم القيامة برز ربنا  
تبارك وتعالى فيراه الخلق ويحجب الكفار فلا يرونه ، وهو قوله : " **كَلَّا**  
**إِنَّهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ** " <sup>(٢)</sup> ، وسئل محمد بن عبد الله بن  
عبد الحكم هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة ؟ : المؤمنين والكفار ؟  
فقال : ليس يراه الا المؤمنون ، وسئل الشافعى عن الروئية ، فقال :  
يقول الله عز وجل : " **كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ** " ففى هذا  
دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل . <sup>(٣)</sup>  
(٤) \* \* قال تعالى : " **وَلَدِينَا مَزِيدٌ** " <sup>(٤)</sup>  
روى عن على وأنس بن مالك أنه : النظر الى وجه الله عز وجل ، كما  
روى عن التابعين ، عن زيد بن وهب قال : يتجلى لهم كل جمعة . <sup>(٥)</sup>  
فعن أنس بن مالك قال : يظهر لهم الرب عز وجل يوم القيامة . <sup>(٦)</sup>  
وبذلك يتقرر ثبوت رؤية المؤمنين لربهم عز وجل بما روى عن النبى  
صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه من تفسير هذه الآيات .

- 
- (١) اللالكائى : أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج ٣ ص ٤٦٦ .  
(٢) رواه الدارقطنى فى الروئية ١٢٦ - ب ، وأشار اليه الطبرى بلفظ  
مقارب فى التفسير ٣٠ : ١٠٠ .  
(٣) اللالكائى : اعتقاد أهل السنة والجماعة : ج ٣ ص ٤٦٩ .  
(٤) سورة ق : آية : ٣٥ .  
(٥) أنظر المصدر السابق : ج ٣ ص ٤٦٩ فى تفسير هذه الآية .  
(٦) رواه الدارمى فى الرد على الجهمية ٣٠٤ .

ثانيا : سياق ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن الصحابة والتابعين

---

فى رواية الموءنين لربهم عز وجل :

---

فروى ذلك عن الصحابة : عن أبى بكر وعلى بن أبى طالب ،  
وابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبى موسى ، وابن عباس ، وابن عمر ،  
وأبى أمامة ، ومعاوية ، وأبى هريرة ، وجابر ، وحذيفة ، وأنس بن مالك ، وعمار  
ابن ياسر ، وزيد بن ثابت ، فضالة بن عبيد ، ورجل من أصحاب النبى صلى  
الله عليه وسلم . ( ١ )

كما روى ذلك من التابعين : سعد بن المسيب ، وطاوس ، وأبو العالية ،  
والحسن ، وعبد الرحمن بن أبى ليلى ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن سابط ،  
وأبى اسحاق السبيعى ، والربيع بن أنس ، وإبراهيم الصايغ ، ويزيد بن  
أبى مالك ، وعبد الواحد بن يزيد النصرى ، والصحاك بن مزاحم —  
وعبد العزيز بن عمر الزاهد ، وابن الربيع السائح ، وأبى سنان . ( ٢ )

كما روى ذلك من الفقهاء : مالك بن أنس ، والليث بن سعد ،  
والأوزاعى ، وعبد العزيز بن أبى سلمة ، وسفيان الثورى ، وسفيان بن عيينة ،  
وحمد بن زيد ، وخارجة بن مصعب ، وجريز بن عبد الحميد ، وعبد الله  
ابن المبارك ، ووکیع ، ويزيد بن هارون ، ومحمد بن ادريس الشافعى ،  
وأبى نعيم ، الفصل بن زكىسن ، وسليمان بن حرب ، وأبو النضر هاشم بن  
القاسم ، وعبد الله بن وهب المصرى ، وعلى بن الحسن بن شفيق ،

---

( ١ ) اللالكائى : أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق د . أحمد

سعد حمدان ج ٣ ص ٢٤٧٠ .

( ٢ ) المصدر السابق .



وهشام بن عبيد الله الرازي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهوية ،  
وأبو عبيدة ، وأبو ثور ، وأحمد بن صالح المصري ، ونعيم بن حماد المروزي ،  
وأبو إبراهيم المزني ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، ومحمد بن جرير  
الطبري ، وابن خزيمة ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم (١) .

كما حكى إجماع أهل السنة عليها غير واحد من الأئمة العالمين  
بأقوال السلف مثل عبد الله بن سعيد بن كلاب ، وأبي العباس القلاقي ،  
وأبي الحسن الأشعري ، وأبي الحسن علي بن مهدي الطبري (٢) ، ومثل  
أبي بكر الاسماعيلي (٣) ، وأبي نعيم الأصبهاني ، وأبي عمر (٤)

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٤٧١ .

(٢) أبو الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري ، قال ابن عساكر في  
ترجمته ( تبين كذب القبري ١٩٥ - ١٩٦ ) : " صاحب أبا الحسن  
رحمه الله بالبصرة مدة وأخذ عنه وتخرج به ، واقتبس منه وصنف  
بضعاً عداً تدل على علم واسع ، وهو الذي ألف المشهور في تأويل  
الأحاديث والمشكلات الواردة في الصفات . أنظر " ابن تيمية در  
تعاريف النقل والعقل تحقيق د . محمد رشاد سالم ج ١ ص ٢٤٦ .

(٣) هو أحمد بن إبراهيم بن اسماعيل ( أبو بكر الاسماعيلي ) الجرجاني  
فقيه ومحدث ولد سنة ٢٩٧ هـ ، وتوفي بجرجان سنة ٣٧١ هـ ،  
أنظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ٢١٩/١ - ٢٢١ ، الوافي  
بالوفيات ٦١٢/٥ ، والمنتظم لابن الجوزي ١٠٨/٢ ، طبقات الفقهاء  
للشيرازي ٩٥ - ٩٦ ، والبداية والنهاية ٢٩٨/١١ ، وتذكرة الحفاظ  
٩٤٧/٣ ، طبقات الشافعية ٧٩/٢ - ٨٥ ، شذرات الذهب  
٧٥/٣ ، ومعجم المؤلفين ١/١ ، والاعلام ٨٣/١ .

(٤) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي ( أبو عمر )  
من كبار حفاظ الحديث ، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨ هـ ، وتوفي بشاطبة  
===

(١) ابن عبد البر .

ومن هذه الروايات :

(١) رواية أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم :  
أن أبا هريرة أخبر سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي : أن الناس  
قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا عز وجل يوم القيامة ؟ فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : " هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا :  
لا ، قال : فهل تمارون في القمر ليس دونه سحاب ؟ " قالوا : لا يا رسول  
الله ، قال : فانكم ترونه كذلك " أخرجه البخاري عن أبي اليمان ومسلم  
عن عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي عن أبي اليمان .

(٢) رواية جرير بن عبد الله البجلي :

عن جرير بن عبد الله قال : كما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فنظر الى القمر ليلة البدر فقال : " انكم سترون ربكم عيانا ، كما ترون هذا  
لا تضامون في رؤيته ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس  
وقبل غروبها " (٢) وعن جرير قال : قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : " انكم ستعاينون ربكم " (٣)

(٣) رواية أنس بن مالك :

عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم : ( يجمع الموءمنون

---

== سنة ٤٦٣ هـ أنظر وفيات الأعيان ٦٤/٦ ، وتذكرة الحفاظ ٣/١١٢٨ ،

الديباج المذهب ٣٥٧ .

(١) ابن تيمية : درء تعارض النقل والعقل تحقيق محمد رشاد سالم :

ج ١ ص ٢٤٦ .

(٢) الحديث : أخرجه البخاري / ح : ٦٥٢٣ ، ومسلم في الإيمان

٣٠٠ ورواه أحمد / ٢ : ٢٢٥ ، ٥٣٣ .

(٣) أخرجه البخاري / ح : ٧٤٣٥ .

يوم القيامة فيلهمون ذلك فيقولون : لو استشفعنا على ربنا فاراحنا من مكاننا ،  
فيأتون آدم — فذكر الحديث الى أن قالوا : ائتوا محمدا عبدا قد غفر الله له  
ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتوني حتى أستأذن على ربي ، فيوءذن لى ،  
فاذا رأيت ربي ، وقعت أو خرت ساجدا لربي فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى  
ثم يقال : أرفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأحمد  
بتحميد يعلمني ثم أشفع فيحد لى حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود اليه  
الثانية فاذا رأيت ربي وقعت أو خرت ساجدا لربي ..... (١)

..... الى أن قال : ثم أعود اليه الرابعة ، فأقول : يارب ما بقى الا من  
حبسه القرآن " الحديث أخرجه البخارى ومسلم .

(٤) رواية أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى :

عن " أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه : أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال : " جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما  
وما فيهما ، وما بين أن ينظروا الى ربهم تبارك وتعالى الا ردءا كبيرا على  
وجهمه فى جنة عدن " أخرجه البخارى ومسلم . (٢)

(٥) رواية عدى بن حاتم :

عن عدى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما منكم من أحد  
الا سيكلمه الله عز وجل ليس بينه وبينه ترجمان " (٣)

(١) أخرجه البخارى / ح : ٤٤٧٦ ، ومسلم / ح : ٣٢٣ — كتاب الايمان ،

ورواه ابن ماجه / ح : ٤٣١٢ ، وأحمد / ٣ : ١١٦ .

(٢) أخرجه البخارى / ح : ٤٨٧٨ ، ومسلم / ح : ٢٩٦ — كتاب الايمان ،

ورواه الترمذى / ح : ٢٥٢٨ ، وابن ماجه / ح : ١٨٦ ، وأحمد / ٤ :

٤١١ ، ٤١٦ ، والدارمى فى السنن / ح : ٢٨٢٥ .

(٣) أخرجه البخارى / ح : ٧٥١٢ ، ومسلم / ح : ٦٧ — كتاب الزكاة ،

والترمذى / ح : ٢٤١٥ ، وابن ماجه / ح : ١٨٥ ، وأحمد / ٤ :

٢٥٦ ، ٣٧٧ .

(٦) رواية جابر بن عبد الله :

عن جابر بن عبد الله — سئل عن الورود حتى — قال : فينجلى لهم

(١)

رسهم " أخرجه مسلم عن أبي قدامة وإسحاق بن منصور عن روح .

ثالثا : ما روى عن الصحابة رضى الله عنهم فى الرواية :

١ — ما روى عن على رضى الله عنه :

عن عمار بن عبد يقول : سمعت عليا يقول : ( من تمام النعمة دخول الجنة

(٢)

والنظر الى وجه الله تبارك وتعالى فى جنته )

٢ — قول ابن مسعود :

عن عبد الله بن حكيم قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : والله

ان منكم من انسان الا ان ربه سيخلوا به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة  
البدرة ، قال : فيقول : ما غرك يا ابن آدم — ثلاث مرات — ؟ ماذا أجبت المرسلين  
ثلاثا ؟ كيف عملت فيما علمت ؟ (٣)

٣ — قول ابن عباس :

عن قتادة عن عكرمة : عن ابن عباس : هل تتكبرون أن تكون الخلة لابراهيم ؟

(٤)

والكلام لموسى ؟ والرواية لمحمد صلى الله عليه وسلم ؟

(١) أخرجه مسلم / ح : ٣١٦ — كتاب الايمان ، ورواه أحمد / ٣ : ٣٨٣ .

(٢) اللالكائي : أصول اعتقاد أهل السنة تحقيق د . أحمد سعد حمدان

ج ٣ ص ٤٩٦ .

(٣) المصدر السابق : ج ٣ ص ٤٩٧ .

(٤) رواه عبد الله بن أحمد فى السنة ١٤٥ ، والحاكم وصححه / ١ : ٦٥ ،

وذكر ابن حجر أنه أخرجه النسائي بسند صحيح الفتح / ٨ : ٦٠٨ ،

ورواه ابن خزيمة فى التوحيد ١٢٩ — ١٣٠ ، ورواه ابن مده فى كتاب

الايمان / ٧٠ — أ ، والحديث رواه الدارقطني من أكثر هذه الطرق ومن

غيرها فى الرواية / ١٢٦ — أ ، ب .

٤ — أبو موسى الأشعري :

عن أبي " مرأيه " قال : جعل أبو موسى يعلم الناس سنتهم ودينهم —  
قال : فشخصت أبصارهم — أو قال : وحرفوها عنه ، قال : فما أشخص أبصاركم  
عني ؟ ، قالوا : الهلال أيها الأمير ، قال : فذلك أشخص أبصاركم عني ؟ ،  
(١)  
قالوا : نعم ، قال : فكيف بكم إذا رأيتم الله جهرة .

٥ — أبو هريرة :

عن أبي النضر — يعنى سالم مولى عمر بن عبيد الله بن معمر القرشي : —  
(٢)  
أن أبا هريرة كان يذكر : أنكم لن تتروا ربكم ، حتى تذوقوا الموت .

ومما سبق من بيان السلفية لما فسر من الآيات على أن المؤمن يرون الله  
عز وجل يوم القيامة ، وما ساقته مما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في رؤية  
المؤمنين لربهم تبارك وتعالى ، وما روى عن الصحابة رضوان الله عليهم ،  
والتابعين لهم بإحسان ، والأئمة والفقهاء يتبين أن : رؤية المؤمن لربهم  
عز وجل يوم القيامة عقيدة ثابتة بالكتاب والسنة ، وتلقته الأمة بالقبول وظلت  
عليها ، حتى نبغت بعض الطوائف التي أنكرتها برد أحاديثها ، أو تأويلها ،  
وتأويل الآيات الواردة فيها وقالوا : إن الرؤية توجب كون المرئي محدثا ،  
وحالا في مكان ، وجميع هذه الأدلة مردودة ولا تقوى على مقابلة النص —  
الصحيحة الصريحة كما سنبينه من أقوال الزيدية وحججهم وأدلتهم الواهية  
في انكار رؤية الله عز وجل في الدنيا والآخرة .

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة ١٥٣ ، ورواه ابن خزيمة وذكره بسند

آخر عن أسلم موقوفا في التوحيد / ١١٨ .

(٢) اللالكائي : اعتقاد أهل السنة ج ٣ ص ٤٩٩ .

## موقف الزيدية من الروئية :

سلكت الزيدية سلك المعتزلة والنفاة في جحد روية المؤمنين  
لربهم في الدنيا والآخرة ، وأنكرت واستبعدت امكانها وذلك " لأنها  
توجب التحديد ، ومتى وقع التحديد وقع التبعية ، ومتى وقع التبعية وقع  
التشبيه ، وإذا وقع التشبيه زالت الربوبية عن ذلك الشيء البعض المجزأ ،  
(١)  
لأن الخالق على خلاف المخلوقين .

فروية الله تعالى عند الزيدية والمعتزلة غير جائزة دنيا وآخرة ،  
يقول ابن المبرق في كتابه : " القلائد في تصحيح العقائد " : لا يجوز الروئية  
عليه ، والا لرأيناه الآن لارتفاع الموانع الثمانية القرب ، والبعد المفرطان ،  
والرقة ، واللطافة ، والحجاب الكثيف ، وكون المرئى في خلاف جهة المرئى ،  
وكون محله في بعض هذه الأوصاف ، وعدم الضياء المناسب المبين " (٢)

وإذا نظرنا في تفسير الزيدية للآيات التي يظهر منها اثبات الروئية ،  
نجدها تتخذ طريقة تتفق وتتسق مع أصولها الخمسة ، والتي منها أصل  
التوحيد الذي يقوم على انكار صفات توهم التجسيد والتشبيه في نظرهم ، فإذا ما اصطدمت  
بآيات كقوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " (٣) التي تصرح  
بإثبات الروئية ، والنظر الى وجه الله تعالى ، اعتبرت هذه الآيات من  
المتشابه اعتمادا على المحكم مستعينة بما يعطيه المجاز من احتمالات للمعنى .

---

(١) الهادي : كتاب المسترشد ج ١ ق ٦٥ ، وأنظر على محمد زيد . معتزلة

اليمن ص ١٦٤ .

(٢) القاضي عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة تحقيق د . عبد الكريم عثمان

ص ٢٥٧٦ ، وأنظر الايجي المواقف ص ٣٠٧ وأنظر أحمد محمود صيحي

الزيدية ص ٤٤٠٠ .

(٣) سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .

يقول القاسم الرسى فى قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " : ان الوجوه تكون ناضرة ، مشرقة ، ناعمة ، الى ثواب ربها متناظرة ،  
 " ولا ينظر اليهم يوم القيامة " معناه : لا يبشهم برحمته ، ولا ينيلهم ما أنال أهل  
 الجنة من الثواب (١) . . . . ( أما الله ) فلا يرى فى الدنيا ولا فى الآخرة  
 وذلك : أن ما وقع عليه البصر فليس بخالق ولا قادر (٢) .

وتعضد الزيدية قولها فى نفي الرؤية باللغة فتقول : اذا جاء الخصب  
 بعد الجذب — فالعرب تقول : قد نظر الله جل ثاؤه الى خلقه ، ونظر  
 لعباده ، يريدون أتاها بالفرج والرجاء ، ليس يعنون أنه كان لا يراهم ثم صار  
 يراهم .

كما أوجبت الزيدية : أن لا تدركه الأبصار فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ذلك  
 أن ما وقع عليه البصر محدود ضعيف محوى محاط به ، له كل وبعض ، وفوق وتحت ،  
 ويمين وشمال ، وامام وخلف ، ولا يوصف الله بشىء من ذلك (٣) .

يقول الامام الهادى : " لا تدرك ذاته ، عجزت الحواس والعقول عن درك  
 المعبود جل جلاله ، لأن الحواس والعقل أدوات مجعولات مركبات لدرك مخلوقات  
 مثلهن ، فأما ما لم يكن لهن مشابها ، ولا لمعانهن مشاكلا ، وكان عن ذلك  
 متعاليا ، ولم يكن له حد ينال ، ولا شبه يضرب له به الا مثال ، فلا يدرك بهن ،  
 ولا تدرك ذاته بشىء " ، لأن الحواس المخلوقة ، والألباب المجعلوة لا تقبض

( ١ ) سورة آل عمران : آية : ٧٢ .

( ٢ ) القاسم الرسى : رسائل العدل والتوحيد تحقيق محمد عمارة ج ٢ ص ١٠٨

( ٣ ) المصدر السابق : ج ٢ نفس الصفحة .

( ٤ ) القاسم الرسى : رسائل العدل والتوحيد ج ١ ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

الا على مثلها ، ولا تلحق الا بشكلها ، ولا تحد الا بنظيرها ، وضح أنه تعالى مخالف لها في كل معانيها . (١)

كما تستدل الزيدية بالنقل على صحة استدلالها بالعقل في أن الله تعالى لا يرى ولا تدرك ذاته بقوله تعالى : " لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار " (٢) .

يقول الهادي في كتابه " أصول الدين " : كل ما يرى لابد أن يحيط به مكان ، وأن تحدث الروئية في زمان ، والله لا يحتاج الى المكان ، وأنه لكل مكان مدبر ، وأنه كان قبل كل مكان وحين وأوان ، وأنه كان ولا سماء ولا أرض ، ولا عرش ولا كرسي ، ولا كلام . (٣)

كما تعتبر الزيدية اثبات رؤية الله في الآخرة كما جاء به نصوص الكتاب والسنة : تجسيم وتكييف ، وأن هذا من نزعات الشيطان : يقول الزيدى للسلفى - اعتراضاً ونقداً لتفسير السيوطى " الدر المنثور في التفسير بالمأثور " : هو " لا الأجلة من الصحابة والتابعين قد روى عنهم من هو امام فى حزبك وسلفك " السيوطى " روى التجسيم عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وقد اشتهر استشهار الشمس فى قومك وسلفك حديث : " سترون ركم كالقمر ليلة البدر " فهل بعد هذا التكييف من بلاء وعى ..... الخ . (٤)

فالزيدية تعتبر اثبات الروئية ، تكييف وتشبيه يخالف قاعدة التنزيه على مذهبها ، فى الأصول الخمسة التى تقول : أن الله لا يرى ولا يدرك لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، والتى يكذبون بها الصريح من الآيات ، والصحيح

---

(١) الامام يحيى بن الحسين : رسائل العدل والتوحيد ج ٢ ص ٧٠ .

(٢) سورة الأنعام : آية : ١٠٣ .

(٣) على محمد زبيد : معتزلة اليمن ص ١٦٥ .

(٤) عبد الله محمد عبد الوهاب : جواب أهل السنة النبوية فى نقض كلام

الشيعة والزيدية ص ١١٢ .



من متواتر السنة أو يوء ولونها ويحملونها على غير حملها وظاهرها .  
فكانت الزيدية فى نفيها لرؤية البارى تعالى كالمعتزلة سواء بسواء ،  
كما تتشابه حججهم فى نفيها بالأدلة النقلية والعقلية ، وتأويل النصوص .  
يقول أبو الحسن الأشعري فى المقالات : وقالت المعتزلة والخوارج وطوائف من  
المرجئة وطوائف من الزيدية : أن الله لا يرى بالأبصار فى الدنيا والآخرة ،  
ولا يجوز ذلك عليه " (١)

ومن أدلة المعتزلة العقلية على نفي الرؤية قولهم : الموانع المعقولة  
من الرؤية ستة : الحجاب ، والرقعة ، واللطافة ، والبصر المفرط ،  
وكون الرأى فى غير جهة محاذاة الرأى ، وكون محله ينقض هذه الأوصاف  
وشىء منها لا يجوز على الله تعالى بحال من الأحوال . (٢)

فموانع المعتزلة العقلية من الرؤية هى التى قال بها امام الزيدية  
" الهادى " وزاد عليها فجعلها ثمانية " كعدم الضياء المناسب " (٣)

وتفصيل هذا الدليل فى قولهم : أنه لو جازت رؤيته تعالى لرأيناه الآن ،  
والتالى باطل ، فبيان الشرطية : لو جازت رؤيته تعالى لجازت فى الحالات  
كلها ، لأنه حكم ثابت له أما لذاته أو لصفة لازمة لذاته ، فجازت رؤيته

---

(١) الأشعري : مقالات الاسلاميين تصحيح : هليموت ريتير ص ٢١٦ ط دار  
التراث العربى بيروت وأنظر شرح رسالة الحور العين ١٤٨ ، وكتاب  
العدل والتوحيد ونفى السببية عن الواحد المجيد المخطوط ، وشرح  
الثلاثين مسألة المخطوط ، ورسائل العدل والتوحيد ٧٠ .

(٢) القاضى عبد الجبار شرح الأصول الخمسة ، تحقيق د . عبد الكريم عثمان

ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، وأنظر عند الدين الايجى المواقف ص ٣٠٧ .

(٣) د . أحمد محمود صبحى : الزيدية ص ٤٢٠ .

الآن ، ولو جازت رؤيته لجاز أن نراه ، لأنه اذا اجتمعت شرائط الرؤئية ،  
وجب حصول الرؤئية ، والا لجاز أن يكون بحضرتنا جبال شاهقة ، ونحن لانراه ،  
وأنه سفسطة ، ثم لا يعقل من هذه الشرائط فى حق رؤئية الله الا سلامة الحاسة  
وصحة الرؤئية ، لكون البواقى مختصة بالاجسام وهما حاصلان الآن <sup>(١)</sup> ، هذا  
الدليل العقلى .

أما الأدلة السمعية فهى :

أولا : قوله تعالى : " لاتدركه الأبصار " والادراك المضاف للأبصار انما هو  
الرؤئية ، أو هما متلازمان لا يصح نفي أحادهما مع اثبات الآخر ،  
فلاية نفت أن تراه الأبصار ، وذلك يتناول جميع الأبصار فى جميع  
الأوقات ، ولأنه تعالى تمدح بكونه لا يرى ، وما كان عدمه مدحا كان  
وجوده نقضا يجب تنزيه الله عنه . <sup>(٢)</sup>

ثانيا : أنه تعالى ما ذكر الرؤئية الا وقد استعظمه ، وذلك فى ثلاث آيات :  
الأولى : " وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل الملائكة أو نرى ربنا ،  
لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوتوا كبيرا " <sup>(٣)</sup> ولو كانت الرؤئية ممكنة  
لما كان طالبها عاتيا مستكبرا بل كان ذلك نازلا منزل طلب سائر  
المعجزات .

---

(١) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ص ٢٥٣ ، وأنظر المواقف

لعبد الدين الايجى ص ٣٠٧ ، وأنظر الرازى أصول الدين ص ٧١ .

(٢) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ص ٢٣٦ ، وأنظر الرازى

أصول الدين ص ٧١ ، والايجى ص ٣٠٧ .

(٣) سورة الفرقان : آية : ٢١ .

الثانية : "واذ قلتم يا موسى لن نؤمن بك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون" (١)

الثالثة : "يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا : أرى الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم" (٢) فسمى ذلك ظلما ، وجازاهم به فى الحال ، ولو جاز لكان سوء لهم سوء الا لمعجزة زائدة" (٣)

ثالثا : قوله تعالى لموسى : " لن ترانى " (٤) ولن للتأييد ، واذا لم يره موسى ، لم يره غيره اجماعا" (٥)

(٦)  
رابعا : قوله تعالى : " وما كان ليهيئ أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب" (٧)  
واذا لم يره من يكلمه فى وقت الكلام لم يره غيره اجماعا .

كما استدل الجهمية فى انكار الرؤية بقولهم : لا ينبغي لأحد أن ينظر الى ربه ، لأن المنظور اليه معمول موصوف ، فقلنا لهم : أليس الله يقول : الى ربها ناظرة " ؟ وانما ينظرون الى فعله وقدرته (٨) ، فقلنا لهم : انها مع

- 
- (١) سورة البقرة : آية : ٥٥ .  
(٢) سورة النساء : آية : ١٥٣ .  
(٣) عند الدين الابجى : المواقف ص ٣٠٨ - ٣١٠ .  
(٤) سورة الأعراف : آية : ١٤٣ .  
(٥) القاضى عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة تحقيق د . عبد الكريم عثمان ص ٢٦٤ .  
(٦) سورة الشورى : آية : ٥١ .  
(٧) عند الدين الابجى : المواقف ص ٣٠٨ - ٣١٠ .  
(٨) الامام أحمد : الرد على الجهمية والزنادقة تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ص ١٢٧ ، وانظر جواب أهل السنة النبوية ص ١١٥ .

ما تنظر من الثواب هي ترى ربها فقالوا : ان الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة ، وتلوا آية من المتشابه من قوله جل ثناؤه " لا تدركه الأبصار " (١)

ومما سبق تبين لنا : كيف جحدت الزيدية والمعتزلة والجهمية رؤى الله تعالى ؟ ، وكيف أنكرت واستبعدت حصولها وعدم جوازها في الدنيا والآخرة ؟ ، وكيف اتهمت من أثبتها بالتجسيم والتكليف والتجهيل ؟ والتمست لذلك الأدلة العقلية ، والنقلية لضعفها واستبعادها .

فعملت بذلك ماورد من النصوص الثابتة بالكتاب والسنة ، وادارت ظهرها في رد ما ثبت بالتواتر من الاحاديث النبوية الصحيحة وتلقته الأمة بالقبول ، وتأولت الآيات الواردة منها تأويلا لم ينزل به من سلطان ولا برهان . وقد حرر مشبوا الرؤى في الرد على شبه المنكرين الجوابات المفحمة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ، فأظهروا تهافت هؤلاء ، وخروجهم عما أجمعت عليه الأمة سلفا وخلفا ، فقدم الشوكاني ما بين ضلالهم وجهلهم للسنة الغراء ، كما ذكرت السلفية العديد من البحوث والردود ، وأجابت عن كل ما تعلق به النفاة عقلا ونقلا ، فظهر الحق ، وزهق الباطل ، وسلم للمعتصمين بالكتاب والسنة معتقدهم في رؤى الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم في الآخرة ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

مناقشة الشوكاني والسلفية " للزيدية " والرد على شبه المنكرين :

تنقسم شبه النفاة والمنكرين الى شبه عقلية وأخرى نقليية ، يلزمنا ردها والاجابة على كل منها .

---

(١) المصدر السابق : ص ١٢٧ - ١٢٨ .

## أولا : الشبه السمعية :

احتج المنكرون لرؤية الله تعالى ببعض الآيات منها :

الأولى : قوله تعالى : " لاتدركه الأبصار " <sup>(١)</sup> فقالوا :

الادراك المضاف الى الأبصار انما هو الرؤية أو هما متلازمان لا يصح

نفي احدهما مع اثبات الآخر ، فالآية نفت أن تراه في جميع الأوقات <sup>(٢)</sup> ،

ولأنه تمدح بكونه لا يرى ، وما كان عدمه مدحا كان وجوده نقضا <sup>(٣)</sup> يجب

تنزيه الله عنه .

## الجواب على ذلك :

نقول لهؤلاء النفاة من الزيدية والمعتزلة : نقل اجماع السلف على

اثبات الرؤية بالعين في الآخرة ونفيها في الدنيا قال الشوكاني : ثبتت

الرؤية بالأحاديث المتواترة ، تواترا لاشك فيه ، ولا شبهة ، ولا يجهله الا من <sup>(٤)</sup>

يجهل السنة المطهرة جهلا عظيما .

فالصحابة والتابعون وأئمة الاسلام كلهم متفقون على اثبات الرؤية لله

تعالى ، والأحاديث بها متواترة ، وكذلك الآثار بها متواترة عن الصحابة

والتابعين <sup>(٥)</sup> كما بينت من قبل .

(١) سورة الأنعام : آية : ١٠٣ .

(٢) ضد الدين الايجي : المواقف ص ٣٠٨ .

(٣) فخر الدين الرازي : أصول الدين ص ٧١ ، وأنظر القاضي عبد الجبار

شرح الاصول الخمسة تحقيق د . عبد الكريم عثمان ص ٢٤٢ .

(٤) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص ١٤٨ .

(٥) ابن تيمية : دقائق التفسير جمع وتحقيق د . محمد السيد الجانيد

أما الاحتجاج بالآية : فالآية حجة عليهم لا لهم :

يقول ابن تيمية : ان الادراك ، اما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة ، والأول باطل ، لأنه ليس كل من رأى شيئاً يقال انه أدركه ، كما لا يقال أحاط به . . . فبين لفظ الرؤية والادراك عموم وخصوص ، فقد تقع رؤية بلا ادراك <sup>(١)</sup> ، وقد يقع ادراك بلا رؤية ، فالنفي هو مجرد الادراك لا مجرد الرؤية <sup>(٢)</sup> .

يقول الايجي في المواقف : الادراك هو الرؤية على نعت الاحاطة بجوانب المرئى ، اذ حقيقته النيل والوصول ، والرؤية المكيفة أخص من المطلقة ، فلا يلزم من نفيها نفيها ، ويصح أن يقال : رأيت وما أدركه بصرى ، أى لم يحط به <sup>(٣)</sup> ، فيكون معنى الآية : لاتحيط به الأبصار ، كما ورد عن ابن عباس ، وقال سعيد بن المسيب ، وعطاء .

فالنفي : الاحاطة بالحقيقة والكفة ، وليس في ذلك دفع الرؤية ، لما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرؤية . وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث <sup>(٤)</sup> .

وأما قولهم : بأن الآية نفت أن تراه الأبصار ، وذلك يتناول جميع الابصار ، في جميع الاوقات <sup>(٥)</sup> .

---

(١) ابن تيمية : دقائق التفسير ، جمع وتحقيق د . محمد السيد الجاني

ج ٣ ص ٢١٠ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص ١٤٨ .

(٣) ضد الدين الايجي : المواقف ص ٣٠٩ .

(٤) ابن الجوزي : زاد المسير ج ٣ ص ٩٨ .

(٥) الايجي : المواقف ص ٣٠٨ وانظر الإلوسي روح المعاني ج ٧ ص ٢٤٥ .

فيقال لهم : على فرض أنه يتناول جميع الأبصار ، فإن هذا مخصص بما  
ثبت من رؤية المؤمن له في الدار الآخرة . كما نقول لهم : لامة بين اثبات الرؤية  
ونفي الإدراك ، ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم<sup>(١)</sup> ، فعلى تسليم أن نفي  
الإدراك يستلزم نفي الرؤية ، فالمراد الرؤية الخاصة فقد تقرر في علم البيان  
والميزان : أن رفع الإيجاب الكلي سلب جزئي ، فالمعنى : لا تدركه بعض  
الأبصار ، وهي أبصار الكفار ، والتقدير : لا تدركه كل الأبصار بل بعضها ،  
وهي أبصار المؤمنين<sup>(٢)</sup> فهذا يفيد سلب العموم ، ولا يفيد عموم السلب ، وتخصيص  
هذا السلب بالمجموع يدل على ثبوت الحكم في بعض أفراد المجموع<sup>(٣)</sup> .  
وأما قولهم : بأنه تمدح بأنه لا يرى .

فقد أجيب عنه : بأن الآية على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها ،  
فإن الله تعالى ذكرها في سياق التمدح ، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات  
الثبوتية ، وأما العدم المحض ، فليس بكمال ، ولا يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم .  
فلو كان المراد بقوله : " لا تدركه الأبصار " أنه لا يرى بحال ، لم يكن في  
ذلك مدح ولا كمال ، لمشاركة المعدوم له في ذلك<sup>(٤)</sup> ، فمعلوم أن كون الشيء  
لا يرى ليس صفة مدح ، لأن النفي المحض لا يكون مدحا إن لم يتضمن أمرا ثبوتيا ،  
ولأن المعدوم لا يرى ، فعلم أن مجرد الرؤية لا مدح فيه<sup>(٥)</sup> .

---

(١) ابن كثير : مختصر الصابوني ج ١ ص ٦٠٤ ، ٦٠٥ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ج ٢ ص ١٤٨ .

(٣) الرازي : مفاتيح الغيب ج ١٣ ص ١٣٢ .

(٤) ابن القيم الجوزية : حادي الأرواح ص ٢٨٥ .

(٥) المصدر السابق :

(٦) ابن تيمية : دقائق التفسير ص ٢١٠ .

وعلى ذلك يكون المعنى : أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به ، فقله :  
 " لا تدركه الأبصار " يدل على كمال عظمته ، وأنه أكبر من كل شيء ، وأنه  
 لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به ، فان " الإدراك " هو الاحاطة بالشئ ،  
 (١)  
 وهو قدر زائد على الرؤية .

الثانية : قوله تعالى لموسى عليه السلام لما سأله الرؤية : " لن ترانى " (٢)  
 تعلق نفاة الرؤية من المعتزلة والزيدية بهذه الآية وقالوا : لن نفيد  
 التأييد فاذا لم يره موسى ، لم يره غيره اجماعا (٣) ، وبناء على قولهم أن لن  
 نفيد التأييد ، وجب أن يقال : ان موسى عليه السلام لا يرى الله تعالى البتة ،  
 وكل من قال ان موسى لا يرى الله البتة ، قال : ان غيره لا يراها أيضا (٤) ،  
 وذلك لعجز الحواس والعقول عن درك المعبود فلا يدرك بهن ، ولا تدرك ذاته  
 بشئ (٥) .

الجواب على ذلك :

نقول للنفاة : ان جواب موسى عليه السلام بقوله تعالى : " لن ترانى "  
 يفيد أنه لا يراه هذا الوقت الذى طلب رؤيته فيه وأنه لا يرى مادام الرائي فى  
 دار الدنيا حيا ، كما أن سوء ال موسى للرؤية يدل على أنها جائزة عنده ،  
 فلو كانت مستحيلة لما سألها (٦) ، وهذا يدل على أنه تعالى يرى ، ولكن

- 
- (١) ابن أبى العز : شرح الطحاوية ، تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٢٠١  
 (٢) سورة الأعراف : آية : ١٤٣ .  
 (٣) عند الدين الايجى : المواقف ص ٣٠٠ .  
 (٤) فخر الدين الرازى : أصول الدين ص ٧١ .  
 (٥) الامام الهادى : رسائل العدل والتوحيد تحقيق د . محمد عمارة  
 ج ٢ ص ٧٠ .  
 (٦) الشوكانى : فتح القدير ج ٢ ص ٢٤٣ .



موسى لا تتحمل قواه رؤيته فى هذا الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته  
تعالى . (١)

وأما قول النفاة بأن " لن ترانى " لنفى الأبد فهذا غلط ، لأنها وردت ،  
وليس المراد بها الأبد فى قوله تعالى : " ولن يتنوه أبدا بما قدمت أيديهم " (٢)  
ثم أخبر عنهم بتنويه فى النار فى قوله تعالى : " يا مالك ليقض علينا ربك " (٣) (٤)  
فأضح من ذلك أن ما استدل به الزيدية والمعتزلة وغيرهم ، أضعف ما يكون ،  
ولا ينهض أن يكون حجة ، وخصوصا لدليل التواتر الذى ثبت به رؤية المؤمنين  
لربهم فى الدار الآخرة . (٥)

وعلى ذلك تكون رؤيته تعالى جائزة عقلا ، لأن كل موجود يجوز أن يرى  
عقلا ، ويدل لجوازها عقلا قول موسى عليه السلام : " رب أرنى أنظر إليك " <sup>(٦)</sup>  
لأنه لا يجهل الجائز فى حقه عقلا ، كما يدل على ذلك قوله : " لن  
ترانى " ولم يقل لا أرى ، فلما قال ذلك ، علم أن هذا يدل على أنه تعالى فى  
ذاته جائز الرؤية . (٧)

فتبين من ذلك : أن " لن " لا تقتضى النفى المؤبد ، قال جمال الدين  
ابن مالك :

- 
- (١) ابن القيم الجوزية : حادى الأروى الارواح ص ٢٢٨ .
  - (٢) سورة البقرة : آية : ٩٥ .
  - (٣) سورة الزخرف : آية : ٧٢ .
  - (٤) ابن الجوزى : زاد السير ج ٣ ص ٢٥٦ .
  - (٥) ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير للصاينى ج ٢ ص ٤٨ .
  - (٦) الشنقيطى : دفع ايها الاضطراب عن آيات الكتاب ص ١٢٢ .
  - (٧) الرازى : مفاتيح الغيب ج ١٤ ص ٢٤٠ .

(١) ومن رأى النفى بلن مؤبدا ٥٥٥ فقله اردد وسواه فاعضد

كما ذكر علماء السلفية أن الآية تدل على الروئية من وجوه متعددة :  
قال ابن القيم الجوزية :

أحدها : أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه مالا يجوز  
عليه .

الوجه الثاني : أن الله سبحانه لم ينكر عليه سوء اله ، ولو كان محالا لأنكره  
عليه . . . . . ولهذا لما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سوء اله ، وقال : " انى  
أعظك أن تكون من الجاهلين " (٢)

الوجه الثالث : أنه أجابه بقوله : " لن ترانى " ولم يقل لا ترانى ، ولا أنى لست  
بمرئى ، ولا تجوز رؤيتى ، والفرق ظاهر بين الجوابين لمن تأمله .

الوجه الرابع : أن الله تعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقرا مكانه ،  
وليس هذا بمتنع فى مقدوره ، بل هو ممكن ، وقد علق به الروئية ، ولو كانت محالا  
فى ذاتها لم يعلقها بالممكن فى ذاته .

الوجه الخامس : قوله سبحانه وتعالى : " فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا "   
وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى ، فانه اذا أجاز أن يتجلى  
للجبل الذى هو جماد لا ثواب له ولا عقاب ، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ،  
ورسله وأوليائه فى دار كرامته ، ويريتهم نفسه . (٣)

الوجه السادس : أن ربه سبحانه قد كلمه منه اليه وخاطبه وناجاه وناداه ،  
ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فروءيته

---

(١) ابن أبى العز : شرح الطحاوية ج ١ ص ٢٠٠ .

(٢) سورة هود : آية : ٤٦ ، ٤٧ .

(٣) ابن القيم الجوزية : حادى الارواح ص ٢٧٧ - ٢٧٩ ، وانظر ابن

أبى العز شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ١٩٩ .

(١) أولى بالجواز .

فقولهم : أن " ولن " تقتضى النفى المؤبد ليس بصحيح وإنما تقتضى النفى فى المستقبل ، ولا تدل على دوام النفى ، ولو قيدت بالتأييد ، فكيف اذا أطلقت ؟ (٢)

الثالثة : تأول النفاة من المعتزلة والزيدية الآيات الواردة فى النظر نحو قوله تعالى : " الى ربها ناظرة " (٣) بأنها منتظرة ، فقالوا : ان النظر المذكور بمعنى الانتظار ، فكأنه تعالى قال : وجوه يومئذ ناظرة لثواب ربها منتظرة ، والنظر بمعنى الانتظار (٤) ، فالجوه يومئذ تكون ناضرة ، مشرقة ناعمة ، الى ثواب ربها منتظرة . (٥)

الجواب على ذلك :

أجاب الشوكانى بما يقع النفاة فقال : ان هذا القول خطأ ، لأنه لا يقال نظر الى كذا بمعنى الانتظار ، وأن قول القائل : نظرت الى فلان فليس الا رؤية العين ، كما قال الشاعر :

(٦) نظرت اليها والنجوم كأنها ه ه مصابيح رهبان تشب لفعال  
فاضافة النظر الى الوجه ، الذى هو محله فى الآية ، وتعديه بأداة " الى " الصريحة فى نظر العين ، واخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه ، حقيقة

(١) ابن أبى العز : شرح الطحاوية ج ١ ص ٢٠٠ .

(٢) ابن القيم الجوزية : حادى الارواح ص ٢٢٩ .

(٣) سورة القيامة : آية : ٢٣ .

(٤) القاضى عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة تحقيق د . عبد الكريم عثمان ص ٢٤٥ .

(٥) القاسم الرسى : رسائل العدل والتوحيد تحقيق محمد عمارة ج ٢ ص ١٠٨ .

(٦) الشوكانى : فتح القدير ج ٥ ص ٣٣٩ .

موضوعة صريحة ، في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه الى  
الرب جل جلاله <sup>(١)</sup> ، وهذا قول جمهور أهل العلم .

وعلى ذلك لا يكون المراد بذلك ، الا ما توارت به الأحاديث الصحيحة من  
أن العباد ينظرون الى ربهم يوم القيامة كما ينظرون الى القمر ليلة البدر . <sup>(٢)</sup>  
فنحن اذا أجرنا هذه الآية من تحريفها عن مواضعها ، والكذب على  
المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدناها تتادى نداء صريحا ، أن الله  
سبحانه يرى عيانا بالأبصار يوم القيامة . <sup>(٣)</sup>

وبناء على ما بينه العلماء في معنى الآية : من أن النظر المقرون بحرف  
الى المعدى الى الوجوه ليس الا بمعنى الروئية ، فوجب أن لا يرد بمعنى الانتظار . <sup>(٤)</sup>

فقول النفاة من المعتزلة والزيدية : من أن النظر بمعنى الانتظار مردود  
فاسد ، لأنه لا يتعدى بالى بل بنفسه ، وبأنه لا يسند الى الوجه ، فلا يقال  
وجه زيد منتظر ، والمتبادر من الاسناد ، اسناد النظر الى الوجوه الحقيقية . <sup>(٥)</sup>

ثانيا : شبه العقلية :

احتج المنكرون ببعض الأدلة العقلية منها :

١ - قولهم : ان لازم اثبات النصوص على ظاهرها اثبات التجسيم والتكييف ،

(١) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ١٩٥ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ٣٣٨ .

(٣) ابن القيم الجوزية : حادى الأرواح ص ٢٨٨ .

(٤) الرازى : تفسير مفاتيح الغيب ج ١٥ ص ٢٢٨ .

(٥) الألوسى : روح المعانى ج ٢٩ ص ١٤٧ .

فقد اشتهر عندكم حديث : " سترون ربكم كالقمر ليلة البدر " فهل بعد هذا التكيف من بلاء ؟ <sup>(١)</sup> .

الجواب على ذلك :

وقد أجيب عن هذه الشبهة : فقله : قد اشتهر عندكم حديث :  
" سترون ربكم ٠٠٠ الخ ، يقال : هذا حق وصدق ، تواترت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودل على ذلك آيات كثيرة من القرآن <sup>(٢)</sup> .  
والعجيب أن قول الزيدية أن حديث الرواية وما شابهه تكيف وعما وضلال ،  
فإذا كان موسى عليه السلام قال لربه : " أرني أنظر اليك " أفيسأل موسى عليه السلام ما هو تكيف وتجسيم وعما وضلال ؟ ، ويكون موسى عليه السلام لا يعرف ما يجوز على الله ، وما يمتنع عليه ، ويعرف ذلك جهنم وشيعته من المعتزلة والزيدية ؟ فلا اله الا الله ما أقبح هذا الجهل وأبعده عن الصواب والسداد عند أولى الألباب <sup>(٣)</sup> .

كما ينبغي أن يعرف أن هذه الرواية والنظر الى وجه الله الكريم ، بلا كيفية ، ولا حد محدود ، ولا صفة معلومة ، كما جاء ذلك في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم .

يقول الشوكاني : أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " قال : ينظرون الى ربهم بلا كيفية ولا حد محدود ، ولا صفة معلومة ٠٠٠ <sup>(٤)</sup> .

---

(١) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : جواب أهل السنة النبوية في نقض

كلام الشيعة والزيدية ص ١١١ ، ١١٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ١١١ - ١١٤ .

(٣) المصدر السابق : نفس الصفحات .

(٤) الحديث أخرجه ابن مردويه عن أنس بن مالك أنظر الدر المنثور ج ١ ص ٣٥٠

وأنظر الشوكاني ج ٥ ص ٣٤٠ .

وعلى ذلك لا يكون لمن نفا الروئية واستبعادها شئ يصلح للتمسك به  
(١) لا من كتاب ، ولا من سنة .

٢ - وعمدة نفاة الجهمية والمعتزلة وغيرهم ، ومن وافقهم في بعض بدعتهم :  
قولهم :

لو كان الله يرى في الآخرة لكان في جهة ، وما كان في جهة  
فهو جسم ، وذلك على الله محال<sup>(٢)</sup> كما أن لهم شرط عقلي وضعوه :  
من أن الروئية توجب كون المرئي محدثا<sup>(٣)</sup> .  
الجواب على ذلك :

يقال لهؤلاء النفاة : أنتم لم تنفوا ما نفيتوه بكتاب ولا سنة  
ولا اجماع ، فان هذه الألفاظ ليس لها وجود في النصوص ، بل قولكم : " لو رؤي  
لكان في جهة ، وما كان في جهة فهو جسم ، وما كان جسما فهو محدث ، كلام  
تدعون أنكم علمتم صحته بالعقل ، وحينئذ تطالبون بالدلالة العقلية على هذا  
النفي ، وينظر فيها بنفس العقل .<sup>(٤)</sup>

فان كان مرادهم : أن المرئي لا بد أن يكون معاينا تجاه الرائي ، وما كان  
كذلك فهو جسم ، ونحو هذا الكلام ، قلنا لهم : الصادق المصدق صلى الله  
عليه وسلم قال : انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر " وقال : هل تضامون  
في رؤية الشمس صحوا ليس دونها سحب ؟ قالوا : لا ، قال : فهل تضامون

(١) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ٣٤٠ .

(٢) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل تحقيق د . محمد رشاد سالم ج ١ ص ٢٤٧ .

(٣) اللالكائي : أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة تحقيق د . أحمد سعيد

حمدان ج ٣ ص ٤٥٤ .

(٤) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٥٤ .

فى روءية القمر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا قال : فانكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر " وهذا تشبيه للروءية بالروءية ، لا للمرئى بالمرئى ، وفى لفظ فى الصحيح : " انكم ترون ربكم عيانا " <sup>(١)</sup> فاذا قد أخبرنا أننا نراه عيانا . <sup>(٢)</sup>

وأما الشرط العقلى الذى وضعوه من أن الروءية توجب كون المرئى محدثا : فهذا من قصور التفكير البشرى الذى يقيس الأمور الغيبية بما ألفه فى دنياه ، وقيس الهه ومعبوده بالمخلوق الضعيف . <sup>(٣)</sup>

ثم أن ما تصوره من لوازم الروءية غير وارد . قال ابن بطلال :  
 " وما تمسكوا به فاسد لقيام الأدلة على أن الله تعالى موجود والروءية فى تعلقها بالمرئى بمنزلة العلم فى تعلقه بالمعلوم ، فاذا كان تعلق العلم بالمعلوم <sup>(٤)</sup> لا يوجب حدوثه ، فكذلك المرئى .

(١) ورد حديث الروءية بروايات مختلفة ومن طرق عدة فى البخارى ١٢٢/٩ (كتاب التوحيد) باب ما ذكر فى الذات والنعوت وأسمائى الله ( ) وفى مسلم ١٦٤/١ (كتاب الايمان) ، والحديث أيضا فى سنن أبى داود ٢٣٣/٤ - ٢٣٤ (كتاب السنة) باب الروءية ( ) سنن ابن ماجه ٦٣/١ (المقدمة) باب فيما أنكرت الجهمية ( ) والترمذى ١٨/١٠ - ١٩ بشرح ابن العرى ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل تحقيق د . محمد رشاد سالم ج ١ ص ٢٥٢ .

(٣) اللالكائى : أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق د . أحمد سعد حمدان ج ٣ ص ٤٥٤ .

(٤) الفتح : ١٣ ص ٤٢٦ .

وما ورد من الأدلة السمعية ومذاهب علماء الأمة من اثبات الروئية  
من غير تشبيه ولا تمثيل ، وهذا الذى أوردوه مقنع لمن أراد الحق . (١)

---

(١) يراجع تفسير الطبرى : ٧ : ٢٩٧ - ٣٠٤ ، والفتح ١٣ : ٤٢٦ ،  
والممل والنحل ١ : ٨٨ ، وتلبيس الجهمية ٢ : ٣٥٢ ، وشرح  
الطحاوية ١٤٣ - ١٥٧ ، ومختصر الصواعق ١ : ٢٨٤ ، وحادى  
الأرواح ٢٠٢ .



## الخاتمة

oooooooooooooooooooooooooooo

## الخاتمة

لعلنا نستطيع الآن بعد ما تقدم من دراسة آراء الشوكاني ومنهجه  
في بحث المسائل الاعتقادية ، وما كان من أثر هذا المنهج ، وتلك الطريقة  
في معالجته لأهميات المشاكل الكلامية التي وقع فيها الزيدية والمعتزلة  
مثل تقديم العقل على النقل ، وتأويل النصوص وإخراجها عن ظاهرها ،  
وابتات وجود الله على طريقة الاعتزال الزيدى ووجدانية الله  
تعالى وصفاته ، وعموم مشيئته وقدرته واثبات رؤية الله تعالى في الآخرة ،  
إلى غير ذلك من المسائل التي عالجها الشوكاني في جرأة وقوة منطق  
تجديدا لعقيدة السلف وأئمة الحديث .

وقد توصلت في هذه الرسالة الى النتائج التالية :

15

ان الشوكاني مما لاشك فيه قد عالج المسائل العقديّة ودافع عنها  
كما أنه استطاع أن يدافع عن المذهب السلفي على طريقة السلف بحرارة  
وقوة لم يسبق اليها في قطره اليمنى بنفس الهمة والأسلوب والبيان ،  
فوقف من خصوم المذهب السلفي موقف المعارض القوي الذي يحتكم الي  
العقل والنقل معا .

فإذا كانت مذاهب العقليين من الفلاسفة والزيدية والمعتزلة قد فشلت في حل المسائل الاعتقادية بتطبيقاتها في ناحية العقل ، واستخفافهم بالنصوص ، وكانت الزيدية قد جاوزت هؤلاء العقليين في القول بضرورة تأويل النصوص التي يظهر مصادمتها للعقل في نظرهم ، فإن الشوكاني قد نجح

فى رد اعتبار النصوص اليها وجعلها هى المرجع الأول والأخير فى  
جميع مسائل الدين .

### ثانيا :

اذا كان المذهب الزيدى المعتزلى قد نجح فى بسط سلطانه على معظم  
القطر اليمنى لمدة طويلة بفضل ما انتسب اليه وناصره من الأمراء أمثال  
القاسم الرسى وحفيده الامام الهادى ومن بعده من أئمة ، وبفضل من  
تزعمه ودعا اليه من علماء الزيدية ، فان المذهب السلفى بعد الشوكانى  
ومن سبقه من العلماء الذين كانوا على عقيدة أهل البيت والسلف  
الصالح أمثال ابن الوزير اليمنى ، ومحمد بن اسماعيل الأمير ، والمقبلى ،  
أصبح المذهب السلفى بعد هؤلاء والشوكانى يزاحم اليوم الزيدية  
كل المزاحمة ، وينازعهم هذا النفوذ والسلطان .

### ثالثا :

اننا لانستطيع أن نقدر المذهب السلفى الذى دعا اليه الشوكانى  
وما قدمه الى المجتمع الاسلامى من خير الا اذا صورنا لانفسنا ما كان  
يعانيه المسلمون فى عصر الشوكانى الذى ظهر فيه من فوضى باللغة فى  
العقيدة فقد كثرت فيه الفرق والمقالات كثرة لاحد لها كما بينت  
ذلك من قبل ، وكانت هذه الفرق تتناحر وتتقاتل فيما بينها وكل فرقة  
تدعى أنها على الحق ، وتتلاعب بالنصوص فتوهم لها بما يتفق مع مذهبها ،  
وان خالف ذلك أبسط قواعد اللغة وأسلوب أهلها فى التخاطب ،  
وكان الناس لا يرجعون فى شىء من أمر العقيدة ، لا الى كتاب ولا سنة ،  
بل كانوا يأخذون عقائدهم من كتب هؤلاء المتكلمين ، المحشوة  
بالجدليات والمتناقضات ، ومسائل الخلافات ، ليس فيها ما يروى غليلا

ولا يشفى عليلا ، ولا يكسب القلب ايمانا وطمأنينة ، فضعفت بذلك قدسيتها من النفوس ، واجترأ الناس على الكلام فى الله وصفاته بما لم يأذن به ، فخبأ نور الايمان ، وطمست معالم الحقيقة ، والتبس على الناس طريق الايمان ونور الاسلام الصحيح . فجاء الشوكانى فهاله هذا الأمر ، وما وصلت اليه حال المسلمين من سوء فوقف حياته كلها على معالجة هذه الأمراض بشتى الطرق والوسائل ، فأعلن حربا لا هوادة فيها على هذه الطوائف كلها ، وأخذ يظهر زيفها وبطلانها وبعدها عن منهج الكتاب والسنة ، ويدعوها الى الرجوع الى طريقة السلف الأول من الصحابة والتابعين ، معتقدا أنه لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها .

#### رابعاً :

- أصبح واضحاً من خلال هذه الرسالة أن الشوكانى كان يرمى من وراء دعوة الناس للرجوع الى الكتاب والسنة الى الأمور الآتية :
- ١ - تطهير العقيدة الاسلامية مما داخلها من الزيغ والانحراف وعبادة غير الله تعالى .
  - ٢ - تخليص العقيدة مما لحق بها من أضرار الفلسفة الدخيلة واللوان الجدول العقيمة التى لاتسمن ولا تغنى من جوع .
  - ٣ - كان يرمى كذلك الى القضاء على تلك العصبية المذهبية التى كانت قد تمكنت من نفوس علماء الزيدية فى اليمن وسائر العلماء فى الأقطار الاسلامية الأخرى ، حتى حملتهم على معاداة بعضهم بعضاً ، وتكفير بعضهم بعضاً ، والتى كانت سبباً فيما ابتلى به المسلمون ، من الضعف والخذلان ، وتسلط الأعداء من الفرنجة والانجليز ، والفرنسيين وغيرهم .

جزاء وفاقا ، لما تركوا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم  
فان الشوكاني أدرك تمام الادراك : أن الناس اذا تركوا بعض ما أنزل  
الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء ، اذ لم يبق حق جامع يشتركون  
فيه ، بل تقطعوا أمرهم بينهم زبرا ، كل حزب بما لديهم فرحون  
٤ - تبين من البحث أن دعوة الشوكاني ، كانت اصلاح واحياء وتجديد ،  
فهو بحق أبو النهضة الاسلامية الحديثة في اليمن خاصة وأحد زعماء  
النهضة الاسلامية الحديثة في العالم الاسلامي بعد ابن تيمية وابن  
القيم الجوزية ، ومحمد بن عبد الوهاب وأضرابهم ، فهو الذي وضع  
أساس هذه النهضة في اليمن وجميع دعاة الاصلاح من بعده انما  
بهديه اقتدوا ، وعلى كتبه تخرجوا .

#### خامسا :

هذا البحث كشف عن قوة شخصية الشوكاني ، ومرونته في الدعوة  
واظهار الحق ، واماطة اللثام عن الباطل الذي كان ينتهجه الناس ،  
فاستطاع هو أن يوسع وسط مجتمعه المليء بالمناقضات مدرسة  
لدراسة الحديث النبوي والعقيدة السلفية رغم فشل المحاولات الكثيرة  
التي سبقتها من قبل أئمة اعلام كابن الأمير والمقبلي والجلال وابن الوزير  
وغيرهم ، وهذا ان دل على شيء انما يدل على شجاعة ومرونة وقسوة  
في الشخصية .

#### سادسا :

تبين من خلال التعرض لنصوص صفات الله تعالى وأسمائه ، أن تفسيره  
لها تفسيراً سلفياً الا القليل النزر كصفة الوجه الذي أقربه وأثبتته  
بالنصوص الحديثية ، وأنه يعتمد في اثبات الصفات وتفسيره للنصوص في

سائر فصول هذه الرسالة على الأحاديث الصحيحة ويقدمها على ماورد في غيرها من دواوين السنة وكذا المرفوعة ، والآثار والقراءات الصحيحة ، ولغة العرب لكي يتوصل الى معنى النص والآية .

### سابعاً :

احتكم الشوكاني في مهاجمته للزيدية والمعتزلة وسائر النفاة والمعتطلين الى اللغة والنحو ومذاهب القراء وأغراضهم واستشهد بالشعر ، واستعمل في اخراج المعاني الصحيحة أصول التفسير وأصول الفقه ، فوضح في مباحثه الاشتقاق والاشتراك والاطلاق والتقييد والخاص والعام ، وتمكن من علم الميزان والبيان في توضيح معاني الآي كما ظهر ذلك عند قوله تعالى : " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار " <sup>(١)</sup> ، وعند قوله : " لن تراني " <sup>(٢)</sup> وعند قوله تعالى : " الرحمن على العرش استوى " <sup>(٣)</sup> في اثبات الاستواء وصفة العلو " وغيرها من الآيات التي احتجت بها الزيدية والمعتزلة في النفي والتعطيل .

### ثامناً :

توصلت في جميع الفصول التي تكونت منها هذه الرسالة الى مدى ماوصلت اليه الزيدية من اتفاق في المسائل الكلامية والأصول الاعتقادية مع المعتزلة اذا ما استثنينا مسألة الامامة حتى يمكن القول : أن الزيدية والمعتزلة من خلال علم الكلام والاتفاق في مسائل الأصول ، يعدان فرقة واحدة ، أما الذين خرجوا كلية من ربيعة المعتزلة كماثال ابن الوزير صاحب " الروض الباسم " ، والشوكاني ، وبعض تلاميذه ، لم يصيبهم من الاعتزال شيئاً .

(١) سورة الأنعام : آية : ١٠٣ .

(٢) سورة الأعراف : آية : ١٤٣ .

(٣) سورة طه : آية : ٥ .

تاسعا :

توصلت الى أن الزيديين لم يسيروا على طريقة زيد ، وأن انتسابهم اليه كان باطلا ، لأنه كان على العقيدة السلفية التي كان يدين بها ويعتقدها أهل البيت الأطهار . أما المتأخرون فكانوا معتزلة في عقائدهم في كل الموارد كما بينه صاحب العلم الشامخ ، وذكره الأشعرى في المقالات وبينته في سائر فصول البحث .

عاشرا :

ظهر بالدليل العقلي والنقلي خروج الزيدية على ما أجمعت عليه الأمة سلفا وأئمة العلم والحديث خلفا في صرف النصوص عن ظاهرها وتأويل الآيات بما يخرجها عن مدلولاتها الصريحة ، واعتناقها أصول المعتزلة الخمسة التي أنكرت بها صفات الله عز وجل الثابتة له بالكتاب والسنة ، كما سلكت في الاستدلال على وجود الله الأدلة المغتصة واستخدمت الجواهر والاعراض التي لزم عنها لوازم فاسدة ، فأنكرت عموم القدر والمشئة وجعلت مع الله خالقين لاستقلالهم بالافعال عن عموم ارادته وقدره الكوني لجميع خلقه كما أنها أنكرت ما أجمعت عليها الأمة سلفا وخلفا وما تواترت به الأحاديث من النظر الى وجه الله عز وجل وروءيته في الدار الآخرة .

حادى عشر :

توصلت في هذه الرسالة في جميع فصولها الى قوة الحجة السلفية في الرد على الزائغين من المعتزلة والزيدية والجهمية وأهل الكلام واستخدامهم في الدفاع عن العقيدة السلفية وما كان عليه السلف الصالح وتابعيهم باحسان طريقة المناظرة والجدال بالتى هي أحسن

مع استعمال صحيح المنقول وصريح المعقول في الرد على المخالفين والمبطلين ،  
فانه لاتناقض بين سمع صحيح وعقل صريح كما أجاد بيان ذلك شيخ الاسلام  
ابن تيمية رحمه الله .

هذا وبالله تعالى التوفيق ، وهو الهادي الى صراطه المستقيم .  
تمت الرسالة بحمد الله تعالى وعونه . وآخر دعوانا أن الحمد لله  
رب العالمين ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

\* \* \* \* \*



## أهم المصادر والمراجع

---

## أهم المصادر والمراجع

أولاً : المراجع المخطوطة :

\* ابن الوزير (الهادی بن ابراهیم) :

- ١ - الارشاد الهادى فى عقيدة الزيدية •  
مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٧ - عقائد تيمور •

\* الحسنی ( محمد بن ابراہیم بن القاسم ) :

- ٢ - طبقات الزيدية •
- مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٨٤٨ خ •

\* ابن الوزير ( محمد بن ابراهيم ) :

- ٣ - العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم .  
مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٦٥ - علم الكلام -  
ثلاث مجلدات .

\* أبو طالب (عبد الكريم بن عبد الله) :

- ٤ - الارشاد الهادي الى كشف مستور منظومة الهادي •  
مكتبة محمد بن محمد الغصور - صنعاء •

\* ابن مثنويه ( الحسن بن أحمد ) :

- ٥ - التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض .  
دار الكتب المصرية (ب) ٢٧٩٨٤ .

\* الامام يحيى بن حمزة :

٦ — التمهيد لأدلة التوحيد

• دار الكتب المصرية (ب) ٢٨٦٧٧

٧ — الشامل لحقائق الأدلة العقلية وأصول الدينية •

• دار الكتب المصرية (ب) ٢٩٠٥٣

\* حميد أحمد المحلى :

٨ — الحقائق الوردية فى مناقب الأئمة الزيدية •

• دار الكتب المصرية تاريخ ١٥٦٣٢

\* الرصاص : ( أحمد بن الحسن بن أبى بكر ) :

٩ — الواسطة فى أصول الدين •

• دار الكتب المصرية (ب) ٢٨٧٩٢

\* عبد الله بن محمد :

١٠ — شرح القلائد فى تصحيح العقائد ( المقدمة ) •

مكتبة محمد بن محمد المنصور — صنعاء

\* الامام عبد الله بن حمزة :

١١ — الشافعى •

• دار الكتب المصرية (ب) ٢٩٠٢٥

\* أحمد عبد الله عارف :

١٢ — أصول الاتفاق فى القضايا الكلامية بين الزيدية والمعتزلة •

رسالة ماجستير بدارالعلوم القاهرة ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م

\* حسن عبد اللطيف الراقعي :

١٣ — الآمدى وكتابه غاية المـرام •

• رسالة ماجستير بد ار العـلوم •

\* أبو القاسم ( الحسن بن الرصاص ) :

١٤ — شرح الثلاثين مسألة •

• المخطوط بالمكتبة الخاصة لعبد الوهاب الديلمى •

ثانيا : أهم المصادر والمراجع المطبوعة

• القرآن الكريم

( أ )

\* الأشعري : ( أبو الحسن الأشعري ) :

١٥ - الأبانة عن أصول الديانة •

نشره قصي محب الدين الخطيب •

١٦ - اللمع في الرد على أهل البدع والزيغ •

تحقيق د • حمودة غرابسة •

١٧ - مقالات الاسلاميين •

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد •

مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٩ م

\* ابن تيمية ( شيخ الاسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد السلام بن

تيمية الحرائي الدمشقي •

١٨ - الرد على النطقيين •

طبعة بومباي ١٩٦٨ م •

١٩ - نقض المنطق - تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي وآخران •

ط الأولى •

٢٠ - درء تعارض العقل والنقل تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم •

دار الكتب المصرية ١٩٧١ م بالقاهرة •

- ٢١ — منهاج السنة النبوية (جزءان) •  
المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٢١هـ بالقاهرة •
- ٢٢ — الاكليل في التمشاه والتأويل •  
ط صبيح ١٩٦٦ •
- ٢٣ — الارادة والأمر •  
طبعة صبيح ١٩٦٦م ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١٩٦٦م
- ٢٤ — شرح العقيدة الأصفهانية • تقديم حسنين محمد مخلوف •  
دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق غيفي •
- ٢٥ — نصيحة أهل الايمان في الرد على منطق اليونان ( مختصر السيوطي ) •  
طبعة دار السعادة بالقاهرة •
- ٢٦ — النبوات •  
المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٨٦هـ •
- ٢٧ — تفسير سورة الاخلاص •  
ط المحمدية بالقاهرة •
- ٢٨ — المناظرة في العقيدة الواسطية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى •  
ج ١ الجزء الأول ١٩٦٦م صبيح •
- ٢٩ — العقيدة الواسطية •  
شرح الدكتور محمد خليل هراس •
- الطبعة الرابعة — توزيع المكتب التعليمي السعودي بالمغرب •
- ٣٠ — معارج الوصول الى أصول الدين وفروعه •  
نشره قصى الدين الخطيب — المطبعة السلفية ١٣٨٢هـ

- ٣١ — لغة المرتاد في الرد على القرامطة أهل الالحاد .  
ضمن مجموعة الفتاوى الكبرى . الجزء الخامس .  
١٣٢٨ هـ ط كردستان .
- ٣٢ — الرسالة السبعينية .  
ضمن مجموعة الفتاوى الكبرى — الجزء الخامس ١٣٨١ هـ .
- ٣٣ — رسالة في الحقيقة والمجاز .  
المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٥١ هـ .
- ٣٤ — مجموعة الرسائل والمسائل .  
ط المنار تحقيق محمد رشيد رضا ١٣٤١ هـ .
- ٣٥ — مقدمة في أصول التفسير .  
ط السلفية ١٣٨٥ هـ .
- ٣٦ — كتاب الايمان .  
تحقيق الدكتور محمد خليل هراس الطبعة الأولى .
- ٣٧ — الرسالة التدمرية .  
المكتب الاسلامي — بيروت — الطبعة الأولى .
- ٣٨ — الرد على الجهمية .  
تحقيق محمد حامد الفقي ١٩٥٩ هـ .
- ٣٩ — العقيدة الحموية الكبرى .  
ط صبيح ١٩٦٦ م ضمن الرسائل الكبرى الجزء الأول .
- ٤٠ — كتاب التوحيد .  
تحقيق د . محمد السيد الجانيد — دار الفكر الحديث  
للطباعة ١٩٧٣ م .

- ٤١ — الرد على فلسفة ابن رشد •  
• ضمن مجموعة المكتبة المحمودية التجارية بالقاهرة •
- ٤٢ — عرش الرحمن وما ورد فيه من الآيات والأحاديث •  
• تحقيق السيد محمد رشيد رضا •
- ٤٣ — مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية •  
• جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي •  
• تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ •
- \* ابن القيم الجوزية ( الامام شمس الدين أبو عبيدة محمد بن أبي بكر الدمشقي ) •
- 

- ٤٤ — اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان •  
• تحقيق محمد حامد الفقى •  
• ط دار المعرفة بيروت •
- ٤٥ — الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة • ( مختصر الموصلى ) •  
• تحقيق الشيخ محمد حامد الفقى وعبد الرازق حمزة •  
• مكة ١٣٤٨ هـ •
- ٤٦ — أعلام الموقعين عن رب العالمين •  
• الطبعة الثانية ١٩٥٥ م • تحقيق الشيخ محمد محى  
• الدين عبد الحميد •
- ٤٧ — اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعتلة والجهمية •  
• ط الامام بدون تاريخ •
- ٤٨ — شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر •  
• المطبعة الحسنية ١٣٢٣ هـ القاهرة •



- ٤٩ — مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة .
- ط السعادة ١٣٢٣ هـ القاهرة .
- ٥٠ — مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين .
- تحقيق الشيخ محمد حامد الفقى — السنة المحمدية ١٩٥٥ م .
- ٥١ — حادى الأرواح الى بلاد الأفراح .
- تحقيق محمود حسن الربيع .
- مطبعة الأزهر بالقاهرة سنة ١٩٣٨ م .

\* الآمدى :

- ٥٢ — غاية المرام .
- تحقيق الأستاذ حسن عبد اللطيف .
- ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٧١ م .

\* ابن أبى الحديد : ( عبد الحميد ) :

- ٥٣ — شرح نهج البلاغة .
- تحقيق محمد أبو الفضل .
- ط دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٦٢ م .

\* أحمد بن شرف الدين :

- ٥٤ — تاريخ الفكر الاسلامى فى اليمن .
- مطبعة الكيلانى القاهرة ١٩٦٨ م .

\* اسماعيل باشا محمد :

- ٥٥ — الذيل على كشف الظنون .
- ط استانبول ١٩٤٥ م .

\* الامام أحمد بن حنبل :

- ٥٦ - الرد على الجهمية والزنادقة •
- تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميرة • دار اللواء بالرياض •
- ٥٧ - كتاب السنة •
- تصحيح الشيخ اسماعيل الانصارى • نشر وتوزيع لادارة  
البحوث العلمية والدعوة والارشاد السعودية •

\* ابراهيم مذكور :

- ٥٨ - في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه •
- دار المعارف بالقاهرة ١٩٢٦ م •

\* أحمد بن يحيى المرعشى :

- ٥٩ - القلائد في تصحيح العقائد في مقدمة البحر الزخار •
- مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٤ هـ •
- ٦٠ - الغنية والأمل في الملل والنحل •
- تحقيق محمد جواد مشهور •
- دار الفكر بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ •

\* دكتور أحمد شلبى :

- ٦١ - موسوعة التاريخ والحضارة الاسلامية •
- مكتبة النهضة الحديثة الطبعة الخامسة مصر •

\* ابن الأثير : ( عز الدين بن محمد الشينانى :

- ٦٢ - الكامل في التاريخ ————— خ •
- ط بولاق •

٦٣ - النهاية في غريب الحديث •

• طبعة المطبعة الخيرية بمصر •

\* أحمد أمين :

---

٦٤ - ضحى الاسلام •

• ( الطبعة الأولى ) مطبعة النهضة العربية القاهرة ١٩٢٥ م •

٦٥ - فجر الاسلام •

• مكتبة النهضة - القاهرة - ١٩٦٢ م •

\* أحمد شرف الدين :

---

٦٦ - اليمن عبر التاريخ • ( طبعة أولى ) •

• مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - ١٩٦٣ م •

\* أحمد محمود صبحي :

---

٦٧ - الزيدية •

• منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٨٠ م •

\* الأصفهاني : ( الراغب ) :

---

٦٨ - مفردات الراغب الأصفهاني في غريب القرآن •

\* الايجي : ( ضد الدين ) :

---

٦٩ - المواقف •

• ( مطبعة السعادة بمصر - ١٣٢٥ هـ ) •

(ب)

\* البغدادى : ( أبو منصور عبد القاهر التميمي البغدادى ) :

• ٧٠ - أصول الدين

• دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ

• ٧١ - الفرق بين الفرق

• نشر محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة - دون تاريخ

\* البخارى : ( الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن

المغيرة بن بزدة البخارى ) :

• ٧٢ - صحيح البخارى

• ط الشعب القاهرة ١٣٧٩ هـ

• ٧٣ - خلق أفعال العباد والرد على الجهمية

• تحقيق الدكتور سامي النشار وعمار طالبي

• منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١ م

\* البيهقي : ( الامام الحافظ أبو بكر بن الحسين بن علي البيهقي ) :

• ٧٤ - الأسماء والصفات

• احياء التراث العربى - بيروت

• ٧٥ - الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة

• تحقيق الشيخ أحمد محمد موسى ١٩٦١ م

\* ابن أبي العز الحنفى : ( علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفى ) :

• ٧٦ - شرح الطحاوي

• تحقيق د. عبد الرحمن عميرة - مكتبة المعارف بالرياض

• ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

( ت )

\* الترمذى : ( الامام

٧٧ — سنن الترمذى •

• مطبعة الفجالة ١٩٦٤ م •

( ث )

\* ابن الأثير : ( مجد الدين أبى السعادات ابن الأثير الجزرى ) :

٧٨ — جامع الأصول فى أحاديث الرسول •

• تحقيق عبد القادر الأناؤوط •

• نشر وتوزيع مكتبة الحلوانى والملاح ودار البيان ١٣٩٢ هـ

( ج )

\* الجوينى : ( أبو المعالى الجوينى ) :

٧٩ — كتاب الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد •

• تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى •

• مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٥٠ م •

٨٠ — الشامل فى أصول الدين •

• ج ١ تحقيق هلموت كلو مطبعة دار العرب ١٩٥٩ م •

\* الجرجاني : ( على بن محمد بن على السيد الزين أبو الحسن الحسينى

المعروف بالسيد الشريف الجرجاني ) :

٨١ — شرح المواقف فى علم الكلام •

الموقف الخامس / تعليق الدكتور أحمد المهدى ، مكتبة

الأزهر •

\* ابن الجوزى : ( أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى الخبلى ) :

---

٨٢ - زاد المسير فى علم التفسير .

تحقيق زهير الشويش ط المكتب الاسلامى .

٨٣ - تلبيس ابليس .

الطبعة الثانية دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .

( ح )

\* ابن حزم :

---

٨٤ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل .

المطبعة الأدبية ١٩١٢ م .

\* الحسينى : ( حمد بن زبارة ) :

---

٨٥ - ملحق البدر الطالع للشوكاني .

\* أبو خنيفة : ( الامام الأعظم النعمان بن ثابت الكوفى ) :

---

٨٦ - الفقه الاكبر .

ط الخانجى القاهرة الطبعة الثانية ١٣٢٤ هـ .

\* ابن حجر العسقلانى ٨٥٢ هـ .

---

٨٧ - الاصابة فى تمييز الصحابة ، ومعها الاستيعاب لابن عبد البر ٤٦٣ هـ .

مكتبة المثنى بغداد ، مطبعة السعادة بمصر .

٨٨ - بلوغ المرام فى أحاديث الأحكام .

المكتبة التجارية ١٣٥٢ هـ

- ٨٩ — فتح الباري شرح صحيح البخاري .  
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي — مراجعة محب الدين  
الخطيب — المكتبة السلفية — القاهرة .

\* الدكتور حسن ابراهيم حسن :

- ٩٠ — تاريخ الاسلام السياسي والاقتصادي .  
مكتبة النهضة المصرية الطبعة الخامسة ١٩٦٠ م .

\* حسنى زينة :

- ٩١ — العقل عند الزيدية .  
دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٧٨ م .  
\* حاجي خليفة : ( مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة ) :

- ٩٢ — كشف التنون على أسامي الكتب والفنون .  
ط استانبول ١٣٦٠ هـ — ١٩٤١ م .

\* حافظ بن أحمد حكيم :

- ٩٣ — العقيدة الاسلامية سوء الوجود .  
٩٤ — معارج القبول .  
دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ

\* حسنين مخلوف :

- ٩٥ — صفوة البيان لمعاني القرآن .  
دار الفكر .

( خ )

\* ابن خزيمة : ( الحافظ محمد بن اسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن

صالح بن بكر ، أبو بكر النيسابورى ) :

٩٦ - كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل التى وصف بها نفسه .

• تعليق الدكتور محمد خليل هراس

• مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٦٨ م

\* الخطاط : ( أبو الحسن عبد الرحيم بن محمد بن عثمان بن الخطاط المعتزلى ) :

٩٧ - الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد .

• تعليق الدكتور نيبيرج • دار الكتب المصرية ١٩٢٥ م

\* الخطابى : ( أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابى ) :

٩٨ - رسالة فى الغنية عن الكلام .

نشرها السيوطى فى صون المنطق • تحقيق د • على سامى

النشـار

\* ابن خلدون : ( عبد الرحمن ) :

٩٩ - تاريخ ابن خلدون ، المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام

العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر .

• طبعة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م

\* ابن خلكان : ( شمس الدين أبو العباس أحمد بن أبى بكر ) :

١٠٠ - وفيات الأعيان وأنباء الزمان .

تحقيق محمد عبد الحميد محى الدين - القاهرة ١٩٤٨ م



( د )

\* الدارمي : الامام

- ١٠١ - رد الامام الدارمي على بشر العنيد .  
تحقيق محمد حامد الفقي ط السنة المحمدية ١٣٥٨ هـ

\* أبو داود :

- ١٠٢ - سنن أبي داود .  
دار احياء السنة النبوية بيروت .

\* دي يور :

- ١٠٣ - تاريخ الفلسفة في الاسلام .

( ذ )

\* الحافظ الذهبي : ( أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ) :

- ١٠٤ - تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام .  
غيت بنشره مكتبة القديس لحسام الدين المقدسي .  
١٠٥ - تذكرة الحفاظ .  
الطبعة الرابعة دار احياء التراث العربي بيروت لبنان .  
١٠٦ - المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال .  
حققه وعلق عليه محب الدين الخطيب .

( ر )

\* الرازي : ( فخر الدين الرازي ) :

- ١٠٧ - أساس التقديس .

١٠٨ — مفاتيح الغيب تفسيره المعروف •

ط ١٣٠٨ هـ •

١٠٩ — محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الفلاسفة والمتكلمين •

مذيل بتلخيص المحصل للعلامة نصر الدين الطوسي

وحاشيته • ومعالم أصول الدين للإمام فخر الدين الرازي •

\* ابن رشد : ( أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الاتدلسي ) :

---

١١٠ — مناهج الأدلة في عقائد الملة •

تحقيق الدكتور محمود قاسم — الانجلو ١٩٦٤ م •

١١١ — فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال •

١٩١٠ م ط الخانجي •

\* ابن رجب : ( زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن

الحنبلـي ) :

١١٢ — فضل علم السلف على الخلف •

ط مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٤٧ هـ •

\* رزق الحجر :

---

١١٣ — ابن الوزير اليمنى : منهجه الكلامي •

ط الدار السعودية للنشر والتوزيع •

\* الرصـاص : ( محمد بن الحسن الرصاص ) :

---

١١٤ — الثلاثين مسألة •

تحقيق عبد السلام كاتني بيروت ١٩٧١ م لبنان •

( ز )

\* الزركلى : ( خير الدين الزركلى ) :

• ١١٥ - الاعلام تراجم لأشهر الرجال والنساء

• مطبعة كوستاقوماس مصورة

\* الزمخشري : ( أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ) :

• ١١٦ - تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

• نشر دار الفكر بيروت ١٩٧٧ م

\* زهد بن علي :

• ١١٧ - تاريخ حضارة اليمن

• المطبعة السلفية القاهرة ١٣٩٦ هـ

\* الامام زيد :

• ١١٨ - سند الامام زيد

• تخريج وتحقيق الواسعي عبد الواسع بن يحيى

• طبع القاهرة

\* زهدى جار الله :

• ١١٩ - المعتزلة

• الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٧٤ م

\* الأزهري :

• ١٢٠ - تهذيب اللغة • تحقيق ابراهيم الابياري

• ط الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م

(س)

\* السيوطي : ( أبو الفضل عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر جلال الدين

السيوطي ) :

١٢١ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور .

ط دار الفكر بيروت لبنان .

١٢٢ - صون الخطق والكلام عن فنى الخطق والكلام .

تعليق الدكتور على سامي النشار

مطبعة السعادة الطبعة الأولى .

١٢٣ - الاتقان في علوم القرآن .

مطبعة الحلبي القاهرة دون تاريخ .

\* ابن سنان ثابت :

١٢٤ - تاريخ أخبار القرامطة .

تحقيق د . سهيل زكار بيروت ١٩٧١ م .

\* سيد سابق :

١٢٥ - العقيدة الإسلامية .

دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الثانية

سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

\* سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ( ت ١٢٣٣ هـ ) :

١٢٦ - تيسير العزيز الحميد

المكتب الإسلامي الطبعة الخامسة .

( ش )

\* الشهرستاني : ( عبد الكريم بن أبي بكر ) :

١٢٧ - الملل والنحل ( تحقيق بدران ) •

الطبعة الثانية مطبعة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٥٦ م

١٢٨ - نهاية الاقدام •

• نشرة جيوم سنة ١٩٣٤ م

\* الشوكاني : ( محمد بن علي الشوكاني ) :

١٢٩ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع •

الطبعة الأولى مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٨ هـ

١٣٠ - اتحاف الأكابر باسناد الدفاتر •

• طبع حيدرآباد سنة ١٣٢٨ هـ

١٣١ - فتح القدير ( تفسيره المعروف ) •

• ط الحلبي سنة ١٣٨٣ هـ

١٣٢ - أدب الطلب ومنتهى الأدب •

١٣٣ - ارشاد الثقات الى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات •

ط دار النهضة العربية بمصر تحقيق ابراهيم هلال

• الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ

١٣٤ - ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول •

المطبعة الفنية سنة ١٣٤٧ هـ ، ومطبعة السعادة

• ١٣٦٥ هـ ، ومطبعة الحلبي سنة ١٣٥٦ هـ

١٣٥ - تحفة الذاكرين في شرح عدة الحصن الحصين •

• ط الحلبي سنة ١٣٥٠ هـ

- ١٣٦ — التحف في مذاهب السلف •  
ط المنيرة سنة ١٣٨٣ هـ •
- ١٣٧ — تنبيه الأعلام على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام • تحت اسم  
" كشف الشبهات عن المشتبهات " •  
تحقيق دكتور ابراهيم هلال •
- ١٣٨ — الدر التزيد في خلاص كلمة التوحيد •  
ط المطبعة المنيرة ١٣٤٨ هـ بمصر ، ومطبعة أنصار  
السنة المحمدية •
- ١٣٩ — السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار •  
مطبعة الشؤون الاسلامية بمصر ١٣٩٠ هـ •
- ١٤٠ — شرح الصدور في تحريم رفع القبور •  
المطبعة المنيرة سنة ١٣٤٧ هـ •
- ١٤١ — الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة •  
ط الهند سنة ١٢٠٣ هـ • ثم بمصر المطبعة  
المحمدية سنة ١٣٨٠ هـ •
- ١٤٢ — قطر الولي على حديث الولي •  
تحقيق الدكتور ابراهيم هلال • ط دار الكتب الحديثة  
سنة ١٣٩٥ هـ •
- ١٤٣ — القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد •  
المطبعة المنيرة سنة ١٣٤٨ هـ •
- ١٤٤ — نيل الأوطار ( شرح منتقى الأخبار ) •  
ط الحلبي سنة ١٣٩٦ هـ •

١٤٥ — أمراء الشريعة •

تحقيق دكتور ابراهيم هلال • دار النهضة العربية

مصر سنة ١٣٩٦ هـ •

\* الشنقيطي : ( الشيخ أمين الشنقيطي ت ١٣٩٧ هـ ) :

---

١٤٦ — أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن •

ط صبحي المدني •

١٤٧ — دفع اتهام الاضطراب عن آيات الكتاب •

١٤٨ — منهج دراسات لآيات الأسماء والصفات •

توزيع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة •

( ص )

\* صالح رمضان محمود :

---

١٤٩ — ذكريات الشوكاني ( رسائل للموءرخ اليمنى محمد بن علي الشوكاني )

تحقيق ومراجعة ط دار العودة بيروت لبنان

\* صالح بن مهدي المقبل :

---

١٥٠ — العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشائخ •

الطبعة الأولى القاهرة ١٣٣٨ هـ •

\* صاحب بن عباد :

---

١٥١ — نصرة المذاهب الزيدية •

تحقيق ناجي حسن بغداد ١٩٧٥ م •

( ط )

\* الطبرى : ( أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى " ت ٣١٠ هـ " ) :

١٥٢ - تاريخ الطبرى .

مطبعة الاستقامة القاهرة ١٩٣٩ هـ .

١٥٣ - تفسير الطبرى ( جامع البيان من تأويل القرآن ) .

تحقيق محمود محمد شاكر دار المعارف ١٣٧٤ هـ .

( ع )

\* عمر رضا كحالة :

١٥٤ - معجم المؤلفين .

نشر المثنى دار احياء التراث العربى بيروت ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م

\* عمر سليمان الأشقر :

١٥٥ - العقيدة فى الله .

مكتبة الفلاح الكويت الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٤ م .

\* عهد الجبار : ( قاضى القضاة أبو الحسن بن أحمد بن الخليل بن عهد الله

الأسد أبايدى ) :

١٥٦ - المغنى فى أبواب التوحيد والعدل .

ج ١ ، ٢ تحقيق الاب قنواتى - طبعة أولى -

منظبعة مصر ١٣٨٢ هـ

١٥٧ - شرح الأصول الخمسة - تعليق الدكتور عبد الكريم عثمان .

مكتبة وهبة القاهرة ١٩٦٥ م .

١٥٨ - المحيط بالتكليف - تحقيق عمر السيد عزمى .

المؤسسة العامة للتأليف والنشر .



\* علي سامي النشار (دكتور) :

- ١٥٩ — مباحث البحث لدى مفكرى الاسلام .
- ط دار الفكر العربى سنة ١٩٤٧ م .
- ١٦٠ — تاريخ التفكير الفلسفى فى الاسلام .
- دار الفكر العربى القاهرة ١٩٤٧ م .

\* ابن عبد البر : ( الامام المحدث أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن

عبد البر الأندلسى ) :

- ١٦١ — جامع بيان العلم وفضله .
- تحقيق عبد الرحمن عثمان — نشر المكتبة السلفية
- بالمدينة المنورة ١٩٦٨ م .

\* عبد الرحمن محمد عثمان :

- ١٦٢ — ضبط ومراجعة تحفة الأخوذى بشرح جامع الترمذى .
- مطبعة الاعتماد القاهرة .

\* عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ( المعروف بابن الشيخ ) :

- ١٦٣ — جواب أهل السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والزيدية .
- تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا .
- منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت .

\* عدنان زرزور :

- ١٦٤ — الحاكم الجسمى ومنهجه فى التفسير
- الطبعة الأولى دمشق ١٩٧٢ م .

\* عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكاظمي :

١٦٥ — الحيدة .

نشر عبد العزيز بن عبد الرحمن آل شيخ — مطبعة

الامام ، القاهرة بدون تاريخ .

\* دكتور / عبد العزيز الفالح :

١٦٦ — قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة .

ط دار العودة بيروت سنة ١٩٨٢ م .

\* عبد الله محمد الحيشي :

١٦٧ — مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن .

مركز الدراسات اليمنية صنعاء .

\* علي محمد زيد :

١٦٨ — معتزلة اليمن .

مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء ط دار العودة

بيروت .

( غ )

\* الغزالي : ( أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ) :

١٦٩ — فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة .

تحقيق الدكتور سليمان دنيا ط البابي الحلبي ١٩٦١ م .

١٧٠ — تهافت الفلاسفة .

تحقيق الدكتور سليمان دنيا دار المعارف الطبعة

الثانية ١٩٥٥ م .

- ١٢١ - قانون التأويل : تقديم الشيخ محمد زاهد الكوثري .  
ط الأنوار الطبعة الأولى ١٩٤٠ م .
- ١٢٢ - الاقتصاد في الاعتقاد .  
ط صبيح ١٣٨٢ هـ .
- ١٢٣ - الجام العوام من علم الكلام .  
ج مجموعة القصور العوالي بتحقيق أبو العلا .
- ١٢٤ - الحكمة في مخلوقات الله تعالى .  
ج ٣ مجموعة القصور العوالي ط بيروت .
- ١٢٥ - الأربعين في أصول الدين .  
( ف )

\* الدكتورة : فضيلة الشامي :

- ١٢٦ - تاريخ الفرقة الزيدية .  
طبعة الآداب النجف سنة ١٩٧٤ م .  
( ق )

\* القاسمي : ( جمال الدين القاسمي الدمشقي :

- ١٢٧ - تاريخ الجهمية والمعتزلة .  
مطبعة المنار الطبعة الأولى ١٣٣١ هـ .
- ١٢٨ - محاسن التأويل : ( تفسير القاسمي ) .  
مطبعة مصطفى الحلبي الطبعة الأولى - دون تاريخ

\* ابن القاسم : ( يحيى بن الحسين ) :

- ١٢٩ - غاية الأمان في أخبار القطر اليماني .  
تحقيق الدكتور سعيد عاشور - القاهرة - دار الكتب  
العربي ١٩٦٨ م .

\* ابن قتيبة : ( أبو محمد عبد الله بن محمد ) :

١٨٠ — تأويل مختلف الحديث •

تحقيق محمد زاهر النجار — مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٦٦ م •

\* القرطبي :

١٨١ — الجامع لأحكام القرآن ( تفسير القرطبي ) •

دار احياء التراث العربى الطبعة الثانية •

( ك )

\* ابن كثير : ( الحافظ عماد الدين أبو الفدا ، اسماعيل بن عمر بن كثير

القرشى دمشقى المعروف بابن كثير ) :

١٨٢ — تفسير القرآن العظيم

ط عيسى البابى الحلبي بصر الطبعة الرابعة •

١٨٣ — البداية والنهاية •

ط المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٥١ هـ •

( ل )

\* الألوسى : ( العلامة محمود الألوسى البغدادى ت ١٢٢٠ هـ ) :

١٨٤ — روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى •

مكتبة دار التراث — القاهرة •

( م )

\* أبوزهرة : ( الشيخ محمد أبوزهرة ) :

١٨٥ — الامام زيد •

الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — القاهرة ١٩٥٩ م •

- ١٨٦ — تاريخ المذاهب الاسلامية •  
الجزء الأول — نشر دار الفكر العربى — بالقاهرة  
ط دار الثقافة •
- ١٨٧ — ابن حنبل حياته وعصره •  
مطبعة مخيم ١٩٤٨ م •
- ١٨٨ — ابن تيمية حياته وعصره • وآراؤه وفقهاء •  
دار الفكر العربى مطبعة الثقافة العربية •
- ١٨٩ — تاريخ الجندل •  
مطبعة العلوم ١٩٣٤ م •

\* محمد عبده :

- ١٩٠ — رسالة التوحيد •  
طبعة المنار — بدون تاريخ •

\* محمد بن محمد زبارة :

- ١٩١ — نيل الوطن —  
المطبعة السلفية ١٣٤٨ هـ •

\* محمد جمال الفندى :

- ١٩٢ — الله يتجلى فى عصر العلم ( مترجم ) •  
طبعة دار احياء الكتب بالقاهرة ١٩٦٠ م •

\* محمد ادريس الندوى :

- ١٩٣ — التفسير القيم لابن القيم •  
حققه محمد حامد الفقى — دار العلوم الحديثية  
بيروت لبنان •

\* محمد علي الصابوني :

- ١٩٤ — مختصر تفسير ابن كثير ( اختصار وتحقيق )
- دار القرآن الكريم للعناية بطبعه ونشر علومه — الطبعة السابعة بيروت — لبنان

\* محمد مرتضى الزيدى :

- ١٩٥ — تاج العروس من جواهر القاموس
- منشورات دار الحياة

\* دكتور : محمد السيد الجليل :

- ١٩٦ — دقائق التفسير لابن تيمية
- جمع وترتيب وتحقيق — ٤ أجزاء — دار الانصار بالقاهرة
- ١٩٧ — ابن تيمية وقضية التأويل
- شركة مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع — الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م

\* محمد عمارة :

- ١٩٨ — رسائل العدل والتوحيد ( مجموعة كتب للمعتزلة والزيدية ) فى جزئين
- تحقيق دار الهلال القاهرة ١٩٧١ م

\* محمد ناصر الدين الألبانى :

- ١٩٩ — سلسلة الأحاديث الضعيفة
- المكتب الإسلامى
- ٢٠٠ — سلسلة الأحاديث الصحيحة • تحقيق صحيح الجامع الأصغر وزيادته •
- المكتب الإسلامى -

\* المسمودي :

٢٠١ - مروج الذهب .

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط السعادة ١٩٦٤م .

\* المقريزي :

٢٠٢ - الخطط . ط بولاق بدون تاريخ .

\* الشيخ المشير :

٢٠٣ - أوائل المقالات .

الطبعة الأولى تبير طهران ١٣٦٣ هـ .

\* الدكتور / محمد حسن الغماري :

٢٠٤ - الامام الشوكاني مفسرا .

دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة جدة

الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨١م .

\* دكتور / محمود أحمد خفاجي :

٢٠٥ - العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة - في جزئين .

طبعة الأمانة - القاهرة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

\* الشيخ مصطفى عبد الرازق :

٢٠٦ - تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية .

نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٦٦م .

\* المطلي : ( أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المطلي ) :

٢٠٧ - التبيه والرد على أهل الأهواء والبدع . تعليق محمد زاهد الكوثري .

مكتبة المشي بغداد ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م .

\* د . محمد خليل هراس :

٢٠٨ — ابن تيمية السلفى .

ط دار الكتب العلمية بيروت .

\* ملة على القارى :

٢٠٩ — شرح الفقه الأكبر للإمام أبى حنيفة .

ط دار الكتب العربية القاهرة ١٣٢٧ هـ .

\* مصطفى حلمى :

٢١٠ — قواعد المنهج السلفى .

دار الأنصار القاهرة ١٩٧١ م .

\* ميكال بان ذى حويه :

٢١١ — القرامطة . ترجمة وتحقيق حسن زينة .

ط دار ابن خلدون بيروت ١٩٨٠ م .

\* ابن منظور :

٢١٢ — لسان العرب .

دار المعارف المصرية .

\* محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى :

٢١٣ — مختار الصحاح .

طبع المطبعة الأميرية بولاق مصر ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٨ م .

\* محمد عبد الله دراز :

٢١٤ — المختار من كنوز السنة النبوية .

عبد الله بن ابراهيم الانصارى — طبع على نفقة أمير قطر .



\* محمد فوّاد عبد الهادي :

- ٢١٥ — مفتاح كوز السنة • وضع فتستك •
- ترجمة محمد فوّاد عبد الباقي •
- ٢١٦ — المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم •
- ( ن )

\* النواوي : ( محي الدين يحيى بن شرف ) :

- ٢١٧ — شرح صحيح مسلم •
- المطبعة المصرية • دون تاريخ •

\* التوينجي :

- ٢١٨ — فرق الشيعة •
- طبعة النجف • تحقيق رتبرا التانبول ١٩٣١م •

\* ناجي حسن :

- ٢١٩ — ثورة زيد بن علي •
- مكتبة النهضة بغداد — ساعدت جامعة بغداد على طبعه •

\* أبونعميم : (أحمد بن عبد الله الأصفهاني ) :

- ٢٢٠ — حلية الأولياء وطبقات الأصفياء •
- مكتبة الخانجي • مطبعة السعادة ١٣٥٢هـ — ١٩٣٣م •

\* الامام النسائي :

- ٢٢١ — سنن النسائي •
- دار احياء التراث العربي بيروت •

\* ابن النديم :

٢٢٢ — الفهرست — دار روائع التراث مكتبة الخياط بيروت دون تاريخ .

( و )

\* ابن الوزير : ( محمد بن ابراهيم بن على ) :

٢٢٣ — ايثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق .

• طبعة شركة طبع الكتب العربية بمصر .

٢٢٤ — البرهان القاطع في اثبات الصانع وجميع ما جاء به الشرائع .

• المطبعة السلفية سنة ١٣٤٩ هـ .

٢٢٥ — ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان .

• طبعة المعاهد سنة ١٣٤٩ هـ .

٢٢٦ — الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم .

• طبعة ادارة الطباعة المنيرية بمصر بدون تاريخ .

\* الدكتور : أ . ي . ونستك :

٢٢٧ — المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ( بمشاركة محمد فوءاد عبد الباقي )

• مكتبة برييل في مدينة ليدن سنة ١٩٢٦ م .

+++++

+++++

++++

( الفهرست )

فهرس الموضوعات

| الموضوع | رقم الصفحة |
|---------|------------|
| المقدمة | ١ - ل      |

الباب الأول

الامام الشوكاني : حياته وعصره

الفصل الأول

الحالة السياسية في عصر الشوكاني

|                                                            |    |
|------------------------------------------------------------|----|
| تمهيد                                                      | ٣  |
| الحياة السياسية                                            | ٤  |
| علاقة اليمن بالدولة العثمانية ، وأشراف مكة وتهامة وآل سعود | ٧  |
| علاقة اليمن بالدولة العثمانية                              | ٨  |
| علاقة اليمن بأشراف مكة                                     | ٩  |
| علاقة اليمن بأشراف تهامة والمخلاف السليماني                | ١٠ |
| علاقة الزيدية بآل سعود                                     | ١٢ |

الفصل الثاني

الحالة الدينية في عصر الشوكاني

|                            |    |
|----------------------------|----|
| تمهيد                      | ٢٠ |
| ١ - أهل السنة              | ٢٠ |
| ٢ - الشيعة                 | ٢١ |
| ٣ - الزيدية بعد الامام زيد | ٢٢ |
| ٤ - الزيدية في اليمن       | ٢٤ |

| الموضوع                               | رقم الصفحة |
|---------------------------------------|------------|
| ٥ - الراضية                           | ٢٥         |
| ٦ - الباطنية                          | ٢٨         |
| ٧ - المعتزلة باليمن                   | ٣١         |
| ٨ - الأشاعرة                          | ٣٥         |
| ٩ - الصوفية                           | ٣٧         |
| ١٠ - تعقيب                            | ٤٢         |
| حركة التأليف في اليمن في عصر الشوكاني | ٤٤         |

### الفصل الثالث

#### الشوكاني : نشأته وحياته

|                                                |    |
|------------------------------------------------|----|
| ١ - نسبه وموطنه                                | ٤٨ |
| ٢ - مولده ونشأته                               | ٤٨ |
| ٣ - حياته العلمية                              | ٥٠ |
| أولا : دعوته الى العقيدة السلفية               | ٥٢ |
| ثانيا : دعوته الى تطهير العقائد من مظاهر الشرك | ٥٥ |
| ثالثا : دعوته الى الاجتهاد وبند التقليد        | ٥٨ |
| ٤ - توليه للقضاء العام                         | ٦١ |

### الفصل الرابع

#### أساتذة الشوكاني وتلاميذه ومبوء لفاته

|             |    |
|-------------|----|
| ١ - أساتذته | ٦٤ |
| ٢ - تلاميذه | ٦٦ |

| الموضوع      | رقم الصفحة |
|--------------|------------|
| ٣ - مؤلفاته  | ٦٩         |
| أ - المخطوطة | ٦٩         |
| ب - المطبوعة | ٨٢         |

## الباب الثاني

### آراؤه الاعتقادية

#### الفصل الأول

#### موقف الشوكاني من التأويل

|                                    |     |
|------------------------------------|-----|
| التأويل في لغة العرب               | ٨٢  |
| دلالة التأويل في القرآن            | ٩١  |
| المحكم والمتشابه                   | ٩٢  |
| تحقيق القول في آية آل عمران        | ٩٩  |
| نتائج هذا التحقيق                  | ١٠١ |
| فيما يدخله التأويل                 | ١٠٣ |
| موقف الزيدية من التأويل            | ١٠٦ |
| المحكم والمتشابه عند الزيدية       | ١١٢ |
| مناقشة الشوكاني للزيدية في التأويل | ١١٥ |
| — في العقل عند الزيدية             | ١١٥ |
| — في موقفهم حيال النصوص            | ١١٢ |
| — في موقفهم حيال المحكم والمتشابه  | ١١٩ |

## الفصل الثانى

### الاستدلال على وجود الله ومنهجه فيه

|     |                                                        |
|-----|--------------------------------------------------------|
| ١٢٢ | تمهيد .....                                            |
| ١٢٤ | المنهج الذى اختاره الشوكانى فى الاستدلال .....         |
| ١٢٥ | أدله على وجود الله .....                               |
| ١٢٦ | أولا : دليل الفطرة .....                               |
| ١٣١ | ثانيا : الاستدلال بالآيات .....                        |
| ١٣٦ | ثالثا : الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة ..... |
| ١٤١ | منهج الزيدية فى الاستدلال على وجود الله .....          |
| ١٤١ | — معرفة الله عند الزيدية .....                         |
| ١٤٣ | — كيف يستدل الزيدية على وجود الله .....                |
| ١٤٦ | مناقشة الشوكانى للزيدية فى منهجهم .....                |
| ١٤٨ | نقد العلماء لهذا المنهج الكلامى .....                  |

## الفصل الثالث

### منهج الشوكانى فى الوجدانية

|     |                                                               |
|-----|---------------------------------------------------------------|
| ١٥٠ | تمهيد .....                                                   |
| ١٥٢ | توحيد الربوبية .....                                          |
| ١٥٦ | توحيد الالهية .....                                           |
| ١٥٧ | — الوجدانية فى العبادة .....                                  |
| ١٥٩ | — غاية القرآن الكريم بتقرير توحيد الالهية والبرهنة عليه ..... |

| الموضوع                                | رقم الصفحة |
|----------------------------------------|------------|
| — تحقيق توحيد الالهية بقطع ذرائع الشرك | ١٦٤        |
| — توحيد الاسماء والصفات                | ١٧٠        |
| — العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة    | ١٧٤        |
| — منهج الزيدية فى التوحيد              | ١٧٦        |
| — مناقشة الشوكانى لهم فيما ذهبوا اليه  | ١٨٠        |
| — رد السلفية وابطالهم لهذا المذهب      | ١٨١        |

### الفصل الرابع

#### الصفات الالهية العقلية ومنهجها فى اثباتها

|                                      |     |
|--------------------------------------|-----|
| تعريف الصفات الالهية العقلية         | ١٨٥ |
| قواعد منهج الشوكانى فى هذه الصفات    | ١٨٦ |
| اثبات الصفات الالهية العقلية         | ١٩٤ |
| — صفة العلم                          | ١٩٤ |
| — صفة القدرة                         | ١٩٧ |
| — صفة الارادة : ( الكونية والدينية ) | ١٩٩ |
| — صفة الحياة                         | ٢٠١ |
| — صفتى السمع والبصر                  | ٢٠٢ |
| — صفة الكلام                         | ٢٠٥ |
| الصفات الالهية العقلية عند الزيدية   | ٢٠٩ |
| مناقشة الشوكانى لهم                  | ٢١٥ |
| رد السلفية على هؤلاء النفاة          | ٢٢٠ |



## الفصل الخامس

### الصفات الالهية الخيرية

#### وموقف الشوكاني في اثباتها

| الموضوع                                              | رقم الصفحة |
|------------------------------------------------------|------------|
| منهج الشوكاني في اثبات هذه الصفات                    | ٢٢٣        |
| أولا : مايوهم لونه تعالى في جهة                      | ٢٣٠        |
| ١ - صفة العلو                                        | ٢٣٠        |
| ٢ - الاستواء والنزول                                 | ٢٣٣        |
| ٣ - صفة النزول والمجيء                               | ٢٣٧        |
| ثانيا : مايوهم نسبة الأعضاء لله عز وجل               | ٢٤٠        |
| ١ - صفة الوجه                                        | ٢٤٠        |
| ٢ - صفة العين                                        | ٢٤٤        |
| ٣ - صفة اليد والساق                                  | ٢٤٥        |
| ثالثا : مايوهم أنه تعالى يفعل بانفعالات وأن له عواطف | ٢٤٧        |
| - محبة الله ، وكراهية الله وبغضه                     | ٢٤٧        |
| موقف الزيدية من الصفات الالهية الخيرية               | ٢٥٢        |
| أولا : مايوهم الجهة والمكان                          | ٢٥٢        |
| ثانيا : مايوهم نسبة الأعضاء                          | ٢٥٣        |
| مناقشة الشوكاني للزيدية فيما ذهبوا اليه              | ٢٥٦        |
| رد أئمة السلفية على هو " لا " النفاة المعطلة         | ٢٦٢        |

## الفصل السادس

### أفعال العبادة

|       |     |
|-------|-----|
| تمهيد | ٢٦٥ |
|-------|-----|

| الموضوع                             | رقم الصفحة |
|-------------------------------------|------------|
| الله فاعل مختار .....               | ٢٦٨        |
| القدر ومبدأ السببية .....           | ٢٧١        |
| الآجال والمحو والاثبات .....        | ٢٧٢        |
| الفرق بين الكونيات والدينيات .....  | ٢٧٩        |
| الارادة الانسانية .....             | ٢٨٢        |
| أفعال الله وأفعال العباد .....      | ٢٨٧        |
| الهداية والاضلال .....              | ٢٨٩        |
| مذهب السلف في أفعال العباد .....    | ٢٩٣        |
| أفعال العباد عند الزيدية .....      | ٣٠٠        |
| مناقشة الشوكاني للزيدية .....       | ٣٠٨        |
| ١ - المقصد الأول في المناقشة .....  | ٣٠٩        |
| ٢ - المقصد الثاني في المناقشة ..... | ٣١١        |
| ٣ - المقصد الثالث في المناقشة ..... | ٣١٤        |

### الفصل السابع

#### روءية الله تعالى

|                                                                              |     |
|------------------------------------------------------------------------------|-----|
| موقف الشوكاني من روءية الله تعالى .....                                      | ٣٢٠ |
| أولا : اثبات الروءية بقوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " ..... |     |
| أقوال الشوكاني وجمهور العلماء فيها .....                                     | ٣٢١ |
| ثانيا : الروءية بقوله تعالى : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " .....           |     |
| وما ورد فيها من الروايات .....                                               | ٣٢٦ |

الموضوع

رقم الصفحة

|                                                              |     |
|--------------------------------------------------------------|-----|
| ثالثا : موقف الشوكاني من نفاة الروئية في احتجاجهم ببعض       |     |
| الآيات                                                       | ٣٣٠ |
| — احتجاجهم بقوله تعالى : " لا تدركه الأبصار " والرد          |     |
| عليهم                                                        | ٣٣٠ |
| — احتجاجهم بقوله تعالى : لموسى عليه السلام " لن تراني "      |     |
| والرد عليهم                                                  | ٣٣٣ |
| موقف السلفية من الروئية                                      | ٣٣٥ |
| أولا : سياق مفسر من الآيات في الروئية                        | ٣٣٨ |
| ثانيا : سياق ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن الصحابة |     |
| والتابعين رضي الله عنهم                                      | ٣٤٢ |
| ثالثا : ماروي عن الصحابة رضي الله عنهم في الروئية            | ٣٤٦ |
| موقف الزيدية من الروئية                                      | ٣٤٨ |
| مناقشة الشوكاني والسلفية " للزيدية " والرد على شبه المنكرين  | ٣٥٤ |
| أولا : شبه السمعية والجواب عنها                              | ٣٥٥ |
| ثانيا : شبه العقلية والرد عليها                              | ٣٦٢ |
| الخاتمة                                                      | ٣٦٧ |
| أهم المصادر والمراجع :                                       |     |
| المراجع المخطوطة                                             | ٣٧٦ |
| المراجع المطبوعة                                             | ٣٧٩ |
| فهرس الموضوعات                                               | ٤٠٩ |